

4529

10

١٧١

الجلال

في تفسير القرآن الكريم

استعمل على عماد بفتح الميم واو غر بفتح الهمزة

تأليف

الأستاذ محمد الحكيم شيخ طنطاوى جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
شجع الله المسلمين بآمين

الجزء التاسع عشر

مصحح بطاوي

نزهة لطف السبأى المحلى وأولاده بمصر

وحقوق الطبع محفوظة

وبشرطه محمد امين عمران

جداى الثانية سنة ١٣٤٩ هـ

عَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة غافر (هي مكية)

إلا آتني - إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم
ببالغه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير * خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس
ولكن أكثر الناس لا يعلمون - قد نيتان
(آياتها ٨٥ - نزلت بعد الزمر)

يروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « إن مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد
لأهله منزلاً فخرّ بأثر غيث فينجا هو يسرفه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال هجبت من الغيث
الأول فهذا أعجب منه وأعجب ! فقيل له : إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ، وأن مثل هذه الروضات
الدمثات مثل آل حم في القرآن ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لكل شيء لباب ولباب القرآن
الحواميم » اهـ

(هذه السورة أربعة أقسام)

« القسم الأول » في تفسير البسملة

« القسم الثاني » غلب فيه وصف حلة العرش واتصال عالم الملائكة بعالم الانسان لإشراقاً وتعليماً وتنظيماً
لناسبة ما في آخر ﴿ سورة الزمر ﴾ من أول السورة الى قوله - إن الله هو السميع البصير -
« القسم الثالث » الاعتبار بالأمم الماضية وتخصيص موسى بالذكر عليه السلام وبني اسرائيل والمؤمنين
من آل فرعون من قوله - أولم يسبوا في الأرض - الى قوله - وسبح بحمد ربك بالعننى والابكار -

« القسم الرابع » غلب فيه النظر في عجائب الحكمة الإلهية من قوله - إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان - إلى آخر السورة ، فيرجع معظم أجزائها ومقصودها إلى العالم الروحي الأعلى فالأنبياء السابقين وعجائب العالم المحسوس

﴿ القسم الأول في تفسير البسملة ﴾

لك الحمد اللهم على نعمة العلم والتوفيق ومعرفة بعض عجائب القرآنية والرحات النورية والبهجات الحكيمة والسعادة العقلية والجمال والبهاء والسرور بالإبداع ، أرى أننا أن بين سورة الزمر والمؤمن المتعاقبتين مناسبة بدعية ، ففي آخر الزمر أن الملائكة حافون من حول العرش ، فهناك ذكر للعرش وملائكة حافون وتسييح وتحميد ، وهنا في سورة المؤمن ذكر الملائكة والعرش والتسييح والتحميد ، وهكذا ذكر العرش مرة أخرى فيها - رفيع الدرجات ذو العرش - وبين ما ذكر في آخر سورة الزمر وما ذكر في أوائل سورة المؤمن من العرش والملائكة والتسييح والتحميد جاءت البسملة وفيها اسم الله واسم الرحمن الرحيم . وهنا رجة جاء ذكرها متخللا ذكر العرش وما معه ، وكما أن الرجة العامة في البسملة في أول ﴿ سورة ص ﴾ كان اتجاهها لإقناط لسفة الاخلاص المذكور معناه في آخر سورة الصافات وفي أول سورة ص هكذا هنا الرجة العامة في البسملة متجهة إلى إفاضة العلم والحكمة وتعميم الهداية في نوع الانسان فان أولئك الملائكة الحافين من حول العرش المسبحين بحمد ربهم يستغفرون للذين آمنوا والله الذي أبدع العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده ، والرسل بينه وبين الأنبياء هم الملائكة

واعلم أن عروش الملوك لا تقوم إلا على دعائتين : دعامة هي أبهة الملك وعظمت وترجع إلى القدرة والجاه ودعامة هي العلم الذي به نظم ذلك الملك ، والمملكة التي لا قوة فيها ولا نظام لها مفككة الأجزاء مطلة واهية ذاهبة ، فكل عرش إنما يقوم على القدرة وعلى العلم . والقدرة تكون بالمال وبالرجال . والعلم يقوم بنظام الحياة الطبيعية والحياة السياسية . فله إذن في أرضا أربع دعائم . وعرش الله عز وجل مشروح في آية الكرسي ومبناه فيها العلم والقدرة . فإذا كان الله سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يحيطون بشئ من علمه إلخ فذلك كله راجع للعلم وكونه له مافي السموات ومافي الأرض ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فذلك راجع للقدرة . ولقد جاء ذكر العرش في آخر ﴿ سورة التوبة ﴾ في آية - فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم - وجاء في أول ﴿ سورة يونس ﴾ - إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر - فالاستواء على العرش بالقدرة وتدير الأمر بالعلم . وجاء في أول ﴿ سورة هود ﴾ بعدها - وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء - والمقام هناك واضح في معنى العرش الذي سقنا له الكلام هنا إن كل عرش لا يتم إلا بعلم وقدرة . وإذا كان العرش في آخر التوبة وفي أوائل سورة يونس وهو يذكرنا بأن الأمم الإسلامية تولت عروش أمم وامت بحفظ بلادها . وتلك الأمم هي المذكورة في سورة يونس وهوود وذكرنا بأن تلك العروش التي في أرض مصر المشار إليها بقصة موسى وهرون فيها وأرض الجزيرة وما بين النهرين من بلاد الآشوريين والبابليين . فهذه كلها الآن بلاد إسلامية وهذه البلاد المشار إليها بقصة يونس إذ كان في نينوى وهي من تلك البلاد . وقد فصلت في سورة هود قصة نوح . ولقد كانت سفينة هناك عند (جبال ارارات) وهذه في تلك الناحية التي قام فيها الكرد اليوم . وهم يريدون الخروج من الدولة التركية . وهذه الجبال في بلاد العراق مما يلي بلاد الترك . ولا جرم أنها بلاد إسلامية إلى الآن . وهكذا فصلت قصة عاد وثمود وقصة

ابراهيم ولوط ومدين وموسى . ولاجرم أن هذه البلاد كلها عربية . وهى اسلامية اليوم . فلو ط يسلاذ الشام وهكذا ابراهيم وعاد وثمود فى بلاد حضرموت وما يلها ومدين حوالى بحر القزيم وهو البحر الأحمر من جهات الشرق . فهذه العروش كلها أصبحت عروشا اسلامية . هذا ماتقدم فى سورة التوبة ويونس وهود وهكذا هنا فان العرش الذى ذكر فى سورة الرمر وفى سورة المؤمن قد ذكرنا بالهداية العامة والملاك كما تقدم . ألا ترى الى قوله تعالى - يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض - فالملائكة الحافون من حول العرش لهم حالان : تنزيه الله عما لا يليق بجماله واستغفار لمن فى الأرض . ومن طلب المغفرة لأحد أحب هدايته والملائكة هم الذين يلهمون الناس الخير وهم الذين يكونون سفراء بين الله وبين أنبيائه فهم ملقنون الوصى للأنبياء وهم ملهمون الخير للمؤمنين . وترى هذا الأمر واضحاً فى قوله تعالى - ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلمنا - فذكر الرحمة وذكر العلم . ثم يقولون - فاعفّر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم - الخ

وهذه الصفة العلمية هى إحدى الدعائتين اللتين تنقسمان الى قسمين آخرين كما تقدم . وتكون هذه الأربعة الدعائم للعروش والدعامة الأخرى هى القلعة ولقد غلبت هنا فى ذكر الأمم السابقة - أولم يسبروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً فى الأرض - الخ وفصل بعضهم فى خلال قصة موسى إذ قال - مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم - فهذه القصص منفصلة وبجدة ترجع للقصص التى فى سورة يونس وهود بعد سورة التوبة وكلها ذات عروش والعروش قد أصبحت للسلمين . ذكر العرش فى التوبة وما بعدها وذكره فى الزمر وسورة المؤمن 'إشارة الى ما وصفنا من أن هذه العروش فى تلك البلاد لا تزال الى الآن فى أيدي المسلمين

واعلم أن هذا أن لم يقعه بنصائح للسلمين لا يكون العلم به نافعاً ، فانه اذا كان ذكر العرش فى هاتين السورتين مشيراً الى ذلك كما أشار فى السورتين الثلاث السابقة وهى هود وما بعدها من غير عظة تلحقه وعمل يتبع العلم ، بقى المسلمون على ما هم عليه يفرحون بما يفتح عليهم من أسرار القرآن ولكنهم لا يحركون ساكناً ويتحركون جبل الأمم على غارها ، ونحن نقول أيها المسلمون : هذه الجباب ومعرتها ليست تجزى ما وحدها فالعلم إن لم يقعه العمل لم يفد الناس . فإذا سمعت أن الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض فذلك تذكرنا أن نبرع فى (الأمر الأول) المعرفة العامة بالعلوم الطبيعية والاراضية حتى ندرج جلال الله وجلاله فى السموات والأرض بدراسة علوم جميع الأمم حولنا مع اضافة مباشرة العقلية ، وبذلك وحده ندرج معنى قوله تعالى - والملائكة يسبحون بحمد ربهم - فكيف يكون التنزيه بلا علم بالآثار التى أبدعها ، وكيف يكون حمد على نعم - هل تفصيلها ، فالجد العقلى عبادة والجد الحقيقى علم ولا علم إلا بالدراسة ومعرفة الحقائق ، والعابد الجاهل قليل المنفعة والعالم هو الذى اتبع الأنبياء وقلد الملائكة المسلمين بحمد ربهم (الأمر الثانى) أن نكون نافعين للناس فلا تكون حياتنا وقفا على العلم وحده لأن ثمرة العلم إفاضة الخير على الناس والملائكة الحافون حول العرش كما أنهم يسبحون بحمد ربهم يفيضون الخير على أهل الأرض ، ولاجرم أن لنا ضائراً وعقولاً هى محل إفاضة الخير من الملائكة علينا ، فلقم بالعلم ولقم بالعمل والعالم كله مفتابه منسق ، فليكن العلماء فى الأمم الاسلامية بعدنا متحليين بجمال العلم بهذا الوجود تفصيلاً على قدر امكانهم أولاً وليكونوا مفيضين على الناس من علومهم ، ويجب أن تكون علومهم شاملة لخبرى الدنيا والآخرة حتى يتم جدهم والجد يكون على نعمة ونعمة الدنيا مشاهدة محسوسة . ومن جهل المحسوس جهل العقول . ومن جد بلا علم فحده رياء وقول لفظى ضليل . وإذا لم يقم العلماء فى الاسلام بهذه الشرائط واستمر المسلمون على نومهم العميق وسلموا أغناقتهم وخضعوا للجهلاء ممن لا يعقلون بدائع هذه الدنيا وحكم

خالقها الحكيم فإن العروش المذكورة في ﴿سورة المؤمن﴾ المفصلة في سورة يونس وهود التي هي في أيدي المسلمين تמיד وملكها أم غيرنا وهذا آخر أذار في هذا التفسير للمسلمين

اللائكة يسبحون ويصلون الناس الخبر وهم حافون حول العرش هكذا العلماء حافون حول عروش الأمم الاسلامية . اذا هم لم يقوموا بحق العروش من العلم الجم وإفاضة العلم على أمم الاسلام . وهذا العلم يليق لاقامة العروش وبثائها فان هذه العروش ساقطة في أيدي الأمم الأخرى . ولقد سقطت عروش الأندلس التي كانت مفرقة عشرين دولة ولم يكن لهم من الدين مايزعمهم والشعراء كان لهم بينهم القنح الملى وقبل ذلك سقطت بغداد التي كان لها السلطان على هذه العروش المذكورة في يونس وما بعدها وهي سورة المؤمن واذا كان عرش الله وهو القائم على كل نفس بما كسبت تحفه اللائكة المسبحون المستقرون لا يفارقونه

فكيف يقوم عرش الانسان الضعيف إلا بعلم وإفاضة على الخاضعين للعرش

ومن العجب أن في ﴿سورة التوبة﴾ ذكر لما يوافق اسمها من أن الله تعالى تاب على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار الخ وتاب على الثلاثة الذين خلفوا الخ فهناك توبة وهناتوبة وغفران للذنوب المذكورين في قوله تعالى - غفر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - وهنا ذكر للعقاب الشديد وذكر للغفرة وما أنسب هذين بالعرش لأن المستوى على العرش يدبر الأمر ومن يدبر الأمر يعاقب تارة ويغفر أخرى ويتوب على من يشاء وهذا شديد المناسبة بالعرش ولذلك ذكر في آخر سورة التوبة . فإلك يناسب ذلك غفران وتوبة تارة وعقوبة تارة أخرى وذلك يكون على مقتضى العلم . والعرش انما يبنى على العلم وعلى القدرة ومظاهر هذين تسيح اللائكة وحدهم واستغفارهم وهم حافون حوله فعلمهم وافاضتهم الخبر على الناس مظاهر وآثار لما فوق ذلك من علم الله وقدرته اللتين باثارهما أقيم العرش . فإله قادر وعليم واللائكة استمقوا منه والمؤمنون لاسيما علماءهم يستمدون من اللائكة . وفي هذه السورة من المباحث أنواع ،

- (١) خراج الأرض الواسعة وما فيها من حكم ومحجائب في آية - أولم يسعوا في الأرض - الخ
- (٢) والسموات والأرض في آية - خلقت السموات والأرض أكبر من خلق الناس -
- (٣) تمثيل النوع الأول في آية - الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء . - وهنا ذكر صورنا وحسنها

(٤) تفصيل النوع الثالث في آية - هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه - ففي هذا تبيان نمو الانسان حالا بعد حال

(٥) بيان الأنعام التي تركبها والتي نأكلها

(٦) وختم السورة بما يخص السورة كلها من انه أرانا آياته كلها ومن أن سيرنا في الأرض يعرفنا عاقبة الأمم الخ

(٧) وفي السورة الاتجاه الى الله - فادعوا الله مخلصين له الدين -

(٨) وفيها ان الله ينصر رسوله وياجيهم - إننا لننصر رسلا - الخ وفيها - فوقاء الله سيئات ما مكروا -

(٩) وفيها تبيان أن الضعفاء محتجون بأن المستكبرين أضلواهم ويحبهم المستكبرون ويقع الجميع في العذاب

(١٠) وذلك لأن المدار على الأنواع السبعة السابقة من النظر بالعقل في السموات والأرض ، وخلق

الانسان والأنعام . فاذا احتج انسان بأن غيره أضله فحجتة داحضة لأنه يقال له : ابن عقلك إذن ؟ فإلك أيها الضعيف عقل كالمستكبر فكيف أئتمه ؟ ولماذا لم تسرفي الأرض وتنتظر العواقب أنليس من عجب أن يكون الله برحته أنزل القرآن وعلم المسلمين فيه تريتيت : تربة لا ذكر للأسباب

معها غالباً وهي الصلوات وأنواع العبادات وهي الترية العملية ، وترية علمية وهي المباحث التي تكون بها الهداية ، وهذه هي النظرية كالنظر في الأنفس والآفاق الخ وهذه لا يغتفر فيها إهمال لعقل ، وبهذه يحتاج المستكبرون والضعفاء ويقع الجميع في العذاب ، ولقد علمت أيها الذكيّ فيا قتلناه عن (كانت) الألمان في كتاب الترية : « أن الترية العملية أولاً تكون بلا ذكر للأسباب فلذا كبر العاصي علم الأسباب » ، وهنا في القرآن - ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة - فهذا أمر في نفسه مذموم وهكذا في القتل جاء في سورة المائدة - من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً - الخ وجاء في سورة البقرة - ولكم في القصاص حياة الأولى الألباب -

هذه في الترية العملية فهي اشتملت على ما لم يذكر معه سبب وعلى ما ذكر معه السبب وهذا هو الذي قرره علماء الترية في عصرنا ، فأما الترية العلمية فلا تصح إلا بالنظر العقلي ولذلك لما احتاج أهل النار لم ينفع الضعفاء الاحتجاج بالذين استكبروا

أيها المسلمون : إن القرآن مملوء بحكمة وأتم التاركون لها ، وهذه الآيات فيها محجبات ولكن الله تعالى حرمها على التائبين الساهين الإلهمين الذين لا يفكرون ، فكذلك ذكر الله حاجة الكفار في النار في هذه السورة وفي سورة سبأ وفي سور كثيرة ، كل ذلك ليوقظ شعور المسلمين الذين ناموا نوماً عميقاً فيفكروا يقولون : إني أنذر المسلمين بهذا التفسير . أنذرهم قبل فوات الفرصة . إن هذا الكتاب قد جاء بين يدين كبيرين : عهد النوم العميق للأثم السابعة وعهد اليقظة للأثم المستقبلة . ويستقبل المسلمون أيام العلم والعمل بعد أن استبدروا أيام الجهل والكسل والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . كتب صباح يوم الخميس ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٠ انتهى القسم الأول في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

﴿ القسم الثاني من السورة ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ • تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْمَلِيمِ • غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ • مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَنْزِعُكَ عَنْهُمْ فِي الْبِلَادِ • كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ • وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ • الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَهَبِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ • رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَذْرَى الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ

إِنَّكَ أَنْتَ الْمَرْبُورُ الْحَكِيمُ * وَتَعْلَمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَسَحَتْهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْدَوْنَ لَعْنَتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَتِكُمْ أَثْمَسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ * قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ * هُوَ الَّذِي يُرِيكُم مَّا بَإَيْتِهِ وَيُنَزِّلْ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مِنْ يُنِيبُ * فَأَدْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَنَّى الْخَاجِرِ كَاطِلِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍّ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ * يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ * وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(حم) حتم الكلام على الحروف كلها في أول ﴿آل عمران﴾ وفي أوائل ﴿العنكبوت﴾ وما بعدها ويختص الكلام على حم هنا بأنها تشير إلى حد سبق في آخر الزمر وكما سترى هنا عند قوله تعالى - الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا - الخ فرجعت هذه الإشارة الجيبة إلى استكمال قوة العلم وإفاضته على المتعلمين فإن الحد ونعمه ليس يكون إلا باستكمال قوة العلم ، وكيف يحمد الإنسان على نعمة يجهلها ، وكما كانت ألم تشير في العنكبوت وما بعدها إلى تحقيق المباحث العنصرية والوقوف على حقائق هكذا هنا يراد بالحاء والميم استكمال قوة العلم في جميع الفروع إذ لا جد كاملاً إلا بعد علم بالحمود عليه ولا تعليم يصدق إلا لمن استكمل العلم ، وهذا هو الذي تشير به حم ولتلك أردفها بقوله (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) بكل المعلومات ، وجد العبد تابع لعلمه بما أبدعه الله تعالى والله يحب من تعلّق بأخلاقه والعلم منها (غافر الغيب) ساره (وقابل التوب) أي التوبة (شديد العقاب) فالأول لمن آمن وأطاع والثاني لمن كفر وعصى (ذي الطول) ذي السعة والغنى والفضل والنعم (إلا هو) فلا يقبل الإنسان بكميته عليه (إليه المصير) فيجزي كلاً بما يستحق ، وهذه الصفات جمعت بين الترغيب والترهيب لئلا يأس الناس من

الرجة ولا يأتسوا كثر الله ، فلما حقق أمر التنزيل سجل الكفر على الجادلين فيه بالباطل . فقد قيل : إن جدالا في القرآن كفر . فأما الجدال لايضاح الملتبس فهو مرغوب فيه فقال (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغفر لك قبلهم في البلاد) فلا يغفر لك إيمانهم وقلوبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم سيؤخذون قريبا كما أخذ من قبلهم (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم) والذين تحزبوا على الرسل بعد نوح ككاد ونمود (وممت كل أمة) من هذه الأمم (برسولهم ليأخذوه) ليقتلوه أو يسأروه (ويجادلوا بالباطل) بما لاحقيقة له (ليدحضوا به الحق) ليزيلوه به (فأخذتهم) بالأهلاك جزاء لهم (فكيف كان عقاب) أي فكيف كان عقابي إياهم ، ألم يكن مستأصلا مهلكا وأتم تمرؤن على ديارهم وتمرؤن آثارهم وفيه معنى التعجيب (وكذلك حقت كلمة ربك) وعيده وقضاؤه بالعذاب (على الذين كفروا) لكفرهم (أنهم أصحاب النار) بدل من كلمة ربك ، ابتداء الله السورة بصفات العزة والعلم والقنوة الواسعة ، وبذكر الرحمة والعقاب ، ثم أتبع ذلك بمن استوجبوا العقاب وأعقبهم بذكر من هم على النقيض من حالهم فهم على طرفي قيس ، كقار في أسفل دركات الشقاء وحلة العرش في أعلى دركات العز والثناء فقال (الذين يحملون العرش ومن حوله) أي حملوا العرش والحافون حوله وهم الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا ولا معنى للعمل إلا الحفظ والتدبير وذلك يستلزم قربهم من ربهم ومكانتهم عنده وعلوهم على العالمين . ألا ترى أن كل من كان في الناس أغزر علما وأحسن تدبرا يكون أرقى منزلة ، فهو لاء (يسبحون بحمد ربهم) أي يذكرونه بجماع الثناء :

(١) من صفات الجلال التي هي عبارة عن التسييح أي التنزيه عن مقام المحدثين ككونه لأوّل له ولا آخر لبقائه وأنه مخالف للعوادث في ذاته وصفاته وأفعاله

(٢) ومن صفات الاكرام كلمه وقدره وكرامته وكلامه ، فالأشارة للأوّل بالتسييح وللثاني بالتحميد

فالمصنفات الأولى كمال والثانية مشتملة على التكميل كالخلق والرزق والهبة والهداية وما أشبه ذلك وقوله (ويؤمنون به) إنما ذكر للدلالة على اظهار فضيلة الايمان والاعمال العرش لا يكون إلا بكمال العلم ، ولا كمال للعلم إلا بعد مبدأ الايمان ، وذلك لأن المقام مقام إبراز أمة وإبرازها إنما يكون أولا بالايمان ثم يقبض العلم ، فلذلك قصر الكلام على ذلك فقال (ويستغفرون للذين آمنوا) أي يسألون الله المغفرة لهم ومعنى ذلك أنهم يحملونهم على التوبة ويملأونهم ما يوجب المغفرة ، إن هؤلاء الملائكة ممنوعون بالقرب من ربهم فهم مدبرون للعالم نظاما جسيما وإرشادا عليا ، فالوحى منهم للأنبياء بأمر ربهم ، والاطعام منهم لردى الفطر القابلة للخير ، ولا يصحبهم صاذ عن إطعام الخير لأمريء من الناس إلا اذا كانت فطرته تصد عنه عن القبول منهم فيتولى الشياطين هدايته الى طريقهم المؤدى الى الفساد ثم بين الاستغفار المذكور المعبر به عن إلهامهم بما يكون نتيجة له من حيث شمول الرحمة الإلهية العامة لهم والمغفرة وادخالهم الجنة مع آبائهم وأزواجهم وذرياتهم اذا صلحوا كصلاحهم ، وهذا البيان هو قوله يقولون (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) فان كل حيوان مثلا قد ألهم ما به صلاحه للموافق له وقطر عليه والانسان بعدد طرقه ونحن نجد في هدايته الى الصراط المستقيم بالاطعام والإرشاد (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) لاستعداد فطرهم لقبول الهداية من الرسول وخلفاته ومن الإلهامات التي توجبها إليهم (وقهم عذاب الجحيم) واحتفظهم عنه (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم) إياها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) عطف على هم من أدخلهم (إنك أنت العزيز الحكيم) الملك الذي لا يظلم وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا خاليا عن الحكمة ومن موجب حكمته أن تدخل معهم من صلح من ألهم ليتيم سرورهم وأن تتم وعدك الذي وعدت (وقهم السيات) أي المعاصي في الدنيا (ومن تقى السيات يومئذ فقد رجه) ومن تقى في الدنيا فقد رجه في الآخرة (وذلك

هو الفوز العظيم) أى النعم التى لا ينقطع فى جوارملك لاتصل العقول الى كنه عظمته

(فصل فى ذكر نتائج الكفر)

لما ذكر الله سبحانه وتعالى أحوال الكافرين فى الدنيا ، وبين موجبات الهداية والعناية المبذولة من حلة العرش وصفوف الملائكة بالالهام مع تدير الملك واهتمامهم بهداية الناس أتبعه بما هو النتيجة اللازمة لذلك وهى ان هؤلاء يندمون حين يوضعون فى المركبات التى هم أولى بها فى جهنم فقال (إن الذين كفروا ينادون) يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سياهم وعانوا العذاب فيقال لهم (لقت الله) إياكم فى الدنيا والآخرة (أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون الى الإيمان فتكفرون * قالوا ربنا أمتنا) إمامتين (اثنتين وأحييتنا اثنتين) أى أمتنا فى الدنيا ثم أحييتنا فى القبر لسؤال ثم أمتنا فى البرزخ وأحييتنا للبعث لأن الانسان عند الموت يخلع هذا الهيكل الجسمى وتبقى الروح بالجسم الأبدى اللطيف للمائل لأجسامنا الأرضية ، فهذا موت وانتقال من حال الى حال مغاير كل المغايرة ، وهناك يرى الانسان الجباب الكامنة فى جسده الروحى ، ويرى صور أعماله السابقة من سيئة بادية العار والشار ظاهرة القدرة والحقارة فيلحقه منها خزي لا يطاق وعذاب روحى ونار جسمية ملازمة له ملازمة الظل للشبح والهواء للأجسام الأرضية ، ومن حسنة تظهر موقفة بهجة متلاثة بهية تبهج من رآها كاللكواكب البرية تسر الناظرين ، ثم إن هذه الحال البرزخية يحصل فيها انتقال وتغير ، وربما ظهرت حال جديدة للأرواح تبدل فيها تبدلا عظيما كالتيبدل الذى حصل بموت الأجسام فيعتبر موتا ثانيا ثم يبعث الناس فتكون حياة ثانية ، فاذن يكون هناك موتان بين الأول والثانى حياة برزخية وبعد الثانى حياة يوم القيامة ، وعلى ذلك تكون لنا أنواع ثلاثة من الحياة لأن الحياة الدنيا لم تذكر فى هذا المقام وربما كانت تبدلات الانسان فى الحال البرزخية كثيرة جدا لسرعة أحوال الأرواح فنبه على ذلك بذكر أعظم تبدل فيها فسماه موتا والا فالأنفس حية فى الحياة الدنيا وبعد مفارقة الأجساد ويوم القيامة ، وهذه الآية فيها رموز عجيبة سيظهرها المسلمون بقراءة علم الأرواح واستحضارها بعد مفارقتها هذه الدنيا ورجوعنا الى الحال البرزخية لأنهم اليوم ونحن أحياء ليس عندهم من الوقت ما يتفرغون به مثل هذه العلوم ، وأتم الغرب اليوم تطاردهم وسيخلصون منها إن شاء الله قريبا وبعد ذلك يقرؤون هذا التفسير وأمثاله قراءة أتم ويشرعون فى المباحث العلمية ويدخلون جنة عليية فى الدنيا ثم يتمتعون بروضات الجنات البرزخية ويلحقوننا إن شاء الله تعالى هناك جبلا بعد جبل

ولما كانت أحوال الأنفس البشرية وتقلباتها فى البرزخ ويوم القيامة تكون قدأملت عليها دروسا عالية قاسية لظهور الحقائق لما تحملهم على الاعتراف وطلب الخروج من النار أعقبه بقولهم (فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج) من النار (من سبيل) طريق نسلكه فيجأون بأنه لاسبيل الى الخروج (ذلكم) العذاب (بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرىكم به) غيره (تؤمنوا) أى تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلى) الذى لا أعلى منه (الكبير) الذى لا أكبر منه (دو الذى يريكم آياته) عجائب مصنوعة لتكملوا أنفسكم بمعرفتها (وينزل لكم من السماء رزقا) أى المطر لأنه سببه ، فجباب الصنوعات لأشهرين : ترقية العقول ، وتربية الأجسام ، والثانى عام ، والأول خاص وهذا قوله (وما يتذكر) يتفكر فىرقى نفسه بهذه الجباب (إلا من يفتب) يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكير فيها ، ولما كان فريقى النبيين هو الذى تسجبه العناية لارتقائه فى القرآن والحكمة أرفده بما يناسبه فقال (نادعوا الله فخلصن له الدين) من الشرك الخفى والجلي (ولو كره الكافرون) اخلاصكم وشق عابهم هو (رفيع الدرجات) أى هو مرتفعة درجات كنهه فوق المحسوس والعقول ، وهكذا مراتب مخلوقاته الجسمية رفيعات درجاتها طبقا عن طبق وكذلك أروحية من صفوف النفوس الانسانية والملائكة فهولاء جميعا درجات بعضها فوق بعض ارتقاء الى أن تقف دونه العقول (ذوالعرش)

الذى هو أصل العالم فهو في قبضة قدرته ، وقوله (يلقى الروح من أمره) خبر رابع لقوله - هو الذى يربكم - يقول الله انه يربنا الهباب وهو متع الدرجات ورافع درجات الخلق والعرش في قبضته و يلقى الوسى بأمره (على من يشاء من عبادته) أى من يختاره للنبوة (لينتد يوم التلاق) إذ تتلاقى فيه أهل السماء وأهل الأرض والعمال والأعمال (يوم هم بالوزن) يخرجون من قبورهم وظاهرون لا يسترهم شئ وأعمالهم وسرائرهم مكشوفة لا يحجبها ثفاق ولا رياء (لا يلقى على الله منهم شئ) من أعمالهم وأسوأهم ، وحينئذ تنطق الحال بهذا السؤال (لمن الملك اليوم) واذن يحجب هي (لله الواحد القهار) فهو وحده قهر الخلق بالموت وبالبعث وبالخشع ، ولا جرم أن إلقاء الوسى بهذه للعانى على الأنبياء انما يكون لرفع درجات النفوس الأرضية ولحقها بما هو أعلى منها ، فإذا كان الله رفيعا درجات كماله رافعا عالم الكواكب طبقات بعضها فوق بعض كما رأيته فيها مضى في هذا التفسير ورافع درجات الأرواح والملائكة فانه بهذه النفوس الرفيعة والأرواح الشريفة يهبط نفوسا أخرى لتلتحق بها فيوحى بواسطة الملائكة الى الأنبياء والناس يستمعون الوسى فيرتضون الى درجات أرقى مما هم عليه ، هذا هو الذى يقتضيه نظم الآية منسجما عجيبا ، ثم ذكر نتيجته فقال (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) فلا يرى المرء إلا ما كونه في نفسه من عقيدة أو علم أو حال فيرى كل ذلك منقوشا مصورا في جسمه كما يحسن الآن في هذه الحياة بذلك من حسد وعداوة وطمع وشهوة وكبرياء ، فكل ذلك منقش للإنسان في حياته لاحق به بعد موته بحيث يحسن الإنسان به ويشعر ويكون سوائل معنوية في عالم الأثير مختلفة كاختلاف ألوان النبات وروائحهم وهكذا أنواع العلم والحكمة والفضائل الخلقية من الكرم والصفح والآداب جميعها ترى لها سوائل أثيرية معنوية أشبه بالسوائل المادية ترشح من النفس ولا تفارقها كما لا يفارقها في هذه الدنيا من هذه الصورة الجسمية أشكالها وألوانها وأطوارها ونسبها وقبيلتها ، وذلك كله جاء في علم الأرواح في العصر الحاضر ، وهذا معنى قوله (لا ظلم اليوم) وذلك لأن الله لما كان رفيع الدرجات وقد رفع درجات العوالم الروحية فيها هوذا سخرها لترفع الأرواح التى هي ضعيفة في الأرض تعيش مع الحيوان وهي في نظام كله هرج ومرج الى عالم أرقى من عالم الأجسام ، فإذا ماتت ظهرت بظهورها الذى وصلت اليه على مقدار طاقتها كما يظهر العقل بظهوره عند أبويه من النفس والضعف ، فالعذاب الذى يعترى النفوس الانسانية بعد الموت هو من لوازمها وهكذا النعم ، إن الله تعالى مربى العالمين ورافعهم من أدنى الى أعلى ، وفى أثناء رفعهم رسب بعضهم وتظهر فضائحه وقبائح أثناء سفره ويحصل للعالمين عذاب لا يطاق فان الانسان اذا ظهر بعد الموت يظهر قبيح اشمازت منه نفوس أصحابه ورأوه بغير العين التى كانوا يرونه بها وأصبح فى ذلك لا يحتمل واشتعلت النار الجسمية والمعنوية معا ، وقد يرى الأمير أن عبدا من عبيده فضل عليه بأخلاقه التى اكتسبها وطار الى العلا وخلفه مع الجمالوت ، فأى ذل وأى عار وأى مهانة بعد هذا كله ؟ فلا ظلم إذن فكما اتنا لما خلقنا في الأرض وكان منا نساء ورجال ، وكان فينا الجليل والقيح والقصير والطويل والمرضى والصحيح وما لا ينهائى من الأوصاف والأحوال ، لم تقل إن هذا الاختلاف ظلم والالكان معنى ذلك أن الوجود كله خطأ ، هكذا قول فى أحوال الأرواح بعد الموت فكل يكون على شاكلته الروحية الحقيقية ، فكما لا اعتراض فى الاختلاف الجسمى هكذا لا اعتراض فى الاختلاف الروحى فيكون قوم فى نعيم وقوم فى جحيم ولا اعتراض كما لا اعتراض اذا قلنا فى الأرض فراش وابل وحيوانات برية وأخرى بحرية وآساد فأنكة وغزلان مأكولة مع ان الانسان لوقيل له : أتوت أم تكون ناموسة أو جراد ؟ لا يرضى إلا بالموت وكذلك الجراد لا يطلب أن تكون انسانا لأنها تحب له ، فإذا عرفت الجراد والنملة والحمامة مرتبة الانسان وحرمتم عنها فهناك الطامة الكبرى والعذاب والنلة والمهانة وهناك تكون نار الخبز ونار العذاب ، فالأرواح الأرضية بعد الموت التى هي ضعيفة ليست كالجراد فى الحياة الدنيا بل هي تحسن وتعرف المراتب ، وهنا تتجلى نار الخبز

وفارجهم ، ولكن نار الخزي أشد كما يحس الإنسان في الدنيا بالعار إذا لوثت سمعته وضيع صيته ومجده وشرفه ولكن في الدنيا يتخلص بالموت ولكن في عالم الأرواح لا يقدر على التخلص من الحياة فيه . وهذا يفهمنا قوله (إن الله سريع الحساب) فيصل كل إلى ما يستحقه سيما . ولهذا المعنى القوي قرره لك تفهم قول سيدنا عليّ كرم الله وجهه لما سأله سائل : « كيف يحاسب الله الناس كلهم ؟ قال كما يرزقهم كلهم » وقوله (وأأنذركم يوم الآزفة) القيامة سميت بذلك لازومها أي قربها (إذ القلوب لدى الخناجر) إذ ترتفع عن عماها فتنشق بجلوههم من الخوف فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتوحدوا حال كون أصحاب القلوب (كاظمين) على الغم أو عاكفين بخناجرهم (ما للظالمين من حليم) قريب مشفق (ولاشفيح بطاع) ولا شفيح مشفع (يعني خاتمة الأعين) النظرة الخاتمة كالنظرة الثانية إلى غير المحرم واستراق النظائره (وما تخفى الصدور) من الضمائر (والله يقضي بالحق) وقد عرفته فيما مضى في هذا المقام (والذين يمدحون من دونه لا يقضون بشئ) تهكم بالأصنام لأنها جاد (إن الله هو السميع البصير) فيعلم خاتمة الأعين وما تخفى الصدور وأما الأصنام فلا سمع لها ولا بصر فكيف تقضي بحق أو باطل ! انتهى التفسير للفظ القسم الثاني من السورة والحمد لله رب العالمين

﴿ لطائف : في قوله تعالى حم وفي قوله - الذين يحملون العرش ومن حوله - الخ وقوله تعالى

- رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده - ﴾

تبيين لك فيما تقدم في هذا التفسير أن الحروف في أوائل السور قد جعلت رموزا وعرفت في كثير من السور كيف كانت تتبرأ إلى مقاصد لرقى للمسلمين كما ترى في ﴿سورة البقرة﴾ - ال م - للتنبيه على جهاد بني اسرائيل في قوله - ألم تر إلى الملائكة - الخ وتوجيه الهمم إلى بحث حقائق الجباب الكونية في قصة الخليل والعزير كما سبق شرحه مرارا وهكذا في ﴿سورة العنكبوت﴾ فدرج رمزا إلى البعث في عجائب العناصر وكيف كان لها نظام كشفه العلامة (مندليف الروسي) وتبعه العلماء وهكذا في يس وص . فأما هنا فالأمر أهج . وكيف لا يكون أعجب ونحن نرى في آخر ﴿سورة الزمر﴾ قول الله تعالى - وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم - وقد وضعوا مراتب كما جعلت أرواح الناس مراتب في الدنيا وهم يسبحون ويحمدون ، وقد عرفت أن ذلك كله عبارة عن العلم بالجلال والاكرام ، ولا معنى لمعرفة صفات الاكرام إلا بدراسة الجباب الالهية ﴿وبعبارة أخرى﴾ دراسة العلوم التي امتازت بها أوروبا علينا . هذا هو الذي فهم من النسيج والحد ، فأما الملائكة فعلمهم طبعاً فوق طاقتنا ، وترى السورة ختمت بقول الملائكة والمؤمنين « الحمد لله رب العالمين » وكيف يحمد المؤمنون ربهم جدا حقيقا إلا إذا عرفوا نظام الخلق إذ لا محمد الحسن إلا على مقدار ما عرف الحامد من آثاره الواصلة إليه وإلى غيره . هذا هو الذي جاء في آخر ﴿سورة الزمر﴾ ثم قال في أول ﴿سورة غافر﴾ - حم - حرفان من الحروف الأربعة عشر مشيرا إلى الحمد أي حمد المؤمنين وحمد حلة العرش ﴿وبعبارة أخرى﴾ مشيرا إلى العلوم الطبيعية والفلكية التي هي أقرب اليانحن في الأرض . فانظر ماذا تم بعد ذلك ؟ أعاد الكرة في أوائل السورة فذكر حلة العرش وتسيبهم بحمد ربهم واجتهادهم في ارتقاء أهل الأرض وجههم لاسعادهم

انظروا توجب ، فاني سأريك الساعة عجبا عجبا ، بل أريك معجزة القرآن الحق ، وكيف نطق من أمم وثلاثة سنة بما قرأه اليوم في كتب الترجمة . أنت اذا كنت من الذين تابعوا هذا التفسير لاتنكر ما سأقوله الآن ، ولكن اذا كان هذا أول نظرك له فذلك تقول : إن العالم اليوم أصبح كله راقيا وأنتم أيها المسلمون غرغرفون ، إن العالم كله ملأى أوله وآخوه ، وأننا لم أر ملكا ولا روميا يقيني . فما هذا القول ؟ ومن هم حلة العرش ؟ وأي رموز تقولونها ؟ دعونا دعونا ، وإني أجيبك ناقل لك عن علماء الشرق وعلماء الغرب فأقول

جاء في « اخوان الصفاء » أن الأساتذة والآباء والمعلمين إذا ماتوا كان كل عملهم إنما هو الإرشاد والتعليم لتلاميذهم وأولادهم . وهذا التعليم الإلهامي يرقى الروح لعملها والحي للمتعلم فهو نافع للحي والميت وقال الفخر الرازي في سورة النازعات (وسأذكره هناك إن شاء الله) « ليس الابن قد يرى أباه في المنام فيهديه إلى كنز مدفون »

أليس ان جالينوس قال : « كنت مريضا فجهزت عن علاج نفسي فرأيت واحدا في المنام أرشدني إلى كيفية العلاج »

وقال أيضا : « ليس ان العزالي قال ان الأرواح الشريفة اذا فارقت أبدانها ثم اتفق أن انسانا شابه الانسان الأول في الروح والبدن فانه لا يبعد أن يحصل للنفس المغلقة تعاق بهذا البدن حتى تصير كالمعاوية للنفس المتعلقة بذلك البدن على أعمال الخير قسمي تلك المعاونة إلهاما ونظيره في جانب النفوس الشريرة وسوسة » اهـ

هذا ما قاله علماؤنا . فلذا آيت إلا علماء أوروبا فاني أقول لك انهم أغرقوا في هذا العلم اغراقا ونهبوا فيه وفاقوا الشرقيين لأن الشرق اليوم يظن انه بانكره هذه العلوم يمد فيلسوفا . أما الأوروبي فهو حر والآراء تقال بلا تكير . فلا سمحك ما قاله أكبر علماء الطبيعة في بلاد الانجليز في خطبة خطبها في مجمع العلماء غما قاله : « وليس من العقل أن يقال ان النفس تضيع اذا تلف الجسد بل سنظل موجودين بعد موتنا و انتهاء أعمالنا القصيرة على هذه الأرض . أقول لك ذلك مستندا إلى أدلة علمية . أقول لأنني تحققت أن بعض أصدقائي الذين ماتوا لا يزالون موجودين إذ اني قد ناجيتهم . ثم قال : إني مقتنع بأننا لانضمحل عند الموت وأن الموتى يهتمون بأمر هذا العالم ويساعدوننا ويعرفون أكثر مما نعرف بكثير »

ومن قوله في نفس الخطبة : « وعندى أن في الوجود كائنات نسبتنا إليها كنسبة العقل والينا ونحن ننسك بين أرجلها غير عارفين عنها شيئا » انتهى ما أردته منه . وقد تقدم هذا القول مطلقا تارة ومختصرا أخرى لمقاصد مختلفات في هذا التفسير . وسيأتى نفس هذا القول في (سورة النازعات) عند ذكر قول الامام الرازي أن أرواح الناس تصبج من المديرات أمرا

أفلس ترى أن ما يقوله علماؤنا وما تنوح به الجمعيات النفسية في أوروبا قد أصبح تفسيراً لهذه الآية . انظر كيف يقول العالم الانجليزى : « ان هناك عوالم نسبتنا إليها كنسبة النفس الينا » وقوله « إن الأموات يهتمون بأمر هذا العالم » . يا محبا : أليس هذا هو عين ما قاله الامام الرازي واخوان الصفاء . أليس هذا عينه هو نفس هذه الآية . بل أليس هذا معجزة . وأي معجزة أكبر من هذه ؟ تنوح المجامع النفسية بهذه الفكرة فيقول الناس في مجالسهم : « ان فوقنا أرواحا تلهمنا وتعلمنا زنتهم بنا ونحن نحل بالنسبة لها »

أليس هذا عينه هو قوله تعالى - الذين يحياون لعرض ومن حوله يسبحون بحمد ربهم - ولقد عرفت أن الأمر راجع للعالم . وقوله - ويستقرون ان في الأرض - فهل لهذا معنى إلا الإلهام والتعلم فيعلمون الأنبياء ويعلمون كل واحد منا الآن بالإلهام ، وإذا كنا أصحبا جميعا من جهلاء وعلماء مؤمنين بعالم الحيوان الذي المسمى بالمكروب وانه هو الذي يأتي لنا بالطاعون والحي والجذري والحكمومات في الأرض كلها تؤمن وتمثل لقول الأطباء في ذلك مع ان تلك الحيوانات لم ترها قط ولكننا آمننا بها مع ان الموت والمرض لا يحتاجان إلى فعل يفعلهما ، فإن للمرض قصص والمادة في تحوّل دائم والموت خراب الجسم وخراب الجسم لا يحتاج إلى فاعل يفعله بحسب النظر الظاهري ، ولأن العلم اليوم أثبت ذلك . وأن الموت أيام الوفاء والأمراض الكثيرة كالحي والجذري والحصباء إنما يكون بأحياء لا تراها تحدث تلك الأمراض الكثيرة المنفرة . فما أسهل أن تعرف أن الخسروا والشر تأتي بها عوالم تسمى ملائكة أو أرواحا . فالأرواح العالية لألهام الخبير

والأرواح السافلة للوسوسة . ههنا تجلى الأمر وظهور وعرفنا سر الحياء والمم الذين جىء بهما بين جدين : جد في آخر ﴿ سورة الزمر ﴾ صادر من الملائكة وأرواح المؤمنين . وجد صادر من الملائكة في ﴿ سورة غافر ﴾ مصحوب بالقسيح والملائكة يفيضون الطير على المؤمنين . وهذا كما ستره في ﴿ سورة النبأ ﴾ إذ جاء في آخرها - يوم يقوم الروح والملائكة صفا - وفسران عباس الروح بأرواح العباد يصطفون كما تصطف الملائكة وههنا ظهر معنى الإصطفاف إذ الأرواح تلاميذ الملائكة فأصبح الأمر كله راجعا للعلم والبراسة . فاذا تعلمنا اليوم فهو مقصود الحمد المذكور في السورتين وأصبح التسميح والتحميد معناهما الارتقاء العلمى والارتقاء العلمى للملائكة وهم يرقون أرواحنا في الدنيا كما ترى الأساندة يصلحون تلاميذهم والآباء أبناءهم فاذن ارتقاؤنا في الدنيا بالعلوم والملائكة ملهمون . ونحن اذا متنا نكون في تلك العوالم المدبرات أمرا كما فسرره الامام الرازى في ﴿ سورة الصافات ﴾ وكما رأيته في كلام فلاسفة الشرق والغرب . هنا يظهر لك مقصود الحياء واللم في هذه السورة . فهما من الحمد والحمد راجع للعلم الذى يليق به الأذى الى الأدنى ومبدؤه من الله رفيع الدرجات ذى العرش وهو الذى يرقى الأرواح والأجسام . فترى صفوف الكواكب طبقة بعد طبقة كما ترى صفوف الأرواح صفا بعد صف

(ذكر الأحاديث والآثار الواردة في هذا المقام)

فاذا سمعت ماورد أن حلة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أردفهم الله بأربعة آخر كما قال - ويعمل عرش ربك فوقه - م يومئذ ثمانية - فلتعلم أن ذلك إشارة الى ازدياد عدد الأرواح المرتقية . واذا سمعت قول ابن عباس : « حلة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام » وما يروى أن أقدمهم في تخوم الأرضين والأرضون والسموات الى عجزهم فلتعلم أن معناه إحاطتهم علما وتديرا بهذه العوالم باذن ربهم . واذا سمعت انهم يقولون : « سبحان ذى العزة والجبروت . سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الحى » الذى لا يموت . سبح قنوس رب الملائكة والروح » فاعلم أن هذا إشارة الى علمهم بصفات الجلال وصفات الاكرام التى هي تشمل سائر العلوم والى أنهم مقررون بأن الله ربهم يقولهم « رب الملائكة » وانهم هم ربون الأرواح التى هي أقل منهم بأمر ربهم . واذا سمعت انهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وهؤلاء أشد خوفا من التى تليها وهكذا من ذلك على مقدار العلم فان الخشية تتبع العلم ، ومن عرف جيلا وملاأ عينه حسنا وجالا وبهجة وحكمة فانه يدهش منه ويخشاه ، ولاية فى ذلك لمن يجهمل أمره . واذا سمعت انه ﷺ حدث عن ملك أن ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام فذلك ان صح لانساع دائرة علمه وتديره للعوالم التى تؤهل أنت اليوم للقيام ببعضها على ما عرفت . واذا سمعت عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قل : « ان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية تحقن الطير المسرع ثلاثين ألف علم فذلك إشارة الى عظمة ملك الله . وهذا أصبح اليوم معروفا فى علم الملك الحديث كما تراه فى ﴿ سورة البقرة ﴾ وغيرها . واذا سمعت أن العرش يكسى كل يوم ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خاق من خلق الله تعالى فهذا ظاهر اليوم لأن ملك الله تجلى اليوم كما فى هذا الخبر يظهر على هذا النحو ، وأما ألوان النور فانك لو بحثت لوجدت أن الأنوار لا يحصى عددها بألف ولا بألف كل يوم ، ولوانك فكرت فى عدد الأنوار التى تسطع على أرضنا من النجوم وان لم نرها لفة نورها واحتجابها عنا بانشمس نهارا لرأيتها تعد بمئات الملايين وهى تسطع على الأرض وأحجاب الأرصاء يميزوها تميزا سقيقا ، وان أردت بالأنوار العلوم فهى أوسع مدتها فان تغير العوالم لا يكون إلا بعلوم دمت بنفوس الملائكة والأرواح المدبرات . وقوله لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى فهو ظاهر . ان

اشموس التي لانهاية لعدد ما ظهر اليوم أن أتولر كثير منها من أضواء الشمس بجرات كثيرة فلا يستطيع الناس أن ينظروا إليها لو كانوا هناك ، ولكن الأقرب للحديث أن تلك الأنوار هي العالم التي في قوس الملائكة وهي عجوبة عن عداهم ولا يعرفها غيرهم إلا إذا ارتقى إلى مراتبهم

ولست أقول لك ان هذه الأحداث أو الآثار ذكرت لك على أنها صحيحة أو حسنة أو ضعيفة إنما المقام مقام ذكر ما قيل بدون نظرائي مقفلة محتمة تعلم كيف كان التعبير الذي يبربه عن عظمة ملك الله ، وما دام المقام مقام مجاز فلا بأس بذلك كله . وإذا سمعت قول وهب بن منبه ان حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش ، يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء ، ويدبر هؤلاء ومن وراءهم سبعون ألف صف قيام ، ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة ألف صف من الملائكة وذكر انهم يقولون : « سبحانك وبعمدك ما أعظمك وأجلك الخ » وأن كلامهم يسبح بتسبيح لا يسبحه الآخرفان ذلك أصبح معلوما لك لأنهم مراتب وصفوف ودرجات لا يعرف متنها غيرها بذلك العدد . وإذا كانت الكواكب بلغت ما لا يعرف له عدد فكيف يكون عالم الأرواح ؟ فأما التسبيح والتحميد فهو العلم الذي أثمرت بدراسة مقدماته في الدنيا وأشير لملك بلقاء والملم والحمد في السورتين وفي سورة فاتحة الكتاب . وإذا سمعت قول وهب بن منبه : « إن الله احتجب عن الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من درأبيض ومثلها من ياقوت أحمر ومثلها من زبرجد أخضر ومثلها من نلج ومثلها من ماء ومثلها من برد وما لا يعلمه إلا الله عز وجل » فذلك معناه على سبيل المجاز تنص مراتبهم عن مرتبة ربهم لأنه هو العلى الكبير

فانظر كيف كان الأولون يضربون للناس الأمثال بنظمة ملك الله تعالى ليوسعوا خيالهم حتى إذا جاءت الحقائق وكشف القناع اتسعت له العقول وأقبلت عليه وقال السامع نعم قد تخيلنا هذا من قبل في الآثار الواردة عن آباءنا الأولين . فالتصير بأن للعرش جوهرة خضراء وأن الأنوار تنكسوه ونحو ذلك كله للدلالة على الجلال والهاء والاشراق والظلمة والعلم والحكمة . ولهذا الآن فهمت قول ابن مسعود : « إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات الجنة أتأق فيهن »

أقول : وهل روضات الجنات إلا العالم ؟ أوليس نفس الحياء والملم هذان الحرفان هما اللذان فتحا هذا الباب كله ، إن حم إشارة إلى المحامد ولاحمد بلاعلام ، فالأمة الاسلامية اليوم عليها أن تقوم بدورها في الحكمة والعلم فقد خيأ الله لها كنوزا في الأرض ستظهر بأعمال المسلمين ، فيقوموا بدورهم . هذا كله معنى - حم -

(صلواتنا معاشر المسلمين)

لقد علمت أن الملائكة يسبحون ويمجدون وأن معنى ذلك انما هو العالم بالعالم العالى والسفلى الذي هو داخل في صفات الاكرام التي اتصف به الله تعالى . والمسلم في صلاته عند الركوع يقول « سبحان ربى العظيم » ثم يقول « خضع لك سمعى وبصرى وعشى وعظمى وعصى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين » ومعنى ذلك أن يدرسه ويفقه سره . وكذلك في السجود يقول للمسلم « سبحان ربى الأعلى » ثم يقول « سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشفق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين »

فالذا علم الناس أن تسبيح الملائكة وتحميدهم عبارة عن ألفاظ فليفهموا أن تسبيحنا وتحميدنا ألفاظ لاغير . فإذا أرادوا الجنت فليعلموا انه جاء في هذه السورة قول الله تعالى بعد ذكر حلة العرش وتسبيحهم وإلهامهم للذين آمنوا ودعائهم لهم فالجند لله العلى الكبير . وبين منار الجند فقال - هو الذى يريك آياته وينزل

لكم من السماء رزقا - فجعل مدار الجذ ترقية العقول بالعلوم وتدير الأجسام بالرزق . هذا هو مقصود الجذ
ومقصود (حم) ومقصود القرآن

ليعلم المسلمون بعد اليوم أن المسألة جد لا حول فيها . وأن الملائكة تأهلوا لمرتبتهم بالعلم . وأن الناس
لا يسمعون في دين ولادنيا إلا بالعلم وأتانا نسيج بحمد الله كما أن الملائكة يسبحون بحمده . ذلك ظاهر في
صلواتنا إذ نبدأ بالتسبيح وتقبه بذكر النعم التي أنعم بها علينا في سمعنا وبصرنا الخ . كل ذلك يعلم المسلم
أه مازم بالعلم والحكمة اللذين يرجعان إلى معنى التسبيح والتحميد . هذا هو سر الفائدة التي يتلوها المسلم
صباحا ومساء . يقول الحمد لله رب العالمين وفضل بعض النعم في الركوع والسجود ويقسمها في الزرع والاعتدال
فيقول « ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد » ومعالم أن
العوامل لا تخرج عن هذه . فالفائدة علم والركوع علم وآل حم علم وتسيح الملائكة علم وتحميدهم علم
وتسببنا بهم في ذلك علم

فليظن المسلمون فقد اقتضى دور الهزل وجاء دور الجذ . وأظهر الله السر الذي خبا . وأبان لعباده
عجائب الدنيا بالعلوم والدين بالعلم والالهام . وبهذا تم الكلام على القسم الثاني من السورة

﴿ القسم الثالث من السورة ﴾

أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ هَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ
أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ •
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاخْتَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ
الْعِقَابِ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ • إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ
فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ • فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ • وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى
وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ • وَقَالَ مُوسَى
إِنِّي عُثْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُكَبَّرٍ لَا يُؤْمِنُ يَوْمَ الْحِسَابِ • وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ
مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ
رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِفٌ كَذَّابٌ • يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ
يَنْصُرُنَا مِنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَوْسَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ
الرَّشَادِ • وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ • مِثْلَ دَابِ

قَوْمِ نُوحٍ وَنَادَى الَّذِينَ مِنْ بَنِيهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ * وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ حَاسِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهَاقَ لَهُ مِنْ هَادٍ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَمِيتَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ * الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَؤُلَاءِ أَلَا يَعْلَمُونَ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ فَاطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ * وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَا قَوْمِ أَتَبِعُونَ أَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِيَ هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ مَبْنِيَّةً فَلَا يَحْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ تَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِزِ الْفَقَارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَتَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَبْئَاتٍ مِمَّا سَكَرُوا وَخَافُوا يَبَالُ فِرْعَوْنُ سُوءَ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ * وَإِذْ يَتَحَايَوْنَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ * وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزَانَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَأَدْعُوا وَمَا دَعَاوُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ

سُوءَ الدَّارِ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ هُدىً وَذِكْرَى لَأُولَى
الْأَلْبَابِ * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (أولم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أى مآل الذين
كذبوا الرسل قبلهم كعاد وشمود (كانوا أشد منهم قوة) قدرة وتمسكنا (وآثارا في الأرض) كالتقاع والندائن
الحصينة (فأخضعهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) يمنع العذاب عنهم (ذلك) الأخذ (بأنهم
كانت تأنيبهم رسلمهم بالبينات) بالمجرات والأحكام الواضحات (فكفروا فأخضعهم الله إله قوى) متمكن مما
يريد غاية التمكن (شديد العقاب) كل عقاب دون عقابه

﴿ قصص موسى عليه السلام وبني اسرائيل ﴾

قال تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) للمجرات (وسلمان بين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب) يعنون موسى . ذلك تلبية له وَقَالَ لَهُمْ (فلما جاءهم بالحق) من عندنا قالوا
اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) أى أعيىوا عليهم ما كنتم تفعلونه بهم من قبل كي يصدوا
عن اتباع موسى (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) أى وما صنع فرعون وقومه إلا في ضياع فان هذا كله
لم يمنع موسى من إقامة دينه وخذلان فرعون وحنوده (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) وقد كانوا
يكفونه عن قتله تهوينا لأمره . ويقولون اذا قتلته ظن الناس انك هجرت من إقامة الحجية . ثم قال (وليدع
ربه) لإظهارا بعدم المبالاة به مع أنه لم يمنعه من قتله إلا شدة الهول والفرع من ذلك لعله انه نبى (إلى أخاف
أن يبدل دينكم) أى يضرب ما أنتم عليه من عبادتي وعبادة الأصنام (أو أن يظهر في الأرض الفساد) أى ما
يفسد ديننا من التحارب والتلارج (وقال موسى) لقومه لما سمع كلامه (إلى عذت برى وربكم من كل
مشكر لا يؤمن بيوم الحساب) ذكر اسم الرب إشارة الى الترية وليحضهم على موافقته في الدعاء لأن اتجاه
أرواح كثيرة لغرض واحد أقرب للإجابة (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) من أقاربه (يئتمك إيماناه
أقتلون رجلا) أى اتقصدون قتله (أن يقول) أى لأنه يقول (ربى الله) وحده (وقد جاءكم بالبينات)
الكثيرة (من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه) لا يتخطاه (وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) أى فلا أقل
من أن يصيبكم بعضه (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) ولو كان مسرفا كذابا لحمله الله ولكنه لم
يخذه فأعطاه للمجرات والآيات البينات (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض) غاليين عاليين في أرض
مصر (فن ينصرونا من بأس الله إن جاءنا) أى فلا تقصدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله تعالى (قال فرعون
ما أرىكم إلا أنىرى) أى ما أشير عليكم إلا بما استصوبه من قتله (وما أهديكم إلا سبيلا الرشاد) وما أعلمكم إلا
ما علمت من الصواب (وقال الذى آمن يا قوم إلى أخاف عليكم) في تكذيبه (مثل يوم الأحزاب) مثل أيام
الأم الماضية أى وقائعهم كما يقال أيام العرب (مثل دأب قوم نوح وعاد وشمود) مثل جزاء ما كانوا عليه
دائبا أى دائما فكانوا لا يفتقرون عنه (وما الله يريد ظلما للعباد) أى وما الله يريد أن يظلم عباده فيعلمهم
بغير ذنب ولا يخلى الظالم بغير انتقام لأنه يريهم (ويا قوم إلى أخاف عليكم يوم التناد) أى يوم ينادى فيه
بعضهم بضاً ويتصايحون (يوم تولون) من الموقف (مدبرين) منصرفين عنه الى النار (ما لكم من الله
من عاصم) يصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فإله من هاد * ولقد جاءكم يوسف ابن يعقوب (من
قبل بالبينات) وبخبرهم بأن يوسف جاءهم بالبينات على التوحيد من قبل موسى فشكوا في أمره وبقي

شكهم الى زمن موسى وهذا قوله (فازلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أي وذلك حكمكم من عند أنفسكم من غير برهان (كذلك يضل الله) أي مثل هذا الاضلال يضل الله كل (من هو مسرف) في عصيانه (مرتب) في دينه (الذين يجادلون) بدل من مسرف لأنه بمعنى كل مسرف (في آيات الله) في دفعها وإبطالها (بغير سلطان) حجة (أتعلم كبرمقا) أي عظم ذلك الجدل بضما (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك) هكذا (يطيع الله) يخضع (على كل قلب متكبر جبار) عن قبول الحق والهدى (وقال فرعون ليلهم ابن لي صرحا) بناء مكشوقا عاليا من صرح الثني اذا ظهر (لعل أبلغ الأسباب) الطرق ثم بينها فقال (أسباب السموات فأطلع الى إله موسى) أراد أن يبني له رسما في موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التي هي أسباب مساوية تدل على الحوادث الأرضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله إياه ، أو قصد بذلك التنويه على الجلاء يريهم أن إله السموات الذي يقول به موسى إنما هو إله كالألهة التي هي عبارة عن تماثيل في مصر يراها الناس الآن بقيت من ذلك الزمان لتضليل عقولهم (وإني لأظنه كاذبا) في دعوى الرسالة (وكذلك) مثل ذلك الذين (زين فرعون سوء عمله وصد عن السبيل) سبيل الرشاد وموه على الناس بهذه الروايات (وما كيد فرعون إلا في نيب) أي خسار (وقال الذي آمن) أي مؤمن آل فرعون (يا قوم اتبعون أهدكم) بالدلالة (سبيل الرشاد) لأن ماعليه فرعون فحى (يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يسر لسرعة زوالها (وإن الآخرة هي دار القرار) غلادها (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلهما) عدلا من الله (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) بغير تقدير وموازنة بالمعمل بل أضافا مضاعفة (وأيقوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعوني الى النار) كرر النداء لإقناعهم من سنة الفظة ثم أبدل منه قوله (تدعوني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به) يرويه (على وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) أي من كملت قدرته وغلبت ولا يكون ذلك إلا بعمل وإرادة فهو قادر على التعذيب والغفران (لا) رد لما دعاه اليه قومه (جوم أن تدعوني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) جوم فصل بمعنى حق وأن وما بعدها قاعله أي حق روجب بطلان دعوه أي ان تدعوني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط ومن حق المعبود الحق أن يدعو العباد الى طاعته وما تدعون الى عبادته لا يدعوهم الى ذلك ولا يدعى الربوبية فكيف تدعوني الى عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا حق له ولا يدعو اليه هذا جهالة فلا تتبعها وعظم على فاعل جوم قوله (وأن مردنا الى الله وأن المسرفين) في الضلالة والطغيان (هم أصحاب النار) ملازموها (فستدرون) أي فسيذكر بعضكم بعضا عند معاناة العذاب (ما أقول لكم) من النصيحة (وأقوض أمري الى الله) ليصنعي من كل سوء (إن الله بصير بالعباد) فيعرضهم ثم فر من بينهم فطلبوه فلم يقدروا وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا) شدائد مكروهم (رحاق بال فرعون) بفرعون وقومه (سوء العذاب) وكأنه قيل مأسوء العذاب فقال هو (النار) ثم استأنف مبينا فقال (يعرضون عليها) وعرضهم عليها إحراقهم بها ، يقال عرض الامام الأسارى على السيف اذا قتلهم وقوله (غدوا وعشيا) أي في هذين الوقتين يصذبون بالنار وينفس عنهم فيها بين ذلك ويدوم ذلك الى يوم القيامة (ويوم تقوم الساعة) يقال لحزنة جهنم (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أي عذاب جهنم ، قال علماؤنا : وهذه الآية دليل على عذاب القبر وقد ظهر ذلك العلم في المجمع النفسية وأوتخناه مرارا في هذا التفسير وشرحنه تكرارا وصار هذا القول حقا في علم الأرواح ، وفي حديث البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : « ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي » إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة » وهذا المعنى هو الذي أطالت به الأرواح لماسألوها بتفصيل فأقرأه في كتابي المسمى « الأرواح » ثم قال تعالى (و) اذكر

قومك يا محمد (إذ يتحاجون) أي يختصمون أي أهل النار (في النار فيقول الضعفاء الذين استكبروا) وهذا
تفصيل للخاصة (إنا كنا لكم تبعاً) أتباعاً نخدم جمع خادم (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا نصيباً من
النار) قال الذين استكبروا إنا كل فيها) أي كنا فيها لا يفتي أحد عن أحد (إن الله قد حكم بين العباد)
قضى بينهم فأدخل قوما الجنة وقوما النار (وقال الذين في النار غرزة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً) قدر
يوم شياً (من العذاب) قالوا) ملازمين لهم الحجة (أولئك تأتكم رسلكم بالبينات) توضحها لهم (قالوا بل
قالوا فادعوا) فانا لا نجترئ عليه إذ لم يؤذن لنا في ذلك (ومادعاء الكافرين إلا في ضلال) ضياع لا يوجب
والمقصود من مساق هذه القصة أن عادة الله نصر الرسل والمؤمنين في الدنيا والآخرة ووعدته بالنصر سحق، ثم
أمر نبيه ﷺ بالصبر وأن يجتهد في الاستغفار والتسبيح حتى يأتي له نصر الله وهذا قوله (إنا لننصر رسلاً
والذين آمنوا) كما مر في هذه القصة (في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) أي في المارين ولا ينقض ذلك
بما كان لأعدائهم من الغلبة امتحاناً أحياناً لأن المدار على العواقب، والأشهاد جمع شاهد كالأشهاد والأقبياء
والمؤمنين (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) بدل من يوم الأول (ولهم العتة) البعد من الرحمة (ولهم سوء
العاقبة) جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) ما يهدي به في الدين من المعجزات والصحف والشرايع (وأورثنا
بنو إسرائيل الكتاب) التوراة (هدى وذكرى لأولي الألباب) يا محمد على أذنهم (إن وعد الله
حق) في إظهار دينك وفي تأييدك وتأييد كل صادق في دينك كما أبدت موسى ومن صدق من أتباعه
(واستغفر لدينك) أي وأقبل على أمر دينك وتدارك فرطتك مثل ترك الأولى التي لا يمتد ذنباً عند غيرك
لأن حسنات الأبرار سيئات القاريين وتدارك ذلك يكون بالاستغفار، وهكذا إذا خالفك اهتمام بأمر الأعداء
فانزع إلى الاستغفار لأن الله تعالى كافيك في النصر وإظهار الأمر، وهكذا كل صادق في وجهته الدينية والمنفعة
العامة (وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكر) ودم على التسبيح والتعجيل لربك، وذلك مطابقة لما جاء من
تسبيح حملة العرش الذين هم في الملأ الأعلى. فعلى أهل الأرض أن يحضروا حنوهم والله ينصر رسوله القائمين
بدعوة الخير الذين يحضرون حذو الملأ الأعلى. وإلى هنا تم الكلام على القسم الثالث من السورة وتفسيره
اللفظي والحد لله رب العالمين

﴿ القسم الرابع من السورة ﴾

إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِتَرَسٍّ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ
بِإِلَهِهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ • تَخْلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُنَى قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ • إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ • وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ • اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ
مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَهُ وَفَضْلٌ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ • ذَلِكَمُ اللَّهُ

رَبِّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ • كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ
 اللَّهِ يَجْحَدُونَ • اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ
 صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ • هُوَ
 الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • قُلْ إِنِّي نُبَيِّتُ أَنْ
 أُعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْيَتِيمَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ •
 هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا
 أَشَدَّكُمْ ثُمَّ تَكُونُوا شُيُوعًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَكُمْ كُمْ
 تَعْمَلُونَ • هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَلِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ • أَلَمْ تَرَ
 إِلَى الَّذِينَ يَمْجَدِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يَضُرُّهُمْ • الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ
 رُسُلَنَا فَتَنُوفَ يَنْفُلُونَ • إِذَا الْأَعْلَاقُ فِي أَهْطَائِهِمُ وَالسَّلَاسِلُ يُسْجَبُونَ • فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ
 فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ • ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ • مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْهَا
 بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ • ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ
 تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ • أَدْخُلُوا أَبْوَاعَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
 فَبِئْسَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ • فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَمَّا نُرِيَكَ بِبَعْضِ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ
 تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّا يُرْجَعُونَ • وَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ
 وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَلِذَا جَاءَ أَمْرُ
 اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْبَاطِلُونَ • اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْفَامَ لَتَرَى كِبَاؤَ مِنْهَا
 وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ • وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
 الْفَلَكَ تُحْمَلُونَ • وَرَبُّكُمْ بِآيَاتِهِ قَائِمٌ لَا يُشْكِرُونَ • أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
 فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ حَاقِقَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي
 الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا
 عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ • فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ

وَحَدَّهٖ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ • فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِعْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوُا بُاسِتًا سُنَّتِ
 إِلَهِ آلِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِيَادِهِ وَخَصِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ •

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) سواء أكانوا هم مشركي مكة أم اليهود
 الذين قالوا : « لست أنت الذي وعدنا بك بل هو المسيح ابن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسيره الأنهار »
 أم غيرهم ، فهولاء (إن في صدورهم إلا كبر) أي لا تكبر عن الحق فلا يتفكرون ولا يطمعون ، وإما
 يقولون الملك والنبوة فينا (ماهم ببالغيه) أي يبالى مقتضاه من الرئاسة والنبوة (فاستعد بالله) أي فالتجئ
 إليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (إله هو السميع البصير) بعلمك وعلمهم (خلق السموات والأرض
 أكبر من خلق الناس) ذلك لأنهم كانوا يجادلون في البعث ، فمن قدر على خلق السموات والأرض مع عظمها
 فهو على خلق الإنسان أقدر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لا يتأملون لعقلهم (وما يستوى الأعمى والبصير)
 الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا للشيء) أي والحسن والمسيء ، فاذن لابد لهم من حال
 فيها يظهر التفاوت وذلك بعد البعث ، فها هنا (برهانان : البرهان الأول) لجواز البعث الثاني لوجوبه اقتناعا
 (قليلا ما تذكرون) أي تذكرنا قليلا تذكرون (إن الساعة آتية لا ريب فيها) في حجبها لما تقدم من
 الدليلين (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لا يصدقون بها لقصور نظرهم (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)
 أي اعبدوني أتجيبكم . وروى انه عليه السلام قل وهو على النبر : الدعاء هو العبادة ثم قرأ - وقال ربكم ادعوني
 أستجب لكم - « (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) ما غرين (الله الذي
 جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) لتسترحوا فيه بأن خلقه ليردامظلا ليؤدي إلى نصف المحركات وهدهو الحواس
 (والنهار مبصرا) يعبر فيه أوبه (إن الله لرفيع على الناس) لا يوازيه فضل (ولكن أكثر الناس
 لا يشكرون) لجهلهم بالعم واغفالهم مواضعها وجهلهم بالعلم (ذلكم) الذي أصف بتلك الصفات (الله ربكم
 خالق كل شيء لا إله إلا هو فأتى تؤفكون) فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره !
 (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجهلون) الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصورك
 فأحسن صورك) بأن خلقكم منتصب القامة ، أعضاء كم مناسبة ، متيئين للعلوم ، وللصناعات ، واكتساب
 الكمالات (ورزقكم من الطيبات) النافعات والذائد (ذلكم الله ربكم فبترك الله رب العالمين) وكل ما سواه
 مر بوب مقتدر إليه (هو الحي) المنفرد بالحياة (لا إله إلا هو فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) الطاعة
 من الشرك والرياء (الجد لله رب العالمين) . ولما طلب الكفار منه عليه الصلاة والسلام عبادة الأوثان زل
 (قل إني نهي أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني بينات من ربي) بالوحي والقرآن (وأمرت
 أن أسلم) أن أستقيم وأتقاد (رب العالمين) هو الذي خلقكم من تراب) بخلق أيكم آدم منه أو بخلقكم أتم
 من تراب اقلبته عناصره بالفضة نباتا خيوا فكان منها غذاؤكم ومنه كانت أجسامكم فكان منها نقطة
 فضة فتخرجون أطفالا وهذا قوله تعالى (ثم من نقطة ثم من علقه ثم يخرجكم طلا) أي يخرج كل
 واحد منكم طفلا ، وقد وضع هذا المقام في سوابق هذا التفسير (ثم يبيكم) (تلبثوا أشدكم ثم) يبيكم
 (تسكنوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل) من قبل الشيخوخة ، أو من قبل بلوغ الرشد (و) يجعل ذلك
 (تلبثوا أجلا مسمى) وهو وقت الموت (ولمهلك تفتلون) ماني تطلبكم في تلك الأدوار من العبر والحجج فان
 أطلع الحجج ما أحسن به الإنسان من نفسه (هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا) أي أراده (فإنما قول

له كن فيكون) فلا يحتاج في تكوينه الى عتة أو كلمة (ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون) عن التصديق به ، وإنما كثر زعم الجدللة لأنها هي الغالبة على نوع الانسان تكبرا وعنادا وتقليدا وتمسكا بالعدالت (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلا) من سائر الكتب (فسوف يعلمون * إذ الأغلال في أعناقهم) أى سوف يعلمون جزاء تكذيبهم وقت ماتكون الأغلال في أعناقهم واذ للأضي عبرها عن المستقبل ليقته كقولهم - أتى أمر الله - ثم قال (والسلاسل يسحبون) بها (في الجحيم) في الماء الحار (ثم في النار يسجرون) يقال سجر التنور اذا ملأه بالوقود ، ومعنى ذلك انهم في النار فهمى عجمة بهم (ثم قيل لهم) أى قول لهم الخزنة (أين ما كنتم تشركون * من دون الله) يعنى الأصنام (قالوا ضلوا عنا) غابوا عن هيوئنا فلا تراهم (بل لم تكن ندعوا من قبل شيئا) أى تدين لنا أنهم لم يكونوا شيئا ، قول حسبت فلا شأ فاذا هوليس بشئ ، وذلك اذا خبره فلم ترعنده خيرا (كذلك يضل الله الكافرين) أى كما أضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الهدى (ذلكم) العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون) أى بسبب ما كنتم تطربون وما كنتم تفتالون (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة (خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) عن الايمان جهنم ، ثم خاطب النبي ﷺ قائلا (فاصبر إن وعد الله حق) بنصره على الأعداء ، أقول لاجرم أن ذلك التصريح يمتد الى كل صادق في نصر دينه (فما ريتك بض الذى تعدهم) من العذاب في حياتك كقتل يوم بدر فذاك (أو) أن (توفئك) قبل ذلك (فأينا يرجون) يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) ولم نذكر لك حال الباقيين منهم ، وما منهم من أحد إلا أعطى آيات ومجيزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم بقارب ما جرى عليك كما جاء في مثل سليمان عليه السلام « ما تحت الشمس من جديد » وكما يقول العلماء « التاريخ يعيد نفسه » وقد صبروا ونصروا فاصبر وستنصر ، يقال ان عددا الأنبياء ١٢٤ ألفين والذين ذكرت قصصهم أشخاص معدودة (وما كان رسول أن يأتي بأية إلا باذن الله) وهل المجيزات إلا عطايا قسمت بينهم كسائر العطايا والمنح ليس لهم في هبتها مدخل (فاذا جاء أمر الله) بالعذاب في الدنيا والآخرة (قضى بالحق) بأسماء الحق واشقاء البطل (وخسر هناك البطالون) المعاندون باقتراح الآيات . ولما كانت الآيات للمقترحات ليس لها إلا نتائج ظاهرية كما شرح في هذا التفسير ، وإنما الأمر يرجع الى النظر في الجواب أردفه بقوله (الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنهاتها كلون) فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ، ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل (ولكم فيها منافع) كالألبان والجلود والأوبر (وليلبغوا عليها حاجة في صدوركم) أى تحمل أقالكم من بلد الى بلد في أسفاركم وحاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى وعلى الابل في البر وعلى السفن في البحر (ويربكم آياته) دلائل قدرته كما قال في أول السورة - هو الذى يربكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا - وسياق قريبا لما ذاهل هنا ويربكم آياته بعد ذكر الأنعام (فأى آيات الله تكفرون) فتقولون انها ليست من عند الله وهذه هي الدلائل القائمة في أنواع المخلوقات من الحيوانات ، ثم أردفها بدلائل آيات الأسم الظلمة وكيف كان التكذيب بالآيات الكونية سببا في خراب الأمم فقال (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض) قصورا ومصانع (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى لم ينفعهم كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) رضوا (بما عندهم من العلم) كأن يقولوا لن نبعث ولن نغذب وكأن يقولوا نحن نحسن علوم السياسة والزراعة والصناعة والامارة ونظام المدن فهل بعد هذا علم ؟ (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أى حاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنون الأصنام (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما

راوا بأسنا) أى فلم يصح ولم يستقم أن يفهمهم إيمانهم (سنة الله التى قد خلت فى عباده) أى سنة الله ذلك سنة ماضية فى العباد وهذا مصدر مؤكد (وخسر هناك) أى وقت رؤيتهم البأس فهو اسم مكان استعير للزمان (الكافرون) انتهى التفسير اللفظى للقسم الرابع من السورة

١ - ﴿لطيفة فى قوله تعالى - ويرىكم آياته فأى آيات الله تتكرون -﴾

ذكر الله الأنعام وأعقبا بذكراته يرىنا الآيات ، وقد جاء فى أول السورة - هو الذى يرىكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب -

تبين فى سور كثيرة فى هذا التفسير أن الرزق والحكمة متلازمان ، أنزل الله الأنعام والزرع لرزقنا الجسمى والعقلى ، كبرآله ذلك فى القرآن ليبين لنا أن هذه الحياة لم تكن هوا ولعبا ، اتنا مخلوقون فى عالم كله جلال وكمال وحكمة وعلم ، فالويل لمن استمرأ للمرحى وغفل عن نظامه ، إن الأمر لجذ فليتنزه المسلمون الفرصة أيام حياتهم ، وليتفهلوا من تلك النعم رزقا وعلما ، ومن لم يوجهوا عنايتهم الى اقتحام الأخطار ويتجنب المشاق ودرس هذه العوالم وبحثها لا يثابون دنيا بها يتمتعون ، ولا آخرة بها يرقون ، فليشمر المسلمون عن ساعد جدتهم - والقرين جاهدوا فينا لنهديهم سبيلنا وإن الله لمع المحسنين -

م ارجع الى هذا المقام فى ﴿سورة النحل﴾ تأمل هناك كيف ذكر الأنعام وأنه خلقها لنا لنستدفع بأصوافها وأوبرها وأشعارها ، ونقتنع بلحمها وشحمها ولبنها ، وانها لنا جبال فى غدوها ورواحها ، وانها تحمل أمتالنا الى بلاد نائية ، وكيف ذكر الخيل والبغال والحمير ، وانها للركوب والزينة ، ثم قال - ويخلق ما لا تعلمون - . فانظر كيف يقول هناك - ويخلق ما لا تعلمون - عجب ماذا كرو يقول هنا - ويرىكم آياته - ويقول فى ﴿سورة البقرة﴾ بعد الكلام على ذبحها - كذلك يحيى الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون - انظر : لماذا يقول هناك - ويرىكم آياته - ويقول فى النحل - ويخلق ما لا تعلمون - ويقول هنا - ويرىكم آياته - الفعل مضارع فى الجمع ، ولقد علت الاجابة فى ﴿سورة البقرة﴾ أن الأرواح لها وجود وهي تكلم الناس فارجع اليه ، فهذا رمز لما حصل فعلا فى هذا الزمان من مخاطبة الأرواح ، وكذلك مرة بك فى ﴿سورة النحل﴾ كيف كان ذلك إخبارا بما حصل فعلا فى أيامنا من الكهرباء والآلات المحركات بالبخار فان الكهرباء أصبحت تعطي الناس ما تعطيه الأنعام من حرث ونقل فى البر والبحر ، فهذا معنى قوله هناك - ويخلق ما لا تعلمون - وأشارنا هنا بقوله - ويرىكم آياته - أى التى بها تتألون ما نلتموه من الأنعام النافعة لكم فى حياتكم (انظر هذا المقام وانحما فى سورة النحل وتظنن)

لقد تبين لك أن (حم) تشير الى الحمد ، وأن الحمد مرجعه العلم كما شرح فى هذا التفسير مرارا ، وآية ذلك انه قد تكرر الحمد هنا ، فبينما نراه فى آخر ﴿سورة الزمر﴾ اذا هو فى حيز الكلام على حلة العرش يسبحون بحمد ربهم ، ثم فى قوله تعالى أمرا لرسوله ﷺ واستغفر لتبذك ومسح بمصدر بك بالمتى والابكار . وأخيرا فى الكلام على عجائب الحكمة من جعل الأرض قرارا والسما بناء وتصورنا فى أحسن صورة ورزقنا من الطيبات إذ ختم هذا المقال بقوله « الحمد لله رب العالمين »

﴿تذيل التفسير فى سورة حم غافر﴾

والكلام فيه على « مقصدين : المقصد الأول ، فى قوله تعالى - وموثركم فأحسن موثركم - وقوله تعالى - الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها - الخ » المقصد الثانى ، فى قوله تعالى - النار يرضون عليها غدوا وعشيا -

﴿ المقصد الأول . في تصوير يشمل الانسان والحيوان ﴾

ولنخص الكلام على التنفس فنقول :

﴿ التنفس الرئوي في الانسان والحيوان ﴾

التنفس انما يكون في الحيوان برئات هوائية مثل رئة الانسان . والرئة تتكون في الحيوانات الرخوة كهيئة شبكة العنكبوت ، وأرقى من ذلك في الضفادع فهي فيها وعاء آن ، وفي الحيات كيس مستطيل فيمخلها كثيرة ، وفي ذوات الثدي والطيور عضو اسفنجي البناء كالبقر والجاموس ، وللطيور رئة تناسب حالها في طيرانه

﴿ صفة الرئة العاتقة ﴾

جسمان اسفنجيان موضوعان في الصدر ، وتظهر كل منهما متصل بباطن الأضلاع ويتصلان بالقم بقصبة غضروفية يدخل فيها الهواء ، وهذه القصبة متى وصلت الى الرئة تتعول الى شعبتين كل شعبتين كل شعبتين تدخل رئة تصير شعبا كثيرة منبثة في الرئة الهني والرئة اليسرى ، ويصير كل فرع من الفرعين في كل رئة من الرئتين مشبها بليس وهذا الكيس متصل بالهواء الخارجى بأنبوبة صفاقية تخترق الرئة حتى تخرج منها في أعلى الصدر ، ولباجتماع الأنبوبتين تكون القصبة الغضروفية . والهم اذا عاد من أطراف الجسد بواسطة الأوردة يسب في الأذين الأيمن من القلب ويسير منه الى البطين الأيمن ويخرج من البطين الأيمن المذكور بشريان كبير يقال له الشريان الرئوي وهو يسير الى الرئتين ويتفرع فيها كما تتفرع شعب القصبة فتنتهي الشعب بالأنابيب الهوائية وتنتهي الشرايين بالشبكة الشعرية . فاذا دخل الهواء في المسالك الهوائية وانتهى الى الخلايا الهوائية أصبح مجاورا للدم في الأوعية الشعرية . فاذن يتصل الدم الأكسوجين من الهواء وينفث فيه حامض الكربونيك بقوة حيوية لم تدركها عقول الناس . وحينئذ يدخل الدم في البطين الأيسر والأذين الأيسر ويتفرع في سائر الجسم اه

ولعلك تقول نحن الآن في تفسير القرآن والقرآن سهل . وهذه الألفاظ التي سمعناها الآن لانهم . فما هو البطين وما هو الأذين وما معنى هذا المقام ؟ أقول لك : إن هذا المقام مقام الجباب والحكمة . انظر الى القلب . انه فيه أربع تجاويف كأنها أربع غرف غرفتان في أعلى وهما صغيرتان وغرفتان في أسفل وهما كبيرتان . والصغريان تسمى كل منهما (أذين) أعني أذن صغيرة تشبها لها بالأذن . والكبيرتان يقال لكل منهما بطين أى انها كالبلطن والبطن أكبر من الأذن . هكذا هاتان أكبر مما فوقهما

ولعلك تقول قد فهمت . إذن أقول لك ان لنا حنجرة وهي القصبة الهوائية . وهذه القصبة تتفرع فرعين كل فرع يدخل رئة من الرئتين كما تقسم . والقروغ المتفرعة من الفرعين تكون منتهية بما يشبه الكيس يدخل الهواء فيه من القم . وهذا الهواء الآتي من القم معد لتطهير الدم والهم يأتي من أطراف الجسم في العروق التي يقال لها الأوردة لأن الأوردة تحمل الدم القوي يحتاج الى الإصلاح وهو الدم الوريدي والشرايين تحمل الدم الشرياني أى الذي حصل اصلاحه بالهواء كما سترى . فهذا الدم القوي جاء من طريق الأوردة يصل الى الأذين الأيمن . وهناك فتحة بين الأذين الأيمن والبطين الأيمن فتحة وتقتل والقلب أشبه بالآلة الماصة الكاسية فيزل الدم من الأذين الأيمن الى البطين الأيمن تحته ويخرج من البطين الأيمن في الشريان الرئوي وهو يمتد الى الرئة ويتفرع فيها فروعاً شعرية دقيقة . وقد علمت مما مر أن القصبة الهوائية لها فروع منبثة فيها هواء . فهنا تجاورت القروغ الهوائية الآتية من القم والقروغ الشعرية الآتية من الشريان الممتد من البطين الأيمن . وهناك يتلاق الدم والهواء ويحصل التفاعل بينهما

فانظر كيف جرى الدم وسار في مسالك في الجسم ثم جرى الى الأذين الأيمن والبطين والشريان الرئوي

واهتمى الى الهواء الآتى من الخارج . وكيف استمر هذا العمل ليلا ونهارا والناس لا يعلمون بل ربما يبشش الانسان ويموت وهو لا يدري عن هذا ولا عن غيره شيئا ، ومتى طهر الله سائر كل من الاذن الأيسر واليمين الأيسر وخرج الى الجسم فى الأورطى وهو يتفرع الى فرعين فرع يمتد الى أعلى الجسم وفرع الى أسفل ويتفرع فروعاً لتخصى فى سائر الجسد لتغذيته وهكذا ، ومتى اتصلت بالموصلات الجسمية وتفتت بها رجعت عكارة الدم للتلحمة بالمادة الفصحية وهو الكريون الى القلب بطريق الأوردة وهكذا ، وانما أطلت لك فى هذا المقام لأن المدار ليس على كثرة العلم بل المدار على الفهم والتفعل وهذا مقام دقيق يحتاج الى البسط والشرح الم جاء من الأغذية الماخلة من الفم الى المرئ الى المعدة الى الامعاء وخلاصته تذهب فى الأوعية الشعرية وتدخل الكبد ويطبخ هناك وتخرج منه الصفراء ويخلص منه السوداء والماء ويتجه كل الى مقره فالأولى فى المرة الصفراء والثانية فى الطحال والثالثة تذهب الى الكلى ويبقى الدم فيدخل مع الدم الشريانى فى الدورة ، فهذا الدم الآتى من الغذاء محتاج الى الهواء لتجديد مادة الحياة فيه فهو للدم أشبه بالماء بالنسبة لظاهر الجسم من حيث ازالة المضار فكما أن الماء ينثر به وتطهر به هكذا الدم يتطهر بالماء ويأخذ منه مادة الحياة كما ضعف . هنا ما أردت ذكره فى هذا المقام والحمد لله رب العالمين

٢ - ﴿ لطيفة فى قوله تعالى - التار يعرضون عليها غدواً وعشيا - ﴾

قد ذكرت لك أن علماءنا رحمهم الله قالوا « إن هذه الآية تدل على عذاب القبر » وإذن لابد أن أذكر لك شذرات من كتاب الأرواح القدى ألفتها لهذا الغرض واتى أحد الله عز وجل إذ جعل بينى وبين تفسير القرآن حالاً مدة نحو (١٣) سنة مع اتى كنت أدرسه فى مدرسة دار العلوم وكانت الفرصة سانحة لتسميه فأراد الله أن يسلط رجال السياسة على وأنا فى (دار العلوم) فوشوا بى وقالوا للأنجليز انه يعلم تلاميذه الوطنية فقلت من تعلم طلبة دار العلوم الذين ينضمون الى تعليم تلاميذ الثانوى اللغة العربية لا غير واقطع التفسير وبقي ما كتبه محفوظاً هندى حتى انتهت الحرب العظمى ودلزلت الأيام وانتهت من أعمال الحكومة وفى أثناء هذه السنين اطلعت على علم الأرواح وألفت فيه الكتاب المذكور ، فلو ان قصة الله التى كانت بحسب ظاهرها مهمة وهى تأخير التفسير مع مسبب الحاجة اليه وشغب الطلبة والعارفين به ما أمكن شرح هذا المقام ولا اظهار ما أبرزه الله فى العالم الانسانى من الخبايا الروحية التى تنطق بمصدق القرآن ، فكلم الله من نعمة اختبأت فى ظواهر التسم ، فلا شرع فى قل شذرات من ذلك الكتاب القدى ألفت لهذا المعنى ، فقد جاء فى مقعته ذلك الكتاب ما يأتى :

الأقليل المسلحون فى أقطار الأرض أن الحافل الروحية والجامع النفسية فى البلاد الأوروبية قد نطقت فيها الأرواح على مرأى ومسمع من مجالس شوراها وللأمن قومهم ومجالس الشيوخ والأعيان فى أمريكا وغيرها كما سترونه مفصلاً ومبيناً بما تبيان ، لقد شرحت الأرواح مشاهدته فى عالم البرزخ من نعيم وبؤس وهناء وعناء وخطب الأموات الأحياء والآباء الأبناء فأصفت الجمع وكشف البيع وجاءت البشرى بالحياة الأخرى وقال الأموات للأقارب والاخوان « وان البار الآخرة لمى الحيوان » فصدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده ، وجاء الحق وزهى الباطل ، وفرح المسؤل وقنع السائل

فهل تقف نحن معاصر المسلمين أمام هذا الحادث صامتين ، إنه لعب قاضح وخطأ واضح وشين مبين ، نحن أحق بهذا العلم من الغربيين ، إن الأمر لجلل يعوزه كتب تؤلف وجامع تحتشد وعلماء تنتقد ، أنا لست فى كتابى هذا أثبت العالم الروسى حسب ، فلقد سبقنى اليه من نشروا الفكرة وأذلوا أمره بين اخوانى المصريين ، انما الذى أنهشنى ما عرفت عليه من المحاورات بين الأرواح الناطقة من عالم الغيب وبين الأحياء فى المجمع العلمية . وكيف كانت آراؤها وتعاليمها تذكر فى كثيراً بما طالعته فى أمهات الكتب الاسلامية وما جاء

عن السادة الصوفية . أليس من واجبي أن أنشر تلك المطابقات العجيبة بين أئمتنا الاسلامية . انه لحرام على أن أغضض العين ولا أتميز انفرصة فأذكر كل حادثه من حوادث العجايب الروحية . بإبطالها من كلام أئمتنا الاسلامية مينا الكتب والصفحة واسم المؤلف

سيجيب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها اذا جاءهم هذا النبا الذى عنه يتساءلون من ذا الذى كان ينور بخلده أو يوحى بمخلطه أن مجابه من نصيب القبر وعذابه فيدينا يمرض اليوم عرضا على الجامع الأوروبية النفسية كمثل الحاكم الالماني ميلون الذى مات وعمره ٧٩ سنة وقد استغاثت روحه من اضطهاد يقيم له وحقوقا فوجدوا ثبوت غدره باليتاى في دفتار الحكومة في تلك الأقطار

أم من ذا الذى يسمع بحادث مدينة ونسبرج اذ تجلجت روح محاسب ارتكبت الخيانة فطلب أن تساعده أرملة اذ دخل على المكان الذى أخفيت فيه تلك المقار فضطت المطلب وخفخته بض ما يجيد من العذاب المهيمن بل من ذا الذى يسمع بحادثة مدينة انجوليم ولا يكون من الموقنين وهى من حوادث لاعداد لها في الجامع النفسية الروحية . ذلك لانهما غنى بخيل فأحضرت الجمعية روحه فقال هاتوا لى ذهبي ومالى لم أخذتموه في حديث طويلا مستقره مفصلا في الكتب

أنا لست في كتاب الأرواح أسرد الحوادث المنقولة سهلا ولكني أجد ذلك يطابق ما نص عليه الغزالي وغيره بطريق الكشف وكيف قال ان عذاب القبر على هذا الأسلوب وسواء مفصلا في الكتب

من وقف على أسرار دين الاسلام في أمهات الكتب العلمية عرف ما للذنوب القلبية من الحسد والكبرياء والطمع والجشع من الأثر في العذاب وإن العلاقة متينة ثابتة مؤكدة بينهما عند الممات . وكذلك ليس لمرء من كمال الأعمال العظيمة لبنى الانسان . لما قرأت محادثات الأرواح التي سترها الفتيهاجات مصدقة لما قرأته في كل كتاب فأبنت المطابقة في هذا الكتاب . وفي الحديث : من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة أفلا يجب نشر هذا التفصيل لاختوائى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ان ذلك يأمر به الدين

نعم لقد بزغ بزوغ الشمس للورى قوله تعالى - يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا - وثبت بالبراهين وبقين الصدق . قوله تعالى - سربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - وجاء في صفحة ٣٣ منه وما بعدها ما يأتي :

قال العلامة زين الدين محمد المدهو عبد الرؤوف تاج العارفين ابن زين العابدين الجداوى القاهرى المعروف بالماوى المولود سنة ٩٥٢ المتوفى بالقاهرة صبح يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر الخير سنة ١٠٣١ على قصيدة النفس لابن سينا صفحة ٣٢ ناقلا عن الغزالي ما يأتي :

والعالم من محرك الملك التاسع من الصفحة التي تلى جهة فوق الى التي تلى جهة أقدامنا علوه جنودا وملائكة وما يمل جنود بك الاله الى أن قال ولا ينبغي أن يذكر منكرد ذلك وقد شهد شعاع الشمس وروحانيته وبساطته حتى ان قرصها يكون بالغرب وشعاعها بالشرق فلهو الآن يغيب خلف جبل فيقطع الشعاع الذى بالشرق بلا زمان فلا كان جسم ما قطع في عدة سنين وإذا أخذت امرأة وعكست بها الشعاع انعكس الى حيث شئت ثم تعطفه لاقى زمان . وجوهر الشعاع بالإضافة الى جوهر النفس كشيء فليس في العالم موضع الا وهو مغفور بما يعلمه الله ولذلك أمر الشارع بالستر في الخلوة وعند الجماع والعالم مشحون بالأرواح اه

(ثانيا) قال المناوى نفسه في الكتاب المذكور نقلا عن الغزالي رحمه الله صفحة ٨٠ ماملخصه أنه قال قد ظهر للمشاهدة ظهورا أوضح من العيان أن أصناف عذاب القبر ثلاثة أقسام فرقة المشتبهات رضى خجل الفصحوات وحسرة فوت المحبوبات

وهذه أنواع روحانية تتعاقب على الميت إلى أن ينتهي إلى النار الجسدية . ففرقة المشتبهات وهو أولها وصورة المستارة من عالم الحس والتخيل التي وصفه الشرع وعند رموزه وهي قدر الشهوات ودرجات الصفات إلى أن قال . والثاني خزي خجل الفاضحات فإذا طاول الزمن بعد الموت وقد احترق الفؤاد بقرائه ما تشبهه النفس من الأهل والأحباب والمال تحبوا نار ذلك العراق بطول الزمن فتبوء إذ ذاك نار الخزي في القلب بما ارتكبت من الذنوب والآثام ويرى نفسه في خزي وضجة أمام خلقه والعقلاء فإذا طال الزمن ألب القضيعة ثم تظهر آخر الأمر نار حسرة فوت المحبوبات من الأعمال العظيمة والعلوم القيمة التي يرى غيره بها ارتقى وذلك آخر ما يلقي من العذاب قبل ما يلج النار في الآخرة هذا ملخص ما ذكره المناوي نقلا عن الغزالي صفحة ٨٠ و٨١ وما قال فيها بالحرف

ولاتظن أن الله يضرب عليك انتقاما ثم تخضع نفسك برجاه العفو فتقول لم يعذبني ولم تضرب معصيتي . إذ يباين العذاب من المصيبة كما يلزم الموت من السم . وهذه الحسرة دائمة لا تزول أبدا انتهى المقصود منه بالحرف الواحد (ثالثا) : قال في إخوان الصفاء الجزء الثالث صفحة ٣٩٢

واعلم أن النفوس المتجسدة الخيرة ملائكة بالقوة فإذا طرقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل كذلك النفوس المتجسدة الشريرة هي شياطين بالقوة فإذا طرقت أجسادها كانت شياطين بالفعل فهذه النفوس الشيطانية بالفعل توسوس للنفوس الشيطانية بالقوة لتخرجها إلى الفعل كما قال تعالى - شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا - فشياطين الانس هي النفوس المتجسدة الشريرة أنست بالأجساد وشياطين الجن هي النفوس الشريرة المفارقة للأجسام المحتجة عن الأبدان وقال قبل ذلك ما ملخصه . ان هذه النفوس الشريرة لما طرقت الجسد وكانت معلقة بالدنيا وسلبت الحواس وآلات الذاة حزنت وتمنت لورجعت للذاة كرة أخرى حينئذ تصبح النفس كأنها لاجية ولا مية كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيا ويقول . باليقا زد فعمل غير الذي كنا نعمل . باليقي كنت ترابا . هل لنا من شعاع فينشقوا لنا . وقال تعالى - ولوردوا لعادوا لما هموا وانهم لكاذبون - لما ركب فيهم من الأخلاق الشائنة وتبقى تلك النفوس متعلقة بأبناء جنسها المتجسدة توسوس لهم وهكذا شأن الغافلين انتهى ملخصا من إخوان الصفاء ثم جاء في صفحة ٣٨ وما بعدها ما يأتي

قال شير محمد عندي سؤال آخر هام لا طاقه على كتمه ولا مندوحة من فهمه وذلك أني قرأت أحاديث كثيرة في أمر عذاب القبر ونعيمه وإنها أمور جسمية لا معنوية وكيف يقع المسلمون بذلك هذا وكأنني بمن يسمع كلامك يقول هذا كلام فلاسفة خارج عن الدين وما تقول في قوله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ « المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيماذا أنزلت » فإنه معيشة ضنكا « قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تينا هل تدرون ما لتتين تسع وتسعون حبة لكل حبة تسعة رموس يخشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون قلت يا شير محمد إن لنا في الجواب عليه وجوها ثلاثة ذكرها الإمام الغزالي فلتسرع على منهجه وتفسح على منواله

(الأول) أننا نناقى الحيات والعقارب والتنانين على حالها بلا تأويل ونسلم أنها موجودة وجودا غير ماضية . ولنا في ذلك نظائر . ألم تر أن النبي ﷺ كان ينزل عليه جبريل والناس لا يرونه وهم به مصدقون . لما رأوا من الآثار والعلم والحكمة وقد أجمع رجال الكشف من المسلمين أنهم يشاهدون صورا ويرفون أمورا يجهلونها سواهم وأنت تعلم أن الوسائط المتوهمين بالفتح يشاهدون صورا وأشباه وتجبرون بأموال . والناس حولهم لا يدركون منها شيئا . أفليس الميت أوفر حرية وأكثر انطلاقة وأوسع نطاقا . فاذالم يسلك أن تصور هذا وشنق

عليك فاستمع لما أكتبه إليك في

الوجه الثاني . ذلك اتنا نصبر بحال النائم فانتا ترى نائمين في فراش واحد وقد قام أحدهما منصرفا كشيئا وجلا خائفا لما شاهد وقت نومه . وقال الثاني قد كنت في حادثة غناء مع من أحب وهو مستبشر فرح بما لاقى من السرور والنعيم فلتأمل الميت الذي صار ككفرحوة وأحد نظرا من النائم فتكون الحية والتنين والعقرب موحدة بالنسبة له والحاضرون لا يعلمون . فاذا عسر عليك هذا وأبيت أن تقبل فاستمع لما أقول في

الوجه الثالث . بأن تقول ان الحيات ليست مؤذية بذاتها وان المؤذى هو السم الذي قشته من ثلها فينور مع السم فيكون الألم الشديد بل تنس السم ليس بمؤذ . ألا ترى الى ماحقته الأطباء ان سم الحية ان شرب ولاجرح في القم ولا في جرحي الطعام الى المعدة صار غذاء لاداء قاتلا . وانما يؤذى ويضر الجسم اذا دار مع السم في العروق والشرايين . فهناك الأذى ظلية ليست بمؤذية ولا السم وانما هو الأثر الناجم من السم للمقووظ من الحية فكانت النتيجة أن اللذات والآلام كيفيات قد فصل الى الجنس بطريق الأعصاب . والمدار على الأثر لا المؤثر . والآلام قسبان قسم جسمي وقسم روحي . فالجسمي لما من داخل وإما من خارج . والذي من الخارج إما من الحواس الخمس . كالصوت الكريه في السمع . والمنظر البشع والمخزن أو الخيف في البصر . والروائح الكريهة في الشم والمر في القوق . والذي من داخل هي الأمراض وهي ترجع إلى انحراف المزاج عن اعتدال الطباع الأربع وهي الصفراء والسوداء والسم والبلغم . ومن هذه تنشأ سائر الأمراض المتكاثرة

أما القسم الروحي فهو راجع الى الغضب والشهوة والجهل وعدم العدل . ولقد تفرع على هذه فروع كثيرة كتفرع رؤس الحيات وعدة التنايين والحيات . فاذالم يترن الغضب بالشجاعة والعلم ولم تحفظ الشهوة بالغة . ولم يوصف العقل بالحكمة . ولم يكن اعتدال بين هذه القوى . كانت الآلام النفسية الموجعة التي تبقى في النفس بعد الموت . وهذا انحراف في الأخلاق كما أن للرض انحراف في المزاج . فاذا غلب السم حدثت الأمراض الناجمة عنه . كما أن الغضب في الأخلاق يحدث عنه أمثال الاحقاد والضغائن واذا غلبت الشهوة حدثت أمور . كالعشق المنحرف عن الجادة ومتى فارق المحب أحبه جزع . وهناك موازنة ما بين الآلام الجسمية بقسمها وما بين الآلام النفسية . ولنضرب لك مثلا بوضع القلم فتقول لتتخذ حلة الجنس مثلا فان الآلام الواصلة الى الجسم منها تكون بالضرب أو بالجرح مثلا . وتهابط بالآلام الروحية لتفقد المحبوب من مال وعقل فلو أن رجلا قبل له أعطى عقارك وضياحك وضرب ضربا موجعا فانه لا يترك ماله ولا يدع ما أحب لما يحس من الألم الناجم من فراق المحبوب وهو ما يملكه وهو أشد من الألم الناجم من الضرب المؤلم بطريق الجنس . لأنه لا يزال يوازن بين الألمين ويتعمد الأمرين ويرضى بجزئي جلده . حتى اذا أصبح ألم الجسم لا يطلق . وكادت تلتصق الساق بالساق . هناك يرى الألم الناجم من الضرب الجسمي أقوى من ألم فراق المحبوب فيتركه على قاعدة « اذا اجتمعت علتان تبع الأخف »

(قال الامام الغزالي . والصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كالآلام لبغ الحيات من غير وجود حيات واهتلاب الصفة مؤذيا يضاهي اهتلاب العشق مؤذيا عند موت المشوق فانه كان لتبذنا فطرات عليه حال صار اللذيذ بنفسه مؤلما . حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يتجنى معه أن لم يكن قد قدم بالعشق والوصال . بل هذا يمينه أحد أنواع عذاب الميت . فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يشقى ماله وعقاره وجاهه وولده وأقربه ومعارفه ولو أخذ منه جميع ذلك في حياته من لا يريد استرجاعه . فاذا ترى يكون حاله . أليس يحطم شقاؤه ويشدد عذابه ويقول باليتي لم يكن لي مال قط ولا جاه فكنت لا تأذى بفراقه فقلوت عبارة عن مفارقة المحبولة الدنيوية كلها دفعة واحدة

محال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد

فحال من لا يفرج الابلهنيا فتؤخذ منه وتسلم الى أعدائه ثم يضاف الى ذلك الحسرة على ما قاله من نعم
الآخرة انتهى المقصود منه
وجاء في صحيفة ٤٤ ما يأتي

﴿ المجلس الرابع ﴾

(في الروح التي أخبرت بموتها وزمنه وفي قلة علم النوع الانساني ومقلوبات شتى)

بين أقوال الأرواح وبين القرآن والحديث الشريف

فلما أن جاء الشيخ شير محمد والتأم المجلس شرع يطالبني بما وعدته في المجلس السابق فقلت حبا وكرامة
أما القصة الأولى فمسي ما قاله في الكتاب المذكور في صفحة ٩٣ ونصه بالحرف الواحد روى المعلم جاردى
قتلا عن أحد الجرائد الرومانية الألمانية الحادث الآتى :

في اليوم الثالث من شهر آب ١٨٨٢ قعد ثلاثة أشخاص من مدينة . ح . حول طاولة لمساكنها . فلما
استقرت بهم الحال . أخذت المائدة تتحرك اشارة الى رغبتها في التسكلم . فدار بينهم الحديث الآتى :

(س) من الطارق . ج : خياط مقول

(س) كيف قتلت . ج : مرة على قطار قداسنى

(س) متى كان ذلك . ج : منذ ثلاث سنين

(س) وأين تم ذلك . ج : في أوتر بارمن

(س) أى يوم . ج : في ٢٩ آب سنة ١٨٧٩

(س) مالىك . ج : سيجوار ليكويسك

(س) أين كان مترك . ج : في بارمن

(س) هل والله في قيد الحياة . ج : نعم

(س) أكنت معلما أم صانعا . ج : كنت أجير صانع

(س) فى أى سن قتلت . ج : فى السابعة عشرة من عمرى

(س) هل تستحسن أن تبلغ ذلك لوالديك . ج : كلا

(س) لماذا . ج : لأنهما لا يعتقدان الحياة بعد الموت

(س) ربما هذا يقنعهما . ج : لا ينبوكم من ذلك الا السخرية

(س) كيف تم حادث قتلك .

(ج) كنت ذاهبا لزيارة أنسباء لى فى أوتر بارمن واذا كنت ماشيا فى طريقى لم ألمح لضف بصرى قدوم

القطار فرّ على وداسنى

(س) بما اذا تشغل الآن . ج : لا أستطيع وصف ذلك .

فجيب الحضور من هذه الرواية وقصدوا أن يتحققوا صحتها فكتب أحدهم فى اليوم الثانى الى مديرية

بارمن ليستقصي الخبر فور داليه الجواب من رئيس الشحنة فى ١٧ آب سنة ١٨٨٢ وهاك نصه : اجابة لطلبكم

رقم ٨ الجارى أتشرف باعلامكم أننا على اثر مطالعتنا سجلات المديرية وجدنا أن الصانع الخياط المدعو

سيجوار ليكويسك ولهمن العمر سبع عشرة سنة بينما كان مارا فى طريق اوتر بارمن ليلة ٢٩ آب سنة ١٨٧٩

الساعة ١١ وال دقيقة ١٤ مهن من فوقه قطار السكة الحديدية قتله ونسبت قصيته الى تحبول القليل جهلا منه فى

طريق القطار . اه

اللطائف العامة لأقسام السورة كلها (١)

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى - هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه - الى قوله - فانما يقول له كن فيكون - مع قوله - الله الذي جعل لكم الأنعام - الى قوله - فأبى الله تسكرون - مع ملاحظة آية - خلقكم من قص واحدة - التي في سورة الزمر الى قوله هناك - فنبشكم بما كنتم تعملون - وقوله فيها - خلق السموات والأرض بالحق - الى - من الله العزيز الحكيم -)
فهنا خلقنا وخلق أنعامنا ، وأنه حكيم ، وأنه خلق هذه العوالم بالحق ، وأنه يرضى لنا شكر النعمة ولا يرضى لنا كفرها ، ولا جرم أن الجهول لا شكر عليه ، إذن المعلوم هو الذي يكون عليه الشكر ، وعلى قدر جهل الانسان بالنعمة يكون كفرها وعلى مقدار معرفة حقايقها والعمل بها يكون شكرها ، إذن المسلمون اذا جهلوا الأنعام ونحوها فهم كقرون نعتبها والله لا يرضى لنا ذلك الكفر ، وأنت علم أيها القارئ أن شكر النعمة تقسم تقسيمه تكراراً في هذا التفسير ، ذلك ان شكرها صرفها فيها خلقت له وذلك لا يكون إلا بعد المعرفة فن عرف نعمة الحسن أحبه وأثنى عليه بلسانه وذلك هو الجلد وأطاعه بتسخير أعضائه كلها له ، إذن هنا قلب عرف فأحب - ولسان أثنى وجوارح تسخر في مصالح المشكور والمشكورنا هو الله والله غني - ، إذن يجعل الانسان كل مواهب مسخرة لعباد الله ، هنا هو شكر النعمة الذي أساسه المعرفة ، والمسلمون اليوم في أقطار الأرض محرومون أكثرهم من معرفة هذه العوالم ، والحمران من المعرفة يبعث على التقصير في الشكر فوجب على - إذن في هذا المقام أن أصطفي نبذا جيلة مفيدة للمسلمين كنموذج لمعرفة علم الحيوان ، ولأخص من غوامض العلم ما تقع أعين الناس عليها وهم عنها غافلون

لما وصلت الى هذا المقام حضر صديقي العالم الذي اعتاد محادثتي في هذا التفسير . فقال : ماذا تريد أن تقول في علم الحيوان ؟ ألم تكتب عنه مقداراً كبيراً في ﴿ سورة النحل ﴾ عند آية - وإن لكم في الأنعام لعبرة - الخ وفي ﴿ سورة طه ﴾ نبذا جيلة مصورة بالصورة الشمسية البديعة وهكذا في آخر ﴿ سورة الحج ﴾ إذ بينت هناك كيف تقسم الحيوانات الى فقرية وغير فقرية ، وجعلت النهاية للذكورة في الآية محور التقسيم ناقلاً عن العالم الفرنسي الذي كان يبحث ثلاثين في أمر النجابة وأنها عند عصرها لا يرى لها عظم ولادم والحصان عند تهشيمه يرى له دم وعظم ، وهناك انقسمت المملكة الى هذين القسمين وهكذا ، ثم إنك في ﴿ سورة النور ﴾ أطلت في هذا المقام ورسمت الصور الحيوانية والنباتية المقسمة على المناطق الأرضية كلها . وهناك إيضاح تام عند قوله تعالى - والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع - الخ وهكذا في ﴿ سورة النمل ﴾ شرحت أسوال النمل شرحاً وافياً كما شرحت أحوال الحشرة المسماة بالآرسة وأبنت عجائباتها البديعة في ﴿ سورة سبأ ﴾ عند آية - ماد لهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته - وفي ﴿ سورة الروم ﴾ رسمت صور الحشرات والطيور والتعابين المختلفة الألوان لبيان أن الألوان التي انصفت بها هذه الحيوانات كانت سبباً في حفظ ماشا كلها بهذه الألوان من الحيوانات الأخرى التي خلت من سلاح المقاومة والحفظ وهذا كما اتضح في أول الروم في آية - واختلاف ألوانكم وألوانكم إن في ذلك آيات للعالمين - واتضح أيضاً في ﴿ سورة المؤمنین ﴾ في أولها عند قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - فهناك حيوانات كثيرة مرسومة حفظت بما منحت من الهيئات الخاصة

(١) هذه اللطائف لم تسطر لإعداد طبع هذه السورة ولم يكن لها وجود عند التأليف : المؤلف

والألوان المناسبة لحالها بخلاف تلك المرسومات في (سورة الروم) فإن منفعة ألوان الحيوان نعتت الى حفظ غيره لأن مشابهة ما ليس له سلاح لئلا يسهل من الحشرات ونحوها هي التي أخافت الحيوانات المفترسة لهذه الحشرات ونحوها فصارت محفولة ، ذلك كله ظاهر وقد تقدم كما تقدم في (سورة فاطر) عجائب أنواع الریش في مختلف الطيور ونحو ذلك وهكذا تقدم هناك عجائب المعدة والأمعاء وأصاب الحس وأعصاب الحركة وما شابه ذلك كله تقدم منها بما إما إصلاح كما اقتضى (سورة السجدة) عند آية - القى أحسن كل شئ خلقه - الخ هنا كله تقدم في هذا التفسير ، فما القى تريد أن تقول اليوم في علم الحيوان ؟ قلت : أنا أسألك سؤالاً في علم الحيوان . فقال سل . قلت : ما تقول في نوع السحالي والبرص والحرياء ، أضرار هذه أم نافعة ؟ قال : لا أدري . قلت : ما الفرق بين الثعابين السامة والتي لا سم لها حتى قتل الأول ولا تقتل الثاني ، وما الثعابين القوي يحمله الحولة في بلاد المصرية ؟ وهل هو سام . فقال : لا أدري قلت : هل تعلم حيواناً في الماء يولد في مكان بعيد عن وطنه الأصلي بعداً شاسعاً جداً وهذا المولود وهو مغير يسافر شهوراً وشهوراً حتى يرجع الى الوطن القوي خرج منه أصله . قال : كلا . فهذه ماهي إلا أفاعيل قلت : وهل العلق القوي في الأرض له منفعة ؟ قال : لا أدري . قلت : أضر الحداة أكبر أم تنفعها حتى إذا غلب ضررها قتلناها أو وضعها أبقيناها ؟ قال : لا أدري . قلت : فلا جيبك على هذه الأسئلة في هذا المقام حتى إذا جاءت فرصة ذكرت فوائد أخرى وذلك في (سبعة فصول) في السحالي والبرص والحرياء والثعابين وثعابين السمك والعلق والحداة . قال : ولكن يظهر لي أن الكلام وإن حسن فقد خرج عن الموضوع . قلت : إن الله يقول - وأزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج - فقد ذكر الأنعام والأنعام نوع من الحيوان إذن فلنبعث في قسم الحيوان حتى نستخرج منه الأنعام . فقال : أما هذا فنعم . قلت : نظراً في كتب المتقنين فوجدنا أن «أخوان الصفاء» يقسمه الى ناقص الخلقة وتام الخلقة ، وناقص الخلقة مقسم في الوجود على تام الخلقة . ثم قال بعد كلام : واعلم يا أخي أن الحيوان هوجم متحرك حساس يشتهي ونجس ويحس ويتحرك حركة مكانية ، وإن من الحيوان ماهو أشرف المراتب عما يلي رتبة الإنسانية وهو ما كان له الحواس الخمس والتمييز الدقيق وقبول التعليم ومنه ماهو أدون رتبة مما يلي النبات وهو كل حيوان ليس له إلا حاسة واحدة وهي اللمس غلب كالأسداف ، وما كان كأجناس الثدييات كلها التي تتكون في الطين أوفى الماء أوفى الخلل أوفى الثلج أوفى لب الثمر أوفى الحب أوفى لب النبات والشجر أوفى أجواف الحيوانات الكبيرة الخفية ، وهذا النوع من الحيوانات أجسامه لحمية وبدنه متخلخل وجلده رقيق وهو يمتص المادة بجميع بدنه بالقوة الجاذبة ، ويحس اللمس وليس له حاسة أخرى لا التذوق ولا اللمس ولا البصر غير اللمس حسب . وهو سريع التكون وسريع الهلاك والفساد الى . ومنها ماهي أتم بنية وأكمل صورة وهي كل دودة تتكون وتنب على ورق الشجر والنبات ونورها وزهرها لها ذوق وليس . ومنها ماهي أتم وأكمل وهي كل حيوان له لمس وذوق وشم وليس له سمع ولا بصر وهي الحيوانات التي تعيش في قعر البحار والياه والأنواع المظلمة ومنها ماهي أتم وأكمل وهي كل - يوان من الهوام والحشرات التي تدب في المواضع المظلمة له حس وذوق وشم وليس له بصر مثل الحلقة . فبالس قوائم جثته والتذوق يميز الغذاء من غيره وبالشم يعرف مواضع الغذاء والقوت والسمع يعرف وطأ المؤذيات له فيجتز قبل الورود والهجوم عليه ولم يجعل له بصراً ، يعيش في المواضع المظلمة ولا يحتاج الى البصر ولزكان ذلك وبالا عليه من حفظه من إغماض العين من القدي ضرورة لأن الحكمة الإلهية لم تقط الحيوان عضواً لإحاسة لا يحتاج اليها ولا يتفنع بها . ومنها ماهو أتم بنية وأكمل صورة وهي ما لها خمس حواس كلمة وهي اللمس والتذوق والشم والبصر ثم يتفاضل في الجودة والرداءة

(فصل) ومن الحيوانات ما يتدرج كدودة الثلج ومنها ما يزحف كدودة الصدف ومنها ما ينساب كالحيية ومنها ما يلب كالقارب ومنها ما يمشو كالقمل ومنها ما يطير كالنشاب والبق وعما يذب ويمشي ماله رجلان ومنها ماله أربعة أرجل ومنها ماله ستة أرجل ومنها ماله أكثر كالسمك وعما يطير من الحشرات ماله جنتان ومنها ماله أربعة أجنحة ومنها ماله ستة أرجل وأربعة أجنحة ومشفر ومخالب وقرون كالجراد ومنها ماله خرطوم كالنمل والذباب ومنها ماله مشفر وحة كالزناير ومن الهولم والحشرات ماله فكر وروية وتميز وتدير وسياسة مثل النمل والنحل يجتمع جماعة منهم ويتعاونون على أمر المعيشة واتخاذ المنازل والبيوت والقرى وجمع القنائر والقوت للشاء ويمشي حولا ويربما زاد وما كان غير هذين من الهولم والحشرات مثل البق والبراغيث والذباب والجراد وماشا كلها فانها لا تعيش حولا كاملا لانها يهلكها الحر والبرد المفرطان ثم يتكون في العالم القابل مثلها

(فصل) ومن الحيوان ما هو أتم بنية مما ذكرنا وأكمل صورته . وهو كل حيوان بدنه مؤلف من أعضاء مختلفة الأشكال وكل عضو مركب من عدة قطعات من العظام وكل قطعة منها مفتحة لحيات من الطول والقصر والصفة واللفظ والاستقامة والاهوجاج ومؤلفه كلها بمخاض مهندمة التركيب مشدودة الاعصاب والرباطات محشوة الخلل باللحم منسوجة بالعروق محصنة بالجلدة مغطاة بالشعر والوبر والصوف والريش أو الصدف أو القناوس وفي بطن أجسادها أعضاء رئيسة كالدماع والرئة والقلب والكبد والطحال والكيتين والثانة والامعاء والصارين والأوراد والمعدة والكرش والحوصلة والقاسية وماشا كلها وفي ظاهر البدن أرجل وأيد وأجنحة وذنب ومخالب ومناقير والخافر والظلف والخف وماشا كلها كل ذلك لما رب وخال هدة ومنافع جة لايصلها الا انقى خلقها وصورها وانشأها وآتمها وأكلها ولفها الى أقصى غايتها وتعلم نهايتها وهذه كلها أوصاف الأنعام والبهائم والسباع والوحوش والطيور والجوارح وبعض حيوان الماء وبعض الهولم كالحيات والأنعام وهو كل ماله ظلف مشقوق والبهائم ما كلفت لها حافر والسباع ما كان لها أنياب ومخالب والوحوش ما كان مركبا بين ذلك والطيور ما كان لها أجنحة وريش ومنقار والجوارح ما كان لها أجنحة ومقارمقوس ومخالب مقتر بهو حيوان الماء ما يقم فيه يعيش والحشرات ما يطير وليس له ريش والهولم ما يذب على رجلين وأربعة أو يزحف أو ينساب على بطنه أو يتدرج على جنبه

(فصل) ثم اعلم بالشيء أيديك الله وإيانا بروح منه بأن الحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة البنية التي لها عظام كبار وجلود ضخمة وأعصاب غلاظ وعروق واسعة وأعضاء كبيرة مثل الثقل والجبل والجاموس وغيرها تحتاج أن تمسك في الرحم زمنا طويلا الى أن تولد لتعتين اثنتين احدهما كما يجتمع في الرحم تلك المواد التي تحتاج اليها الطبيعة في تقيم البنية وتكميل الصورة والعة الأخرى ككائن دور الشمس في الفلك وتقطع البروج المثلثات المشاكلات الطباع ونحط من هناك قوى روحانيات الكواكب الى عالم الكون والقصد التي تحتاج اليها في تقيم قوى النفس النامية النباتية وقوى النفس الحيوانية الحاسة ليقبل كل جنس من الكائنات المولدت ماله أن يقبل من تلك القوى كايضا طرفا من ذلك في رسالة مسقط النقطة . ثم اعلم بالشيء أيديك الله وإيانا بروح منه بأن الحيوانات التامة الخلقة الكبيرة الجثة العظيمة الصورة كلها كوفت في بدء الخلق ذكرا وأنثى من الطين تحت خط الاستواء حيث يكون الليل والنهار هناك متساوين والحر والبرد معتدلين والمواضع الكنيئة من تصريف الرياح موجودة هناك والمواد كثيرة متهيئة لقبول الصورة ولما لم يكن في الأرض مواضع موجودة بهذه الأوصاف جعلت أرحام ائله هذه الحيوانات على هذه الأوصاف من اعتدال الطباع لكيما اذا انتشرت في الأرض تناسلت وتوالدت حيث كانت وأكثر الناس يتعجبون من كون الحيوانات من الطين ولا يتعجبون من كونها في الرحم من ماء مهين وهي أعجب في الخلقة وأعظم في القدرة لأن من الناس من يقدر أن يصور حيوانا من الطين أو من الخشب أو من الحديد أو من النحاس كما هي موجودة مشاهدة في أيدي الناس من

خلقة الأصنام ولا يمكن أحدا أن يصور حيوانا من الماء لأن الماء جسم سيال لا حماسك فيه الصورة فتكون هذه الحيوانات في الأرحام أو في البيض من ماء مهين أعجب في الخلقة وأعظم في القدرة من كونها في الطين وأيضا إن أكثر الناس يتعجبون من خلقه القليل أكثر من خلقه البقية وهي أعجب خلقه وأطرف صورة لأن القليل مع كبر جسده له أربعة أرجل وخرطوم وتنانين خارجان والبقية مع صغر جسدها ستة أرجل وخرطوم وأربعة أجنحة وذنب وفم وحلقوم وجوف ومصارين وأمعاء وأعضاء أخرى لا يدركها البصر وهي مع صغر جسدها مسيطرة على القليل بالأذية ولا يقدر عليها ولا يمنع بالتحرز منها . وأيضا إن الصانع البشري يقدر على أن يصور فيلانا من الخشب أو من الحديد أو من غيرها بكامله ولا يقدر أحد من الصناعات أن يصور بقعة لامن الخشب ولا من الحديد بكامله وأيضا فإن كون الإنسان من التلقة بدينام في الرحم جنينا ثم في المهد ضعيفا ثم في المكتب صبيا ثم في تصريف أمور الدنيا رجلا حكما أعجب أحوالا وأعظم اقتدارا من كونه يبعث من تراب قبره يوم القيامة وخروج الناس كأنهم جراد منتشر وهكذا أيضا مشاهدة خروج عشرين فروجة من تحت حضن دجاجة واحدة أو ثلاثين دراجة من تحت حضن دراجة واحدة يتقض عنها قشور بيضها في ساعة واحدة وعلى كل واحدة في طلب الحب وفرارها وهرها من الطالب لها حتى ربما لا يقدر عليها أعجب من خروج الناس من قبورهم يوم القيامة فما انتهى منع المنكرين من الإقرار بذلك وهم يشاهدون مثل هذه التي أعجب هي منها وأعظم في القدرة لولا جريان العادة بها اهـ

هذا ما جاء في «أخوان الصفاء» أيها التقي ولا جرم أنك رأيت في هذا المقال تعريف الأنعام بحسب ما كانوا يروه والفرق بينها وبين السباع والبهائم ، هذا نوع آراء المتقنين ، ولما كان هذا التفسير لا يقع أذكياء قرائه بأراء طائفة دون أخرى أردت أن أريك تقسيم المتأخرين للحيوان وهناك تأتي بالفصول السبعة لتعرف أجوبة المسائل المتقدمة ، وهناك تعرف أننا في هذه الإجابة الآتية لم نخرج عن مضمون الآية الكريمة فقد صرح فيها بالأنعام ، وما الحيوان إلا أنعام وغير أنعام ، وهذا الذي سنذكره إنما هو بعض المقابل لما في الآية ، وهذا من مقاصد التفسير ، إذن الفصول السبعة الآتية لا تخرج عن مضمون التفسير ، فهناك تقسيم المتأخرين في زماننا الحاضر :

الحيوانات إما أولية أي ذات خلية واحدة . وإما غير أولية أي كثيرة الخلايا . فذات الخلية الواحدة كحيوان الملتصق الذي لا أعضاء له يتحرك بها فيعيش في الكرات الدموية الجراء في دم الإنسان فترفع حرارته بسبب تكاثر هذا الحيوان بالتناسل وهو يستعين بالنموس فيدخل فيه وهذا ينقله إلى إنسان آخر فيمرض بهذا المرض . فهذا هو أدنى الحيوان خلق ليكون ضارا بالنوع الإنساني والإنسان مكلف بدراسة ليتقيه . فهذه نعمة من حيث أنها تحثنا على الدراسة التي بها نعرف مضرة الضار فتتقيه ومنفعة النافع فنستطيعه . فإذا جهلنا فأتانا لاحتالة مصابون بالضار معاقبون بالحرمات من منفعة النافع . انتهى الكلام على الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة

أما الحيوانات ذات الخلايا فهي الأسفنج وهو معروف . ومنها حيوان المرجان . وقد تقدم الكلام عليه في «سورة النحل» وسور أخرى . ومنها الحيوانات ذات الخلد الشوكي كنجم البحر وهذا تقدم في «سورة الحج» رسمه وقنفذ البحر . ومنها الهيدان المفرطة كالبدودة الكبدية والبهلاريسا . ومنها الهيدان الأسطوانية مثل دودة الانكستوما . ومنها البدودة الحلقية وهي دودة الأرض والعلق الطبي . ومنها الحيوانات المفصلة مثل الصرصار والذباب المنزل الخ . ومنها الحيوانات الرخوة كالقواقع وأم الخلول . ومنها الحيوانات القلبية التي جاءت ببعضها هذه الآية . والفقرية منها السمك والفنقاع والزواحف والطيور والحيوانات الثديية هذا بجل أنواع الحيوانات . ولا جرم أن الفصول السبعة الآتية بعضها من ذات الفقرات كشعابين السمك

والخدأة . وبعضها من الديدان الحلقية كعدودة الأرض . وبعضها من الحيوانات الزاحفة كالسحالي والبرص والحرباء والثعابين . إذن فنذكر الفصول السبعة على ترتيب ماقدّمناه :

(الفصل الأول في السحالي)

اعلم أن السحالي من الحيوانات الوريّة . وهذه الحيوانات تقطى أجسامها بالخرافيف أو البرنات . ولها أربعة أطراف تنتهى أصابعها بمخالب حادة . وهذه الحيوانات في الغالب نشطة وسريعة الحركة وألوانها زاهية وبعضها يماثل لون الوسط الذى يعيش فيه وهذا يساعدها على الاختفاء عن الأنظار . وأذنان هذه الحيوانات طويلة ويلاحظ أنها تتحرك زما بعد فصلها عن الحيوان . ولهذه الحيوانات قدرة خاصة على تجديد بعض أعضائها المقطوعة كالأذنان

يعيش الحيوانات الوريّة في المناطق الحارّة عادة ويقلّ وجودها أو ينعدم في الأقطار الباردة . وتتغذى هذه الحيوانات باللحوم كالخسرات والديدان وغيرها . وتضع أيضا ندفه في الرمال حتى يفقس . وتشمل هذه الفصيلة حيوانات كثيرة مختلفة منها الورل والسحالي والأبراص والحرباء

- (١) الورل : حيوان كبير الحجم نوعا يغطى جلده بدرنات خشنة . ويصل طول أكبر أنواعه الى متر أو أكثر . ويعيش بعض أنواعه في الصحارى وعلى شواطئ الأنهار حيث تقوس في الماء اذا أزججت
- (٢) السحالي : حيوانات كثيرة الأنواع توجد في جميع جهات القطر في الزارع وغيرها وتسلق الأشجار وتتغذى بالحشرات والديدان والحيوانات الصغيرة وجلدها لين في الغالب وذو ألوان زاهية وتعتبر من الحيوانات النافعة لأنها تتغذى بالحيوانات الضارة (انظر شكل ١)



(شكل ١ - رسم السحلية)

﴿ الفصل الثاني . الأبراص ﴾

- (٢) الأبراص : زواحف صغيرة تكثر في المنازل ، ولها أصابع مفرطعة نوعا متهية بمخالب ويشكّون هذا الجزء المفرطح من أجزاء عضلية مستعرضة بارزة موازية لبعضها تقريبا ، فاذا وضع الحيوان قدمه على سطح أملس انطبق سطح هذه الأجزاء عليه انطباقا تاما ، وذلك بطرد الهواء الموجود بينهما وبذلك يتمكن البرص من تسلق الجدران الناعمة وللتى على الأسطح المساء كالزجاج ، وتتغذى الأبراص بالحشرات الصغيرة في المنازل كالأبراصير مثلا ، ولذلك يعتبر البرص من الحيوانات النافعة والذكور في العادة أزهي لونا من الاناث ، وتماثل الأبراص لون الوسط الذى تعيش فيه عادة (انظر شكل ٢ في الصفحة التالية)



(شكل ٢ - رسم البرص)

﴿ الفصل الثالث . الحرباء ﴾

(٣) الحرباء حيوان غريب الشكل متوسط الحجم يعيش على الأشجار ، والحرباء رأس هرمي وعلى جانبيه عينان برأقتان بارزتان وتحرك كل منهما بفردتها في جميع الاتجاهات ، وعنقها قصير وعليه ثنيات جلدية ، ولها ذنب طويل ورفيع يلتف عادة حول أفرع الأشجار التي تقف عليها ، وأصابعها معدة للقبض على أفرع الأشجار . وجلد الحرباء لين و يتغير لونه بسرعة حسب لون الوسط الموجودة فيه الحرباء لتختفي فيه عن الأنظار ، وتصعب رؤيتها حتى من مسافة بسيطة ، ولسائها طويل واسطواني الشكل وينتهي بطرف منبسط كالملقعة يفرز مادة لزجة . وتتغذى الحرباء بالذباب وأبي دقيق والصراصير والحشرات الصغيرة إذ عند ما تقرب منها حشرة ينطلق لسانها بسرعة البرق فتلتصق الفريسة بقمته وسرعان ما يعود اللسان بها الى القم . والحرباء حيوان بطيء الحركة كسول يترصد لفريسته زمنا طويلا حتى يتمكن منها . وتوجد الحرباء في كثير من بقاع الدنيا القديمة وفي كثير من مناطق الصحارى المصرية حيث توجد بعض الحشائش والأشجار (انظر شكل ٣)



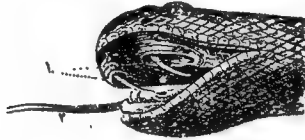
(شكل ٣ - رسم الحرباء)

﴿ الفصل الرابع : الثعابين ﴾

(٤) الثعابين : تتميز الثعابين عن الزاحفات الأخرى بطول جسمها وخلقه من الأطراف (توجد الأطراف الخلفية بحالة أموية تحت الجلد في البوا واليتون) ويتناسب شكل الثعابين مع طرق معيشتها حيث تزحف داخل الشقوق والافات الضيقة . ويغطي جسمها بطبقة حرشفية . وتعتبر الثعابين الطبقة الخارجية من جلدها في فترات منتظمة . وتعيش الثعابين في جميع بلاد العالم وتكثر على الأخص في البلاد الحارة فيعيش بعضها في الغابات ويتسلق الأشجار . ويعيش بعضها على الأرض في أفتاق خاصة . ويعيش البعض في الماء . وأغلب الثعابين المائية سام

توجد بجانب رأس الثعبان عيان ليس لها جفون متحركة وهذا ما يجعل الحيوان كأنه محقق دائماً . وما يستحق الذكر أن الثعابين لا ترى تماماً أيام انسلخها لأن الطبقة الخارجية لقرنية العين تغير أيضاً . والجذء الأمامي من الرأس يوجد الفم وله فتحة كبيرة ، وتمكن الثعابين من ابتلاع حيوانات كبيرة بالنسبة لحجمها ، وذلك راجع لعدم التحام بعض عظام الرأس التي يتصل بها الفك الأسفل ، وهذا يمكن فتح فها واسعا بدرجة غير عادية ، وما يسهل مرور القرية الكبيرة الحظم في القناة الهضمية كون أضلاع الثعابين عاتمة أى سائبة من أسفل ولا تتصل بقص متوسط

وللثعابين أسنان حادة متصلة بالفكين ولسان طويل سريع الحركة وذو طرف مشقوق ويستعمل كعضو للحس (انظر شكل ٤)



(شكل ٤ - رسم رأس ثعبان سام)

(١) النابان السمان (٢) اللسان المشقوق

ويميل أكثر الثعابين للرقاد هادئاً ولا يتحرك إلا من الجوع أو الخوف . و بعضها نهاري ويميل للرقاد تحت أشعة الشمس المباشرة . و بعضها ليلي أى انه لا يتجول للبحث عن غذائه إلا ليلاً . وتتغلب أكثر الثعابين على فريستها بسرعة حركتها وقوة عضلاتها . وقد وصفها بعضهم بقوله : « إن الثعابين تفوق القردة في قدرتها على التسليق والأسماك في قدرتها على العموم والزبرا في قدرتها على الوثب وتفوق على أكبر مصارع ونبطش بالفرأهائج » وكل هذه الصفات ترجع لقوة مجموعها العضلي

تتغذى الثعابين بالطيور المختلفة وبيضها وفراخها والجردان والسحالي إذ تبتلعها كجاهي وتتغذى كذلك بالضفادع والأسماك . وتضع الثعابين بيضا تدفنه في الرمال أو كوام الأسبغة وفي الأراضي ، وقد ترقد بعض الثعابين على يعضها . ويلد البعض الآخر أحياء كبعض أنواع الحيات . والثعابين إما سامة أو غير سامة وتتميز الأولى بوجود نابين كبيرين حاذين بالفك العلوي يعرفان بالنابان السمين

يفرز سم الثعبان من غدتين موجودتين على جانبي القسم الأمامي من الجمجمة بالقرب من عظام الفك العلوي الذي يحمل النابان السمين . ومن المحتمل أن هاتين الغدتين هما بلان الغدتين السكتيتين اللابيتين متحورتين . ونخرج من كل غدة سمية قناة تمتد إلى الباب المقابل لها فتفتح إما في قناة مقفلة تمر في وسطه أو في قناة

مفتوحة هي عبارة عن ميزاب بجانبه . وفي كلتي الحالتين يمرّ السم الى الجرح الذي سببه الثعبان في جسم الفريسة . ولا تختلف الثعابين السامة ذات القناة المفتوحة في شكلها العام عن غير السامة . أما الثعابين السامة ذات القناة الداخلية فتكون ذات ذيل قصير ورأس مثلث ولونها زاه قليلا كما في الحيات

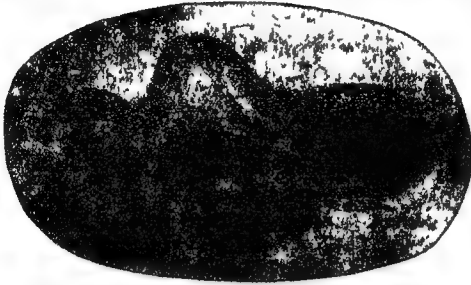
وسم الثعبان سائل رائق مصفر اللون وسريع التأثير إذا حقن تحت الجلد أوفى الدم مباشرة وذلك ما يحصل عند ما يعض الثعبان فريسته . ولا يؤثر سم أغلب الثعابين إذا وصل الى القناة الهضمية لأنه يتأثر بالعصارات الهضمية كباقي المواد الزلالية فيتحلل تركيبه ويفقد خواصه السامة . وتستهمل الثعابين سمها للدفاع عن نفسها وكذلك لتسميم فريستها حتى تتقلب عليها . وسنذكر هنا بضع أنواع سامة وأخرى غير سامة :

(١) (الثعبان الناشر) واسمه العلمي (ناجاحبي) . يعرف هذا الثعبان بالكوبرا المصري وسمى بالناشر تبعا لانبساط رقبة عرضا عند انفعاله . ويوجد في المزارع في جميع جهات القطر المصري ولونه العام بني في سطحه العلوي وأصفر في سطحه السفلي ويصل طوله الى متر وثلاثة أرباع المتر ويتغذى بالضفادع والقرآن وغيرها وربما بالأسماك لأنه يعبر النهر إذا اضطر لذلك . وتضع الأنثى بيضا يختلف عدده من ١٨ الى ٢٥ بيضة في حجم بيض الحمام وله قشرة جلدية بيضاء . وسم الثعبان الناشر قاتل سريع الفعل ويحدث نوع من الكوبرا في الهند عددا من الوفيات كل عام (انظر شكل ٥)



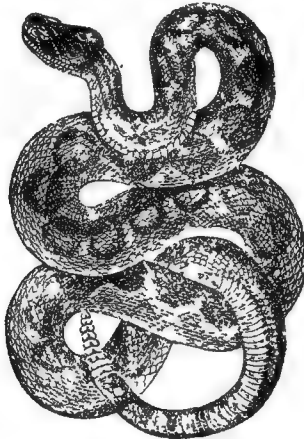
(الثعبان المصري)
(شكل ٥ - رسم الثعبان الناشر «الكوبرا»)

(٢) (الحية المقرنة) واسمها العلمي (سيراستيس كوزنوتس) وهذا النوع من الثعابين ذو سم قاتل للحيوانات الصغيرة ، وليس من المحقق أنه قاتل للإنسان ، وتعيش الحيات في الصحاري ولونها مصفر كالرمل وعليها بقع داكنة اللون وتتميز بوجود توين صغيرين كالقرون على رأسها وتتغذى بالقرآن والحيوانات القراضة الصغيرة التي تجدها في تلك المواضع كالجر بوع مثلا ، ويبلغ طولها نصف متر أو أكثر قليلا (انظر شكل ٦ في الصفحة التالية)



(شكل ٦ - رسم الحية المقررة)

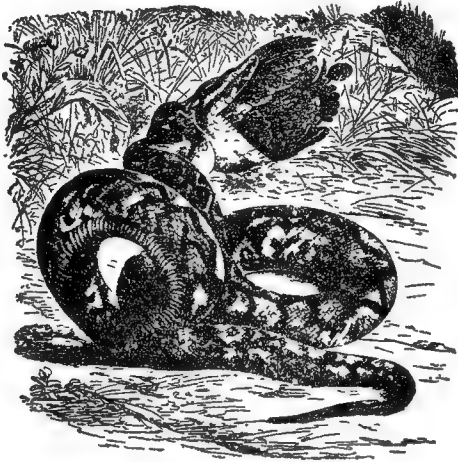
(٣) « الثعبان ذوالجرس » واسمه العلمي (كرونالوس أتروكس) يوجد هذا النوع من الثعابين السامة في أمريكا ويمتاز بذيبة القدي يغطي طرفه بعدد من حراشيف قرنية جافة ومستديرة تحدد ريشا عدا احتكاكها ببعضها أثناء سير الحيوان (انظر شكل ٧)



(شكل ٧ - الثعبان ذوالجرس بالحجم الطبيعي)

(٤) « الثعبان الأرقم » واسمه العلمي (رامييس دياديماس) . هذا الثعبان غير سام وكثير الانتشار في جميع القطر ولونه العام في سطحه العلوي رملي مائل الى الاحمرار وعليه بقع ذات لون بني ، أما سطحه السفلي فذو لون أصفر ، ويسكن في الجهات الجافة فيكثر وجوده في الحفر العميقة بجوار الاهرام وعلى حدود الدلتا القريبة من الصحراء وفي الدلتا نفسها في المناطق الجافة الحالية من المروعات ، ويوجد هذا الثعبان دائما مع الحواة و يبلغ طوله (١٣٠) سم تقريبا ويتعدى بالبران والحيوانات القارصة الصغيرة

(٥) (البيتون) هو أكبر أنواع الثعابين إذ يبلغ طول بعضها تسعة أمتار أو عشرة ، وتوجد في كثير من المناطق الحارة في أفريقيا وآسيا وهي غير سامة . وتقتل فريستها بكونها تلتف على جسمها وتضغط عليه حتى تموت الفريسة . وتوجد بهذا الثعبان أمار الأرجل الخلفية تحت الجلد كما سبق القول (انظر شكل ٨)



(شكل ٨ - بيتون أحريق يتلع دجاجة)

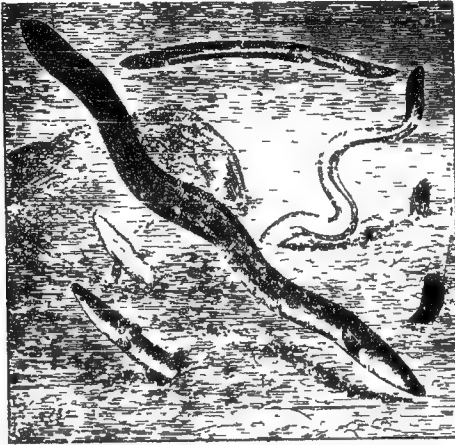
﴿ الفصل الخامس في ثماين السمك ﴾

الأسماك حيوانات مائية تحورت أجسامها بشكل خاص يساعدها على معيشتها الدائمة في المياه ولواستئثنا الأسماك المفرطة كسمك موسى لوجدنا بقية أنواع الأسماك كلها قريبة الشبه بعضها من بعض . لجسمها يشبه القارب ومغطى بقشور متصلة بالجلد من جهة واحدة وسائبة من جهاتها الأخرى . وتغطي القشور بعضها بعضا وكلها في اتجاه واحد . وهذه القشور من أهم مميزات الأسماك كما أن الخراشيف من مميزات الزاحفات والريش من مميزات الطيور . والشعر من مميزات الحيوانات الثديية

من ثماين السمك نوعان : أحدهما يعيش في أنهار أوروبا وشمال أفريقيا ، ويعرف بشبان السمك الأوربي الأفريقي واسمه العلمي (أنجلا أنجلا) ويعيش الآخر في أنهار الولايات المتحدة التي تصب في المحيط الأطلنطي واسمه العلمي (أنجلا كريبيا)

ويوجد ثعبان السمك بمصر في الليل وانزع المارحة منه كميات كبيرة . وهو حيوان اسطواني ذو جلد أملس أى لا قشر عليه ولون ظهره أحضره ثم ونطه بجاني وفيه مقدمة الرأس وبسبكه أسنان حادة فاطمة . ويتغذى الثعبان من اللحوم أى انه يأكل الحيوانات المائية التي يتمكن من افتراسها كالأسماك الصغيرة والصنادع والديدان وغيرها . ويختلف طول الثعابين من (٥٠) الى (١٠٠) سنتيمترا . فالتصيرة

في الطول عادة هي التي تعيش بالقرب من مصب النهر وهي الذكور عادة . أما التي تعيش في أعلى النهر فتكون طويلة وهي الاناث . وهذه الأسماك ليلية أي انها تختفي بالنهار بأن تدفن نفسها في الطين أو بين الأحجار وتخرج بالليل باحثه عن غذائها (انظر شكل ٩)



(شكل ٩ - ثعابين السمك ويشاهد بعضها مدفوناً في الطين)

ولا تناسل الثعابين أصلاً في الأنهار كثيفة الأسماك النهرية ومع ذلك فانه يوجد بها كميات كبيرة لا تقل سنة عن أخرى ، وكذلك فانه توجد بين الكميات التي تصاد أفراد كبيرة وأخرى صغيرة ، ويلاحظ في الوقت نفسه أن الثعابين الكبيرة تنأخر من النهر إلى البحر ، أما الصغيرة فتصعد من البحر إلى النهر ويتم نمو الثعابين عادة بعد مدة تتراوح من أربع سنين إلى سبعة ، وفي هذا الوقت يتغير لونها في السطح العلوي من أحمر إلى لون مائل للأحمر ، وفي السطح السفلي من سحبابي إلى أبيض فضي ، ويكون ذلك في فصل الخريف ، وعند ذلك تترك النهر محتفظة في عدد كبير متجهة إلى مصبه ، وفي المساء عدة تنزل إلى البحر فتعوم بشاطئ وتبدأ رحلة طويلة تسمى "بوغار" (جبل طارق) إلى المحيط الأطلنطي وتعتبره إلى جزائر برمودة القريبة من سواطي الولايات المتحدة فمصلها في الشتاء ، وتقوم ثعابين أنهر أوروبا الغربية بنفس هذه الرحلة

وتند وصول الثعابين إلى نهاية رحلتها بحرية الطويلة يكون قد تم نمو أعصابها التأسلية فتضع اذنان بيضا في الماء وتفرغ كذلك الذكور مادتها المنوية في الماء أيضا فيتم تخصب البيض بهذه الطريقة وتضع الأنثى كميات كبيرة من البيض تبلغ المليون أو أكثر

أما مصير الذكور والاناث بعد ذلك مجهول ، ولكن الأرجح أن مصيرها الموت كما هي العادة عند بعض الحيوانات ، وعند ما يفتس البيض يخرج منه الصغار المعروفة باليرقات فتبدأ سياحتها راجعة في الطريق التي أتت منه أنوارها ، وتعد في طريقها بالحيوانات المائية الدقيقة ، وفي الوقت نفسه تكون هي معرفة

لاقتراس كثير من الحيوانات البحرية ، وتستغرق سياحتها في الرجوع كما يقال سنة ونصف أو سنتين
وبما يدل على أن قيلم الثعابين الثلاثة القوي هذه السياحة من الأنهار الى المحيط ورجوع برقتها من المحيط
الى الأنهار فعل غريزي هو أن يرقط ثعابين السمك الأمريكية لارجع إلا الى الأنهار الأمريكية التي تربي
فيها أبولها ، ولا يوجد ثعابين السمك الأمريكي في أنهار أوروبا ولا أفريقيا وكذلك الحال مع الثعابين الأوروبية
الافريقية ، وعند ما تصل لليرقات الى مصب النهر يكون ذلك عادة في أواخر الخريف أو أوائل الشتاء ، ويبلغ
طولها في هذا الوقت تسعة سنتيمترات ، فتسعد النهر ويمش بعضها بالقرب من مصبه وهذه تكون عادة
ذكور المستقبل ، أما التي تصعد الى أعالي النهر فتكون أنثى المستقبل وهي التي يبلغ طولها عند نهاية نموها
مترا قريبا

لما الباعث لهذا الحيوان على تنقلاته الغريبة من النهر الى المحيط للتوالد ومن المحيط الى النهر لتنمو فلا يزال
غامضا وكل التفسيرات التي كتبت في هذا الشأن ليست شافية

﴿ الفصل السادس في دودة الأرض ﴾

اعلم أن الناس يعيشون ويموتون وأملهم جمال وعلم وحكمة ولا يدرون ماهي ، لقد كنا أيام الطفولة
نتوجه الى شواطئ البحار مع الأطفال ونبحث عن العلق في الأرض فستخرجهم ونضعه في الشمس (الصنارة)
ونصطاد به السمك ونحن لانقل ولا أبأونا ولا اخواننا لم خلق الله هذا العلق ؟ الله أكبر ! فأرانا العلم أن
هذا العلق يصل عدده في القدان الواحد كما ستره الى (٥٣) ألف دودة جعلت في الأرض لتحرمها حوثا غير
حوت الانسان . إذن المسلم اذا عاش ومات وهو لا يعرف عجائب هذه الدنيا فقد كفر نعمة الله ولم يشكرها
ومن كفر النعمة حرمها . وهذا سبب ضعف المسلمين . إذن فلا سمعك الكلام على دودة الأرض من كتاب
« علم الحيوان » وهذا منه :

(١) - ﴿ دودة الأرض ﴾

توجد ديدان الأرض بعدد وافر في الأراضي مهما كان نوعها غير أنه يلزم أن تكون رطبة لأن الرطوبة
من ضروريات حياتها وانجفاف قتال لها . ولذلك ينسر وجودها في الأراضي الرملية والصخارية . ويكثر
وجودها في الأراضي المغطاة بالنباتات والخضراوات إذ تقيها حرارة الشمس وذلك كلتي أرض الجنائن عادة

﴿ شكلها الخارجي ﴾

ديدان الأرض اسطوانية الشكل ويبلغ طولها ١٥ سنتيمترا قريبا وطرفها رقيقان ولكن الأمامي
منهما أرفع من الخلفي وجسمها مقسم بخطوط عرضية الى حلقات يتراوح عددها ما بين ١٢٠ و ١٨٠ حلقة ،
ولون الجسم قرعقلى وعليه أشواك صغيرة متجهة الى الخلف لتساعد على الحركة دائما الى الأمام وهي أربعة
أزواج في كل حلقة زوجان منها في كل جانب من الجسم . (انظر شكل ١٠)

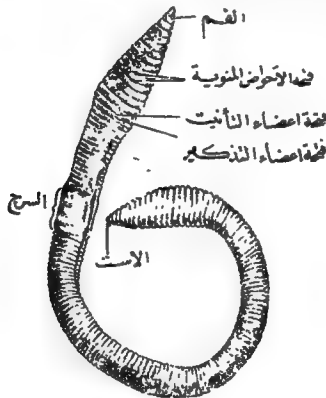


(شكل ١٠ - دودة الأرض بالحجم الحقيقي)

تغطي دودة الأرض بجلد لين رطب غاطي ويشاهد بالسطح العلوي للدودة انتفاخ بسيط واضح في الديدان

التامة فهو يعرف بالسرج ويمتد من الحلقة الثانية والثلاثين الى السابعة والثلاثين وبه غدد تفرز مادة مخاطية لصنع الكيس الذي تصع البودة فيه بيضا . وتوجد بالجسم عدة فتحات نذكرها باختصار فيما يلي

- (١) الفم فتحة صغيرة بأسفل الحلقة الأولى
- (٢) الاست فتحة يضيئة في الحلقة الأخيرة من الجسم
- (٣) الفتحات التناسلية أربعة أزواج وهي :-
- (أ) الوعا آن الناقلان الآتيان من الخصى يفتتحان على جانبي الحلقة الخامسة عشرة
- (ب) قناتا البيض الآتيتان من المبيضين يفتتحان على جانبي الحلقة الرابعة عشرة
- (ج) للبودة أربعة أحواض منوية لتخزين السائل المنوي الآتي من فرد آخر ولها أربع فتحات على جانبي الحلقيتين العاشرة والحادية عشرة
- (٤) على جانبي كل حلقة من جسم البودة ماعدا الثلاث حلقات الأولى والحلقة الأخيرة فتحتان بولينان آتيتان من الكليتين . (انظر شكل ١١)



(شكل ١١ - دودة الأرض مكبرة)

(عاداتها وغذائها)

تميش ديدان الأرض في الأفاق التي تعملها في الأرض . وكيفية ذلك أنها تأكل جزءا من الطين لكي تفصح لنفسها مكانا ويساعدها على ذلك دفع جسمها الى الأمام . وتكون هذه الاتفاق عمودية عادة . وتمشي الديدان فيها أثناء النهار الا اذا اضطرها للمطر الغزير الى مغادرتها وعند ذلك تهجرها مرغبة وتشعر في عمل غيرها . وتنشط الديدان أثناء الليل إذ تخرج وتتجول على سطح الأرض باحة عن غذائها أو ألبها . وكثيرا ما ترى آثارها على الطرق والجسور المبللة بهرياق الصلح . وبالرغم من أن الديدان عديدة الأعين نجد أنها حساسة للضوء وتجنبه اذ تعرضته . تخرج الديدان بالليل باحة عن غذائها وأفضلها الأوراق والأزهار المتساقطة إذ عند ما تعثر بها تقبض عليها وتسحبها الى أفاقها لتتغذى بها . وتتغذى كذلك ببلور النباتات التي تجدها في التربة والكائنات الأخرى كعض الجراثيم وبويضات الحشرات والديدان الصغيرة حبة كانت أو ميتة .

وتسكن في الديدان في الأراضي غير المزروعة بالمادة العضوية التي تستخلصها من الطين الذي يتصلبه
(التواله)

ديدان الأرض خنثى ولكنها لاتلقح نفسها بل يحصل التلقيح عادة بين فردين وذلك بأن تضع الديدان
سطحيهما السفليين مقابل بعضهما على أن يكون رأسهما في اتجاهين مختلفين . وعند ذلك تمر المادة المنوية
من كل منهما وتدخل في الأحواص المنوية للأخرى حيث تتخزن بها . (انظر شكل ١٢)



(شكل ١٢)
ديدان في حالة
الاجتماع التناسلي

وبعد هذه العملية تنفصل الديدان وتفرز كل منهما من السرج مادة
زلالية قرنية يتكون منها حزام عرضي يحيط بجسم الوددة في هذا الموضع .
وعند ذلك تنسحب الوددة من هذا الحزام الى الخلف وعند ما يصل الحزام الى
الحلقة الرابعة عشرة تنزل فيه الوددة بضع بويضات وعند ما يصل الى الحلقة العاشرة
تنزل الوددة في الحزام كمية من المواد المنوية . وعند انسحاب الوددة منه نهائيا
ينسد طرفه فيصبح يشكل حوصلة محتوية على بضع بويضات . وقليل من
الحيوانات المنوية كلها مضمورة في سائل ليني مفذ يحتمل أن تقوم بالفرازة غدد
جلدية وفي تلك الحوصلة تنحصب البويضات وعند نفسها تخرج الأجنة وتتغذى
بالسائل اللبني حتى اذا ما تمت قليلا خرجت من الحوصلة لتعيد تاريخ حياتها .
ولا يخرج عادة من الحوصلة إلا جنين واحد يشبه الوددة البافعة بضع الشبه وتضع
الديدان بيضها عادة أثناء فصل الربيع والصيف ولكنه قد يستمر طول العام

٥ الأهمية الاقتصادية للديدان الأرض

(أولاً) تستعمل الديدان طعاماً في ميد الأسماك إذ يبعث عنها الصيادون على جانبي الترع تحت الأشجار
والمواسير وغيرها .

(ثانياً) ديدان الأرض غذاء مهم لكثير من الطيور .

(ثالثاً) تؤثر هذه الديدان تأثيراً عظيماً على حياة النبات وذلك انها تتجول في الأرض فتفككها وبذلك
تكون عملاً مهماً في نموها وتسميتها وتساعد كذلك جذور النباتات على التعمق فيقوى النبات ويكبر
لاتساع دائرة غذائه

(رابعاً) عند ماتاً كل الديدان الطين تحدث بمواد المعدنية والعضوية تحليلاً يجعلها أكثر صلاحية
لتغذية النباتات

(خامساً) تقلف الديدان الطين بعد مروره في جوفها على سطح الأرض و يجعلها هذا تعرض الطبقات
السفلية من التربة الى المؤثرات الجوية فكأنها تقوم بعملية حوائط بطيئة

(سادساً) بما أن هذه الديدان تسحب كثيراً من أوراق النباتات تحت سطح الأرض فبذلك تزيد في
خصوبتها عند ماتتفن هذه المواد العضوية

ولما تحقق الاستاذ تشارلس دارون من قوائمه اعني بأمرها وأجرى تجاربه العديدة لاكتشاف مقدار
ما تسببه هذه الديدان من نفع غير مباشر للانسان فقال (كانت هذه الديدان بمثابة المحراث الطبيعي
للأرض قبل أن يخترع الانسان محراثاً لأنها تؤدي عمله الا أنها أبطأ منه . ومنها في القدان الواحد
من أرض الجنائن نحو ٣٥ ألف دودة يمر من أجسامها عشرة أطنان من التربة في السنة وهذا القدر كاف لأن
يغطي سطح أرض القدان الواحد بطبقة سمكها نصف سنتيمتر)

لهذه الديدان مقعدة غريبة على تجديد أجزائها المفقودة . فخلا اذا قطعت السمودة الى قسمين أثناء عزبي
الأرض يعيش كل جزء مستقلا وبغى الجزء المفقود منه فخلا ينجو لقسم الذى به الرأس جزء خلقي

(٢) - ﴿ الملق ﴾

الملق ديدان مائية تعيش فى المياه العذبة فى البرك والمستنقعات وبعضها فى الأرض الرطبة . وهى
حيوانات طفيلية تعيش على السم الذى تمتصه من الحيوانات التى تعثر بها وجسمها خال من الأشواك وتعلق
بمائلها بواسطة مصبيح موضوعين على طرفي جسمها ويساعدانها أيضا على الانتقال حيث يلاحظ ذلك عند
حركتها بتثبيت الواحد منهما قبل رفع الآخر . وهذه الديدان خنثى وتضع بيضها فى أكياس تصنعها لهذا
الغرض وأهم أنواع هذه الديدان هو الملق الطير

أقول : أفليس من المدهش أن ترى فى فداننا خمسين ألف محراث تحوت أرضنا قبل أن يضع ابن آدم
محراثه فى الأرض ، وأليس مما يدهش أن ترى ماهو خيفى نظر الجاهل عظيم فى نظر العالم ! وأن هذا السمود
الذى كنا نستخرجه لنصطاد به السمك هو أئمن وأغلى فى العلم من القصب والفضة لأنه به سعادتنا إذ هو
يعين على نماء زرعنا ، ولامعنى للذهب والفضة إلا بعد أن يكون عندنا مزارع نأكلها فلذا عدت الزروع
فأى معنى للذهب أو الفضة أو الأحجار الكريمة ، الذهب للعامل فى البيع والشراء وإذا لم تكن حياة بالغذاء
فأى بيع وأى شراء ، والأحجار الكريمة للزينة وأى زينة لمن عاش وهو جائع لا يجد فى جوابه مضفة . إذن
الحياة مأودة بالجهالة . إذن الموت خير لى آدم حتى يتخلص من هذه المماراتى فيها قلبت الحقائق الى دار أخرى
لتعرفهم تلك الحقائق بعد تمام البحث للممكن هنا . انتهى الكلام على الفصل السادس

﴿ الفصل السابع فى الكلام على الحداة ﴾

الحداة طير يعرف عند العامة بالحداية وهو من الطيور الجارحة واسمه العلمى (ملفوس اجنيوس) وهو
منتشر فى كل القطر المصرى ولكنه لا يوجد فى مناطق الاسكندرية وبور سعيد والسويس ووادى النطرون
الامتجولا . وهو كثير فى مديرية الفيوم

ويبلغ طوله نحو ستين سنتيمترا وطول منقاره نحو أربعة سنتيمترات والنصف الأعلى من المنقار منقوس
الى أسفل كمنقار كل الطيور الجارحة . ويبلغ عرض الطير وهو باسط جناحيه نحو ١٣٠ سنتيمترا . ولون رأسه
ورقبته أبيض رمادى يكون فيه شئ من الاحمرار فى أعلاهما . والخط المركزى لكل ريشة فيهما أسود ولون
الريش فى أعلى جسمه قاتم . والريش الرئيسى فى الجناحين أسود . والذيل مشقوق ولونه قاتم مائل الى الحمرة
فى أعلاه وأهت فى جنبه وفيه نحو عشرين ريشات . ولون المنقار أصفر ويشاهد أن الحداة التى لم تبلغ أشدها يكون
منقارها أسود وذيلها غير مشقوق ويكون لون أعلى رأسها ورقبته لونا أصفر يشبه لون الرمل .

وكل من القدمين ينتهى بأربع أصابع وكل أصبع بمخالب حاد منحرف قوى والأثنى أكبر من الذكر
فى الحجم قليلا

ويعيش هذا الطير على الأشجار العالية فى القرى وفى المدن ويصنع عشه من أفرع الأشجار الجافة
ينظمها على شكل حفرة ويغطيها من الداخل بالحشائش الجافة وورق الأشجار والورق الصناعى وبعض الخرق
البالية وفى بعض الأحيان تحتل الحداة عشا مهجورا لطير آخر (مثل السقر)

وتظهر علامات التنبه الجفسي فى شهر مارس حيث يطير الذكر والأثنى متتابعين متلاعبين فى أعلى الهواء
راسمين دوائر كبيرة القطر متتابعة على شكل حلزوني غير منتظم . وأثناء ذلك تكاد تكون الأجنحة ثابتة

ولا يشاهد فيها إلا بعض حركات نادرة . فالطير يحلق في الجو مستعينا بسطح جناحيه الواسع ومستعملا ذيله في الاتجاه . ويشاهد الانسان إذا لاحظ الحدأة وهي طائفة بجناحيها منبسطين أنها ترتفع فجأة في الهواء إلى المنطقة أعلى دون أن تقوم بأدنى مجهود وسبب ذلك أنها تصادف في سيرها تيارات الهواء الساخن الصاعد من الأرض فتزفعها إلى أعلى

وتبيض الأتني نحو ثلاث يوانات ترقد عليها وحدها ويأتي الذكر إلى الأتني بضائها أثناء ذلك وبعد قس البيض تبقى الصغار مدة طويلة في العش ثم حين تطير تبقى مدة أسابيع عالة على أبويها متغذية بما يأتیان به إليها منه . وصوت الحدأة العادي مخالف لصوتها وقت التفريخ

ويأكل هذا الطير صغار السباج والبط والأوز ويأكل أيضا الجردان والضفادع والثعابين والسحالي ودود الأرض والحشرات ولا يحجم عن أكل الرم

ولم تكن شرارته كبيرة في اقتراس صغار الطيور المنزلية لكان من أهم الحيوانات المفيدة للانسان بأكله الجردان والحشرات الضارة وهو من أفيد الطيور في المدن المصرية لأنه ينقي الشوارع من الرم ومن بقايا الحيوانات وينقي الأسطح من كل بقايا للأكل ومن فضلات للطايع التي تخرج عليها

وهذا الطير بطيء الطيران ولأنه يطير عاليا وله كثير من السهام . وحلته النظر عنده نامية جدا كما يشاهد ذلك من يتبع حركته فعندما يسقط فجأة من أعلى منزل مرتفع على قطعة من بقايا لحم الجزارة لمقااة في الشارع هذا ما أردته من كتاب « علم الحيوان » وإلى هنا تم الكلام على القصول السبعة والحمد لله رب العالمين كتب في أول أغسطس سنة ١٩٣٠

(خاتمة في الحيوانات النافعة)

أذكر كأيها القارئ بما ذكرته في (سورة يوسف) من أني كتبت في مجلة « اللامجي العباسية » مقالة في الطيور فخصرتها الحكومة ثم حوت صيدها ، وأنى كتبت في (سورة طه) آخر رأي للحكومة المصرية في الطيور النافعة التي يحرم صيدها وهي :

(القنبرة . وعصفور التين . وأبوفصاده . والقللاق . والشحنوت . والجليل . والكروان . والسنونو . والزرزور . والنخلة . والزريقه . والحسيني . والدح . والسكركي . والوروار . والبشون . وأبوقردان . وعصفور الجنة . والهدند . والببليل الصغير . والخطاف . وأبو بليته . وأبو اليسر . والزقراق مطوق . والزقراق البلدي . والغراب الزيتوني . وأبوصدر (أبو الحناء) والجيزه . والصعور . والحزار . والقمحية . وأم الهوى . وزقراق شامي)

هذا ما ذكرته هناك ، فلنزد عليه ما ذكرناه هنا وهي السحلية والبرص وغيرها من كل حيوان قاتل للحشرات كالعنكبوت

فيا سبحان الله : أليق أن نعيب في دورنا ونحن نجهل ماحولنا . هأنذا في العقد السابع من حياتي ولا علم لي أن البرص يأكل الصرصار وغيره إلا في هذا الشهر فأخبرت أهل المنزل بذلك وقد كانوا متشائمين منه ظانين انه صار لانا فغنموا عنه الأذى

اللهم إن جهل هذه العلوم من أكبر ما أضرت بالأمة الإسلامية ، وهذا ولقد تقدم في (سورة طاهر) عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ أنى ذكرت هناك أن الجراد هجم على مصر أيام طبع تلك السورة وكتبت في جريدة الاهرام أن الجراد تجارة رابحة وأنه يصير زيتا نافعا في الطيارات ، وأن الجراد الهاجم على بلادنا إذا ابتاعه كان نعمة عظيمة وقته ينفع طعام البهائم ، ثم أرسلت الحكومة البلجيكية خطابا

للحكومة المصرية تطلب منها ذلك الجراد فلم ترد عليها . وهاك ما جاء في جريدة الاهرام عند طبع هذه السورة يوم (٨) أغسطس سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

(تجارة الجراد في بلجيكا)

والسبب للحصول على مقادير كبيرة منه للصانع . عدم اكتراث الحكومة بما كتب اليها بشأنه منذ أسابيع كتب جناب قنصل البلجيكي في الاسكندرية كتابا الى الحكومة المصرية لمناسبة اهتمامها بمعالجة الجراد يقول فيه مأموداه : « إن في بلجيكا مصانع خاصة تستخدم الجراد لأغراض صناعية : وقال إن بلاده على استعداد لشراء أى مقدار يقدم اليها من جماعات هذا الطير المضر بعد قتل أرجاله » (كذا) ويظهر أن السلطة التي كتب اليها بهذا الشأن لم تهتم بالأمر كثيرا ، ويقال انها أهملت الطلب حتى انها لم ترد على كتاب القنصل بكلمة

وقد فهمنا الآن أن أحد البيوت المالية البلجيكية الكبيرة في الاسكندرية علم أن العراق مازال بحارب الجراد في بعض أرجائه فجعل يسعى للحصول على مقدار منه من تلك البلاد لا يقل عن مئة طن . وهناك شروط معينة لتوريد الجراد أخصا انه يجب على المورد أن يضع الجراد بعد قتله في الماء الحار نحو (١٥) دقيقة وتوضع في الماء كمية من الملح . وبعد ذلك يؤخذ الجراد ويفرش على الأرض أربعة أيام ثم ينظف ويوضع في أكياس أو صناديق ويشحن الى (ميناء أفرس) حيث يتسلمه الطالبون

ولاندرى لماذا لم تهتم السلطة المصرية ذات الشأن بما كتبه اليها القنصلية البلجيكية في هذا الموضوع في أثناء محاربة الجراد في الأراضي المصرية أليم كان الأهالي يهلكون أرجال هذا الطائر ويتلفون كل ما يجمعه منه . وقد كان بالإمكان بيع مقادير كبيرة منه لمصانع البلجيكي بواسطة القنصلية البلجيكية والسكرتير البلجيكي . ولو أن الأهالي كانوا يعرفون أن الجراد فوائد صناعية وأن هناك مصانع تطلبه لاحتسوا هم بالأمر وبأموالهم مئات الأطنان وربحوا منه المال الوفير

عسى أن لا يأتى الجراد الى مصر مرة أخرى والبلاد في غنى عن هذه التجارة . ولكن اذا الأقدار ساءت الى مصر جرادا في وقت من الأوقات فيجب أن يكون مفهومنا أن في أوروبا مصانع تحتاج الى ما يقتل من هذا الطائر المضر بالزراعة . انتهى

هذه حال حكومتنا المصرية التي لها في الحكم تحقرن وثقل وهؤلاء حكامها يتباطئون في منفعتها فبالك أيتها الذكي بفبرها من حكومات الشرق المتأخرة . الأقليم التعليم النافع بلاد الاسلام فلا يكون تعليما قسريا إن بعض الحكام في البلاد الشرقية ليس عندهم تهذيب تام ولا عشق للعلوم . إن من عشق العلم يحب الأمة والفضيلة ومن خلا من عشق العلم انصرف همه الى شهواته ففاس خادما لها بحيث تكون جميع أعماله موجهة الى هذا الغرض وحده فلا يبالى برقى الأمة وسعادتها والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو العزيز الحكيم . كل الأمر راجع للتعليم والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة الأحد ١٠ أغسطس سنة ١٩٣٠

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى أيضا - هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه - الى قوله تعالى - فانما يقول له كن فيكون - مع ملاحظة آية - خلقكم من نفس واحدة - مع قوله - ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأتى تصرفون - التي في سورة الزمر الى قوله هناك - فينبشكم بما كنتم تعملون - وقوله فيها - خلق السموات والأرض بالحق - الى قوله - ألا هو العزيز الغفار -)

هذه الآية أولها وحدة النفس التي منها خلقت نفوسا كثيرة وفي آخرها وحدة الله تعالى . ولا جرم أن الوحدة الأولى تمثل على الوحدة الثانية وهذه من أعجيب القرآن . يقول الله - خلقكم من نفس واحدة - وخلق من هذه النفس نفسا أخرى . ومن هاتين النفسين خلق نفوسا وهكذا . فالوحدة مبدأ الكثرة وذلك كالعدد أسه الواحد وبانضمام آخر إليه ابتداء العدد لأن العدد يفهم منه التعدد ولا تعدد في الواحد . واعلم أن العلوم الحديثة المنقشرة في كرتنا الأرضية هي التي تفهمنا سر هذه الآية . ألا ترى ربك الله أن وحدة الانسان ظاهرة بأن له روحا وهذه الروح تتصرف في جسمه وفي جميع أعضاء الجسم وأعضاء الحركة وهي متعددة . ومن عجب أن هذه الوحدة الظاهرة في الروح المتصرفة في الجسم ظاهرة أيضا في ملكة النحل وبنودها منه . وفي ملكة الأرض (جمع أرضه) يوزن سمكة للموسمين في أول سورة سبأ . والموسمين أيضا في سورة النحل إذ قلت ان هذه الآية تفسرها العلوم الحديثة . أقول لك أيها القارئ أرجع فاقرا ما كتبتنه على النحل في ﴿سورة النحل﴾ وفيما كتبتنه على الأرض في ﴿سورة سبأ﴾ ثم أزيد عليه الآن فأقول :

هاهم القوم في أوروبا مضطوا على الزر في أوروبا فأوقدوا المصاييح في استراليا ، فذلك على أن هذه العوالم كلها متصلة اتصالا وثيقا ، ولقد تكلم السياحون وهم فوق القطب الجنوبي في هذه السنة (١٩٣٠) مع من هم في الممالك المتحدة بطريق البرق الذي لاسلك له ، إذن هذا الجوك كله ملأه بالأسرار مغم بالأنوار موصل جيد للأخبار

إذا علمت هذا فلتعلم علما ليس بالظن أن ملكة النحل وملكة النمل وملكة (الأرض) يوزن سمك متصلات مع رجليها بواسطة هذه الأسرار الخفية في الأثير وهي مع ملكتها كأرواحنا مع أعضائنا ، فإذا وصلت أعضائنا أخبارا حواسنا إلى داخل أجسامنا ، وأوصلت أعضائنا أخبارا ملاذنا وأماننا إلى المخ وهو وصله إلى أرواحنا فإن الجرح وما فيه من الأثير موصل بالأعصاب فيه ، فكما وصل أخبار من وصلوا إلى القطب الجنوبي لمن هم في الممالك المتحدة ووصل تيلر للنور من أوروبا إلى استراليا في لمح البصر بمجرد الضغط على الزر بسر الراديو ، هكذا وصل الأثير أخبار ملكة النحل إلى جماعها فكان منهم المريية للزيرة والجامعة للصقل والشع والتي تقف على باب الخلية حتى لا يدخلها أحد ، ووصل أخبار ملكة النمل كما تقدم في ﴿سورة النمل﴾ فكانت ملكتها كأرقى ملكة في العالم ، فهنّ الديدان والعامل الصغير والجندى والضابط والمرابي للزيرة كما تقدم في سورة النمل ، وهناك ترى مزارع النمل المنظمة البهجة مرسومة موضحة ، فهل يكون ذلك النظام وتلك الطاعة المدهشة تحت أمره الملكة بلا خطاب منها ولا تفهم ؟ كلا . والموصل هو العالم الخفي في الأثير تباركت ربنا وتعالى ، أنت جعلت الوحدة فينا أي وحدة أرواحنا ، وهذه الوحدة في أرواحنا جعلت قوتنا وأعضائنا فكانت عالما واحدا ، وجعلتها نموذجاً تفهم به وحدة ممالك النمل والنحل وممالك الانسان بل ملكة الأرض والمجرات والعوالم كلها كلهنّ متصلات اتصال أعضائنا بأجسامنا التي تقودها أرواحنا واتصال ممالك النحل بملكاتها وممالك النمل كذلك والأرض (يوزن سمك) كلهنّ خاضعات للملكاتهنّ خضوع أجسامنا لأرواحنا ، هكذا العوالم كلها يا الله خاضعات متصلات متعدّات مرتبطات ارتباطا وثيقا وأنت المدبر لها ، وقد ضربت لنا مثلا تفهمه من أنفسنا ومن ممالكنا ومن ممالك النحل والنمل - وثق المثل الأعلى في السموات والأرض - . فإذا دبرت الروح الجسم ودبرت ملكات النحل ممالكها ودبرت ملكات النمل ممالكها وخضعت هذه الممالك كلها لواحد دبرها ، فهاهي هذه ملكتك خاضعة لك دبرتها وأنت واحد

بهذا نفهمنا - ما خلقكم ولا يشكم إلا كنفس واحدة - وفهمنا قولك - خلقكم من نفس واحدة - وقولك في أول سورة الرعد - ذلك الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأتى تصريرون - أي فكما لا قدرة للأعضاء

على مخالفة الأرواح ، ولا لأفراد النحل عن الخروج عن أمر ملكاتها . ولا لأفراد النمل عن الخروج عن أمر ملكاتها . هكذا نوع الانسان لاطاقة له أن يخرج عن النظام الأقدس وهو التوحيد الذي أمر به وهو ملزم أن يدرسه ويسير على منواله ويطيع خالقه غاية الأمر ان طاعة الأعضاء الروح وطاعة أفراد النمل لملكاتها وطاعة أفراد النحل لملكاتها وطاعة الأرضات (بوزن سمكت) غريزة طبيعية . وطاعة الانسان ربه يجب أن يكون بالتعليم والتهديب لاغير . انتهى صباح يوم الاثنين (١٥) سبتمبر ١٩٣٠

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - الله الذي جعل لكم الليل - الى قوله - فاعلموا ان الله لا يفترون -)
بله في هذه الآيات :

(١) ذكر الليل والنهار ، وبيان أن الله له فضل على الناس بتعاقبهما ، وأن الناس قل شكرهم على هذا الفضل

(٢) بيان أن الله خالق كل شيء بمناسبة تعاقب الليل والنهار ، وأن ذلك عمل اعتبار فمن صرف عنه فهو خاسر

(٣) بيان أن الأرض جعلت لنا قرارا والسماء بناء ، وأن صورنا حسنة ، ورزقنا طيب ، فاعلموا تعالى كثير البركات والخير وهو حي فوجب حمده والاخلاص له وترك عبادة غيره والتسليم له هو

(٤) بيان نظام خلقنا وتدرجه في النشوء

(٥) بيان حياة كل حي وموته وتعاقبهما

في هذه المسائل الخمس تدخل العلم الإلهي في العلم الطبيعي والفلكي ، فاعلموا الفلك في عدد (١) ان تعاقب الليل والنهار واختلافهما يترتب عليه اختلاف الحرارة والبرودة في الأقطار . إذن هو الأصل وما بعده من أن الأرض قرار وأن صورنا حسنة ورزقنا طيب وارتماؤنا في الحياة من تراب الى نطفة الى علقة وتعاقب الموت والحياة علينا كل ذلك فروع . إذن العلوم الطبيعية خاضعات لتأثر الأفلاك ، فهنا علمان : الرياضيات والطبيعات . وهي فروع جمة واضحة في ثانيا هذا التفسير ، وقد تدخل ذلك العلم الإلهي لأن نوعي الرياضيات والطبيعية لاثباتهما إلا بدبر للعالم ، فلذلك تجد يدكر في اثباتهما ، فقد قال قبل ذكر علم الفلك ادعوني أستجب لكم وحذرهم من الكبر وخوفهم من جهنم . ثم يتدخل الكلام على العلمين اظهار فضله على الناس وتبين انه هو الخالق لكل شيء أي فليست هذه العلوم منفصلة مفككة العرى بل لها من يحفظ كيانها . وأخذ يذم المجاهدين لأن الحركات للمنظمة لها منظم . وإذا كان هذا العالم مملوءا نشاطا وحياة فمن أين أتت هذه الحياة إلا من أن الخالق حي ؟ أفلا تخشون الله يا أولي الألباب ؟ فاعلموا بالاطمئنان من هذه الامراض عن سواه

أليس هو الذي يتحكم حالا بعد حال في الخلق بل يخلق الموت والحياة فيكم وفي غيركم . إذن في هذا العالم حركات هائلة ليل ونهار وموت وحياة وأرض وسما وصور حسن في الانسان مشتقة من تراب لاهية فيه . هذه نبذة عامة في مجمل هذه الآيات . فهل لك أيها الدكي أن تسمع ما أقبح عليك الآن من نبأ العمران في هذه الأرض المبني على الفلك لتعلم أن الاجال في آيات القرآن يعوزه التفصيل . إن الوقوف عند حفظ القرآن جهل عظيم وفهم للمعنى الغنظي والوقوف عنده غرور وموت . وقب المسلمون غالبا عند ظواهر الألفاظ وانما . لا أيها المسلمون . هذا لإجمال أما التفصيل عما يكون بجميع العلوم وليس . يعني هذا أن المسلم قرأ جميع العلوم تفصيلا . كلا . بل يختص كل جماعة بعلوم خاصة وإذا ن يستخرجون منافع أرضهم ويحجون بهم ويرتفع شأنهم في الدنيا والآخرة . إن الحرارة والبرودة في الأرض ترجع الى الليل والنهار ارتفاعا وانخفاضاً وعلى

مقتضاها يكون ظهور النبات والحیوان وتكاثرهما تارة وقتلها تارة أخرى وعدمهما بتاتا . النفس والحیوان والنبات موزعات على الأرض بقوانين كلها ترجع الى سیرانسمس . إن الله كما جعل التوسط في الأخلاق من شدة ولين والبر والصراط المستقیم هكذا جعل للمكان الذي يتوسط فيه وجود النبات على الأرض ويتوسط فيه الحر والبرد هو الذي يعيش فيه الانسان . أما المكان الذي كثر حرو ونباته أو المكان الذي كثر برده فهما لا يصلحان لسكنی الانسان . إذن القانون واحد قانون الأخلاق بالتوسط فيها وقانون سكنی الأرض . شحنت كتب البيانات وكتب الفلسفة بعلم الأخلاق . لماذا هذا ؟ لأن الانسان لا يعيش مع الناس إلا بمخاطبة متوسط فاذا تقال في الشدة أو تقال في اللين نبذ الناس في الأولى بالخوف منه وفي الثانية بضعفه . والنفس الانسانية لا تحب إلا الاعتدال . ذلك لأنك ستعرف قريبا كيف كان الانسان يستحيل عليه أن يعيش في الغابات الاستوائية لوفرة الحرارة فيها التي بها كثر النبات فطرد الانسان منها . ولا في الأقطار الباردة لكثرة البرودة التي منعت أكثر النبات والحیوان فلم يستطيع أن يعيش الانسان هناك . إذن الانسان عالم متوسط في خلقه وحياته . متوسط في أخلاقه . إذن هناك تناسب بين خلقه وخلقه والله حكيم عليم وستسمع قولا علما على الأرض وسكانها وغاباتها وبدائعها مما لم يسبق له نظير في هذا التفسير . وفيها ترى عجائب هذه الأرض وتعرف فيها ما لا يعرفه السامع حولها لأن السامع بعقله قد يعرف من التفصيل ما لا يعرفه السامع بحسبه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقیم

فقال صاحبي : قد شوقني الى ما تقول ولكني أريد أن يكون هذا المقال على سبيل المحادثة بيني وبينك حتى تتجلى الحقيقة واضحة ظاهرة ، أنت تريد شرح الحرارة والبرودة وما ترتب عليهما من الحياة على الأرض وهذه كلها فروع لأصل والأصل هو البنية الانسانية ، ذلك ان كل ما نزل من العلم على قلوب الأنبياء أو الحكماء أو العلماء إنما يراد به هذه الانسانية ، ولقد ذكرت أنت في تفسير البسملة في ﴿سورة ص﴾ ما ملخصه أن الانسان له أعضاء حس وهي الحواس الخمس وله أعضاء حركة وهي اليدين والرجلان ، وقد كان هذا أمرا عجبا ! وهل أعجب من أن خلق الانسان جعل مناسباً للعالم فكان العالم نسخته أو هو نسخة العالم ، أركان العالم شجرة وهو ورقها ، وقد تقدم في ﴿سورة يس﴾ في المقالة المنقولة من كتاب ﴿علام للجميع﴾ كيف كانت الشجرة صورة مكبرة لورقة ساقطة تحتمل في بعض الأشجار ، أو الورقة صورة مصغرة للشجرة التي سقطت هي منها ، ذلك ان الزوايا التي تتحدتها فروع عروق الورقة مع الخط المتوسط فيها (المشب في هذا التوسط فزار الظهر مع الأضلاع في الانسان والحیوان) تشبه من كل وجه الزوايا الحادثة من أغصان الشجرة مع جذعها والحادثة من الفروع الصغيرة مع أغصانها جذو القدة بالقدة ، فهكذا نجد وضع هذا الانسان مع العالم المحيط به ، ذلك انه (وان غفل جهوده ونام ولم يعقل حقيقة نفسه ولا بهجة جسمه ولا جلال وضعه ولا حكمة خلقه) بجواسه الخمس التي تقدم القول فيها قد استمدت لمشاهدة الأنوار والظلمات والحیوان والنبات والعالم العلوي والسفلي وبأعضاء حركته استمدت لأمرين : أمر الانتقال في الأرض بالرجلين ، وأمر العمل في الطبيعة باليدين فيصنع ماشاء صنعه بعقله الذي استمد الصور من حواسه ، إذن العالم كله مقسم على أعضاء الحس وأعضاء الحركة ، فأعضاء الحس للعلم وأعضاء الحركة للعمل . فنها ماهي الانتقال . ومنها ماهي للعمل . هذا هو الأساس الذي يبنى عليه كل علم في الأرض وكل عمل . فبالبناء الذي تريد أن تبنيه على هذا الأساس الآن ؟ قلت أريد أن أبني بناء حسنا جيلا كما ان هذا البناء حسن جيل . قلت : ففي أي وجهة سيكون بناؤك في ذلك المقال الذي تريد . قلت : في وجهة نظام العالم الانساني كله . إني أرى ولا شك في رأيي وأنا موقن به أن جميع النوع الانساني يجب أن يكون كهية هذا الجسم . وأرى أن هذا الانسان كله الآن جاهل كثير الجهل . كثير الغرور لأن من درس هذا الجسم حق دأسته ودرس العالم حوله لم يشك أن هذا العالم

بالنسبة لهذا الانسان أشبه بهذه الأعضاء بالنسبة للروح والروح واحدة في الهيكل الانساني والأعضاء مطبوعة لها . فلتكن الانسانية واحدة طيعها العوالم حوطا . فقال : هذا قول حسن وقدم له نظائر في التفسير . ولكن الاجال يعوزه التفصيل . قلت : إن الانسان سائر الى ما أقوله . فقال : كيف ذلك ؟ قلت : اسمع يا صاح : أضرب لك مثلا رجلا له أبناء كثيرون فبنى لهم قصرا مريفا وأبدعه أيما ابداع . فجعل الأبنية فيه لا تبلغ إلا نحو الثلث والباقي من الأرض جعل بركة عظيمة تتخلل تلك الأبنية التي تشبه في وضعها مدينة البندقية (فينيزيا) فان البيوت يحيط بها ماء البحر والناس ينتقلون في السفن من منزل الى منزل ثم انه ملأ تلك البركة بالسك وملا تلك الأبنية بأنواع النبات والحيوان والخبرات . فهو في أول الأمر جعلهم متفرقين في المنازل وجعل الماء يفصل بينهم . ثم أخذ يطمعهم كيف يضعون خشبات في الماء وكيف يربونها فكان سكان أحد المنزل اذا ركب في البركة وقابل آخر من منزل آخر أخذوا يتحاربون ويتقاتلون ثم أخذت كل جماعة تحارب الجماعات الأخرى واستمرّ النضال جيلا بعد جيل وذلك النضال كان هو السبب في بحث عجائب منازلهم وعجائب بحارهم فقرّر قرارهم آخر الأمر انهم يجعلون ما أراد بهم والهمهم . ذلك ان أحدهم قال : انني وجدت في حديثي التي في منزلي اني لا أزال حفا من ثمارها إلا اذا كانت الطيور تأكل البود كأي قردان وبعض الغربان والعصافير الغنية وغير الغنية وهكذا مما تعدّ بالشرشات ، ووجدت أن البرص والسحلية وغيرها تأكل الحشرات في أرض الحقل ، ومن المدهش اني رأيت العنكبوت تنصب الشباك في الأشجار ولا تقتصر في صيدها على الثياب بل هي تسطاد حشرات كثيرة . فيأبها الاخوة : ان أبانا ذوق عقل وذو حكمة ، انه لم يشأ أن يقول لنا الحقيقة فباعد فيما بيننا ظاهرا وأراد أن نعرف الحقيقة من أنفسنا ولن نعرفها إلا بدراستها ولا دراسة إلا بمقتدات والمقتدات هي العداوات التي كانت بيننا وهي السبب في قتلنا ، فالعداوة بيننا كانت أشبه بالجويع فالجوع غير مقصود لذاته بل هو مهماز يسوقنا الى الغذاء لنعيش والعداوة مهماز أعلى يسوقنا الى العلم لنخترع مائنته في المحاربة وفي نهاية العلم اهتدينا الى ما يأتي :

ان كل واحد منا يقتل أخاه ليأخذ ماله ولكنه في الوقت نفسه حافظ على عصفور وغراب وأبي قردان وكروان وبرص وسحلية وزقزاق بلدي وزقزاق شامي وعنكبوت في الحديقة وعلى جاموسة وبرقة وجمل . لماذا هذا كله ؟ لأن كل هذه طعام لنا فيمكننا إلبادتها بأكلها في أيام قلائل ولكن نحن بالاختبار أبقيناها لتساعدنا في حياتنا . فبما منحوت به أرض الحدائق . ومنها ما يجرّ لنا الحيلات لأعمال الزرع في الحديقة . إذن بقاء هذه كلها وان كانت تحت قصرتنا خير لنا من إلبادتها (وبعبارة أخرى) : إن اللذة القوية بأكل هذه الحيوانات شرّ مستطير لأنها تحرمنا من ثمرات لاحد لها . إذن فنبذ اللذة العاجلة إذ حرمنا نفعها عظيما مستقبلا

هذه نظر ياتنا في منازلنا نحن هكذا نفعل ، فإذا كان بقاء هذه الدواب والطيور خيرا لنا (لأنها وان كانت تحت الحق والأرض معنا وبعضها يأكل مما نزرع ويشاركنا بعض المشاركة في الأزواق فبقاؤها خير لنا) أفلا يكون كل واحد منا اذا بقي خيرا لآخوته وان شاركهم في الطعام والملبس كما يشارك كلاً منا دابته في أكل بعض الحبوب وفي سكنى بعض أجزاء المنزل ومضايقته ، مع ان نفع الدواب محدود ونفع الانسان أوسع وأعظم قدرا

فلما فكر اخواه في كلامه قالوا صدقت والله ، وقال آخر منهم : « أيها الاخوان : إن أبانا كان حكما فلم يفعل معنا ما فعله الطيور تعيش جماعات من غير تعليم ولا تعقيم ، فهو فرقنا ظاهرا ولم يشأ أن يجمعنا إلا بجهدنا واجتهادنا وأحاط منازلنا بالماء حتى يكون لنا ميدان تسابق وسهل لنا سبل التواصل والتعلق حتى اذا اجتمعنا بعد الافتراق كان اجتماعنا بقول نرفع في السعادة الى أعلى منزلة بخلاف الحيوان فإنه يقف عند حدّ

واحد وعاشوا بعد ذلك وارتقوا لاحتد له

هذا هو المثل الذى أردت أن أضربه لأهل الأرض الآن ، فالأبناء تمثيل لبني آدم ، والأب تمثيل لله عز وجل - والله المثل الأعلى - وللأزل هي آثارات الجزائر والبركة المحيطة بالمنازل هي البحر الملح للقسمة الى أقسام كل قسم منها سموه محيطا فيقولون المحيط الاطلسي والمحيط الهادى والمحيط الهندي وما أشبه ذلك والخشبات التي ركبها الأبناء هي السفن في البحار والصلوات بينهم مثل للصلوات التي بين أهل الأرض ، وبقية القول معقول مفهوم

وبيت التصيد في هذا المقام أن هذه الانسانية جاهلة غاية الجهل وهي اليوم آخذة في رقبها ، هم انظروا ما قمنا في ﴿سورة يوسف﴾ من أن الطيور النافعة كان الاوروبيون يقتلون منها أبقردان وغيره . وهذه الطيور خلقت لحفظه على الزرع تقتات من السود في الأرض فيسلم الزرع . فلما كان الاوروبيون في بلادنا قوما لارادع ولا زاجر لامن ضارهم ولا من حكوماتهم عاثوا في الأرض فسادا وقتلوا هذا الطير لتتحلى نساؤهم بريشه فهلك الزرع . فلما كتبت مقالا في إحدى المجلات العلمية وقرأه الوزراء صدر الأمر بقاء الطيور البالغات نحو (٣٠) طيرا مذكورا كثيرا في ﴿سورة يوسف﴾ كما قلنا وبقيها في سور أخرى

الله أكبر : اللهم إني أسألك على العلم وأجرك يارب على الحكمة ، أنت المنعم أنت المعلم ، يارب ان العلم واضح والعيون تشاهد موره ولكن القلوب مقفلة

اللهم إنك تعلم أن الأم كلها أشبه بالأمة المصرية ، والجهل بمنافع الانسان في الأرض كجمل قومنا بمنافع الطيور وظهور حكام في الأرض يعلمون الناس ثمرات بقاء الانسان على الأرض كظهور المقال الذي كتبت في فوائد الطيور كآلة السود وتحريم الحرب والقتال بين الأمم اجتناء لفوائد الأم كلها كتحريم حكومتنا المصرية صيد الطيور فانتفعا بزرعنا ، وهل الانسان الخالي إلا كما قال الله تعالى - قتل الانسان ما أكرهه - هذا هو المثل الذي ضربته من حيث الطيور المصرية وتحريم صيدها استبقاء لمنفعتنا ومضاهاة منفعة الانسان ببقائه بمنفعة الطيور ، فشهوة اغتيال أمة لأخرى شهوة وقتية وبقاء الأمة الضعيفة مفيد للأمة القوية كما أفادت الطيور والدواب الانسان وهي ضعيفة أمامه . إذن النظرية التي شاعت وذاعت في الكرة الأرضية في القرن التاسع عشر من أن الأقوى يبذل الأضعف وجعلها علة نظرية خاطئة ، فلو كان ما يقولون حقا لم يش حيوان تقدر على أكله مع ان الطيور في منازلنا وحقولنا وكثيرا منها أكله لمنفعتنا ، إذن هي نظرية جزئية جاعلها علة ، وضلل هذا الانسان أكرهه يرجع الى تعميم القضايا والحكم بالجزئى على الكلى - قتل الانسان ما أكرهه -

فقال صاحبي : لقد أجبت والله وأصفت وأثبت بحكمة شريعة وآية منيفة وعلم تام ، ولكني أذكر انك قلت لي « ان الانسانية متجهة الى وجهة الاتحاد العام » . فهل تشرح لي ذلك ؟ قلت : « ان أبناء الرجل الحكيم في قصره الواسع أتركوا أن أباهم أراد إسعادهم من طريق نصيحتهم هم لا من طريق المنفعة المادية ، فهل تشرح لي الأمرين معا في شأن هذا الانسان ؟ قلت : أما الأمر الثاني فهو واضح ألا ترى رعاك الله أن هذا الانسان أعطيت له الأرض وترك فيها وقيل لأدم وذريته - اهبطوا منها جميعا بعضهم لبعض عدو -

وباليت العداوة اقتضت على أن تكون بين الانسان والانسان بل جعلت بينه وبين ماحوله . الأرض دائرة حول الشمس تقرب وتبعد وفيها مناطق باردة وأخرى حارة . فلاحوا بقادر أن يسكن الباردة ولا هو يستطيع أن يسكن الحارة . فالمناطق الباردة قل فيها النبات والحيوان . والمناطق الحارة اكتظت بالنبات فطرد الانسان منها والأمطار تهطل ليلا ونهارا فلن يقدر أن يوقد النار فيها فلا بد من أن يعيش في الأقطار

المعتدلة . وهذه المعتدلة تكون فيها الغابات القوية وتكاد تمتعها أيضا من ولوجها . ولكن لما كانت تلك الأشجار ينتابها الصيف والشتاء والحريف والرياح . وكان الحريف والشتاء فصلين يجردان الشجر من قوته بعض التجريد قدر الانسان إذ ذلك أن يدخل في تلك الغابات وينتفع بما فيها . فهو اذا طرد من القطبين ومن خط الاستواء لم يدم وسيلة بها يدخل في غابات المعتدلة حيث تساعد أحوال الجوع على ولوجها واستعمارها والارتفاع بأشجارها

وما هذا أيها القاري إلا مثال واحد من أمثلة أعمال هذا الانسان . فهو اذا دحره غلات البرازيل حيث الشمس حارة في أمريكا وطردته غابات افريقيا الاستوائية فلم يستطع سيلا لتذليلها أو السكنى في أرضها لقوة النبات ولا السياحة في داخلها إلا بمشقة فانه قدر أن يتجمع نباتات المناطق المعتدلة ويغالب الطبيعة هناك . ثم ان الانسان لم يستطع ذلك إلا بالجمع الكثيرة منه . فأما الأفراد فلا

يالجأ : هذا تفصيل جسم الانسان ، انه مفصل على مقتضى هذه الدنيا وهذه الدنيا كلها وجدناها مزروعة له ، ثم ألقينا عقل بعض النظريات العلمية حافظ على كل حيوان نافع له فأبقاه لأنه نافع له في اجتلاء الفوائد ، وهاهوذا يرى فوائد غزيرة في الغابات الافريقية والغابات في البرازيل ، يرى منافع ومنافع ومجائب تحت الأرض في القطبين ، فهناك الفحم وهناك (غزال الزنه) ومنافع كثيرة ، وكلها موصدة أمامه تحتاج الى عناء ونصب وعقول وقوى ، أفلاتكون تلك المنافع القطبية والتي في الغابات الاستوائية ومنافع الهواء والماء وضوء الشمس التي لاتزال كلها لغزا أمام النوع الانساني . أقول : أفلاتكون هذه كلها مضاهية لمنافع زرعنا وتكون الأم التي يسمونها ضعيفة بمنزلة الطيور آكلات البود لحفظ زرعنا . لا لا . والله ان الأمم الأرضية أعظم نفعا وذخرا في استخراج ثمرات العوالم المحيطة بنا من أي قردان في حفظ زرعنا ومن العنكبوت في حداقنا المبيد لبعض حشراتنا ، فالانسان الآن جاهل أشد الجهل بهذه النظرية العلمية ، وعلى كل من اطلع عليها وكان من أهل التبل والشرف والجلال والحكمة أن يذبح العلم في أم الاسلام أولا ثم يثبتهم روح الجدة والنشاط واكتناه العوالم العلوية والسفلية ، ثم إن المسلمين اذا أشربت قلوبهم الحكمة يكونون هم السبب في لوقاه أهل الأرض لأن أهل أوروبا وأمريكا ينظرون الى الظواهر فيحصلون لون السواد ولون الحجرة في أبناء السودان ببلادهم وأبناء أمريكا الأصليين من أسباب العداوة ، فلا يطبقون أن يروهم في أماكنهم العاتية ، وهكذا أهل (كالكتا) فهم يطرودون السود من بعض مطاعمهم ، وبعض تلك الأمم تنقض على الأمم الضعيفة لتأكل خيرها وتذللها كما يفعل الفرنسيون مع أهل مراكش والجزائر وتونس وكما تفعل ايطاليا مع أهل طرابلس وكما تفعل انكلترا مع فلسطين ومصر والهند . وهاهي ذه اليوم قد سجت غاندى الزعيم الهندي الذي قام بالحركة الاصلحية هناك وطالب بعدم اسراف المال في الملابس الأجنبية وعدم شرب الخمر القاتل للانسانية . إذن هذه الأمم كلها جاهلة قدر الانسانية فهي لاتصلح لرقبها وقيداتها . إن الأسد لا يصلح لقيادة الانسان وإنما يصلح لأكله ونحن نريد أن يحكم الانسان ويعلمه انسان مثله لا حيوان !

الأرض قد بخلت بمالها فلم تفرط فيما عندها من غلات خط الاستواء ونحوها ولان المدخرات في القطبين ونحوها إلا اذا كان أبنائها جميعا يدا واحدة في استخراج ذلك . وهؤلاء لقلة نصرهم يتكروا الحقائق الكسنة . ويصدّمهم عن هذا النعيم المنتظر للانسانية كلها مظاهر الألوان واختلاف الأديان والأفكار واللغات إذن الانسان جاهل كل الجهل . فليعلم المسلمون وليعلموا الانسانية . أناموكن أن هذا القول سيخوض البهار ويقرؤه أهل الأفكار وتنقله السفن في البحار والطائرات والبالونات التي يركبها الناس في الجو وتنتشر الفكرة ويم الاتحاد وتخرج الانسانية من جاهليتها

إن الإنسانية اليوم استعنت لنهم هذا القول . وهذه الطيارات تطرح حول الكرة كلها والسياحون يطوفون حولها في السفن والقطرات البرية والعلماء يتسابقون إلى المكتبات في السلام العام كما كتب أنا الآن إذن اتحد على هذه الفكرة سيرا السفن في البحار حول الكرة الأرضية وطيران الطيارات حولها أيضا وكتابه العلماء في الاتحاد العام . وهذا نوبل مخترع الديناميت المشهور قد أعد جائزة لمن ينفع السلام العام . غدا أقول اليوم جاء أوانه . فليدل للسلمون دلوهم في الهداء . وليقوموا أنفسهم أولا ثم ليقوموا الإنسانية ثانيا والله هو الولي الجيد

فقال صاحبي : نعم ما فصلت وحسن ما دمجته براعك . ثم أذكرك أنك تقول : « إن غابات خط الاستواء وغابات بلاد البرازيل لا يمكن اجتيازها لصعوبتها » وذكريت أمورا لا يعرفها إلا القليل . فأحب أن تذكرها لنا من مصدر علمي واسع النطاق يشرح هذه المواضع كلها وما شابهها شرحا واسعا كما وعنت بذلك في أول المقال فقلت اسمع ماجاء في كتاب « الجغرافيا التجارية الاقتصادية » تحت العنوان التالي وهذا نصه :

(الإنسان وتوزيعه على المعمور)

(تكاثف السكان)

شروط صلاحية للتطهر السكني ، مثالية
الإنسان طابع الانطوائ التي يمكنها . أسباب
تلك سكني التناوب الاستوائية . مغارثها في ذلك
بالناتبات المتصلة . التغيرات الانصالية تمد التطهر
السكني ، وكذا التغيرات المعرية ، الحرف
وتأثيرها في عدد السكان

انظر إلى خريطة العالم حيث توزيع السكان على المعمور ترى الإنسان منتشرا في متفرق النواحي من غير مساواة في العدد فهذه الصين والهند وما جاورهما غاصت كلها بالسكان وهناك جهات أخرى من العالم الفسيح لا يسكنها إلا النفر القليل حتى في الولايات المتحدة وهي جمهورية واحدة ترى الإنسان متجمعا في جهة الشرق ثم يرق شيئا فشيئا جهة الغرب وفي جنوب أمريكا كذلك محشدا في جهات منتشرة في أخرى وهاجرا شتى وكذلك في أفريقيا وأستراليا والملاصة أنك بالتأمل في الخريطة لا ترى الإنسان موزعا بانتظام في أنحاء الأرض بل ترى منها ما يختصه بسكانه قراحم عليه وربما كان ذلك لمهد قديم مثل مصر ومنها ما مضى عدده فيه مثل معظم أفريقيا فلماذا كان بعض الجهات أصلح لمقام الإنسان من البعض الآخر ؟ هذا ما يجيب عنه الإنسان محتاج إلى هواء معتدل فالرطب منه جدا والخفاف جدا كلاهما لا يطي به واحتجاج أيضا إلى مقدار معتدل من الحرارة فالأصقاع الباردة جدا والحارة جدا تضربه ولا تصلح له ومثل ذلك التبت والحيوان ولما نرى أن الجهات النادرة الحيوان والنبات قل أن تصلح لمقام الإنسان في أواسط القارة للنجمدة وفي أواسط الأرض المحضراء حيث توجد فواوت الجليد قل أن تنب دابة فلا يقضي للإنسان عيشة فيها كذلك في قلب بعض القارات حيث ترتفع درجات الحرارة وحيث ينجف الهواء جدا فينشأ عنه الصحارى القاحلة لا ينظر للإنسان عيشة وكذلك سفوح البراكين الحية وأمثالها من سطح البسيطة التي لم يستعمرها الحيوان والنبات سبقي خلافا من الإنسان مقلدة من قبضة يده إلا إذا تغيرت أحوالها وتبدلت أطواره

ومن المعلوم أن لكل صقع مجموعة خاصة من حيوانات ونباتات فكما ساد الإنسان في صقع وتكاثر فيه كان ذلك على حساب تلك الحيوانات والنباتات الأصلية يزيحها ويحلت مكانها . عمر الإنسان البراري الاسكتلندية

مثلا منذ أقل من قرن فاذا تركت قُلل جبالها جانبا ونزلت الى حيث يسكن منها وجدت « الجنج » قد فنى وليس منه إلا رِقا صغرة في المرمى ورأيت حقولا من الشوفان والباطا واللفت والكلأ ومثل ذلك وماهى الاحصاءات نافذة في جانب مايزرعه الفلاح الانجليزى في الشرق . ولكنها مع ذلك تمثل المطلوب من أن الانسان يكتسح الاجناس الطبيعية السائمة بالصق الذى يستمره ويضع عملها نباتاته هى التى يختارها غذاء وكساء . وهكذا كذاقشى فيضع همدالى ذلك العمل على نظام ومناول أوسع . تطوف بالبحرنا وتسيح في فرنسا قترى الأفدنة الشاسعة من الأراضى الزراعية المخدومة ثبتت أنواع الحاصلات المختلفة وهذه هى نفس الأراضى التى كانت في وقت يحسبه الطبيعى غير بعيد نكتنفه كله الغابات الكثيفة وتشوهها المستنقعات المؤذية قدهر تهايد الانسان بالجهد والعمل ومثل ذلك وقع على الحيوانات فاذا ما سرنافى الأراضى المنحطة من انحلترا واستكنلته وجعلنا من الأنعم والأغلم والخنازير والصباج والأوز والبط خلقا كثيرا تملأ الضياع هناك وكل هذه الحيوانات المنزلية قد استغفرت الى الرواقى ونجد « ديفون » و « كورنول » غزلا كانت تجول في الأوحاج القديمة في بريطانيا . ومن أجلها أيضا استوصلت شافة القتب العاية التى كانت تعيش في الأرض فسادا وتعيش على تلك الحيوانات البرية وقصارى القول أن الانسان لا يمكنه أن يعيش في هذه الدنيا إلا بقلب طبيعتها واختصاص نفسه في عمل الذى ينزل فيه ببعض الحيوانات دون الأخرى وبطردة التى لاتنفعه لتفسح محالا لما يعوزه ويحتاج اليه

فلما أن الانسان تعلم على الحياة في الجهات التى يسوء فيها نمو النبات ومحة الحيوان ولكن قد تكون غزارة النبات من جهة أخرى سببا في حومان الانسان من سكنى الجهات النفسية فاذا نظرت الى خريطة سكان العالم وجدت جزءا عظيما من البرازيل حيث الشمس حارة وضاحة والمطر وافر غزير يطيب فيه النبات ويزهو ويتكاثر ويسلو فيكون الأوحاج الاستوائية ولكنك تبحث عن الانسان في وسط هذا العالم فلا تكاد تجد إلا قليلا ومثل هذا في غابات أفريقيا الاستوائية فليست قلة الحياة النباتية هى التى تعوق مساعى الانسان في استثمار مثل هذه الجهات بل غزارتها ووفرته الزائفة عن حد الطاقة اذا الغابات الاستوائية هى ما يسميه النباتى « بالتآكف المطبق » أى المكان الذى يكون فضال الحياة النباتية فيه شديدا فاسيا لا يفسى لأجناس جديدة أن تدخل فيه

نم ان العراك والنضال المتباقى كذلك شديد في غابات المنطقة المعتدلة ولكنه تصعبه في كل خريف وشتاء « هدنة من الله » اذ تنصف قوى الأشجار ويجممها حياتها في عروقها فيقوى عليها ساعد الانسان فتكون له الغلبة آخر حتى اذا جاء الربيع الذى تتماثل فيه الأشجار الى القوة والقوة لم تغلبه ولم تستصع عليه اذ كان قد ظلها من قبل واجتثمتها وملك ناصيتها ولا يخفى أن في الغابات المعتدلة تكون المقاومة بين الأشجار الكبار أما التث على أديم الأرض فليست مقاومة تذكر خلافا للغابات الاستوائية إذ التفت الساق بالساق بزاحفات من النبات متعددة قد تنكس منها على أديم الأرض عالم كثير حتى قال أحد السباح أن في غابة غابة الجديدة الاستوائية اذا سار جماعة فيها ثلاثة أميال في اليوم عد ذلك أمرا عظيما جدا لأنهم في الغالب لا يستطيعون قطع نصف هذه المسافة في اليوم وقال أيضا انه لا يوجد من حاصلات الغابة ما يمكن أن يثبت به الانسان فاذا تعد ما كلة تهدهد الجوع بالقتل

النضال في الغابة الاستوائية شديد جدا والظروف الطبيعية هناك توافق حالات النبات للدرجة يتعلم معها وجود حيز فيها غير مشغول فتفرع الأشجار وتبسى الى عنان السماء تطاول الواحدة جارتها . وكما تناطحنا وحجبتا الضياء عن الأرض تحتها تسلفت عليهما النباتات الزاحفة طلبا للعلاء حيث الهواء والضياء . وقد لاتصل جذورها الى التربة الأرضية بل تعجد جذعها الكافى بين الأوراق البالية . ومن الرطوبة الموجودة في هواء

هذا وعلى ضفاف الأمازون الفائرة حيث يطلب الباحثون المطاط ليرسلوه الى أوروبا لتتخذ منه اطارات السيارات وغيرها من منافع المدينة يتكبد رواده الشقاء والعناء من تزامم الشجر اذ لا يرجون القسيار والتسقل إلا بقرب الضفاف حيث تقبتر الأشجار ويقطع عددها نوعا وفي غابات فرموزا واليابان والصين يطلب الرواد أشجار الكافور ليصنوه بخورا أو كرات لثة ولكن جهدهم هذا يبذلونه أيضا بشق الأنفس لأن أشجار الكافور توجد في الغابة متفرقة الواحدة عن الأخرى فكلما جموا شيئا من بقعة ارتحلوا طويلا الى غيرها وكفى في هذا من عناء وعذاب

فما أكبر الفارق بين هذه الغابات وبين أمثالها في المنطقة المعتدلة حيث توجد في بعض جهاتها الرطبة من البحر الأبيض المتوسط مساحات ضخمة كلها من شجر أفي فرة والجوز واللوز والصنوبر والخرنوب وتوجد مساحات ضخمة من الزان والبلوط ويسمى كلها النباتيون « الأجناس المتجمعة » لأنه اذا وجدت زانة وجد من نوعها الكثير فتنتشر تربية الخنازير على مقربة يطمعونها من حبه . ومثل هذه الأجناس المتجمعة من الاشجار نادرة الوجود في الغابات الاستوائية . ولذلك لابد من بذل الجهد في طول الغابة وعرضها للبحث عن النبات الصالح

كذلك نكتفي في الغابات الاستوائية الحيوانات ذات الثدي ولكن أفراد كل نوع منها قليلة فلا يوجد فيها مثلا ما علمناه من وفرة عدد الجاموس البري يراى أمريكا ولا الفيلان بسهولة أقربية ولا الحيوانات الأخرى بسهولة آسيا قبل ان تصل اليها قدم الانسان وما يذكر من الأسباب هنا هو ما سبق ذكره عن المطاط والكافور مقارنا بلزان والبلوط ويوجد بغابات البرازيل أنواع كثيرة من القردة ولكن عدد كل نوع منها قليل جدا ويوجد الحيوان البطيء السمي بالسكلان ولكنه نادر جدا ويوجد بها حيوانات أخرى كالة الماعوز تسلق الأشجار ولكنها قليلة أيضا وحالها هذا مصداق ما سبق قوله

والمقصود من هذا البحث أنه اذا قلت أنواع النبات والحيوان التي من جنس واحد عز سببها الاستعمار وصعب الاستمرار وقتل السكنى وزد على ذلك أنه يوجد بالغابات الاستوائية الحيات الرقطاء والحشرات السامة ولكنها مع ذلك أقل خطرا من البعوض الذي أغلبه مصاص الدماء ويحمل من فريسة الى أخرى جوازم الأمراض مثل الملاريا ومرض النعاس ومنه ما يبيض تحت الجلد فيحدث القرح الألفية . ومن الحشرات ما يعض أو يخز والكثير من الموام والبعوض يتأثر من التعرض لضوء الشمس في بعض أدوار حياته فيموت فإذا أمكن للانسان أن يطهر الغابة منه زال الخطر وتشت المنفعة ولكنه في الغابات الاستوائية الممطرة يحول الجوؤ بينه وبين أعظم مساعده على التطهير وهو « النار » فإذا كان ثمة صنع يتناوبه الجفاف والمطر (مثل غابات غرب أوروبا) أمكن للانسان انتهاء الموسم الأول فيشعل الحشائش الطوال ويبيد جيشا كبيرا من النبات المتنم فيكون الرماد الناعم تربة خصيبة تكون مهدا للبذور النبات الصالح الذي متى رعاه ونقده أفي بالخبر العميم . ولكن اذا كان الجوؤ دائما دابعا على الأمطار تعذر أشغال النار وغلت يد الموقد

ومن ذلك نرى أن الأمصاق التي يسكنها الانسان يشترط أن تكون عرضة لتغيرات طبيعية صالحة لنمو النبات غالبية مرة ومغايرة أخرى سواء أ كان التغير في درجة الحرارة كما في مناطق خطوط العرض المرتفعة في المعتدلة الباردة أم في درجة الرطوبة كما في الهند والصين بسبب التغيرات الموسمية أو فيها معا كما في بعض جهات الصين أيضا أعنى أن الممالك التي يكثر فيها الانسان هي التي يروج فيها النبات في مواسم خصومة بسبب تغيرات الفصول وعلى ذلك فالأمصاق شديدة الرطوبة غير صالحة لأن موسم الزواج فيها قصير جدا أو منعدم بلرة اذا كانت متفرقة في شدتها . وكذلك بعض الأمصاق الاستوائية حيث درجة الحرارة مرتفعة دائما والمطر

ويدخل في معنى القصول هذه تلك التغيرات الطبيعية الموسمية التي كانت سببا في إخصاب أرض مصر وإعدادها للسكنى من زمان قديم وهي جزء من الصحراء فدرجة الحرارة فيها دائما مرتفعة ارتفاعا نسبيا وللمطر يكاد يفقد فيها هامة واحدة فتغير القصول غير مشاهد فيها بالمعنى المراد إذا قارناها « بنيو فون دلا ند » مثلا حيث الفرق بين درجة الحرارة في الصيف والشتاء قد يصل الى ٥٠ درجة ف . من هذه الأسباب كل مورد الحياة في مصر هو النيل لاغير يعاود ويهبط سنويا في مواسم معينة فإذا علا فاض بللاء النيل فيه حياة أهلها وحاصلاتهم وإذا هبط حل الجلبب النيل فيه موت كثير من أعداء الإنسان من العشب غير الصالح وبعض الهوام وفي أثناء هذه الفترة القصيرة يتسنى له أن يجمع حلاله وأن يظلب على الماء فيحمله بالقتوات إلى شاة فيزياد الزرع والحاصل ويموت جيش النبات الضار

والخلاصة أن نباتات أى صقع وحيواناته ماهى إلا مجموعة مرتبطة ملائم بعضها لبعض قد هياها الله لحالة الصقع من أزمان فكل شئ يضطرب بسببه ولو قليلا هذا التوازن الحقيقي يصبح فرصة ساعة لهشول الإنسان وتحصل الاضطرابات هذه في كثير من أنحاء الأرض بسبب دورة الأرض وتغيرات القصول الناتجة عن تلك الدورة وكلما حصلت هذه التغيرات على نظام أوسع في صقع ما وسهل على الإنسان التدخل كان ذلك الصقع ساحة الوغى التي يجول فيها الإنسان ويصول بحيله ووجهه ويصل فيها الى أوج المدنية

وقد يكون مع التغير الفصلى تغيير دهرى يقع في أثناء الأجيال والهور فيؤثر في نتيجة الموقعة القائمة بين الطبيعة والإنسان من ذلك انه يظهر في فلسطين واليونان وفي معظم أواسط آسيا مثلا أن قد قلب دهور وعصور تغيرت فيها مع البطء الشديد مقادير الأمطار الساقطة هناك خلال هذا التغير بين الإنسان وبين كثير من المنافع التي كانت في حظه قديما وأمكننت الطبيعة البرية من أن تسترد كثيرا من أراضيها المصوبة كذلك عملت تغيرات أخرى من قرون لاعداد لها على جفاف تربة أوروبا . وفي أواخر عهد الجليد تحسنت حال المصارف في جزء عظيم من تلك القارة بسبب تأثير الجليد في سطح الأرض وإيجاده البحيرات ثم انتظمت مجارى الأنهار وفاضت بالمضى فاضلحت الأراضي حتى قال أحد الجغرافيين إن مثل هذه التغيرات الدهرية كانت العامل الأعظم في التقدمات الباهرة التي حدثت في القرون الأخيرة بأوروبا وأمريكا إذا كئسخ عهد الجليد نوع الإنسان القديم كما كئسخ معه حيوانات أوروبا وقد جعل الأرض بما أحدثت من التغيرات فيها صالحة لسكنى الإنسان للمتمدنين

ويقولون ان المدنات القديمة التي يقرؤها على الخفائر وغيرها في مثل أواسط آسيا وبلاد العراق وفي مثل فلسطين وحتى في جهات أمريكا الوسطى كلها تثبت أن الجوى في تلك الأيام إنحالية كان غيره الآن . ولولا ذلك ما زرع فيها القمح ولا غيره قديما ولا عاش بها اسان في ذلك الزمان وفي هذا المعنى يقولون أن جوى أوروبا الآن وفلسطين وآسيا الصغرى إلخ . قد قلت فيه درجة الرطوبة عن قبل أمطارا ونالوا

ويسبون التغيرات الدهرية الى إرسال الشمس شعاعها المتغير كثيرا أو قليلا على حسب طبيعة جوها التي هى فيه فإذا اشتد شعاعها كثرت عليها السفع . ويكون ذلك رمزا على كثرة الحرارة التي تترى سطح الأرض من جراء ذلك ثم تكون هذه سببا في تسخين الهواء واحداث زوايج الأمطار والثلج (أى في رفع درجة الرطوبة) فإذا شمت الأرض حرارتها جميعا صار سطحها باردا جدا وهذا تعليل برودته ورطوبته قديما وبما تعرف به التغيرات الجوية الدهرية أهمال الأشجار القديمة في غرب أمريكا مثلا توجد أشجار عمر الواحدة منها ألفا سنة أو أكثر وعمر الشجرة يعرف من دراسة الحلقات الموجودة على خشبها . ومن هذه الحلقات يستدلون على مقادير الرطوبة في تلك العهود وتعرف التغيرات الدهرية كذلك من دراسة مستوى

البحيرات الملحة القديمة في مثل غرب الولايات المتحدة وخص طبقات الصود يوم والكورين هناك إذ يرى لدى الشاطئ حوز الطبقات فاعلمى منها يثبت امتلاء البحيرات الى حده ويدل على كثرة الرطوبة في وقته والواطيء يثبت انحسار مستوى البحيرة الى حده ويدل على قلة الرطوبة وهكذا

نرى من كل ما تقدم أنه لا نبات بري ولا حيوان وحشياً قد أظهر من القدرة على الانتشار في العالم مثل ما أظهر الانسان وأنه لا نبات ولا حيوان قد تناسل مثل تناسله فالخلنج على البرارى سالفة الذكر قد يكثر حتى يغمر الى الناطر اذا ما وجد هناك أن العالم كله خلنج ولكنه اذا ترك هذه البرارى ونزل الى الوهاد أو الى الوديان البسامة لم يجد للخلنج فيها أثراً مرة واحدة . سرعلى جبال الألب بين أشجار التنوب وغابات الصنوبر فيخيل اليك أن العالم كله تنوب وصنوبر . ولكنك اذا غادرت موقعهما من الجبال مشيت الأيالم والبيالى دون أن تعرفهما على أثر . تكلمنا على الجلموس الأمريكى والرشا الافريقى وذكرناهما أمثلة من وفرة النتائج بجهة من الجهات وهما مع ذلك لم يشغلا من سطح الأرض إلا جزءاً صغيراً بالنسبة له

أثبت الانسان في جهات الأرض وعمرها وهو وان اضطر الى الفرار من غابات الاستواء وهجير الصحراء وبادى الأقطاب ومن النجاد والوهاد القاحلة فهو مع ذلك فائز منصور حيث لم يحط غيره من النبات والحيوان بمثل ظفره واتصاه سواء منهم جوارب الألب الشائخة وهضاب تبت الباردة والوديان البسامة والسهول الخصبة فقد عمرها كلها وأثبت فيها مصطبجا معه أينما حل قطعانه المذلية ونباتاته الزراعية قد ذلها جميعها فدانت له وتبعت الى أقصى الأرض حيث لم توجد أجناسها من قبل

هذا الحرف العصرية التى يجهل العالم فيها وبلغ الآن وغدا لها تأثير عظيم جدا في السكان على المصور فالأقطار « الزراعية » تجتذب اليها السكان ويزيد عددهم فيها كلما أخصبت الأرض وأبنت محصولاتها فتفيض عليهم بالأرزاق والأقوات في مثل الهند والصين وغيرها والأقطار « العشبية » التى تقوم فيها حرفة الرعى يقل عدد سكانها عن الأخرى الزراعية كما يلاحظ ذلك من الخريطة الخاصة ويرجع السبب في ذلك الى عدم سخاء الطبيعة بالقوت الكاف للكثير من السكان

وأما أكثر الحرف اجتذابا للسكان فهما حرفة « الصناعة » وحرفة « التعدين » لما تتطلبه كل من كثرة الأيدي العاملة على استثمار المناطق الخاصة بهما ولما يتبع من محاولة الحرف الصناعية الآلية من عظيم الأجور وكبير الربح ولما ترى المناطق الصناعية من إنجلترا وألمانيا وبلجيكا والروسيا أغص جهات هذه الممالك سكانا وأكثرها ثراء ويسارا وبهى أن المملكة التى يتجمع فيها عدد من الحرف يتجمهر فيها السكان بمقادير عظيمة تمثل ما وصلت اليه هذا الحرف من الرقى ككلها الواقع في شرق الولايات المتحدة ويحسن هنا مطابقة خريطة حرف العالم على خريطة تكاف السكان . انتهى ما أردته من كتاب الجغرافيا التجارية الاقتصادية فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد وفيت بالمراد . وأثبت الجلب الجلب . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم السبت ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٥

﴿ أسرار العلوم المخبوءة في هذه السورة ﴾

جاء صديقي العالم القزى جوت عداته أن يناقشني في هذا التفسير . فقال : لقد فسرت الرجة في البسمة وطبقها على ماني السورة تطبيقا تاما ، ولكن بقي في النفس شيء ، فهل تأذن لي أن أسألك استيفاء لهذا المقام وإيضاحا للألغام . فقلت : نعم . فقال : إن في السورة ﴿ أولا ﴾ الذنوب ومفترتها ﴿ ثانيا ﴾ الكفر والاياعات ﴿ ثالثا ﴾ محاربة المؤمنين من آل فرعون معهم ﴿ رابعا ﴾ عجاة الكفار في النار من الضغفاء والمستكبرين ﴿ خامسا ﴾ ما يقوله بعض المفسرين في قوله تعالى - خلقنا السموات والأرض أكبر من خلق

الناس - الخ إذ جعلوا ذلك إشارة إلى الهـِـجـال ، ألم ترى ما جاء في كتاب « تنوير المقباس » من تفسير ابن عباس المؤلف في القرن التاسع الهجري إذ جاء فيه : - « إن القبر يجادلون في آيت الله - هم اليهود وكانوا أيضا يجادلون مع سيدنا محمد ﷺ بسفـة الهـِـجـال ورجوع الملك اليهم عند خروجه وقوله - ان في صدورهم الاكبر - أي عن الحق - ما هم بياقيه - أي يالتي ما في صدورهم من الكبر وما يريدون من رجوع الملك اليهم عند خروج الهـِـجـال - فاستعد بالله - يا محمد من فتنة الهـِـجـال - انه هو السمع - لقالة اليهود - البصير - بهم وبأعمالهم وفتنة الهـِـجـال وبخروجه ، غلق السموات والأرض أكبر أي أعظم من خلق الناس أي من خلق الهـِـجـال - ولكن أكثر الناس - يعني اليهود - لا يعلمون - فتنة الهـِـجـال هذا ما رأيت في ذلك ، وابن عباس رضي الله عنه شرفه عظيم وعلمه نبوى وقد دعا له رسول الله ﷺ هذه هي القصول الخمسة التي أريد منك شرحها وإن كان في ذلك مشقة عليك ، ولكن أنت عبي العلم ومحـب لرقى العقول ، وحديثنا يقرؤه المسلمون بعدنا ، فالفائدة علمة فأرجو أن تحدثني كيف يكون الله هو الرحمن الرحيم والناس :

(١ و ٢) يذنبون أو يكفرون

(٣ و ٤) وكيف عصى آل فرعون من آمن منهم ، وأضل المستكبرون الضعفاء ، فأين الرجعة ؟

(٥) وكيف بخرج الهـِـجـال فيضل الأمم ونحن نستعـيـذ بالله منه كل حين والله قادر أن يرفع هذه عن

الأمم . ولقد تبين لي أن تفسير ابن عباس مؤيد بما ندعوه به في كل صلاة إذ قول « وأعوذ

بك من فتنة المسيح الهـِـجـال » فهذه مشا كل نحن في حاجة إلى حلها وطرق يعوزها التعيـيـد

حتى تكون مثالة لتسير فيها على صراط مستقيم

فقلت : لقد تقدم في تفسير البسملة ما يعني عن الاجابة الآن . انظر ذلك الله إلى ما جاء في تفسير البسملة في أول سورة الروم وأول سورة لقمان . فقد ذكرت هناك كيف كانت الآلام التي تعرض لأبدان الحيوان خلقت لمنفعة هو . وكيف كان الضرب والكسر والصدم والجرح والبرد والأمراض والأسقام وكل ما يضر الجسد ويضده ، كل ذلك إنما جعل منذرنا لنا لنصلح ما فسد بسبب الأحوال المادية في هذه الدنيا وهكذا ذكرت لك هناك أن قتال القرس والروم والمسلمين مقبس على أحوالنا المرضية . فهذه أمراض اجتماعية تنذرنا باصلاح ما فسد من مجتمعاتنا كما ان الجوع وآلام المرض تحثنا على الطعام والنساء . فالآلام رجـة . إذن الرجـة لها جيشان : جيش الآلام . وجيش الذات . هما جيشان للرجـة . وإذا كانت الرجـة موجهة فقط إلى ذاتنا فانها تنقلب قـمة . فاجتماع الآلام والذات إنعام للرجـة . فالذات نصف الرجـة والآلام النصف الآخر هذا ملخص ما تقدم

فقال صاحبي : هذا حسن ولكن هذا الكلام إجمالي علم فان في هذه السورة أمور أخرى . فيها مؤمن آل فرعون . ولماذا يقص الله ذلك القصص علينا ؟ وأي مناسبة بين أمة الاسلام الآن وآل فرعون ؟ ولماذا يقول لهم - فن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا - وأي بأس أئذ بهم ؟ وهل نزل بهم هذا البأس وفي أي زمن ؟ ولماذا ؟ كل ذلك أريد أن أعرفه حتى ينتفع المسلمون بحديث هذا المؤمن في زماننا . إن حديث مؤمن آل فرعون لن يتم الاتقاع به لنا في أمراضنا الاجتماعية إلا بمعركة ما يرى اليه وماذا كانت نتائجه ؟ ثم لماذا ذكر الله حاجة المتكبرين والضعفاء بعد حاجة مؤمن آل فرعون ؟ وما المناسبة بينهما ؟ ثم لماذا ترى ابن عباس يفهم هنا مسألة الهـِـجـال . وما الملك الذي يبتغيه اليهود ؟ وهل هم يحاولون ذلك الآن ثم لماذا نرى السلم في كل صلاة يستعـيـذ من فتنة المسيح الهـِـجـال . كل هذا أمور لا تزال غامضة والمسلمون يصلون وأكثرهم غافلون . والصلاة بلا عقل قليلة الثرات . وإذا لم يفهم المسلمون أدعيتهم في الصلاة فما الذي استفادوه

إذن ! إن الحياة المبنية على الحفظ بلا عقل حياة أشبه بحياة الجباد . وتكرار الصلوات بلا عقل قد ذهبها الله فقال - فويل للصليين الذين هم عن صلاتهم ساهون - وقال في ذم من يقرؤن ولا يعقلون - أقل يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها - وقال في اليهود إذ كانوا لا يعقلون التوراة - مثل الذين حلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمار يحمل أسفارا بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله - الخ

إن بقاء المسلمين على حالهم يسلون ولا يعقلون الصلاة وقرؤن ولا يعقلون القرآن أوقعهم في الفرو ككبار عن كبار جيل بجيل وكل جيل ينزل عما قبله حتى أصبح المسلمون اليوم أجهل الأمم التي على هذه الأرض وقد تركوا مواهبهم ، فإذا لم توضح هذا المقام غير مكثف بما قمت في تفسير البسطة فإن الحال تستمر على ما هي عليه وكل جيل يكون أقل مما قبله وهذا لا يرضيك . قلت : إني بحمد الله سأوضح المقام على قدر طاقتي وأبينه بما أقدر عليه والله المستعان فأقول :

إن هذه الأسئلة الخمسة التي تريد الإجابة عليها ترجع كلها إلى أمر واحد ومعنى عرفناه زال الاشكال . فقال : وما هو ؟ قلت : هو ما قسم في ﴿ سورة الزمر ﴾ في أولها عند قوله تعالى - يكذّر الليل على النهار ويكذّر النهار على الليل - . ألم أقل لك هناك أن الجنين في الرحم يحيط به ظلمات ثلاث : المشيمة والرحم و بطن أمه . قال بلى . قلت : أليست هذه مع كونها ظلمات جعلت له رجاءات . قال بلى . قلت : ألم تقل هناك أن علماء الفلك يقولون إن الفبار في الجرد و دخانه يصنعان فيه (١٦) طبقة حاجبة للشمس عن صيونا رجة بنا فيكون ضوءها الواصل لنا صلبا أقل من الضوء الواصل وقت الظهيرة (١٣٥٠) مرة . قال بلى قد تقدم ذلك . قلت : ومعلوم أن الضباب والغيان ضار أن بأجسامنا يدخلان رثا فتضع أجسامنا وقصر أعمارنا . قال بلى . قلت : ولكن هذا الضار باجتماعه مع ضوء الشمس صار نعمة . قال نعم . قلت : ألم أقل هناك أن وسوسة الشياطين للناس قمة ولكنها في الحقيقة قد جعلت نعمة لهم لأنهم إذا أعطوا العلم دفعة واحدة لا يعيقونه . قال بلى ولكن هذا المقام يحتاج إلى الإيضاح هنا . قلت نعم أوضعه فأقول : أنالاً أخرج عن هذا المثل وهو مثل الشمس ، انظر ، إذا أشرقت الشمس على الأرض فهل تستوى الأرض والماء في قبول حرارتها ؟ قال : أنا أرجو أن تسمح لي بفهم ما أقول . قلت له : أيهما أسرع قبولا للحرارة الماء أم الأرض ؟ وأيها أبطأ ، وأيها أسرع إخراجا لحرارته التي كسبها من الشمس ؟ وأيها أبطأ في ذلك . قال الأرض أسرع قبولا للحرارة وأسرع تخلصا منها والماء على العكس من ذلك . قلت : هل تستنتج من هذا شيئا . قال : لست مستعدا لذلك الاستنتاج في هذا المقام . قلت وهنا قاعدة ، كل ما كان أمم صنعا كان أدوم وأحسن فائدة ، وكل ما كان أقص صنعا كان أقل دولما وأقل فائدة ، فهذه الأرض لما أسرع في قبول الحرارة أسرع في التخلص منها ، وهذا الماء لما أبطأ في قبول الحرارة أبطأ في التخلص منها . فالتى التى كسب المال بجده وعرق جبينه يكون غناه أم وأدوم والتى نال المال بلا جد يكون له مبسرا لأنه لا يعرف قيمته . انظر إلى القرع والى التخل فذاك لا يثمر إلا بعد سنين وهذا بطول وثمر حال ولكنه سريع الزوال وانظر إلى صغار الحيوان كما كان أسرع نموا كان أقصر أجلا . ألا ترى أن الكلب يتم نموه في ستة و نصف ولا يزيد غالبا عن (١٢) سنة كما قسم . وأن الحصان لا يتم نموه إلا بعد ثلاث سنين ويعيش (٢٤) سنة وهكذا وكل هذا قد تم وأما نضربه هنا أمثالا وهذا فعل الله والفعل جليل ولا يعرف جلاله إلا بالعلم والحكمة فأما المعرفة القولية فلا فائدة فيها . وهذا الحرم المبني في بلادنا المصرية لما كان أمم بناء كان ثباته ودوامه أمم . وهذه قاعدة مطردة . قال قد فهمتها . قلت : وقيل أن أرب عليها الإجابة على ما طلبت أقول أن هذا الاختلاف في الأحوال قد جعل لغايات شريفة . ألا ترى إلى ما قسم في سور كثيرة أقربها ما جاء في ﴿ سورة الأحزاب ﴾ عند آية - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا - فقد وزنت

هناك ما بين قول النابغة للنعمان ابن المنذر * كأنك شمس والمولوك كواكب * وما بين هذه الآية وأن فضائل النعمان لانسبة بينها وبين الشمس وأن ثمرات فضائل النبوة تشبه منافع الشمس ، وقد ذكرنا هناك الرياح والسحاب ، وكيف كانا ناجين من الحرارة والبرودة ، وكيف كانت سرعة قبول الأرض للحرارة وضدها وبطء قبول الماء للحرارة والبرودة سببين متضادين أنتاجا منافع للناس بالرياح المختلفة ، فاولا هذا الاختلاف لم يكن نسيم البر ولا نسيم البحر ولا الرياح الموسمية ولا الرياح التجارية الضدية وهكذا . كل ذلك تقدم ، فهذا الاختلاف هو الخير والمنفعة والسعادة للحيوان على الأرض ، إذن اختلاف أحوال المادة جعل لفوائد شريفة . اذا فهمت هذا فأقول إجابة على أسئلتك الخمسة :

ما التوب ولا الكفر إلا أشبه بما عرفنا في الماء من أنه لا يقبل الحرارة بسرعة ، فالكافر والعاصي لم يقبل الايمان والطاعة لأن فطرتهما ليست سريعة القبول ، فلذا أسلم الكافر بعد ذلك ، واذا أطاع العاصي بعد اقتراف الذنب وبعد الندم الشديد كان ذلك بعد جهاد ومشاق طويلة فيكون صلاحه أتم وهذا معنى قولهم « رب مصيبة أورثت ذلا وانكسارا خيرا من طاعة أورثت عزا واستكبارا »

وكم من متوسط الذكاء فاق من هو أذكى منه بسبب طول أناة وصبره وجده في التحصيل فيصير أرق منه وأقصر وأقوى وأعم

قال : هذا حسن وقد فهمناه ولكن ماذا تقول في العاصي اذلمت بلا توبة والكافر اذا لم يؤمن ؟ فأين الحكمة إذن في خلاصها للنام ؟ قلت : هذا أدع الجواب عليه الآن فانه من المسائل التي ليس يعقلها كل امرئ . ولتكن الاجابة عليها في وقت غير هذا ولكني أقول لك الآن إجمالا لا يعقل حكمة ذلك إلا حكيم قرأ العلوم الرياضية والطبيعية والالهية ، فاذا لم يعلم ذلك فلا يجوز له أن يبحث في هذا لأنه فوق طاقته وأنت تقدر على الجواب من نفسك لنفسك . قال : إذن نكتفي بهذا في الفصلين الأول والثاني . قلت :

(الفصل الثالث في محاجة مؤمن آل فرعون لقومه)

وملخصها ما يأتي :

(١) ان كذب الرسول واقع عليه وصدقه ان لم يطع القوم أنزل العذاب بهم ، وهذه الحججة تنتج أحد أمرين : إما الاتصال على عدم أذاه ، ولما الزيادة على ذلك بطاعته ، والنتيجة التي يقصدها عدم التعرض له بالأذى

(٢) للملك لا يدوم فاذا تمدينا على غيرنا فقله لنا بالمرصاد فن ذا ينصرنا

(٣) ان هناك أمما تقتمتنا فهاوا ما فعلنا فهلكوا أفلا تخاف العاقبة

(٤) بل هناك يوم الحساب

(٥) أتم قوم اعتمدتم التكذيب والشك كما حصل منكم في أمر يوسف

(٦) إن هذه الحياة كسراب خبيثة فكيف تغتر بها

(٧) والأصنام التي تعبدها لا قيمة لها

(٨) ونتيجة ذلك أن الله تعالى وقاه سينت مكرهم ووقع العذاب بالقوم

إذن لنفصل العذاب الذي حل بالأمة المصرية بعد زمن المؤمن الذي قال هذا القول من بلادنا المصرية وهذا يعوزه (ثلاث جواهر * الجوهرة الأولى) في مجل تاريخ قضاة المصريين وبيان انه ثلاثة أدوار (الجوهرة الثانية) في أن هذا الذي قاله مؤمن آل فرعون كان في السور الثالث . وبيان سر التنزيل إذ يقول مؤمنهم - فن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا - وما هو هذا بأس (الجوهرة الثالثة) في بيان الأسباب العقلية التي سببت هذا بأس . وكيف كان التقليد وترك العقل جانبا في أعمال الحياة وفي الدين ينتهي بموت

الأمة وهلاكها . وأن هذا العرس متى فهمه المسلمون أقلموا عن جهلهم لأن أكثرهم اليوم يشبهون هذه الأمة المصرية في دورها الثالث وأن هذا التفسير هو آخر أذار لهم وهاك بيانها

﴿ الجوهرة الأولى ﴾

جاء في كتاب الأدب والدين عند قدماء المصريين ماضيه

﴿ لمحة في تاريخ مصر القديم ﴾

ينقسم تاريخ مصر القديم بإعتبار السول الأصلية الى ثلاثة أدوار : السور الأول يشمل السولة القديمة . والسور الثاني يشمل السولة الوسطى . والسور الثالث يشمل السول الحديثة (١) وتاريخ السولة القديمة ينحصر في ثلاثة عصور : وهي العصر الصاوى والعصر المنى والعصر الحرافيو بولوتينى

(١) - « العصر الصاوى » وتحتصر فيه الأسرتان الأولى والثانية من (من سنة ٥٠٠٠ الى سنة ٤٤٥٠ ق م) وهو يتبدى بالملك مينارأس القراعنة الذى جمع تحت سلطانه الوجهين البحرى والقبلى . وجعل : عاصمة ملكه تانيس أوطينة (البربة بجوار جرجا حيث توجد قبور للآلوك الأولين

(٢) - « العصر المنى » يتبدى من الأسرة الثالثة وينتهى الى الأسرة الثامنة (من سنة ٤٤٥٠ الى سنة ٣٣٥٠ ق م) وكانت عاصمة المملكة في هذا العصر مدينة منف أو منفيس (العروقة) الآن ببيت رهينة الواقعة على بعد عشرين كيلومترا جنوى القاهرة . وكانت في ذلك الوقت محط الرحال . وكعبة الآمال . غنية بعالمها ومعارفها ، متقدمة فنونها وصناعاتها . وفي هذه المدة توسعت مصر في الفتوحات حتى استطلت برايتها بلاد سيناء والنوبة والواحات ، واشتهر من ملوك الأسرة الثالثة (من سنة ٤٤٥٠ الى سنة ٣٤٤٠ ق م) زوسير مشيد الهرم المدرج . وسفرو مشيد هرمى ميدوم ودهشور . ومن ملوك الأسرة الرابعة (من سنة ٣٤٤٠ الى سنة ٣١٥٠ ق م) نفوف وخفرع ومنقرع وهم الذين شادوا اهرام الجيزة . ومن الاسرة الخامسة (من سنة ٣١٥٠ الى سنة ٢٧٠٠ ق م) للملوك ساحررع ونوفرقرع وامرنرع واوناس الذين شادوا اهرام أفي صير . وشيدوا بها المعبد الشمسى . ومن ملوك الاسرة السادسة (من سنة ٢٧٠٠ الى سنة ٢٥٠٠ ق م) نيتى وبنى الأول وبنى الثانى وصررع الأول وصررع الثانى الذين بنوا اهرام سقارة ، وقد انتهى عصر هؤلاء الاسر الثمانية بوقوع البلاد في وهدة الشقاء بسبب الاضمحلال الذى ابتداء بالأسرة السابعة (سنة ٢٥٠٠ ق م) وأخذ يزداد في الأسرة الثامنة (من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ٢٣٥٠ ق م) التى اقترض هذا العصر باقراضها

(٣) - « العصر الحرافيو بولوتينى » وهو يشتمل على السولتين التاسعة (من سنة ٢٣٥٠ الى سنة ٢٢٠٠ ق م) والعاشر (من سنة ٢٢٠٠ الى سنة ٢١٠٠ ق م) وفي عهد هاتين السولتين نشبت الحرب بين ملوك الوجه البحرى وملوك الوجه القبلى

﴿ السولة الوسطى من سنة ٢٢٠٠ الى سنة ١٦٠٠ ق م ﴾

لما كان العصر من حظ ملوك الوجه القبلى . اهتم ملوك الانثيف ومنتحوت . وهم من الأسرة الحادية عشرة

(١) يتعذر على المؤرخين تحديد تاريخ العاديات القديمة العهد تحديدا صحيحا لأن المصريين لم يكن لهم تاريخ معين بل كانوا يؤرخون الحوادث بنسب حكم الملك الجالس على العرش . فليس لدينا اذن الى الآن كشف تاريخى كامل يجمع أسماء الملوك ويعين مدة الفترات الواردة في هذا الكشف . فاذا أريد معرفة تاريخ الملوك أو الآثار استعملت أرقام الأسر المالكة حسب ترتيبها

(من سنة ٣١٠٠ الى سنة ٣٠٥٠ ق. م) بحفظ رونق مدينة طيبة (التي من اطلالها الآن الاقصر والكرنك والقرنة ومدينة هيو) واحتفظوا قاعدة الملكهم . وجعلوا لهم أمون رع سيد جميع الآلهة . وفي عهد الانحيتيين والأوسرتيين . الذين هم من ملوك الاسرة الثانية عشرة (من سنة ٣٠٥٠ الى سنة ٢٨٤٠ ق. م) كانت مصر زاهرة باهرة باهرة . حافظوا على دولة طيبة الأولى ، وحكموا النوبة حتى الشمال الثاني واحتفظوا بملك سينا . وعمرروا إقليم الفيوم . وأقاموا ببلدية المعابد الضخمة . والمباني الضخمة وشادوا أهراما بدهشور والشت والفيوم . وبنوا قبور بني حسن والبرشة . وأقام الملك أوسرتين الأول أمام هيكل الشمس مسلتين من حجر الصوان إحداهما موجودة الآن في المطرية وطولها نحو العشرين مترا وقد بنى الملك امنمحت الثالث قصرا شرقى بركة قارون بالفيوم فيه ٣٠٠٠ غرفة وهو المعروف بالتيه للعدد من عجائب الدنيا السبعة . وفي عهد الأسرة الثالثة عشرة (من سنة ٢٨٤٠ الى سنة ٢٤٠٠ ق. م) حافظت مصر على نظامها وبجدها . ثم في عهد الأسرة الرابعة عشرة (من سنة ٢٤٠٩ الى سنة ٢٢٠٠ ق. م) تجزأت مصر الى عدة حكومات . وقلت عاصمتها الى سخا بالوجه البحري . وتردت بأردية التمهق والخلول فسقطت في مهاوى القلاوهران . حتى أنه في عهد الأسرة الخامسة عشرة (من سنة ٢٢٠٠ الى سنة ٢٠٠٠ ق. م) لما هاجم مصر الهكسوس (زعاة آسيا) لم يجدوا مقاومة تذكر من المصريين فاحتلوها . وتقل المؤرخون أن الزعاة حكموا مصر ٥١١ سنة وكان منهم فرعون يوسف الصديق

﴿ النوبة الحديثة ﴾

(من سنة ١٩٠٠ الى سنة ٣٤٠ ق. م)

(وهي دولة طيبة الثانية) من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٣٨٠ ق. م

انضم أموزيس أول ملوك الاسرة الثامنة عشرة الى امراء الأسر الملكية المصرية القاطنين بالوجه القبلي بعد أن أخرج الزعاة الى آسيا ، وتوسع في الفتوحات حتى بلغ ملكه نهر القرات شمالا . وإلى النيل الأزرق جنوبا . واهتمت هذه الأسرة بالمباني ومظاهر العمران

وفي زمن الأسرة ١٩ (من سنة ١٣٨٠ الى سنة ١٢٢٠ ق. م) التي كان ملوكها رعمسيس الأول وسيتي الأول ورعمسيس الثاني ومنفتح احتفظوا بملك فلسطين وسوريا القبلية واستمرت بلاد آسيا والسودان نابعة لمصر حتى آخر عهدهم . ثم استقلت بعدهم حين ضعف نفوذ الملوك وسقطت سلطتهم بينما كان كهنة أمون قد أسروا الجاه الواسع والثروة من الهدايا والتحف التي كان يقدمها هؤلاء الملوك الى المعابد . فأخذونها غنيمة باردة . وبسبب هذه الثروة الواسعة صار لهم النفوذ . وقويت كلمتهم . واشتدت شوكتهم ، ولم يزالوا يهملون الأمور حتى تولوا الحكم وخلص الملك لهم .

﴿ العهد الصاوي ﴾

(من سنة ٧٢٠ الى سنة ٣٤٠ ق. م)

في هذا العهد كانت مصر في حاجة شديدة الى الوتام والوفاء لاقاء شر الدول المتغلبة ومقاومة الأمم التي كانت استولت عليها . لأن هذه الأمم كانت نهضت لتحريرها وخروجها من نير العبودية ولكسها اذ امت عل نفسها وفشا فيها داء التخاذل والتنافر حتى تنقلت العواصم ما بين نائيس المعروفة بما البحر بمديرية الغربية وتل بسطة بمديرية الشرقية . ونتج من هذا الانقسام في مصر أن استولى الاشوريون عليها . وبهم ابتدأت الأسرة الخامسة والعشرون (من سنة ٧١٥ الى سنة ٦٦٦ ق. م)

ثم جاء الصاويون وهم ملوك الأسرة السادسة والعشرين (من سنة ٦٦٦ الى سنة ٥٢٥ ق. م)

فأخرجوا الأشوريين من مصر واستولوا عليها . وفي عهدهم أصاب مصر من الضعف والوهن ما أصابها عقب حكم الملك بسمتيك والملك نحاو . واستولى عليها القرس وخضعت لهم سنة ٥٢٧ ق. م ثم جاء التقتانييون وهم ملوك الأسرة الثلاثين (من سنة ٣٧٨ الى سنة ٣٤٠ ق. م) فالتصهر على يدهم الحرية ، ولكنها لم تلبث قليلا حتى استولى عليها اسكندر المقدوني سنة ٣٣٣ ق. م . وقد اتفق المؤرخون أنه من هذا العهد لم يحكم مصر واحد من بنيها . وهكذا الشأن في كل أمة يسود فيها الاقسام ويروج فيها التنافر والتخاذل وكل نزاع تقيجته الفشل وكل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب . انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية والثالثة ﴾

لقد علمت في الجوهرة الأولى أن أدولر هذه الأمة ثلاثة ، ودورها الحديث كان من سنة ١٦٠٠ ق. م الى سنة ٣٤٠ ق. م
أقول : إن من أشهر ملوكهم (امنتحبت الأول) من الأسرة الثامنة عشرة واموزيس الأول ونحومس الثاني من الأسرة الثامنة عشرة ، ونحومس الثالث من الأسرة الثامنة عشرة ، ورعمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة ، ورعمسيس الثالث من الأسرة التاسعة عشرة أيضا ، وهؤلاء كانوا أعظم ملوكهم ، ولكن لا بد أن نذكر أن رجال الدين زاد استقلالهم على العقول فاستولوا على الملك ، إن الرعاة الذين جاؤا الى مصر في دورها الثاني كانوا أجانب عنها ، فكانوا يقيمون النازلين بمصر على الرحب والسعة ، ومن هؤلاء ابراهيم عليه السلام لما مر بمصر وهكذا يوسف وأخوته وهم عشرة فأنهم أعماجوا في أيام الرعاة وقوام مصر بدخروجهم فاضطهدهم المصريون وهذا الاضطهاد حصل في هذا الدور ، ولكن لانفس أيها الدكتور أن العقول في هذا الدور أخذت ترجع القهقري ، وذلك بسبب وقوف العقول وتمجيدها للتقليد المجرّد وبسببها عن التحقيق وهل أتاك نبأ مامة عليك سابقا في هذا التفسير في ﴿سورة النمل﴾ عند آية - فذلك يبيّن خاوية بما ظلموا - وآية - إن للملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - فهناك ترى كيف اشتركت هذه الأمة المصرية الحديثة والأمة الاندلسية في أمر واحد وهو الوقوف على الظواهر والتقليد الأعمى والفسوق ، وهكذا ذكرت لك هناك أم العرب المتأخرة في بلاد الشام والعراق إذ نقلت عن ابن خلدون أن هذه الأم العربية لما كانت مستمسكة بالدين حفظت بلاد الله ولما نبذت الدين صارت عالة على الأمم فأزال الله ملكهم إذ ذاك انظر هذا المقام هناك فانك تجد القوم من مبدأ الأسرة السادسة عشرة اتخذوا الحيوانات (التي كانت دالة على إبداع الخالق ورمزا لجلاله) معبودات عبدوها هم وجعلوا المعبود الحق في الدرجة الثانية فأخذوا يعبدون الطير والسماك والحيات والناسج والقط والكلاب ، وهناك ترى حربا دارت بين بلدين أحدهما عبث السمك والثانية عبث الكلب ، فالذين لا يعبدون السمك أكلوه فاغتاز عباد السمك وأكلوا كلبا لإغظة في عابديه ، فعقول هذا شأنها صارت أسفل من الحيوان في الارض بل هم أضلّ من الأنعام . فلماذا إذن لا يدخل البلاد الأجانب ، وهناك قرأ النبوات التي أعلنتها أنبياء المصريين بزوال ملكهم وخواب دولهم فارجع اليه واقراءه هناك فلاسيل لاعادته هنا

فهذه العقول لما خربت خربت البلاد . ألا ترى وعاء الله أن الجيش الفارسي لما أخذ يحارب المصريين أحضر ملكهم قططا وجعلها صفوفا بين الجيشين فتحاشى المصريون ضرب القطط لأنها ألهمهم مع ان اسلافهم كانوا يحترمونها لأمر واحد وهوانها تأكل القبران فأخذوا هذا التعظيم من حيث هو لامن حيث نتاجه وزادوه حتى صارت نفس القطط آلهة . وهذه الحيلة دخل الجيش الفارسي مصر . لماذا ؟ لأن تلك العقول

لا تسمى وانحطت تحت قوة الحيوان الأعجم

هذا هو السر في قول مؤمن آل فرعون لهم - يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا - وبأس الله هودخول الفاتحين من الآشوريين أولا والفارسيين ثانيا والرومان ثالثا وهكذا . وكل هذا سببه وقوف العقول على التقليد بلا روية ولا فكر . انظروا قوله - أقتتلون رجلا أن يقول رب الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم - الخ إذن هم لا يفكرون لأن عندهم بينات لم يفكروا فيها . إذن هم قوم مقلدون وبهذا التقليد دخل الفرس بلادهم لانحطاط عقولهم

ومن العجب أن قول مؤمن آل فرعون يشابه قول (ملا كاتب جلبي) الذي ألف كتاب « كشف الظنون » في القرن الحادى عشر الهجرى ، وقال في حق الدولة العثمانية التركية التي هو مستظل بظلها ناقلها عن الشهاب الخياشى في كتابه « الخبايا في الزوايا » يقول :

« إن الدولة التركية لما أفتى أحد علماء الدين بتحريم العالم والفلسفة أخفت تنحط . ثم قال : وهذا إذن من الله بنهب ملك دولتنا » انتهى بالمعنى . وقد تحقق ذلك في هذه الأيام فدولة بنى عثمان قد انحطت وزهبت كأمس البار

ومن عجب اننى وأنا صراحتى كنت أتعلم في الجامع الأزهر وأرجع الى القرى فأجد أناسا يأتون بيوتهم وقار واحترام وهم من آل البيت الكرام ويأخذون من الناس رزقا سنويا ولهم أناس يسبون تبعاً لهم ويبيتون عند الأغنياء ويذكرون ليلاً ويأخذون رزقا من الناس يسمونه (العادة) ولقد بطل هذا في زماننا في بعض البلاد

فيهاجها . كل ذلك للجهالة الفاشية ، فالعقل جاهل والآخذ جاهل . كل ذلك للجهالة الحالية بأهم الاسلام لايجوز أن يكون في الأمة عاطلون ، وما أولئك الذين يعيشون من كسب غيرهم بحجة الدين إلا كذاب أو حشرات أو نباتات طفيلية ، فيجب على العلماء وعلى الأمراء أن لا يسمعوا بهذا ، بل يجب أن يعم التعليم لأن الجاهل هو الذى أوصى الى الجهال أن يتزوا باسم الدين ويأكلوا أموال الناس بالباطل

إن شرارمة الاسلام أولئك الذين يأكلون باسم الدين . إن كثيرا منهم يوهمون العامة أنهم يشفعون لهم عند الله في جلب الرزق والسعة ولهم التصرف في الأنفس فيصرفون عقولهم عن ربهم الى أشخاصهم وإذا وجدنا المصريين في الدولة الحديثة قد جعلوا الحيوانات في الدرجة الأولى والله المعبود الحق في الدرجة الثانية فوالله ان الجاهل قد أوصى بذلك فعلا الى جهة المسلمين فما عليك إلا أن تنزى بزيّ الصلاح والتقوى وتظهر للعامة أمورا توهمهم بها حتى يعتقدوا هذا فيك ولم أر حكما ولا علما في أمتنا الاسلامية يرضى بذلك والفدى يرضى به هو الجاهل لأن العالم قلبه معمور بالعلم والحكمة . أما الجاهل فلخلق نفسه من العلم بدعيه ويفرح بقول العامة انه قطب زمانه كما يفرح كثير من أولئك التمساء اذا تعلموا في المدارس العالية ولكن الأمة تحتقرهم لنسوقهم وسوء سلوكهم فلا يحسون في نفوسهم بسعادة فيتسلسونها من كلام الناس ويسعون عند الملوك ليعطوهم ألقاب الشرف ويفرحون بقول القائل لهم سعادة فلان وعزته وهو لا سعادة له ولا عزة لأن السعادة والعزة إن لم يحس بها القلب غير ممكنة اللهم إلا الرياء والرياء ليس سعادة بل هو كسر ابقيعة يحسبه الظلمات ما حتى اذا جاءه لم يجد به شيئا ووجد الآلام فوق الآلام والشقاء فوق الشقاء ظلمات بعضها فوق بعض وعذاب آليم

فقال صاحبي : لقد أفتعتني وفهمت الحقيقة . وأريد الآن أن تأتى ببينة من أحوال مصر في عصرنا هذا استطرادا لتقارن بين وعظ الواعظين في الدولة الحديثة المصرية منذ (٣٥٠٠ سنة) وبين وعظ الواعظين الآن وانما أردت هذا لأفرح بالموازنة بين عتلين بينهما (٣٥٠٠ سنة) والله تعالى لم يذم أمة بل يذم فكل زمان له

نذير . فمؤمن آل فرعون فذير قومه . فأريد أن تصطنى عبارة أدبية ليكون ذلك من لطائف مجلسنا في تفسير هذه الآية . فقلت :

اعلم أن الأمة المصرية الآن اعتورتها الخطوب واتابتها الصعاب وأحطت بها الأم من كل جانب فأول من أذلها في الأزمان الأخيرة الأمة التركية إذ جردتها من سلاح العلم وأخذت صناعتها منذ (١٠٠ سنة) وحصرته بمجموع الأمة في الزراعة وحذفت من البلاد بيوت العلم شيئاً فشيئاً حتى إذا قلبت دول أوروبا على بعض بلاد الشرق أرساوا المبشرين فزلزلوا العقائد . وزاد الطين بلة أن الانجليز أزالوا أكثر آثار النهضة العلمية التي أحدثها المرحوم محمد علي باشا في القرن التاسع عشر وذهبت ورعة الدين ، وترى أكثر كابر الأمة وعظمائها لا يعملون طمس جلوس ولا سمر إلا في المجال التي فتحها القرنجة في قس بلادنا يحضون فيها أنواع الشراب من البيرة والخمر والشبانيا وأكثر المتعلمين لا يعمل لهم إلا أن يكونوا في مناصب الحكومة لأن التعليم تعليم لفظي لم يخاطب بشاشة القلوب ولم يحرك اليدين للعمل . فهل لك أن تقرأ ذلك الخطاب الذي أرسلته أنا لمجلس النواب ولوزارة المعارف وللمجلس الشيوخ فاقراء في سورة يونس في أولها

إذا عرفت هذا أدركت مضمون ما يكتبه الكتبة في بلادنا فان التعليم إذا كان لفظياً لا يلائم القلوب روعة وظاهراً مغلولاً بالزيف والالحاد فان نتائجه أن لا يكون بعض أهل الخلق والعقد في البلاد إلا بمن لا يرقبون في الله لومة لائم ولا يقيمون العدل لإقليات ولا يعملون عملاً صالحاً لإلراية . أما مراقبة النفس والعمل للصحة العامة فذلك قليل . وعما زاد الطين بلة أن الحمالة في البلاد أصبحت من أهم الحرف والصناعات . ومبنى الحمالة أمام القضاة إنما يكون على أسس الخداع والنفس وقلب الحقائق . وبعض هؤلاء يتولون القضاء ثم يصيرون وزراء وحكاماً . وقد يكون الرجل منهم سيئ السيرة مخموراً مشتهراً بذلك بين معاصريه . ثم يتولى الرئاسة وهو مضطرب عليه فلا يقيم للحق وزناً ولا للروعة قسطاً

والحق الذي لا يحصى عنه أن الجهال أصنى قوساً وأصح إيماناً وأبقى عقائد من بعض هؤلاء الذين لا يتقون ولا هم يذكرون

إذا عرفت هذا أدركت ما يرى إليه الكتاب في زماننا الحاضر . فهذه هي الأصول التي تنفرد عليها فروع الكتابة المنشئة في زماننا ، فإذا كانت نصيحة رجل من آل فرعون في البلاد المصرية على هذا الأسلوب المذكور في الآيات التي نحن بصدد الكلام عليها فهذه هي الأصول التي يدور عليها محور الإرشاد في أيامنا مضافاً إليها ما نمت به الأمة من تهتك النساء والتبرج المزرى والتقليد الضار والسير على نهج لا رأى فيه ولا هدى ولا كتاب منير وفيه الأمر من قبل ومن بعد

هذا مجموع ما يقال على أمنا المصرية من حيث العموم . وقد آن أن أبحث معك أيها القارئ في أمر خاص وهو أن هذه الأمة اليوم غير الأمة أيام مؤمن آل فرعون . هذه الأمة اليوم عربية بجهة نعم فيها أقوام من نسل آل فرعون ولكن أكثرهم أسلموا ثم الدين بقوا على دين النصرانية لا يتكلمون إلا بالعربية وأنما هم يتعلمونها ويقرؤون آداب العرب وأشعارهم وعالومهم وغالب الأمة مسلمون والقليل جداً هم القبط . وإذا كانت عربية فلها اتصال بأهل طرابلس وتونس والجزائر ومراكش وأهل السودان وسوريا وفلسطين وشرق الأردن ونجد واليمن والحجاز وبلاد العراق والموصل . ولكن أصابها الترك فزقوها في قرون مضت حتى فرقوا أوصالها ورمزقوا أشعائها . وعلموهم كيف يتدارون . وأفهموهم كيف يكونون جاهلين فجهلوا بذلك للدول الثلاث هم (فرنسا وإنجلترا وإيطاليا) هذه الدول الثلاث هم الذين اقتسموا أبناء العرب وعلموهم كيف يجهلون وينامون وقالوا لهم أتم وطنيون فليس لكل منكم إلا وطنه . فأهل أوروبا كلهم يقتخرون بأنهم نصارى وعلى دين واحد . ويقولون لأبناء العرب : « دعوا صلة الدين وتفرقوا بالوطنية »

ولما كان المصريون هم الذين اختص بهم هذا المقال أردت أن أذكر هنا رسالة شاب نابعة تعلم في مصر وألمانيا وكان من تلاميذ المدرسة الخديوية وله في صلة وهو رئيس تحرير مجلة «الشباب المسلمين» وهو الذي اخترت أن أكتب رسالته في نصيحة المصريين أن يتعاونوا مع اخوانهم العرب والمسلمين عموما لتدرك أيها الذكي الفرق بين النصائح المذكورة في القرآن من مؤمن آل فرعون في بلادنا أيام القراعنة وبين نصيحة الشاب المصري، وكيف كان مؤمن آل فرعون يذكر قومه برهم وعظمته ويدلهم على صدق رسالة موسى عليه السلام بمجهزاته، وأن عظمة الملك لادوام لها، وأن الله بالرصاد للظالمين، وكيف أظهر فرعون العظمة واستبد بالأمر، وكيف حذر المؤمن قومه من غضب الله عليهم كما غضب على الظلمة من الأمم السابقة في الدنيا والآخرة، وكيف عبرهم بالحادى في الانكار. وكيف حذرهم الأسنام وإنها لاتعقل. وكيف فوض أمره الى الله تعالى. وكيف وقاه الله مكر القوم. فاذا وازنا هذه النصائح بنصائح كتابنا كما ستراه في هذه المقالة التي اخترناها أفتينا أن صديقنا يحيى الوردري يذكر العرب عموما والمصريين خصوصا بتاريخ أمهم واتهم ان جهلوه هلكوا. وذكرهم بالأخلاق الفاضلة والعمل بالدين. وأراهم أن فصل تعاليم الدين عن التعليم الوطنية مهلك للأمة. وأن المصريين القداماء قبل إلحادهم وكفرهم كانوا أمة موحدة. وأوصاهم بالتحالف مع اخوانهم في العراق وسنج واليمن والشام واثال افريقيا. إذن النصائح اليوم في مصر متجهة الى الدين أولا وتصحيح العقيدة كنصيحة مؤمن آل فرعون. ولكن هنا زادت أمرا جديدا وهو الجامعة العربية. فهناك نص المقالة المذكورة :

﴿ النعرة القومية والفكرة الاسلامية ﴾

قامت في هذه الأيام ضجة حول مبدء التمسك بالوطنية وترك ماعداها. وأنصار هذه الدعوة رفعوا شعار «الدين لله والوطن للجميع»، فقال المصريون منهم نحن مصريون فرعونيون قبل كل شئ. وقال بعض السوريين نحن فينيقيون. وقال بعض العراقيين نحن كلدانيون وقس على ذلك. تريد كل فئة أن تملك بمجدها التالك وتحتسب في حدودها غير ناظرة الى ما يهددها من المخاطر من جراء عزلتها التي تجعلها فريسة سائلة لكل مستعمر قوى مقتل

يجب على كل أمة أن تعرف تاريخها قديمه وحديثه لأن ماضى الأمة يلعب دورا كبيرا في حاضرها ومستقبلها ولا يمكننا أن ننسى الماضى لأن عقائدنا وأفكارنا كلها آتية منه. وهو الذى يكون روح الأمة وشكلها ولذلك كلما كانت الأمة عريقة في المدنية وذات مبادئ حقة كان نسلها ذا استعداد طبيى لكل تقدم وورقى. قال الدكتور جستاف لوبون « حظ الشعب متوقف على ما يعتقد أنه الحق. واث التطورات الاجتماعية. وتأيسس أو هدم الممالك وقتم أو انحطاط المدنية ناتجة من قليل من العقائد التي تنزل من النفوس منزلة الحقائق وهي تمثل مسيرة الشعب الوراثية وقها لحواث الدهر

« ان من أخطر الفططات في العصر الحاضر ترك الماضى. وعدم الاعتراف به. وكيف يمكن ذلك؟ ان ظل الأسلاف يحكم أرواحنا. وهو يكون الجزء الأكبر منا. كما عليه ينسج القدر حطنا. وان حياة الموقى أكثر بقاء من حياة الأحياء. لا يمكن لأى مدينة أن تبقى بدون مرشدين أقوياء من المتعلمين أو بالأحرى بدون مبادئ عامة قوية. لأن قوة الأخلاق أو القوة للنعوية هي الآن المحرك الحقيقي للعالم

معرفة الماضى يجب أن تكون أداة لاذكاء روح الحية والفيرة والعزة والرفعة والاستقلال وهنا حدود الوطنية البرية ولكن لايجوز أن تتعداها الى السلف والكبرياء والعزلة والاغترار بالنفس وعدم الاعتراف لغير بفضائله ومحاسنه فهذا هو الطيش والحقى

قلت في مصر الفكرة القومية أو الدعوة الوطنية منذ نشأتها على أساس صحيح معقول وهي محور الوطن من كل غاصب مقتال حتى تصبح مرفاق الأمة في أيدي أبنائها وأن يكون اعتماد الأفراد على أنفسهم في سبيل تحرير بلادهم . وقد وصف الزعيم الأول للنهضة المصرية مصطفى كامل ما يجب على كل وطني عمله . فقال : « إن الأمم لاتنهض إلا بنفسها . ولا تسترد استقلالها إلا بمجهوداتها . وإن الشعب كلفرد لا يكون آمناً على نفسه إلا إذا كان قوياً بنفسه مستجيباً لكل عدد المقاطع وآلات النب عن الشرف والمال والحياة » . « إن قانون الحاكم في معاملته للحكوميين خاضع لدرجة احترامه لهم . فإن رآهم أمواتاً في أنزياء أحياء يقولون مالا يعتقدون . ويطلبون من الإصلاح كما يطلب السائل الاحسان . لا كما يطلب صاحب الحق حقه استبد فيهم وسخرهم لسلطته كما تسخر الأنعام »

على مثل هذه المبادئ السليمة قامت الدعوة الوطنية الشريفة . ولقيت من الأمة المصرية أذاناً صاغية وقلوباً واعية . وأصبحت حرية البلاد واستقلالها عقيدة قوية لأصبح الثوارون فيها . وهي كما قال مصطفى كامل « إذا صبح التسامح في بعض الأمور وفي ظروف معينة . فإن التسامح في الوطنية اعدام لها وقضاء عليها . وإن من يتسامح في حقوق بلاده ولومرة واحدة يبقى أبداً المحر من عزع العقيدة مقيم الوطنان » . وقال أيضاً « إن الذين يطالبوننا بعدم ذكر الاستقلال انما يريدون أن تموت روح الوطنية في مصر . أي تموت الأمة المصرية . لأن حياة هذه الأمة ومستقبلها مرتبطان بمقدار قوة هذه الروح في الشعب »

الوطنية الصحيحة لاتقوم الا على الأخلاق الفاضلة وهذه بدورها تستمد قوتها من الدين الحنيف . وتاريخ مصر قديمه وحديثه شاهد على ماقول وإنك كان من أهم أغراض المستعمرين طمس معالم التاريخ القديم لتعليم النشء في المدارس لتضعف فيهم روح الاعتزاز بالماضي ويلقون في روعهم أنهم عالة على الأمم الأخرى . ومحاربة الدين الاسلامي على الخصوص لأنه يبعث في نفوس النشء الاسلامي الاحتفاظ بالكرامة وبادئ الحرية والشجاعة وهذا مالا يتفق مع سياسة المستعمر الغاصب في اخضاع الأمم الاسلامية واذلالها

فالذين يدعون الى الوطنية وترك الدين جانباً انما يدعون الى قضية محققة الخسران . لانهم يدعون الى مبادئ لا روح فيها ولا حياة . اذ كيف يكون حال نشء في الوطنية وهو خلو من مبادئ القضية ومراقبة الله عز وجل في السر والعلن ؟ هؤلاء لاتكون لهم الاساسة واحدة وهي سياسة المنافع ووجو المنافع أو بعبارة أخرى سياسة الهوى وهي سياسة مقضى عليها بالقتل . وقد قال لامارتين : بحق « إن ضميراً خالياً من الله كالحكمة الخالية من القاضى »

إن تاريخ مصر القديم والحديث يثبت أن الدين والوطنية وحدة لاتنفصل بل هما بمثابة الروح والجسد في عالم الحياة . جاء في مجلة علم الآثار المصرية في الجزء الأول المجلد الثاني ص ٣٧ للاستاذ العالم رفيو : « الدين كان له القدر المحلى والمكانة الاولى في نفوس قدماء المصريين الورعة واليه يرجع الفضل في كراهة الاجاب الفاسقين . وتوحيد القوى الوطنية . التي بها أمكنهم أن يطردوا المكسوس ومن بعدهم الاشوريين . ويشهد للمؤرخ اليوناني هردت وقد زار مصر في عهد العجم أن هؤلاء الغالوين (المصريين) كانوا يفضون الغاصب ويحتفرون بها كانوا يبدونه من مقاطعتهم وقطع كل صلة مع الفاسقين . فلا يجلسون معهم على مائدة ولا يأكلون معهم »

إذا تتبعنا سيرة الحياة المعنوية لروح الأمة المصرية في أطوارها نراها روحاً اسلامية بحتة سواء في عهد الفرعنة أو غيره لأن روحها روح التوحيد وقد تأصل في قرارة نفسها بالرغم مما طرأ عليها من صروف الحدثن والمظاهر الكثيرة التي أولوها في كثير من الأحيان على غير وجهها الصحيح . قال المؤرخ الشهير (شمبلون فيجياك) : « قد استنبطنا من جميع ما هو مدون على الآثار صحة ما فاهه للمؤرخ (جامبليك) وغيره

من أن المصريين كانوا أمة موحدة لاتعبد الا الله . ولا تشرك به شيئا . غير أنهم أظهروا صفاته العلية الى العيان مشخصة في بعض المحسوسات . وأنهم لما فرقوا في بحر التوحيد . علموا أبدية الروح . وأيقنوا بالحساب والمقاب . ولا عبرة بماتاته بعض مؤرخي الأجانب الذين حضروا محافل المصريين الدينية وشاهدوا بها كثرة تماثيلهم الرمزية . وأنهم لجهلهم لفهم . وبحقيقة عبادتهم جالوا الأمور على ظاهرها . وحكموا عليهم بالكفر والالحاد مع انهم لم يفهموا منها المراد . فكأنهم دخلوا في قول الشاعر :

وكم من عائب قولا صحيحا * وأفته محب الفهم السقيم

راجع كتاب الأثر الجليل قدماء وادى النيل لأجذبك نجيب ١٢٣ وقال العلامة مسبرو د من تأمل في الآثار الباقية الى الآن بالبيار المصرية والوحدات الدينية المنقوشة بالهياكل وعلى الورق البردى هالته كثرة هذه الآلهة المصورة عليها . حتى ظن أن مصر كانت مسكونة بهؤلاء الآلهة . وإن أهلها ما خلقوا للعبادتها . وسبب ذلك أن المصريين كانوا أمة مغلصة في العبادة إما بالقطرة أو بالتلقين أو التعلم . فكانوا يرون الله في كل مكان . فهامت قلوبهم في محبة . وانجذبت أفئدتهم اليه . واشتغلت أفكارهم به . ولازم لسانهم ذكره وشعنت كتبهم بمحاسن أفعاله . حتى صار أغلبها محفا دينية »

كانوا يقولون انه واحد لا شريك له كمل في ذاته وصفاته وأفعاله . موصوف بالمعلم والفهم . لا يحيط به الظنون . منزه عن الكيف . قائم بالوحدانية في ذاته . لا يصير الأزمان . ثم هدودوا صفاته العلية وميزوها بالأسماء واشتقوا منها نعوتها شخصوها في المحسوسات . وكل شيء نافع . وجبها ترجع اليه . ولأجل التميز جعلوا لكل اسم تماثلا . فانتشرت هي وما اشتق منها حتى ملأت المدن والبلاد . »

ان الساعة التي تسرب فيها الإلحاد والشرك الى العقيدة المصرية كان ذلك نذير زوال مجدهم . اذ عرفنا أن تاريخ المصريين يربط عقيدتهم الدينية (قديما وحديثا) بلفظ عز وجل وأنه تعالى يجب أن يكون قصدهم متبعين أوامره متبين عن نواهيها فالاسلام عندي هو المستور الطبيعي الذي يوصلهم الى غاياتهم السامية قال تعالى - ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين -

الدين الاسلامي الخفيف لم يخمس الوطنية حقها . بل جعل حب الوطن من الايمان . وان تحرير الأوطان لا يكون الا بالذاب على العمل المنتج « وقل أعمالوا فسيروا الله عملكم » وان التمرقش على بذل الجهد - وأن ليس للانسان الاماسى - فلماذا إذا نعيد عن هذا الطريق المستقيم الذي يقودنا الى السعادة الدنيا بالعمل الصالح المنتج . والى سعادة الآخرة بمعرفة الله عز وجل ؟

لقد أعلن دعاة السوء دعوة على غير وجهها الصحيح وأذاعوها من أن المصريين هم فرعونيون غير حرب . وان واجب المصريين أن يشتغلوا بشئونهم دون سواهم . لما أن يشتغل المصريون بشئونهم (أولا) فهذا ما يقره عليهم الاسلام حسب قاعدة « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » واما أن ينزلوا عن بقية الأمم الاسلامية المجاورة لهم فهذا مبدأ لا يتفق مع مصلحة المصريين ولا مع مبادئ الاسلام السليمة . ونحن في عهد تحالف واتفاقات دولية أصبحت احدى وسائل القوة والمنعة ومن عاش منفردا في هذا الزمن عرض نفسه الى السلب والتعثر

ان الدعوة القومية المصرية التي ألبسها دعاة التفرق ثوب الفرعونية لينخرجوها عن بقية الأمم الاسلامية إنما أرادوا بها احتلال مصر الأدنى

أريد أن أعمس في أذن هؤلاء التفر الناصر بالقومية الفرعونية . وأنا مصري صميم مسلم موحد . اذا كان حقا ما تدعون من الاعتراف بالمصرية الفرعونية هل غلب عنكم أن رسول الله ﷺ يصل بكم في جدته العليا هاجر المصرية أم اسماعيل عليه السلام وهو أبو العرب المستعربة وان خاتم الرسل عليه السلام تزوج

منكم مارية القبطية . فنحن تصل بالعرب بصفة الرحم والنسب فهم أقرباؤنا وجاراتنا وهم أولى الناس بمحبتنا وعطفنا ومساعدتنا . ان دهوة رسول الله محمد ﷺ يجب أن لا تؤيد من ناحية المسلمين المصريين غصب بل من ناحية المصريين كافة مسيحيين وغير مسيحيين أيضا حسب الأصول المتبعة في الدفاع عن حق القرابة والنسب والجوار

يجب أن نفهم الحقيقة على وجهها الصحيح حتى لا نضل الطريق السوى فهناك . ان القبط شأنه هو الذي اختار رسوله الأمين محمد ﷺ ليبلغ دينه الى الناس كافة فالدين الاسلامي هو دين للجميع لادين عرب أو عجم وإن من أكبر قواعد الديمقراطية أنه لم يجعل الفضل للجنسية بل جعله للعمل الصالح المنتج فقال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقال عليه الصلاة والسلام « خير الناس أنفعهم للناس »

الاسلام هو الدستور البشري السليم الذي يعطى كل ذى حق حقه ولا يبخس الناس أشياءهم . وإن اشتغال المصريين بمسألتهم القومية والدفاع عن حريتهم واستقلالهم لا يمنعهم بأى حال من الأحوال من العطف على الأمم الاسلامية ومساعدتهم حسب ما قدرتهم و - لا يكتف الله نسا إلا وسعها -

نحن نرتبط مع جاراتنا من الأمم الاسلامية بروابط كثيرة منها رباط اللغة والدين . فيجب أن نحرص عليهما أشد الحرص ونعمل على تمكين هذه الروابط وتوثيق العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بيننا وبين الأمم الشرقية كافة والاسلامية منها خاصة ونحن في عصر التحالف الذي لا يستطيع أمة أن تنفرد فيه بنفسها . فالملك الكبيرة تتحالف بالرغم مما يملكه كل منها من وسائل القوة كتحالفه لاجلنا فرنسا مثلا وكذلك الملك الصغيرة فقد قام التحالف الصغير يضم بولونيا ورومانيا وتشكوسلافيا وبض بلاد البلقان وقامت تركيا تتحالف مع جاراتها الهجم وروسيا

ان مصر من العالم الاسلامي القلب النابض والرأس للفكر وخططين وسوريا والعراق وبلاد العرب والهم الهند والصين الساعد الأيمن وطرابلس وتونس والجزائر وصرا كش وما اليها الساعد الأيسر فيجب أن لا يشغل مصر حالها عن أحوال جاراتها فانهم حصونها الطبيعية المكيمة وإن كل عدوان على أى بلد إسلامي نعتبره معشر المصريين عدوانا علينا في الصميم

يجب أن نحمل سياسة الفاسيين المستعمرين وهي سياسة التفرق والتفريق وقيام الحوائل الجنسية والقومية بين المسلمين والشرقيين ليستغل كل منهم نفسه فيدمهم ثم إذلالهم وخضوعهم ان عمل كل أمة شرقية كانت أو اسلامية رد حريتها واستقلالها لا يمنعا بأى حال من الاشتراك مع جاراتها المظالمة في رفع الصوت علانيا بالاحتجاج وبذل ما يمكن بذله لمعوتها الأدبية والمادية لرفع مآلق بها « والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه » و - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - انتهى كلامه والى هنام الكلام على الفصل الثالث في الحاجة مؤمن آل فرعون لقومه وجواهره الثلاث والحمد لله رب العالمين

وقبل الشروع في الفصل الرابع الآتي قريبا نذكر ما فتح الله به عند طبع هذه الآيات وهما هذا :

(نور العلم في صلاة الوتر بعد صلاة العشاء)

(في قوله تعالى - فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالهش والابكار -)

(كتب ليلة السبت ٨ نوفمبر سنة ١٩٣٠)

بيننا أنا أصلي في هذه الليلة صلاة الوتر في الساعة الثانية بعد نصف الليل وأنا أقول في الركوع « سبحان ربى العظيم » وأكررهما من ثلاث الى إحدى عشرة خطرى أن هذه السورة التي تلي الآن مبدوءة بفقران الذنوب وقبول التوبة . ثم ذكر فيها أن حلة العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في

الأرض . وأتبع ذلك بأحوال الكافرين وعذابهم . وضرب مثلا لقلبك بكفر بني اسرائيل . وأتبعه بذكر مؤمن آل فرعون . ثم غص بالموضوع كله بأن موسى ألقى الهدى والذكرى . وأتبع ذلك بأمر نبينا ﷺ بالصبر والاستغفار والتسبيح والتحميد . وهذا التسبيح وهذا التحميد والاستغفار هي التي صدرت من حامل العرش ومن حوله فيما تقدم . في أول السورة ان تزيل الكتاب من الله وانه غافر الذنب وقابل التوب وإذا استغفر الملائكة فأنما يستغفرون للؤمنين لا لأقسامهم لأنهم ليسوا في أجسام مادية كأجسامنا حتى يستغفروا لأنفسهم بل استغفروهم لأجل أهل الأرض . ورسول الله ﷺ أمر أن يستغفروا له هو أولا . ولا جرم أن الله قابل التوب كما هو مذكور أول السورة . ومتى خلعت نفس الانسان من الذنب سبح ربه وحده . ولا جرم أن التسبيح والتحميد هما ملخص الحكمة المحبوبة في هذه الدنيا وفي الآخرة

يا الله : عجبت لصلواتنا كيف أمرنا بالتسبيح وأمرنا بالتحميد . نكررتما صابحا ومساء . تقول « سبحان ربك العظيم » في الركوع . وتقول « سبحان ربك الأعلى » في السجود . ونسمةك تقول لنبينا ﷺ - وسبح بحمد ربك - الخ ونسمةك تقول - فسبح باسم ربك العظيم - ونسمةك تقول - سبح اسم ربك الأعلى - ونسمة ﷺ يقول « اجعلوا هذه في ركوعكم واجعلوا هذه في سجودكم » فجعلناها كما أمر . فمنع الآن فسبح كما أمرنا ونستغفر كما يستغفروننا ﷺ والخلف يتبعون السلف في هذه الثلاثة ثم اتنا نعلم أن نبينا ﷺ معصوم من الذنوب فكيف يستغفرونه ! والملائكة لما كانوا في عالم لامادة فيه كان استغفارهم لمنافع غيرهم شقة على الذين آمنوا . لكن الرسول ﷺ استغفروا عنه هوقسه فأين هذا الذنب وهو معصوم ؟ وهو كما استغفروا عنه المؤمنين كما فعل الملائكة فهو ذنوب استغفارين استغفار لنفسه واستغفار لغيره . أما الملائكة فلا يستغفرون إلا لغيرهم لأنهم لا يقعون في معصية ولكنك تقول له - واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات - . هذا ما خطر لي في الصلاة (الجواب) ولقد فتح الله عز وجل بما يشرح الصدر في هذا المقام . فلا جمل السلام في (ثلاث مناهج) في استغفار النبي ﷺ لذنبه . وفي تسبيحه . وفي جلده . فأقول :

اعلم أن الذنب على قسمين : ذنب هو مصدر وذنب هو فعل ، ويانه أن هذه الطبيعة البشرية للمتزجة بالمواد الأرضية والمائية والهوائية معدة للذنوب ولا ذنوب إلا ما كان من الانحراف عن الاعتدال في حال من أحوال النفس والذنب لا يصدر إلا عن هيئة في النفس تكون نتيجةها المخالفات والشرور . فهذه الهيئة التي في النفس والصفة القائمة بها والميل الذي اتصف به هو المصدر ، وأما الفعل فهو ما يكون من آحاد الذنوب (مثال ذلك) صبي عاش بين قوم لصوص فاكسبت نفسه تلك الصفة وأشرب حبها . فهذه الصفة هي المصدر الذي عنه تصدر أفعال اللصوصية . فإذا لم تكن الصفة في النفس قلن يكون الفعل . فكل سرقة بالفعل تكتب ذنبا على العبد ولكن لولا ذلك المصدر وهي الصفة القائمة بالنفس بسبب المعايضة واستحسان هذا الفعل من الأهل والأقارب ماصدر ذلك الفعل . هذا معنى المصدر ومعنى الفعل . والاستغفار من الذنب يتبادر الى الفهم انه راجع الى الفعل لا الى المصدر . ولا جرم أن محو المصدر القائم بالنفس والهيئة الشريرة فيها أقوم قبلا وأهدى سبيلا . وإذا استغفر الانسان وطلب من ربه غفران ذنب من ذنوبه الشهوية والغضبية كشرب الخمر أو الظلم مثلا مع بقاء الصفة في النفس كما فعل شيأ عظيما ولو انه طاب من الله أن يزيل ذلك الميل من قلبه لكان خيرا له واستغفار النبي ﷺ لذنبه راجع للمصدر لا للفعل إذ لا فعل وذلك من باب تسمية السبب باسم السبب وهذا في علم المعاني مجاز مرسل علاقته المسببية كما في قوله تعالى - إني أراي أعصركم - أي عني . فكما يقال عصرت خرا أي عني هكذا يقال استغفرت من ذنبي أي طلبت من الله أن يديم لي عدم الصفة التي هي مصدر للذنوب كما تقول في الصلاة - اهدنا الصراط المستقيم - أي أدم هدايتنا . إذن قد حلت مشكلة

- واستغفر لذنبك - وحلت مشكته - إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر -
 ومعنى هذا ليدبر لك ذلك الغفران . وقوله - ما تقدم من ذنبك وما تأخر - معناه أن لا يكون هناك مصدر
 لذنب أصلا . فهذه الجلة ترجع الى عدم تلك الصفة التي يصدر عنها الذنب . ويقول الله تعالى - إنا فتحنا لك
 فتحا مبينا - ورب على هذا الفتح المغفرة أى زوال ذلك المصدر أى الميل والصفة التي بسببها تكون آحاد
 الذنوب أى رب على الفتح دوام تلك الطهارة التي عبر عنها في بعض الروايات بأن صدره شق - وأخرج منه
 حظ الشيطان . فهذا هو المصدر الذي تنشأ منه الذنوب . ولا جرم أن من صفت نفسه هذا الصفاء تكون نفسه
 على تمام الاستعداد لمعرفة العلم والوقوف على الحقائق . ومن نتائج العلم العمل . ومن نتائج الأعمال فتوح
 البلدان لينتشر الاسلام . وكما أن الذنب مصدره هو المقصود من الاستفزاز هكذا الفتح مصدره انتشار الاسلام
 في الكرة الأرضية مصدره هو امتلاء النفس بالحكمة والعلم إذ القلب المقتل لاسلطان له على قلب الغافل فإذا
 عمر القلب بالعلم كان له تأثير على الجاهلين فيتعلمون ويصلون . إذن لا فتح للبلدان إلا بعد فتح القلوب ولا
 انتشار للاسلام إلا بعد أن كان الناس ذاك الانتشار معمورا قلبه بالعلم الذي به يؤثر على سامعيه ولو كان علمه
 كعلم الفلاسفة أو علم العلماء لكان مثلهم فتكون آثاره محدودة كآثارهم . إذن هناك فتوح أعلى وأن نفسه
 تستمد من العوالم القدسية وت شاهد الملك والملائكة وهو لا يطمئن إلا ما ينسبنا . ولولا أنه يحس في نفسه
 بالمشاهدة والقرب لذلك المقام الأقدس ما أطلعت هذه الأمم في حياته وبعد موته ، إذن الغفران يرجع لمصدر
 الذنب والفتح يرجع لمصدره وهي علو نفسه ﷺ والفتوح العلمي . وكما يلزم من انعدام مصدر الذنب وهوام
 ذلك الانعدام من النفس انعدام نفس الذنب هكذا يلزم من الفتح بالمشاهدة والقرب بالعلوم والمعارف المستمد
 من ذلك الجنب القدسي ظهور الآثار في المؤمنين بفتح البلدان وانتشار الاسلام ، وكما كان الاستفزاز موجها
 الى مصدر الذنب فيدوم عدمه هكذا الفتح راجع الى مصدر فتوح البلدان وهو فتوح العلوم ويلزم من
 ذلك فتوح البلدان الذي هو إحدى نتائج الفتح العلمي ، وإذا روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم
 قرأ - إنا فتحنا لك فتحا مبينا - لما دخل مكة وقد ظهرت عليه هيئة السرور فليس ذلك لهذه الظواهر
 وحدها . كلا . بل ذلك لمصدرها وهو الفتح الحقيقي لنفسه ﷺ بالعلوم والمعارف وفرحه بربه ، ألا ترى
 أنه ﷺ قال : « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ » والحديث مذکور في
 أول (سورة الأنازل) وقد ظهرت أسرار هذا الحديث بذل الأمم العربية التي فتحت تلك البلاد وظهرت
 آثار خوفه ﷺ على أمته فضلا في زماننا وقبله . إذن فتوح البلدان وإن كان لا انتشار للاسلام فيه الخير
 والشر ، فالخير للصحابة والتابعين ومن نحا نحوهم لما همروا أرض الله ، والشر لمن بعدهم وقد لحقنا نحن
 وأصبنا اليوم تحت ضغط أم أوروبا لأننا لم نقم بحق الفتح . إذن فتح البلدان فيه الخير وفيه الشر كما أخبر
 ﷺ وظهرت آثاره فينا . إذن مصدر الفتح هو الذي فوح به رسول الله ﷺ وأخذ يقرأ سورة الفتح
 عند الكعبة يوم الفتح وكان قلبه مفعما بالسرور لذلك ، وكيف يفرح بفتح البلدان الظاهري وهو يظهر
 خوفه علينا من ذلك الفتح ويقول إن أكثر خوفه علينا من ذلك كما في الحديث الصحيح . إذن الفتح
 راجع لاكتشاف الحقائق العلمية التي لا يخاف من زوالها وهي السعادة التي لا نهاية لها إذ لا سعادة لهذا
 الانسان كله إلا بالاطلاع على الحقائق ، وكل ما يصيبنا في الحياة قصد به أن يكون مهمازا نساك به الى العلم
 وهو نعمة والنعمه وهو النصر العزيز

إن ترتب الهداية على كمال العلم والوقوف على الحقائق أقرب من ترتبها على فتح البلاد لأن الهداية ألقى
 بالعلم وأيضاً قد شرح الله صدره ﷺ ووضع وزره عنه ، ورمح ذكره ، وهو لا يزال في مكة قبل فتح مكة
 وقبل صاحب الحديدية وهو يهدي الى الصراط المستقيم قبل ذلك فكيف يرتب عليه الهداية ! إن الفتح فتوح

العلم وبالعلم جمع القوم وبالعلم فازوا

وهذا له نظير في لفظ الفنى ، فلفظ الفنى يكفى هذا النوع الانسانى منه بظاهره وهو كثرة لئال ، والنوع الانسانى أكثره غشوى في ذلك لأنه خلق أن امتلاء خزائنه بلئال سعادة له وهو وهم بليل إذ لا سعادة إلا بفنى النفس ، وكما أوغل الانسان في حوز المال توغلت نفسه في الطمع والحرص فيزيد ذلة ومهانة . فالفنى الحقيقى النفسى هو السعادة كالفتح الحقيقى والفقران الحقيقى . وكما انه لا يازم من غفران آحاد الذنوب زوال مصدرها الذى شرحناه هكذا لا يازم من فتوح البلدان المعروف بين الأمم الفتوح العلمى بدليل أن القواد الحربيين يقتعون المدن وهم لا يعلون إلا فن الحرب . وكما انه يازم من غفران مصدر الذنوب المتقدم ذكره عدم نفس الذنوب بتاتا هكذا يازم من الفتح العلمى المذكور الفتح الاسلاى للبلاد في الأرض هذه مبادئ السر في هذه الآية - واستغفر ربك - وآية - إنا فتحنا لك فتحا مبينا - ألح والفتح بالمشاهدة يترتب عليه دوام زوال مصدر الذنوب ودوام النصر وتعمم النعمة هذا ما فتح الله به في هذا المقام وتم الكلام عليه كتابة حوالى الساعة الثالثة بعد نصف الليل . وهذا هو المنهج الأول في الاستفصار

(المنهج الثانى والثالث في التيسيع والتعميد)

لقد قدمت لك أن الذى حفزنى الى كتابة هذا الموضوع هو انى في الركوع كنت أقول « سبحان ربى العظيم » وهناك خطرت لى هذه الخواطر ، ولما رفعت رأسى من الركوع قلت « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شئ بعد ، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد ، كنا لك عبيد ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا راد لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجدة منك الجدة »

فما أتممت ذلك الثناء حتى جال فكرى في هذه المعانى وأخذت أقول : « يسبحان الله : نحن نسبح في الركوع وفي السجود وعقب الصلوات والذى صلى الله عليه وسلم أمر أن يسبح ويحمد بالعشى والابكر ، ونحن بعد التيسيع ترانا نذكر السموات والأرض وما بينهما وما وراءها . إذن الأمر عظيم . إذن هذه الصلاة ليست ألقا غيب . كلا . انها مان وشرحه هذه الدنيا كلها . نحن نسبح ونحن نحمد ونستغفر . أما الاستفصار ففتح باب لصفاء القلوب إذ العلم لا يجتمع مع الظلمة في القلب . فبني التيسيع والتعميد ولقد كررت معناها في كل مناسبة في كل مقام بحسبه . ولن يفنى ما أقوله في مقام عما أقوله في مقام آخر في معناها إذ العلم أشبه بأنواع الزرع وأنواع الطعام . ولا جرم أن اختلاف المزارع والطعوم لمقاصد وفوائد لا حصر لها . فهنا أقول : أكاير المسبحين هم الذين يتقون على حقائق هذه الدنيا . وإذا درسوا نفس هذا التفسير حصلت لهم ملكة بها يقتربون على أن يعرفوا أن شرو هذه الدنيا ونكبات الدهر ومصائب الموت والفقر والنزل وكل مصيبة تحل بفرد أو أئمة فاما ذلك موجه للخير العام والخير العام موجه للخير الأفراد . وأكثرا العقول الانسانية لن تقدر على تصور ذلك ولكن هذه هي الحقيقة التى لا يشك فيها المفكرون

إن السعادة الحقيقية في الحب . ولا سعادة في الحب إلا اذا توجه لموجود لا يموت وهو جليل وحكيم وله صفات بديعة . وكل ما ينسب له من الاهلاك والتدمير يحدث في القلوب خوفا لا حبا . فأكثر أهل الأرض وقفوا عند درجة الخوف من البطش لا الخوف من اتطاع الحب . والتيسيع الحقيقى به قف على حقيقة هذه الشرور ومتى أدركنا سرها (وأن جهلنا هو الذى أفهمنا أن ذلك كله موجه لإذلالنا وتزريق شملنا وأهانتنا وتزريق جاعتنا) وعرفنا الحقيقة . هناك تكون السعادة لأن تلك الذات للقدسة كل أعمالها رجة موجهة لنا . وهذه الرجة لا تكمل ولا تم إلا بهذه الشرور والايان بهذه الأشياء حسن ولكن لا يعلو

القلب سعادة كما يملؤها الوقوف على الحقائق . وهيات هيات أن يقف الانسان على هذه الحقيقة أو يكون له بها يقين إلا بأن يجعل حياته وقفا على درس سائر العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية وغيرها (وهي التي كان يظنها جهلة المتأخرين من المسلمين كفرا) إذا أمكنه ذلك ويساعد العقل على الفهم الصلوات والتبصيرات فانها لها آثار في القلوب . وهناك فهم المسلمون ما قولونه في الرفع والاعتدال كما قمت « لمانع لما أعطيت ولا مغطي لما منعت . ولا راد لما قضيت . ولا ينفع ذا الجذ منك الجد » ويفهمون أيضا لماذا كان رسول الله ﷺ يعاهد المسلم على أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله . وسر التسييح فهم أن هذا السر الذي هو من الله إنما هو خير في الحقيقة . وهناك هناك محل الحب الحقيقي من العبد لله ومع السعادة الحقيقية . وهذا يفهمنا معنى قوله تعالى - برفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات -

هذا هو الفرق بين العالم والجاهل . الجاهل أمر أن يؤمن بأن الخير والشر من الله ووقف عند درجة الخوف من الله وعند درجة التسييح اللفظي وإعظام الله تعالى إعظاما مصحوبا بالخوف . والعارف هو الذي يعرف بعقله أن هذا الشر موجه للخير وأن هذا الشر مكمل لتلك الخير والخير بدونه ناقص . فهناك يجب ربه حبا لآلته ويسعد سعادة لاحد لها لاسيا إذا أمته الله بعلوم وحكم وأفاض عليه . فهذا هو التسييح . أما التعميد فهو معرفة جميع العلوم المذكورة من حيث جلالها وكمالها وحكمها . وهذا هو السر في ذكر التسييح غالبا مع الجد لأنهما في الحقيقة بينهما صلة وهما رجعان للعلوم . هذا ما فتح الله به كتبه عقب ورود هذا الخطر بعد ما انتهت من نفس الصلاة والجد لله رب العالمين .

﴿ الفصل الرابع في محاجة الضعفاء والمستكبرين إذ يحتاجون في النار ﴾

ونتيجة الحاجة أن الجميع في النار

إن هذه الحاجة قد ذكرت بعد نصائح المؤمنين من آل فرعون لهم من باب ذكر السبب بعد المسبب فان آل فرعون قوم مقلدون للرؤساء والمقلد للرؤساء بلا عقل هالك . إذن هذا من أسرار القرآن فانه بعد أن ذكر آل فرعون (وقد تبين في تاريخهم الذي ذكرناه أن عقولهم إذ ذاك قد أخذت تنحط حتى عبدوا الحيوانات ، وقد ظهر ذلك ظهورا واضحا في آثارهم) أخذ يذكر الحاجة بين الضعفاء والمستكبرين في النار والمقصود من هذا أن الله كانه يقول : « أألم أذكر مؤمن آل فرعون ومحاجته مع قومه عنابة بالتاريخ كلا . وإنما ذكرت ما أشبه بمثال للقاعدة المذكورة بعد ، والقاعدة المذكورة بد أن وقوف العقول هو البلاء الأكبر . وليس الانكسار على الرؤساء بنافع المرؤسين فان العقول عند الجميع ، وما انكسار المرؤسين على الرؤساء إلا كالاغترار بالمسيح السجال ، فالمسيح السجال يوهم الناس قبحونه والرؤساء كذلك . إذن ما أتى في الفصل الخامس من هذا الفصل وعلى هذا تكون الفصول الأربعة متصلة كل فصل مكمل للآخر فضلال المصريين سببه الاغترار بالرؤساء والمرؤسون لا يفهم الاحتياج بالرؤساء بها وأمرهم بها ، وإذا كان لهم المسيح السجال لأتباعه واضلال عقولهم وطهار الامور المحجبة ، ذبحلى أتباعه من الغلاب إلى أتباعه لما لهم من العقول التي تركوها ولطواها التي أأوها فكيف يفلت الله هفء من الغلاب ذا انبوار رؤسائهم الذين لا يلبثون في السكر والخميرة عن عمرهم السجال . يح السجال ! - سكار ذنب وسكار لا تعلمين - وهذه الحجج القرآنية دامغة واضحة وآيات ساطعات قد ظهرت في هذا التفسير ليدسلحون قاطبة في أنحاء الكرة الأرضية أن دين الاسلام قد أحالت به تهليل كاذبة وضلالات خائنة ومن قرأ كتاب « الفرق بين الفرق » وعرف ما فيه من الفرق التي تبلغ عتوف وسبين فرقة دروسها دراجيبا ، واطلع على بعض تلك الفرق الباقية الآن أدرك يقينا أن كثيرا من تلك الآراء قد أهدت الناس لغير واحد وهو البلاء والفناء والمآل

والرئاسة وحوز المال والتعالى والعزة والبطن

إن هذا الكتاب ألقته للمسلمين عمة ، ولست أريد أن أوضح أكثر من هذا ، وليس عندي لهذا الداء
لجميع الأمم الاسلامية إلا دواء واحد وهو دراسة جميع العلوم وتعميم التعليم

﴿ الآراء الحديثة وآيات القرآن ﴾

انظر الى ما تقيم في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - واقرأ ما نقلته من
العلامة (كانت الألمانى) فانظركيف يقول : « إن البصيرة متوقفة على التعليم والتعليم متوقف على البصيرة
وهذا دور والبور حال ، ثم أجاب عن هذا الاشكال بما ملخصه أن كل جيل من أجيال الأمة يجد في ورثه
عن أسلافه ويزيد عليه ويسلمه لمن بعده جيلا جيلا حتى يصل الانسان الى السعادة »

ومما قاله أيضا : « إن الملح اذا اتبع طريقة من قبله بلا تفعل فانه ينقص عنه وهكذا جيل ينقص عما
قبله حتى تنزل الأمم الى أسفل سافلين »

وخلص آراء الرجل أن العلم لا يؤخذ إلا مع أدلته على شريته أن يعرف الانسان أصول الأشياء فيزيد
شيئا ويرتقى الخلف عن السلف من حسن التصرف . أما اذا لم يكن هناك إلا التقليد المحض رجعت الأمة
القهقري ، وهل في هذه الآيات إلا هذا ؟

هذا ملخص هذه الآيات ، ومن اطلع على الشبان المسلمين في المعاهد الدينية يجد انهم يلقنون في صغرهم
أن عقولنا أضعف ومهمنا أقل وكل جيل يأخذ من قبله ويكون أقل منه حتى ان أتباع الامام الشافى في
زماننا ينظرون الى الرملى وابن حجر بعين العظمة ولا يقدرون أن يفكروا في البويطى من أصحاب الشافى
فكيف اذن بالشافى رضى الله عنه وآى حنيفة . أما القرآن وأما الحديث وأما أحوال النبي ﷺ فهذه كلها
ينظر اليها نظرا نارحيا لا غير أوتبركا غالبا وهذا هو الرجوع القهقري

فليقرأ المسلمون جميع العلوم الطبيعية والرياضية وغيرها لتتسع عقولهم ويدرسوا تاريخ كل علم يعرفوا
أصولها ، ثم ليكن في كل قطر جامعة من هذه الطبقة الممتازة ، ولتكن نتائج أبحاثهم موازنة في مجلس عام
مع آراء المصطفين من الجاعات المختلفة ، وليكن لهم مجلس عام في مكة أوفى غيرها ، ثم ليقرر ما يجب من
الاصول المرعية للمسلمين ، ولا يصح أن يتولى زعامة المسلمين أماس لم يدرسوا تلك العلوم ، فوائده انهم ليسوا
أهلا لادارة شؤونها سواء أ كانوا ملوكا أم أمراء أم علماء . هذا هو المناسب لهذا الزمان . ولقد كتبت نظير
هذا في مواضع كثيرة من هذا التفسير

هذا هو الذى فهمته أيها النكى من هذه الآيات . فقال : لقد أجدت صنعا وأحسن وأفدت فته الحد
والمنة ، ولكن لا يزال بعض الاشكال قائما بل لا يزال بحاله . فقلت ولماذا ؟ قال : إن الرحمة تقضى أن لا
يكون شيء من هذا وتكون الحياة سعادة . فقلت : هذا السؤال مكرّر في هذا المقام وفي غيره وكما أجبت عنه
فقال نعم ولكنى أريد زيادة الايضاح . فقلت : ماذا أوضح بعدما ذكرت لك في أول هذا المقام من مثال
الماء والأرض والحجارة فيهما وانها في أحدهما أبطأ من الآخر ، وابطاء تصاعدها على مقدار إبطاء قبولها
فهيكذا الأمم اذا تدهورت بسبب الرؤساء أوشيوخ الدين أوشيوخ الصوفية أو الجاهلاء الذين هم غير كاملين أو
المستعمرين الذين يدخلون البلاد فيجعلوا الشعب أشبه بالحيوان يستخرونه

كل هذا لم يخرج عن كونه تأخيرا للرقى ، وهل هذا التأخير إلا نفس إبطاء قبول الرقى ، وهذا الإبطاء
يحصل الرقى أدوم . إذن السجون والمستعمرون والشيوخ الجاهلون كل هؤلاء جعلوا في الأرض امتحانا
لعقول الأمم يؤخرون رقيهم ، فاذا استيقظوا بمثال ما كتبه في هذا التفسير وبالآلام والاذلال فانهم يحبتون
في تثبيت مدنيتهن تثبيتا أتم . أما اذا شربوا العلم شربا بدون آلام ولا تأخير فقلما يدوم في أجيالهم ، واهل

فسماء المصريين لم يدم ملكهم خمسة آلاف سنة إلا بعد أن قاسوا حروبا واذلالا آمادا طويلة
مثل الأمم التي يصيبها القتل بالاستعمار وبالشيوخ الجاهلين كتل الماء فيها قدّم وما أحسن ضرب المثل
بالأ. فقد جعل مثلا للعلم في آيات القرآن وعلماء الطبيعة جعلوه مبدأ لارتفاع سطح الأرض لأن سطحه منتظم
وجعلوه مقياسا يقاس به الوزن النوعي للجوامد والغازات بحيث يكون الحجم الذي مثل حجم الماء من الزئبق
يساوي وزن الماء ١٣ مرة ٦٠ من عشرة ، ومن الذهب ١٩ مرة وثلاثة أعشار المرة ومن الأثير الكبير ثلثي
سبعة أعشاره لا غير إذن هذا أخف من الماء والحرارة أخف من الماء ٧٧٣ وستة أعشار أي أن الهواء المساوي
لحجم الماء يكون أخف منه بهذا المقدار

أقول : فإذا كان الماء قد جعل مقياسا في علم الطبيعة لوزن كل شيء وزنا نوعيا إذا كان على درجة ٤
فوق الصفر من مستجدات وكانت هذه المادان وغيرها على درجة الصفر منه ، فهو إذن معيار عظيم هكذا
هو غير معيار يحجب به عن ظواهر المظالم والجهالات فنقول إنها لم تفعل شيئا أكثر من تأخير الرقي للأمم وهذا
التأخير لأجل الشوق لذلك الرقي والشوق مثبت له . وهذا هو قوله تعالى - فمضى أن تكثر هوا شيئا وهو
خير لكم -

هذه هي الحكمة الإلهية في تحمل الضغط والاذلال . وعلى المفكرين في الأمم أن يحاوها على دفع
هذه المظالم ورفع هذه الأثقال عنهم والله من وراءهم محيط . قال : لقد انشرح صدرى بهذا المقال . فلتبدا
بالكلام على الفصل الخامس

﴿ الفصل الخامس في المسيح البهال ﴾

قلت : لقد ذكرت المسيح البهال غير مرة في هذا التفسير . وكل ما أحاول أن أقوله قد مرّ نظيره . فقال :
ولكني الآن أريد أن تشرحه شرحا علميا لتشرح صدرى وصدر القراء ، فأما أريد أن أعرف كيف يقول
ﷺ في حديث أبي داود والترمذي أن الأنبياء أنفروا قومهم به ، وأن نوحا أنفر قومه به ، وكيف نستعبد
بآله منه في كل صلاة ، وكيف يستعبد رسول الله ﷺ منه في صلاته ولم يظهر في زمانه ، إذن الأنبياء
يستعبدون بآله ونحن والصحابة والرسول ﷺ من شيء لم يحصل وهذا محال ! قلت : إن الحيرة في هذا
إنما تأتي لمن يجهلون علوم اللغة العربية ، فالعامة يجهلون البلاغة في كلام العرب ولكن الأدباء وهم قوم
أعطوا حظا من علم اللغة هم الذين يفهمون أمثال هذا المقام . إن القرآن في أعلى طبقات البلاغة والبلاغة علم
فإذا جعلنا تفسير القرآن على يد طائفة تجهل هذه العلوم حصلت لهم الحيرة . أما نحن فلا حيرة عندنا . إن في
علم البيان (وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة) التشبيه والمجاز والكناية . والكناية باجتماع العلماء أبلغ من الحقيقة
وأي كلام أحقّ بالبلاغة من القرآن . قال : هذا حسن . قلت : وما الكناية إلا لفظ له معنى ولكن ليس
المقصود هذا المعنى بل المقصود الحقيقي معنى آخر مع أن للمعنى الأول لا يزال بحاله ويراد أيضا من اللفظ . فإذا
قال رجل للآخر « إن كليك جبان » وكان القتال بليغا فإن السامع إذا كان بليغا أيضا يفهم منه أن هذه
الجملة معناها انه كرم لأن جبن الكلب انما جاء من كثرة الأضياف فأنهم لكثرتهم لم يتحمل الكلب كثرة
النباح عليهم . فهذا الممدوح من جهة كرم وهو المقصود . ومن جهة أخرى يسح أن يكون له كلب وذلك
الكلب جبان فعلا . فهذه هي الكناية . فالمقصود فيها المعنى الذي كنى باللفظ عنه . فهذا قول : هذا المسيح
البهال الذي يظهر الجباب وناره جنة وجنته نار وبقته للمسيح ابن مريم له معنيان كسالة جبان الكلب .
والمعنى المشار إليه هو المقصود والمعنى الأصلي جائز لآمن منه

هذا هو الذي يقتضيه علم البلاغة . وإذا لم نستعمل هذا العلم فيما خلق له وهو فهم الدين أفقتصر في استعماله
على أشعار العرب ونحوها . فقال : ولكن لا بد للقرينة من كناية فما هي القرينة هنا ؟ قلت : هنا قرائن

لا قرينة واحدة بل قرآن يجب علينا أن ندرسها . فقال : وما هي ؟ قلت : كيف نستعين من فتنة المسيح ولا فتنة له الآن ! وهل يستعين رسول الله ﷺ من شيء لا وجود له ؟ وهل ينفر الأنبياء أقوامهم بما لا وجود له ؟ فقال : إذن المستعان من كل من كان ظاهره الصلاح وباطنه الخلداع والظلم والجور . قلت : نعم وذلك يشمل السجال الحقيقي متى ظهر ويشمل كل دجال من المستعمرين للبلاد ومن الشيوخ الجاهلين في الاسلام وغير الاسلام فكل هؤلاء دجالون لأن أحدهم يظهر العلم وليس بعالم ويظهر الزهد وليس بزاهد . والأم المستعمرة تجعل نفسها داخلة لاصلاح البلاد اذا هي تمنع العلم عنهم

كل هؤلاء استعاض النبي ﷺ منهم ونستعين بحسن . فهم في ظواهرهم أشبه بالمسيح ابن مريم يريدون السلام العام وفي الحقيقة لا يريدون إلا انسخير فيهم لهم . ولقد ابتليت أمتنا بقوم من هؤلاء . فكثير من القامحين بالملك في الأزمان القديمة كانوا لا يريدون إلا الملق على الناس لأنهم يريدون الخير للأمة . نعم الصعابة رضوان الله عليهم كان لهم اجتهاد ولكن الأمم للتأخرة كثرة فيهم طلاب الملك والرئاسة . وأنت ترى آثار ذلك العجل في الجهة من الشيوخ الذين يحملون الأعلام ويدقون الطبول . كل ذلك آثار من آثار أسلافهم الذين كانوا يفعلون ذلك لأجل الملك . ولقد أحسن منعا مصطنع كمال باشا في تركيا إذا أخرجهم ققاموا بأعمال تدفع الأمة ولم يقولوا عالة عليها كما هو حاصل في بلاد الهند . وقد تقدم مقال مطول شارح لآليات الهند في ﴿ سورة الأحزاب ﴾ عند آية - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا - الخ ذكره هناك ليعلم المسلمون أن هذه الطوائف التي جعلت الدين مصلحة سبقا بها البراهمة فأقره هناك ، ومستحيل أن ترتقي الشعوب الاسلامية إلا بالإطلاع الواسع حتى يزجروا هذه الأوهام ، ولم نأمة من أم الفرنجة دخلت بلادا اسلامية كبلاد السودان أو بلاد شمال افريقيا إلا اتخذت هذه الطوائف أعوانا لها . لماذا هذا ؟ لأنهم اخوان شركاء في الصيد . فاستعمروا من أوروبا كآساد وكافور وهؤلاء الشيوخ كالنباب والخلدات فانها تأكل فضلات أولئك المستعمرين . ولقد أخبرت منذ أيام أن رئيس طائفة كبيرة من الصوفية ببلاد المغرب قد تزوج امرأة فرنسية . إن فرنسا تعرف كيف تؤكل الكذب . إن أوروبا (كما يقول غاندى مصلح الهند) أشد خطرا من الشيطان وما أكذب الشيطان اذا نشر شره وهو يذكر الله ﴿ وبعبارة أخرى قول ﴾ إن الأحاديث الواردة في القرآن ما هو حاصل الآن فضلا في بلاد الاسلام ، حتى يقول المسلم « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح المسجل » . فهذه الفتن كلها حصلت والمظهرون الصدق والاخلاص في العالم وهم كاذبون كثير أفرادا وأمتا . هؤلاء النيوخ يقولون للناس « واطلبوا على الأوراد صباحا ومساء فقط » ولكن لا يحبونهم في العلم لأن أكثرهم جهلاء والمتعلمون منهم كالمتلعلين من أهل أوروبا يقولون « اذا تعلموا تعلموا علينا » وهذا المقام تقدم شرحه في مواضع كثيرة من هذا التفسير مثل ما جاء في سورة الكهف عند آية - وما كنت متخذ الضلّين عضدا - وفي سورة ابراهيم في آخرها ، وفي سورة سبأ عند آية حاجة الضعفاء والذين استكبروا مثل ما هنا وهكذا . فقال : لقد أنشج صدرى لهذا الجواب ، ولكن بقي أمر واحد وهو : « كيف يقول ابن عيسى ان اليهود يتخيلون ملكا يكون لهم على يديه » فهل هذا له أثر . قلت : إن أمر اليهود لا يخرج عما قرّناه . إنهم الآن مشقون في كل أمة من الأمم وهم أذكيا جدا ولهم تاريخ مشهور ، فهم يحافظون على مجدهم ولأمة في الأرض تضارعهم في هذا لأن التوراة قد ملئت بأخبار أسلافهم ، وهم قد أخذوا على أنفسهم أن يكونوا فتنة الأمم كلها كما قلته في هذا التفسير متقولاً عن التلعود ، فلا تجد فيهم علما ولا حكما ولا سياسيا إلا رهم موجه الى خير أمتهم ران هلكت جميع الأمم . وأقرب شاهد على ذلك أن الذي أثار الحرب الكبرى في ألمانيا وأوروبا هم فلاسفة اليهود فإن تشبيه يهودى وهو الذي نشر فيها « ان راحة في هذه الأرض خطأ فلا يبقى إلا الأقوياء » وانتشرت آراء كثيرة في هذا المعنى

فقامت الحرب بين الأمم كلها . ثم هم أنفسهم لما رأوا أن ألمانيا أخذت تقتصر نشرها في طول البلاد وعرضها انها أمة متوحشة فثارت الأمة على الحكومة فسلعت ألمانيا لمن هم أضغف منها . وقد مضى على هذا نحو (١٣) سنة لأننا الآن في سنة ١٩٣٠ وإيقاف الحرب كان في سنة ١٩١٨ ونسمع أثناء طبع هذه السورة أن ألمانيا قامت تنفض الغبار عن وجهها ويقول رجالها في الحرب الاشتراكي القوى فيها التي قام الآن ضلا « لا يبقى يهودي في البلاد » لأنه يستحيل أن يكون يهوديا وألمانيا في آن واحد . هذا هو الذي يقال فعلا عند طبع هذه السورة . وهامى ذه ألمانيا يقوم شبانها في هذا الاسبوع فيسطمون زجاج منازل اليهود . إن اليهود يريدون أن يجعلا لهم السلطان على العالم كله ولو بطريق غير مباشر

ولقد أزعجوا القناع عن أمرهم أيضا في مسألة فلسطين . فبعد الحرب التي ارتجت لها الكرة الأرضية وحصل الصلح أخذ اليهود يطلبون أن تكون لهم دولة في فلسطين . وهذا من مكروهم وخداعهم . وأيضا ان القاتم بأمر البلشفية في روسيا هم اليهود ولا ندري مايتن في ذلك . فالعالم كله اليوم مخدع وأكثرا الناس خداعا اليهود . ونحن نستغيث بالله من هذا الخداع

وعلينا أن نسعى في رقي المسلمين بعلوم الأمم ثم نكمل ما نقص من أخلاق غيرنا بعد كل أنفنا نحن . واذ ذلك نعلم أجيالا وأجيالا يكونون صادقين لخدمة الأمم فيذهب خداع الأمم بعضها بعضا وأكاذيب السياسيين والنجاليين وشيوخ الطرق وأكاذيب التجار بل خداع الشهوات والذات فهي ملحقات بخداع النجاليين لأن الانسان مخلوق مسكين فخدعه شهوته ويخدعه فضبه ويخدعه نقص علمه ويخدعه الأمم ويخدعه الشيوخ الجاهلون . ولست أقول إن شهواتنا من قبيل النجاليين . كلا . بل أقول انها ملحقات بذلك مقيسة عليه . فلنجد نحن المسلمين في العلوم لنساوي الأمم ثم نسير على صراط مستقيم للتمهيد الى السلام العالم بين الأمم الذي عبر عنه بزمان عيسى ابن مريم . ولن يكون زمان المسيح إلا بعد أن يقتل النجالي . إذن لنقتل النجالي من بلاد الاسلام أولا ، ولن يكون ذلك إلا بالعزم وبعد ذلك قتله من الأمم ثم يكون السلام العالم وهذا هو المقصود ، فليس في هذا أيها النكبي انكار لاسيح على حسب لفظ الأحاديث ولا للنجالي على حسب لفظها ، وإنما الذي يجب علينا نحن أن نعمل من الآن لهم أركان النجاليين وترقية النفوس ليصلح العالم ويم السلام . هذا ما أدين به وحسبنا الله ونعم الوكيل

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : لقد نطق بعلم وأفقت بفهم وشرحت صدرى ولكن ما تقول من السلام العالم وانه يحصل بامانة النجاليين وتعميم التعليم بعيد الحصول ، فأضرب مثلا مشاهدا أقيسه عليه . فقلت : أذكر كذا بما تقدم في أول (سورة يوسف) . ألم أكتب مقالة أحل فيها على الحكومة المصرية لاهامها حفظ الطيور النافعة . قال بلى . قلت : ألم تأمر الحكومة بحفظ هذه الطيور . قال بلى وتبلغ فوق (٣٠) عدا منها أبو قردان والكروان والزقرايين الشامي والبلدي الخ . قلت : فأيهما أنفع للناس : أكل أبي قردان وأكل هذه الطيور كما كان ذلك حاصل قبل منع حكومتنا أم إبقاؤها لتأكل الحشرات والبود فينمو الزرع كما هو الحال الآن قال : بل إبقاؤها خير ، ونسبة منفعة أكلها الى منفعة مآنتاله من بقائها أقل من نسبة الهواء الى الماء من حيث الخفة إذ تقدم انه أخف منه (٧٧٣) مرة قريبا . واذن تكون المنفعة في أكل تلك الطيور أشبه بالعلم فقلت : وماذا تقول في البقر والجاموس التي تساعدنا في الحراث والسقي اذا فرض أنه ليس لدينا غيرها اذا ذبحناها وأكلناها ، أنا أكلها أم نبقها ؟ فقال : بل نبقها كما نبقى الطيور ، ومن أكل هذه الطيور أو هذه الحيوانات المذكورة فهو أولى بأن ينسب الى الجنون من أن ينسب للعقل . فقلت أحسنت ، ثم قلت انظر : هنا ماء يسقى الزرع وهواء يتنفس فيه ويأخذ منه الكربون كما تقدم في (سورة يس) عند آية - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها - . قال نعم . قلت : وطيورا كل

الحشرات والورد ، وذوات أربع تحرث الأرض وتسقي الحرت . أليس كل هؤلاء تعاونوا على المزرعة . قال بلى . قلت : وهم يختلفون صفات اختلافاً بينا . قال بلى . قلت : فإذا قول في الانسانية العاقبة . أليسوا مختلفين أئماً وأفراداً اختلافاً كثيراً أو قليلاً . قال بلى . قلت : والاختلاف لغايات كالاختلاف بين صفات الانسان وصفات الطير والهواء . والتاثير تنوع ذلك الاختلاف . قال نعم . قلت : أفليست الدنيا كلها مزرعة واحدة . وبأنوكم اذا قتل بعضهم بعضاً يكونون في سخافة عقولهم أشبه بهؤلاء الزارعين الذين ذبحوا أبا قردان وأكوه وذبحوا البقر والجاموس وسوموا الزرع من تلك المنافع فأصبحوا خاسرين . قال بلى والله حسن جداً . إذن الانسانية للآن في غاية النقص . قلت نعم وكما لها بذبح السجل والاستعمار ، فهذا الشيخ الذي يقول للتلميذ « اتبعني واترك كل علم غير ما أقوله لك » مريناً بذلك إقناف عقله أشبه بالفلاح الذي ذبح أبا قردان لأكله ونسى انه هو الذي يأكل حشرات حقله ، وهذه الأم المستعمرة التي قتل الشعوب ليديم خضوعهم هم أشبه بذلك الفلاح أكل الطيور وذبح البقر والجاموس وقعد يضرب أخماساً لأسداس . قال : ما هذا ؟ إذنت الانسانية الآن بهذا البرهان سخيفة غبية . فقلت : حقاً لا انسانية . وهذا لا يزول إلا بأن يفهم المسلمون آيات هذه السورة ويعلموا أنهم هم المقصودون باقتتال الانسانية من حقها وجهلها لأنهم - خير أمة أخرجت للناس - . وأن اليهود لن يرجعوا عن إضلال الأم ودس الفتن فيها وكذلك أم أوروبا لن ترجع عن إذلال الأم فتصنع معها ما يصنع الفلاح الذي يأكل أبا قردان وذبح البقرة والجاموسة اللتين تنفعانه في غوزرعه إلا بظهور الحقائق ظهوراً تاماً ونشراً الثقافة في الأمم والتحلّي بالأخلاق الفاضلة . وحين ذلك يفهم المسلمون سر قول ابن عباس في تفسير هذه الآيات . وأن اليهود وغيب اليهود لن يسلموا على هذه الانسانية وانها لا بد من ارتقاها وأن الحرب ستزول ويكسر الصليب لأن ديننا اخترعه العقل الانساني واجتنبه من دين البوذية لن يبق إلا بالمشرئين وهم يحملون الصليب

فهذه وأمثلها مستخف وطائها وتعرف الانسانية الحقائق ويكون الناس إخواناً في نفس الحياة ، انما مثل المستعمرين الذين يفشون الجهل في الأم والشيخ الذين يتاجرون بالدين كمثل من رأى صبياً يرضع من ثدي أمه لحكم بأن لا يترك هذا الثدي أمد الحياة وهو يرى ويعلم أن هذا الطفل له أدوار ثلاثة : دور الجنين ودور الرضاعة ، ودور الاستقلال في الطعام والشراب ، فاقصر المرء يد على قراءة الأوراد أشبه باقتصار الطفل على لبن أمه أمد الحياة ، واقتصر الأم التي استعمرها الأجنبي على أن يكونوا خدماً وقد قتلوا ذكاهم أشبه بذلك الصبي الذي لا يترك لبن أمه ، فهؤلاء وهؤلاء قد حرموا فوائد عظيمة فقدتها الانسانية بتأخيرهم رقى غيرهم ، وكثابنا العزيز وتفسير ابن عباس يدلان أن الانسانية ستأخذ حظها ولا يتم إلا بالسلام العام وبقتل المسيح السجل ولا يعيش في الأرض إلا الصادقون المخلصون

ألم ترأى قوله تعالى - إنا لننصر رسلاً الذين آمنوا في الحياة الدنيا - أي النصر ليس قاصراً على الحياة الأخرى ، إذن فلتبشر الانسانية كلها بالنصر وانهم يصالون للسلام العام لأن دين الاسلام وأمة الاسلام المستقبلية ستصرف في هذه العقيدة العيسوية الممعدية وتقتل السجل وتحبي السلام العام الذي يقوله المسلم في عبادته فلما سمع صاحب ذلك . قال : ما أجل هذا المقال ، وما أبعج العلم ، وما أسعد العلماء ، ولكني أريد منك زيادة إيضاح في موضوع السجالين . فقلت : أيها الذي أقرأ ما تقرأ في آخو سورة المائدة عند قوله تعالى - وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأهل إيماني من دون الله - ثم انظر كيف كان هذا الدين صورة منقولة من (دين خريستا) ومن (دين بودا) بالهند أحدهما قبل الميلاد بمئات السنين والآخر قبله بالآلاف السنين ، وتأمل فيما كتبت هناك تجد أصول الدين منقولة بالحرف الواحد وهي هناك واضحة أبداً إيضاح ، وعلى هذا نرى هذا الدين له مبشرون قاثمون بأمره ، محافظون على تعاليمه ، ومن عجب أنهم

يتصرفون فيها تصرفاً متهرباً ، ومن أفضله أن الخرافات التي عمت الكرة الأرضية الآن هم المشيرون بها وهم الفاتكون بالأمم وهذا مخالف لنص هذا الدين على خط مستقيم . ولقد جعل مبشروهم الدين آلة لتفريق الأمم وازالة العقائد حتى ان فتح مصر لبلادنا المصرية لم يتم إلا بما اتخذوا لذلك من مبشرين وزعزعا العقائد فدخلت جنودهم البلاد بعد أن دخلت شرورهم وسومهم القلوب وهامى ذه فرنسا نرحب بالدين خارج بلادها لاضرار عقائد الأمم ولكنها تضطهده في داخل بلادها علما منها أن تعاليمه ضارة بنظام بلادها . وبالجملة فالديانة المسيحية الآن أحولة لاصطياد النفوس وقنابل لتفريق الجوع . أليس هذا هو أثر من آثار المسيح العجال . وأى دجل أعظم من هذا . ونظرة في المقالة الآتية التي سطرها أحد الفضلاء في « مجلة جمعية الشبان المسلمين » تكفي لتبيان ماقلنا وذلك في عدد نوفمبر سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

﴿ من كان يته من زجاج فلا يرجع الناس بالحجارة ﴾

يحكى أن سائحا انجليزيا رأى صينيا يصنع محنا من الأرز المطبوخ فوق قبر فقال له متبكا : « متى تظن أن فقيدك يقوم فيأكل هذا الأرز ؟ » فأجابه الصيني بقوله « يكون ذلك متى جاء فقيدكم يستنشق روائح الأزهار التي تضعونها على قبره » هذا الرد الطريف المسكت ذكرني بكلمة لصيني آخر عن أعمال المبشرين في الصين فيها نفس المفزى وهو : « ان من كان يته من زجاج فلا يرجع الناس بالحجارة » كنت قد قرأتها من زمن بعيد ثم رأيت أن أقتله اليوم لقراء مجلة الشبان المسلمين كرد (خالص) على ذلك الاختلاق وتلك التقارير الوهمية التي يذيعها المبشرون عن انتشار المسيحية في أنحاء العالم وتراجع الاسلام تحت ضغط انتشارها باعتبار أن الكلمة صادرة عن رجل يتكلم بلسان رعي سكان المعمورة وهذه هي : لأى غرض جاء الى بلادنا هؤلاء المبشرون ؟ هم يقولون انهم جاءوا بدين يرون فيه لنا أسباب السعادة في الدنيا والآخرة . ويسمون هذا الدين بالدين المسيحي ولأننا لم نكن في حاجة لمثل هذا الدين بالرة لأنه في نظرا دون شريعة كوفوشوس وبوذا لم يستطع المبشرون مدة أربعة عشر قرنا أن يؤثروا به فينا اذ لا يوجد حتى الآن بين أمنا التي يربو عندها على أربعة ملايين نفس أكثر من أربعين ألف مسيحي صيني ولست بحاجة لأن أعرفكم بهؤلاء الصينيين المسيحيين فهم الفقراء الذين لا يقرعون على كسب قوتهم . وإتلك صاروا مسيحيين لأن المسيحية لديهم هي العيش ولم يستطع المبشرون رغما عن الجهد الجهد استئالة وجل ذي شأن ككتاب مطلع أو موظف أو تاجر أو أى ذى حرفة ولم يجتمع حولهم غير التمساء والمقشرين . وكيف يكون الأمر غير ذلك مادام بوذا قد علنا كل ما يحول هؤلاء المبشرون تعليمه لنامرة أخرى ومادامت فلسفة كوفوشوس أو كمل وأجل قانون عرفاء الفضيلة والأخلاق حتى اليوم . على أن أساس الديانة المسيحية وحده يكفي لا بعد كل ذى تفكير حو عن المسيحية واتى أترك لكم الحكم على صحة قولى هذا . يقول المسيحيون ان الله أراد في يوم من الأيام اتقاذ العالم وبما أنه القادر على كل شئ . وإنما أمره اذا أراد شيئا أن يقوله كن فيكون . كان يجوز أن يظهر رغبته في اتقاذ العالم بكيفية بسيطة ولكن الأمر لم يجر بهذه البساطة فهم يقولون ان الله الذى كان واحدا فردا رأى أن يصير ثلاثة مع بقائه فردا فليهنه ذلك منكم من يستطيع . وكانت نتيجة ذلك أن الله رزق بكرا من بنات آسيا غلاما وهذا الغلام صار رجلا والها في أن واحد فهاهذه التعقيدات والاشكالات . إني أسألك هل يوجد صيني سليم العقل يقبل هذه القصة ؟ أليس هذا وحده يفسر لنا لماذا لم يجد المسيحيون سبيلا لشر دعوتهم في هذه البلاد التي تترك الحكومة فيها للشعب حرية تامة في التفكير في مسائل الدين كما أثبت ذلك القسيس هوك . الى جانب هذا نعلم أن المسيح (نى البيض) دعا قومه الى التسامح والرحمة والفرقان (كافي

كوفوشيويس من قبل) وأوصاهم بأن يعيشوا مع الناس في سلام وأن لا يصلا مع الغير ما يريدون أن يعمل الغير معهم . فهل المبشرون يتبعون الشريعة التي يريدون ادخالها بيننا . كلا فالذين ماهو الا وسيلة في أيدي هؤلاء القسوس الذين جاءوا لانتقاذ أرواحنا (كما يقولون) فير أن نطلب ذلك منهم كانوا الطلائع لغيرهم من مواطنيهم وهم التجار الذين ظننا أنهم هم الآخرون أتوا لتبادل المنفعة معنا فقابلناهم بكرم ولطف ورحابة صدر فماذا قالوا حسن صنيعةنا . فأبواه باحتلال الجهات التي يكتونها من الأراضي الصينية وادعوا أنها ملك لهم ومحكومة بقوانينهم ومحال أهم كانوا يقبلون ذلك في بلادهم لو ادعى صينيون منا هنا ملك مثل دعواهم فتركاهم مع ذلك وشأنهم ولكنهم مالبثوا أن أصبحوا لا يطاق لهم وجود لأنهم أرادوا أن يكونوا هم السادة أصحاب الأمر والتهى وأن نكون نحن أرباب البلاد وأسيادها خدما لهم يحكموننا بالقوة والأرهاب الخ . وهي كلمة طويلة نكتفي منها بما تقدم . والذي يلفت النظر فيها بنوع خاص هو أن المسيحية التي يدهي المبشرون أنها تنتشر في أنحاء المعمورة وإن الاسلام يتراجع تحت ضغطها لم تستطع (بعد جهدهم استمر نحو ١٤٠٠ سنة) أن تجذب إليها رجلا واحدا دأشان في بلاد الصين وإن كانت فازت بعد ذلك الجهد بأربعين ألف مسيحي صيني لا أظن أن العالم المسيحي الأبيض يغتبط بأخوتهم لأنهم . كما يقول ذلك الكاتب . ألسي نضحكوا على ذقون المبشرين ليأكلوا (عيشهم) والمبشرون من جانبهم يضعفون بهم على ذقون من يدعونهم بالمال ليعيشوا هم الآخرون . فالاسلام لاخوف عليه من تهديد المبشرين وحرمانهم

زعمهم الزندق أن سيقتل مريعا * أبشر بطول سلامة يا مريح

مادام هذا الدين السمح الذي كفل الحرية الصحيحة للناس في حدود القضية وحرر النفس البشرية وسادى بين الناس فر بفضل أبيض على أسود أو أحر أو أصفر الا بالتقوى والعمل الصالح . لاخوف عليه وهو دين الحرية والديموقراطية من طغيان الدين المسيحي عليه . ذلك الدين الذي يحتفل بأبناؤه البيض (في بلاد المدنية والعدل والحرية أمريكا . مقتل رجال الدين ومصدر المبشرين) بتعذيب اخوانهم ومواطنيهم المسيحيين السود ونحن نتحدث كائنا من كان من المبشرين في مشارق الأرض ومغاربها أن يكذب هذا الخبر الذي نورد هنا وهو هذا

احتفل أميركيو ولاية نيويورك في مدينة نايلور بتعذيب زنجي اسمه « دان دافيز » فلما شد وثاقه الى شجرة . بعد التعذيب الوحشي الشديد . لاحواقه حيا توسل « دافيز » المسكين الى ذلك الجمع الخشن من الرجال والنساء بعبارة مؤثرة تستر السمع أن يتقدم واحد منهم ليقطع عنقه قبل أن يسام ذلك العذاب الأليم فقال اني أرجو أيها السادة أن يكون بينكم رجل عامر القلب بالمسيحية فيتقدم ليقطع عنقي ويربحني من هذا . فكان جواب الانسانية المسيحية البيضاء على هذا التوسل ونين نضحكات السخرية والاستهزاء من الجنس اللطيف والجنس الخشن سواء

نم . لاخوف على الاسلام من طغيان المسيحية التي دعائها المبشرون . انما الذي بهم جماعة الشبان المسلمين أن يقوا عليه هو أن الدين أصبح وسيلة في أيدي المبشرين يسترون تحت ثوبه مفسدة عمرانية اعتقادية تنقل مع الأجيال وحسب القراء أن يطلعو على تصريح رئيس وزراء فرنسا في سنة ١٩٠٠ المنيو ولسك روسو عن هذه الطائفة في خطبة علنية أمام مجلس النواب حينذاك حيث قال : ان اختلاف الترية والتعليم باختلاف المدارس بين أهلية ودينية أحدث في النساء الفرنسيين فرقتين مفرقتين قلبا وقالبا ومبدأ وغاية ففرق بين فرنسا وجمهورية ويعاهد نفسه على الصدق في خدمتها وتأييد ذلك النظام الذي اختره الشعب وفرق بين تربي في حجر جماعة اتخذوا لباس الدين ودعوا به ورواه خدام ربون الأبناء على كراهة الجمهورية ويتوتون في قوسهم مبادئ تناقض مبادئ الخ

واكتفى بهذا البيان على أن يترك التعليم حراً ولكنه أقفل أبواب الوظائف الحكومية في وجهه فخرجى مدارس تلك الجماعات ثم ظهر بعده من لم يكتف بذلك بل قضى بإقفال مدارس الرهينات صيانة للزامة بما عهد حكمها الثورى ونظامها الدستورى الذى أراقت في سبيله النماء الغزيرة حتى ظهر من انتصر للرهنات . ولاهمنا نحن وجهة نظر كل فريق منهم إنما نورد هنا خلاصته . فممن كاتب من كتّاب الفريق الثانى وهو المسيو « دريمون » فى جريدة « الليبر بارول » فى سنة ١٩٠٢ حيث قال : فى ألمانيا التى لا يحكمها أصحاب البدع والحقى . يتصرف ولاية أمورها مع الرهينات بغير ما تصرفنا به ويعملون معاقض ماعملنا . فان جيراننا الالمان لمعاملوا علم اليقين أن المبعوثين أقوى العوامل السياسية والتجارية تأثيراً وأجدها أترا أمدهم بعنايتهم وأطاولهم بجماعتهم . الى أن قال : فلم عهد للانجليز سبيل فتح مصر الا للمبعوثون الانجليكان . فإذا كان باقيا هناك من لم يزل يتكلم باللغة الفرنسية قائماً الفصل في ذلك يرجح السبعونين التقرير أساذنة المدارس المسيحية الذين حافظوا على اجتذاب بعض القلوب الى فرنسا . نعم ليست العبرة بكلام هذا ولا بكلام ذلك من حيث وجهة نظر كل منهما إنما العبرة بمدلول كلامهما حيث كشف لنا كل منهما سوءة من سوائت البشرين ونهنا الى جانب من جوانب الخطر الذى يهدد الجنس الشرقى والاسلامى الملقى زمامه الى هذه الطائفة على غن أنها تقوده الى مراقي العلم والفلاح . فليتنق للمسلمون الله فى أبنائهم وخلفائهم من بعدهم ليتنبهوا فى كلام الرجلين حيث يظهر بوضوح جناية للمبعوثين الدينيين ومدارسهم على النفس وليس لهم علينا حجة بعد ايراد شهادة شهود من أهل البشرين عليهم والظاهر أن الفتنة الأخيرة المدافعة عن الرهنات قد انتصرت فهامى فرنسا اليوم تشهر فى وجه الاسلام سيوف الاعتداء على العقائد بتعطيلها الشماثر الاسلامية فى بلاد المغرب واقفائها محلات عبادة المسلمين فى نفس الوقت التى تنشر للمدارس التى تلبسها ثوب التعليم ونشر الثقافة وتستر تحت هذا الثوب نفس الفكرة التى أجرى الله بها لسان المسيو دريمون فظهرت الحقيقة أما الدين الاسلامى نفسه ففرنسا (وغيرها) تعلم علم اليقين أنه طود شلمخ ثابت بمبادئه الانسانية . سام بتعاليمه الروحية . فان جيوش البشرين الذين تلاء بهم الدنيا لن تقوى على زحزحته عن موضعه قيد شعرة ولكن حب الاستعمار هو الذى يدفع الى ركوب هذا للركب الخشن لأنها ترى فى تعاليم الدين الاسلامى عقبة فى سبيل الاستعمار ولكن لتفهم فرنسا أن نيتها مفضوحة وأن المسلمين اليوم غيرهم بالأس . انتهى

فلما سمع صاحب ذلك . قال : لقد شرحت صدرى . فقلت الحمد لله رب العالمين . والى هنا تم الكلام على سورة غافر وذلك صباح يوم الخميس ١٦ اكتوبر سنة ١٩٣٠



تفسير سورة فصلت

(هي مكية)

(آياتها ٥٠ — نزلت بعد فاطر)

﴿ هذه السورة خمسة أقسام ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ في تفسير البسملة

﴿ القسم الثاني ﴾ في التوحيد وذكر بدء الخلق من أول السورة الى قوله — ذلك تقدير العزيز العليم —

﴿ القسم الثالث ﴾ في ذكر إهلاك بعض الأمم التي كفرت كعاد وثمود الذين هم أقرب الى المرسل اليهم ديارا ولفة وعوائد وتاريخا من قوله تعالى — فان أعرضوا فقد أنذرتكم — الى قوله — فأخذتهم صاعقة العذاب الهون * بما كانوا يكسبون * ونحيينا الذين آمنوا وكانوا يتقون —

﴿ القسم الرابع ﴾ في ذكر الحشر وشهادة الجلود والحواس واختصاص الناس مع أعضائهم والقراء واضلاطهم وانهم يتتابعون في العذاب كما تتابعوا في الاقتداء وتساوى عقولهم ثم اذا ظهرت الحقيقة تناهضوا وتناكروا وتعادوا واتباع ذلك بالنواد والتعاب بين العوالم الطاهرة من الملائكة وعوالم الانس ، وكيف يشر الأوثان الآخريين قاتلين لهم وقت الحياة وعند الموت « لئلا تخافوا مما ترءون عليه ، ولا تحزنوا على ما خلقتكم من الأبناء والأهل والأمم ، فستردون الجنة . وتناولون أعلى المقامات ، في ضيافة الله وإكرامه » ثم وصية المؤمنين أن يكون هينا لينا ، رحبا ودودا عفوا ، يتألف أصحابه ولا يترحم بهم ليصبحوا أحبابه ، وذلك لا يكون إلا بالصبر والاحتفال وحسن الخلق والتواضع والتألف ، وأن يستعيد بالله من قراء السوء ، من شياطين الانس وشياطين الجن اذا وسوسوا له وزغوا بينه وبين أصحابه وقتلوا له باب الشر والزناج والشجار ، وذلك من قوله تعالى — ويوم يحشر أعداء الله الى النار — الى قوله — فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم —

﴿ القسم الخامس ﴾ من قوله تعالى — ومن آياته الليل والنهار — الى آخر السورة ، فذكر الشمس والقمر وجهتهما ومنافعهما ، وأن ذلك لا ينبغي أن يوقف الهم عند عبادته وسجودا لأن الانسان لم يخلق في هذه الدنيا إلا للرفق ولا يرقى اذا وقف عقله عند مصنوع أرضي كالأنعام أو مصنوع إلهي كالشمس والقمر ، فاذا وقف العقل عند أحدهما سواء أكان صنأ أم جرما مضيا بأهرا كان ذلك المعبود حاجزا بينه وبين ارتقاء عقله ، وكيف يبحث عن الأجرام السماوية البديعة التي شمسنا بالنسبة لها صغيرة جدا ، كيف يبحث عنها اذا كان يرى أن الشمس أكبر وأعظم الأشياء لأنها معبودة والمعبود يفوق كل ماسواه ، فاذا تركزت الشمس أعظم موجود ، فاذا عرف عالم فلكي أن هناك شمسا أكبر منها منه الدين عن ذلك الاعتقاد ، فما بالك اذا رأى أن هناك (١٠) آلاف مليون من الشمس أصبحت شمسا بالنسبة لها كبرقالة بالنسبة لطيفة بل قلعة فضلا عن شمس لا تزال محجوبة عن الأنظار ، هذا هو مقصود البيانات ومقصود القرآن ومقصود العلوم ، إن الله قد أرسل إبراهيم الخليل فذكر صرح عبادة الشمس والقمر والكواكب ، وتم هذا نبينا ﷺ فانطلقت العقول بعد أن كانت محصورة أيام الصبايين في عبادة الكواكب معلومة ، وحجرت العقول ومنعت من الاطلاع على عوالم لانهاية لها ، ثم أتبع ذلك بما يفيد : « انكم يا أهل الأرض لستم شيئا مذكورا بالنسبة

لعوالمنا الأخرى الروحية ، فإذا أيتم يأهل الأرض أن تعبدوا ربكم لينسج لكم الجبال فيرقى عقولكم لتخرجوا من العالم المادى ، فاعلموا أن هذه السموات والشموس والأقمار والتوابع ليست خالية من السكان ، إن هناك عوالم وهى الملائكة والملائكة صفوف وكلهم يبدونى ، فإذا لم تبلغ مراتبكم هؤلاء . فأنتم وشأنكم . فكيف هناك من عوالم تسبح وربها عاكفة على السجود له والقيام بأمره ولا يأسأمون بل عبادتهم بشوق وتوق وحب لاقترب قلوبهم من ذلك الجبال الأبهى كما ان الشمس والأرضين دارت طائفة بنوع الجاذبية ، وإذا ظنتم أن أرضكم الخبيرة الصغيرة قليلة الشأن هى التى حظيت بالعقول والعلوم وأن العالم كله محروم منها فكبروا أربعا على عقولكم وادفونها فى الثرى ، وكيف تظنون ذلك وأنتم ترون أن البحار التى زاد عمقها عن مائتى قامة وضوء الشمس محبوب عنها قد خلقنا فيها عوالم من سمك وسرطان وأعطيناها كل محتاج إليه ، وأضأنا لها بضوء تصرفه على مقدار حاجتها وتطفئ متى شئت ، وتوقده متى شئت ، وتطارد فرستها بهدايته ، وتتخلص من عدوها متى شئت ، فتظهر نورها الوهاج أمام عينيه كي تبره ثم تخفى وهى أمامه ، فإذا فعلت ذلك فى قرار يحاركم الذى يصل الى مايقرب من مائتى قامة ولا أذره يكون بلاحياء فهل أفرالشموس العظيمة التى شمسكم بالنسبة لها لاتعد شيأ مذكورا فضلا عن أرضكم المحقورة الضعيفة التى خلقتكم فيها زمانا لأتقاكم الى عوالم أخرى تستأهلونها بما فطرتم عليه فى هذه الأرض من الأخلاق والأعمال أسمى بعضها بالجنان وبعضها بالبريان . كلا . فأنالم أدع علما حقيرا كأرضكم ولاعلما عظيما كالشموس العظيمة وتوابعها إلا أسكنت فيه علما يليق به ، وكلما كان للسكون أرقى كل الساكن فيه أعلم وأعظم وأقرب الى ربه كما يقرب حاسة العين والسمع من العقل ، وتبعد عنه حاسة اللمس بعض البعد ، إن العين والسمع يعرفان القريب والبعيد ، واللمس لايفقه إلا القريب ، فأتم يا أهل الأرض أشبه بحاسة اللمس لأن عاقلكم مادية والعوالم الأخرى يقرب سكانها من ربهم لبعده نظروهم وكبر عقولهم وتشبههم بربهم ، وهذا ماينأتى من قوله تعالى - يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون - . ثم ذكر أن الأرض اذا زل عليها الماء اهتزت وزادت وتزخرفت بالنبات هكذا تحيا النفوس بالبعث كما تحيا الأرض بانزال المطر عليها . ثم ذكر أن هذا القرآن محفوظ لايتطرق اليه الخلل مذكرة للام الأرضية الضعيفة لأنه زل بحكمة وهى فعمة على الناس يستحق مسديها جحهم له ، وأن الأمم المدعوة لهذا القرآن تقابل بما قابلته الأمم السابقة أنبياءها لأن أهل الأرض منغمسون فى المادية ضاعف العقول غالبا أهنتهم الشهوات عن الحكمة لاقتربهم من عالم الحيوان والنبات ، فهذه جبلة فيهم والله سبحانه سيجازى المسئى والمحسن منهم بما هوأهلهم من عقاب وثواب ، ثم إن هذا القرآن لوزل بلغة غير العربية كما يقترح بعضهم لكان ذلك بدعا فيقال نبي عربى وقرآنه أهجى فقوم جحتم عليه ويقولون فى آذاننا وقر كلا . بل الأمر واضح نبي عربى وقرآن عربى تسمعه أمة عربية وتنقله الى الأمم ثم قذبح لغتها وينشردنيتها وتقوم دول بها ، ولايصح ذلك إلا اذا كان بلغة العرب ، ثم أبان أن أمر الساعة كأمر خروج الثورات من أكاملها وكأمر وضع الحوامل ، فهذه الأجسام الأرضية الانسانية تحمل أرواحا عربى فى الأرض بالغير والشر وتتمتع بالتم والنعم والبلايا والرزايا وترسل لها الأنبياء ويخلق فيها العلماء فتفتح الأجسام عن أرواحها بلوت كما تفتح الآكام عن الزهر والكفرا عن الطلع والحاصل عن الطفل . فالأجسام بلوت تتمخص كتمخص الحوامل وتبرز تلك الأرواح ظاهرة واضحة على حسب مايجلت عليه كما يخرج الطفل حاملا موارثه من أبويه ونوويه ودولته وأمتة فى الدنيا فيعيش على ماكان عليه فى الرحم من تلك اللوارث ويتلقى كمال علومه فى الحياة ، فإذا مات فقد تمخص جسمه عن روحه وأصبح فى عالم جديد يحمل صفات وآراء وأخلاق حتى اذا بعث برز هناك أمام الله والعالم بأخلاقه نفسه كما برز الطفل فى الحياة بما هو من جبلة . ثم قال وهذه الامور ليست بالطبع بل لانعمل أئى ولاتضع إلا بعلمه هكذا لايعمل عامل عملا ولايعشرالى جنة أو نار إلا بعلمه

لأن هذا نظام له قانون لا يتعمده . ثم أخذ يذكر أخلاق أكثر النوع الانساني فوصفه بأنه لا يجب إلا الامور المادية ، فإذا نقص منها شيء ينشع مع انه خلق لهذب ويرى ، وإذا أتم عليه بنم كثيرة وغمر بها اغترق وطن أن ذلك أمر دائم وأن النعم الروحية والأخروية تابعة للنعم المادية الجسمية ، ثم بشرائه النوع الانساني لاسيا العالم الاسلامي قائلا : « أيها الناس : إني سأفتح لكم أبواب العلوم والمعارف والحكم ، وأبين لكم الحقائق ناصحة واضحة ، وأولا أفتح للمسلمين البلاد شرقا وغربا وهذه دلالة صادقة على النبوة المحمدية ، كيف لا وأن النبوة تستلزم إحياء الأمم وتزيينها ، فدين يجمع أمة وتعيش أمدا طويلا وهو ثلاثة عشر قرنا ويضم من الشرق والغرب آلاف الآلاف ، إن ذلك لميل على أنه من عند الله لاسيا إذا كان الذي نزل عليه ذلك الدين أميا لا يقرأ ولا يكتب وهو في أرض خلة لاصلة بينها وبين العلم . وثانيا ان هذا القرآن قد فتح للناس باب قراءة العلوم والمعارف فانتشرت الفكرة في العالم كله وجاءت الحروب الصليبية فانتعشت أوروبا وظهرت الهجائب الكونية وظهر علم الأرواح وعلوم النفس وهذه معجزة للقرآن . فهنا معجزتان : معجزة فتح البلاد على أيدي المسلمين . ومعجزة ظهور العلوم في أوروبا التي أدهشت العقول وحيث الأفكار . وقد ذكرنا كثيرا منها في هذا التفسير . فهذه العلوم هي نفسها آيات الله تعالى أظهرها الله كما أخبر القرآن . والعلوم المذكورة قسمان قسم في العلوم الطبيعية والفلكية وهي علوم الآفاق . وقسم في علم الأرواح وعلم النفس وهو علم الأتفس . وذلك كله معجزة للقرآن . والا فكيف يقول - سئريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - أوليس ذلك لنا عن المسلمين الآن !

يقول الله - حتى يتبين لهم أنه الحق - . فليسمع المسلمون في أقطار الأرض كلام ربهم . هذا أواته . يقول لكم : سأريكم آياتي في أنفسكم وفي الآفاق . أيها المسلمون : هذه الآيات قد ظهرت وبهرت . ظهرت شمس وبهرت العقول . ظهرت علوم الكيمياء . ظهرت عوالم بدئية غابت عن عقول الأمم الماضية . ظهر ذلك كله . ظهرت أسرار النفوس وعلوم الأرواح . كلت الأرواح الأحياء . كلهم بما جاء به القرآن . قالوا لهم « اننا نغضب ونتم » . قالوا لهم : « اننا نألم لكل ذنب اقترفناه » . قالوا لهم : « ان العلم والأخلاق الحميدة هما المسعدان لنا بعد الموت » . قالوا لهم ملخص ما جاء في القرآن

أيها المسلمون : هذا هو دينكم بأمركم أن تدرسوا كل علم وتقرأوا كل فن ويقول لكم الله إني عبادي قد فتحت لكم أبواب الجنات في هذه الدنيا . فتحنها على مصارعها . انظروا تأملوا ما فيها من جلال . وأين هي الجنات ؟ هي العلوم التي أبرزها الله في الأرض . إن الجنات نتائج العلوم والأخلاق . والجنة تأنع الجهل والذنوب . يقول الله - سئريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - ولقد أرانا الله ذلك . كان آباؤنا أشرف خلق الله فلكوا الأمم لاسعادها . ولما سكنت ربحهم وغابت شمسهم خلفهم خلف أضاعوا الصلاة واتباعوا الشهوات فلقوا غيا فأذنتهم الأمم . وهذه أيضا من آيات الله التي أرانا الله لنا . أرانا آيات في آياتنا إذ أخضعوا الأمم . وأرانا آياته في أنفسنا في مصر والشام وسوريا والحجاز وفلسطين والعراق وبلاد المغرب وفي بلاد روسيا والهند وسائر أقطار الاسلام وفيما وراء البحار . خضعت أكثر هذه الأمم للفرنجية . أخضعها الله للكمال . هذه من آيات الله تعالى لأنه هكذا أوعد الله الذين لا يذكرون . أظهر الله علوم الكائنات من شمس وأقمار وكواكب صغار ومعدن وحيوان ونبات وجمال أرضي ومجانب حكمية وعلوم أرواح . كل هذا من آيات الله في الأنفس والآفاق ثم أبد ذلك بأن الله شهيد على كل شيء فهو يحق هذه الامور كما وعد وانه عالم بالاشياء كلها وقد تم ذلك كله في هذا الزمان وسيزيد في الازمان المستقبل

إني لأدعس أيها المسلمون حين أرى هذا كلام ربنا وأرى انه ديننا وأقول في نفسي كيف يكون هذا دين أمة الاسلام والناس كلهم يرقون العلم أما هم فانهم نائمون

عجا لآمة أصبحت أشبه بلك اسم أعجب تقام له المحافل وهو غافل وتضرب له المدافع وهو نائم وتنصب له الخفلات وهو في سبات أو كبروس أقيم له الاحتفال ونشرت الزينات وأنشدت القصائد وهواته غافل لا يبدي ما قال ولا يدري

يا قوم : يقول ربنا - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - ويقول انه شهيد على كل شيء محقق للوعد والمسلمون لا يعلمون هذه الزخارف والزينات القائمة في الأرض والجباب البارزة زفها الله اليكم ، استخرج الله منافع البر والبحر وكلم الأموات الأحياء . كل هذا أخبر به نبيكم ﷺ فكيف تقام هذه الزينات وتنصب لكم الخفلات وأتم في غفلات . نعم إن المسلمين اليوم أشبه بملوك العباسيين في آخر أيامهم أو ببعض الممالك في الدولة المصرية إذ تقام لهم الخفلات باسمهم وتنصب لهم الزينات وهم مسجونون هذا ما جاش في قضي عند تقسيم هذه السورة وهو مختصر لتفسيرها فلا تبدأ في تفسير هذه الأقسام فأقول مستعيناً بالله

﴿ القسم الأول في تفسير البسملة ﴾

هذه قد أخرتها الى الطائفة وهي أول لطيفة من ست ، وذلك لأن فهم الرحمة هناك من حيث شموها لما في السورة من الجباب يحتاج فيه الى معرفة طواهر تفسيرها ولذلك أخرتها

﴿ القسم الثاني من السورة ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم • تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنْهُمْ لَّا يَسْمَعُونَ • وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَذْهُونَا إِلَيْهِ وَفِي أَعْذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ • قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ • الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ • إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ • قُلْ أَنتُمْ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ • وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمَ ذَلِكَ • ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأُنْتَبَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ • فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ •

﴿ التفسير اللفظي ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(حم) هما حرفان وهما الحاء والميم وقد علمت أنهما في سورة غافر تشيران للحمد الذي اكتنفهما والنتيجة أنهما ترشدان الى اقتناص سائر العلوم ، هذا ملخص ماضى في هذا التفسير ، انما لكل سورة منزلة والمزية التي في هذه السورة غير التي مضت ، فانظر الى ما سألني عليه ، انظر كيف يذكر الله الحاء والميم المذكورين في قوله تعالى - تنزيل من الرحمن الرحيم - فالحاء والميم في كل من الاسمين ، وكيف يقول - نزلا من غفور رحيم - ، وكيف يقول - تنزيل من حكيم حميد - فالحاء والميم في الحمد والحكمة والرحمة المذكورات في هذه السورة ، ولا جرم أن الحمد أعم هذه للعاني لأنه لا يكون إلا على نعم ولانم بحمد عليها إلا اذا عرفت ، ومتى عرف الانسان أن الله رحيم ورحته شملت العوالم العالوية والسفلية رحمة مصحوبة بالحكمة لا كرحمة الأمهات بل هي كرحمة الآباء مصحوبة بشدة لتوازن والحفاظ عليها . متى عرف ذلك حمد الله فإذا يرجع الأمر الى التنبيه على العلم لاسيما أن الحاء والميم في الحمد قد جا آ في أول الكلمة متتالين فأما في الحكمة والرحمة فليسا كذلك فوجعت هذه السورة كالتى قبلها مع تفصيل في هذه . ألا ترى كيف ذكر بدء الخلق وأنه نظم السموات والأرض وأودع فيها الأقوات والأرزاق وأعطى كل شئ خلقه وأنه أمر الأرض والكواكب بالاتباع اليه فأنت له طاعة بطريق الجاذبية لا بطريق القسرة والقهر وهذا السوران مبنى على الحكمة والنظام الجيب . وكيف زين السقف الذي فوقنا بمصاييح مضبوطة مشرقة بهجة تسر الناظرين فبينما الانسان ينظر في خلقه فيرى أزهارا وأنوارا وجبالا وبهجة وماء لطيفا شفافا فظهر فيه الوجوه والطيور تحوم حوله ويرى أنما وأشجارا وأنواعا شتى من الثمار في الأرض اذا هو ينظر فوقه فيرى سقفا مرفوعا مزينا بالصور الجميلة والقناديل المعلقة والرسوم البارزة والوجوه الباسمة والأوضاع المشوقة والمبهجات الشارحة للصور المنعشة للقلوب الزلية الغيوم المذكورة بالأحباب المبعدة للنسب الزلية للقبوب المنجية لنوى العقول الشريفة الملهمة لهم الجبال السارة المفكرين المذكورة برب العالمين المصفرة لحياتنا الحيوانية المعظمة للحياة الملكية الخاصة بالكبراء المتنوعة عن الجهلاء المحجوبة عن ذوى الكبرياء تبرقت عن الأغيار وظهرت للأخيار ولزيت وابتهجت وأبهجت . ذلك من الرحمة التي ذكرها في قوله - الرحمن الرحيم -

ثم انظر الى الحكمة التي بينها في السورة . ألا تراه يبين أن قرأه السوء يوسوسون الى أمثاله وقد زين لهم وسوسهم كما زين السماء لأعجاب العقول الكبيرة . ثم تراه يجعل الملائكة ملهين للنفوس الشريفة في الأرض كما يشرونهم عند الموت وعند البعث ويسلمون عليهم . أليس ذلك للحكمة . فبدء الخلق رحمة . ووسوسة النفوس الشيطانية الى النفوس الشهوية وإلهاط النفوس الملكية الى النفوس الفاضلة في الأرض من آثار الحكمة . ذلك أن الحكمة تقتضى أن يقرن التشبيه بما يشبهه . فالشياطين توحى الى أمثاله من الناس والملائكة تلهم من يقرب لها في الخصال ليلحقوا بهم بعد موتهم . ثم أفاد أن الملائكة يرفعون ربهم أكثر من أهل الأرض فكأنهم شمس تتبعها أرضون ، فإذا رأينا شمسنا قد تبعها السيارات والأرض وتوابعها ونحوها هكذا تلك الأرواح الكبيرة تتبعها أرواح صغيرة في أرضا وغيرها فكأنها تدور حولها كما تدور أرضنا حول شمسنا ، وكما أن أرضنا تستمد من الشمس النور هكذا الأرواح الصغيرة في علان تستمد العلم من أرواح فوقها أعلى منها بالإلهام أو الالتقاء في الروح وهذا هو المقصود من قوله - فالذين عند ربك

يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون - وانهم يتذكرون على أهل الأرض يقولون لهم لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا . كل ذلك من الحكمة . ومن الرحمة أن الأرض تخرج النبات فينتفع به أهل الأرض . ومن الحكمة أن ينزل القرآن باللغة العربية لمناسبة المرسل اليهم الذين هم أقرب اليه . ومن الحكمة مناسبة خروج النورات من الأكلام ووضع الاناث لقيام الساعة فكلها نتائج ونعمات لتقدمات

وبعد أن ذكر آثار الرحمة وآثار الحكمة وإن كان كل منهما مصاحبا للآخر ختم السورة بما يوجب الحمد وهو أن يرينا آياته في الأنفس والآفاق . وإذا أرانا آياته فنعلم أنه يظهر العلوم والأسرار كما ظهر لك منه كثير في تفسير هذه السورة وغيرها وبالعلم وانكشاف الحقائق يكون الحمد فرجع الأمر كله الى معنى (حم) فقوله حم إشارة الى الحمد والحمد لا يكون إلا بمعرفة النعمة والنعمة المذكورة في السورة منها ما غلبت فيها الرحمة وهي بدء الخلق وانبأت النبات . ومنها ما ظهرت فيه الحكمة وهي وسوسة الشياطين لأمثالها والهام الملائكة لتلاميذها واتباعها ونظام الأمور كما يرينا الآيات وهذا سبب في الحمد . حقا إن هذه السورة ورويات الجنات إن من يقرأ هذه السورة يرى ألقافها متشابهة ومعانيها متشابهة وكأنه لا يرى شيئا جديدا فإذا أمعن النظر افتتحت له خزائن العلم والحكمة كما يحصل عند ما يسمع الانسان قوما يتكلمون بلغة لا يفقهها فانه يرى أن الألفاظ متشابهة ولا يفهمها إلا ببعضها وكما يشاهد جيشا عرمرما من بعيد فانه يراه شيئا واحدا لا اختلاف فيه وكما اقترب ظهر له تفصيله . وكما يرى الشمس والقمر وهو على الأرض فانه يرى جسمين صغيرين فإذا ارتقى بالعلم في الدنيا أو بعروج روجه الى السماء وكان من أهل ذلك هاله عظمتها . هكذا هذا القرآن نرى اننا كلما توغلنا فيه ظهرت لنا علوم جديدة تبرز في ثيابه

هذا ما استبان في معنى حم فالحمد والميم يعبران عن الحمد والجد يستلزم العلم . والمسلمون اليوم مخاطبون وهم الآن أقرب الى العلوم من كل زمان لأن الله أراهم الآيات في أسلافهم وفيهم وفي الآفاق من العلوم والمعارف . فإذا قصر مسلم بعد ما بيناه فان الله عز وجل يغضب به وبأمثاله الأرض وذلك بالقلة والهووان ثم الاقتراض وهذا امر لا شك فيه وأصبحت موقفا به كل الاقنان . وقوله (تنزيل من الرحمن الرحيم) أى هذا تنزيل من عمت رحمة عظمت الامور ودقيقاتها في أكناف السموات وآفاق الأرضين . وقوله (كتاب) خبر بعد خبر ثم وصفه بأنه فصحت آياته في معان مختلفة من عجائب خلق وابداع صنع واحكام نظم وازال غيبات وازال وحى أدلها م واضادة سقف مرفوع وتبيان الحقائق واخبار بمسقبل العلوم ووعظ واحكام وأمثال ووعد ووعيد ووجهة للتأخرين وهذا قوله (فصلت آياته) أمدح (قرآنا) موصوفا بوصفين : الأول كونه عربيا . الثاني كونه (لقوم يعلمون) ووصفه بأنه عربى من الاشارات الجببية فان اللغة العربية اليوم لا يتوغل في محافل العالم شرقا وغربا من ذكرها والترجم بمعانها والقيام بشأنها ومعرفة تاريخها وتاريخ دينها والبحث والتشقيب عن أسرارها وآثارها كلها كما تقسم في (سورة سبأ) وأنت ترى المستشرقين في العالم الغربي مولعون بهذه اللغة ولولا القرآن لم يكن لها هذا الشأن . لقد اشتهرت الأمة العربية وما شهرتها إلا بالقرآن . لقد اشتهرت الأمة العربية وأصبح لها صيت عظيم ومجد كبير مع اننا اليوم تحت قهر الأمم ولكن القرآن العربى - جلال لنا وزينة . يدعونا الى الرقى والسلام . أليس من العجب أن يجترى أكبر طابع للكتب في مصر وهو الذى تعهد بطبع هذا الكتاب أن تفسير الطبرى لما طبعه لم يقتم على الاكتتاب فيه من مصر المسلسلة إلا ثمانية عشر رجلا . ولكن ألمانيا النصرانية قد اشتركت منها ثلاثون فيه ، ومن عجب أن أول مطبع المصحف في العالم طبع في ألمانيا وهذا سر قوله تعالى - عربيا - مشيرا الى صيت العرب وذكرهم بهذا القرآن حتى طبعوا كتبهم ودينهم في مطالعهم !

فبالتى شرعى إذا كان هذا شأن اللغة العربية عندهم وهم مسيحيون فما بالك لو كانوا مسلمين ! هذا

كـه سـرّ قـوله تـعالى - قرأنا عـربيا قـوم يـعلمون -

إن أوروبا اليوم فيها غول العلماء ، ولقد شاهدناهم وكاتبناهم ووجدناهم يدرسون اللغة العربية دراسة تلتة ويعرفون أسرارها أكثر من كثير من المسلمين ، ذلك كله أشار له القرآن بقوله - عربيا - والأفهام أن القرآن عربى

﴿ حكاية ﴾

كان أحد الملوك الاسلاميين وهو فى سفره له سفير يحادثه ويلقى عليه للملح والنوادر والفكاهات وكان لا يتكلم معه إلا بحكمة ، فبينما هما سائران إذ لحما بناء . فقال له ما هذا البناء ؟ فقال هذا بيت عائكة الذى قال فيه الشاعر :

يا بيت عائكة الذى أتقول * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

ولما كان من عادة الخليفة أن لا يسمع من هذا السفير إلا ماله حكمة قال فى نفسه . يا عجبا : لم قال هذا البيت ؟ إن الجواب يكفى فيه أن يقال بيت عائكة فلم ذكر المسبب فسأل خواصه ونعماءه هل هناك شئ يلاحظ بالنسبة لهذا السفير ؟ فقالوا نعم أنك وعدته وعدا فلم تنجزه فظن أن أنه يشير إلى قول الشاعر :

ولأنت تقرأ ما تقول وبضهم * ملق اللسان يقول ما لا يفعل

فأعطاه كل ما كان وعده به وأجاز له حسن أدبه

فما يشير له فقط - عربيا - أن القرآن سيعبر شرفا للعرب ولوقى أيام محنتهم . إن أبناء العرب اليوم أصبحوا أنصف من آبائهم فى الجاهلية من حيث السياسة ولكن شرف القرآن ألقى عليهم شعاعا وبارقة أمل نسعها أيام هذا التفسير وسيكون لهم مجد لأنهم الآن أخذوا ينفضون غبار الكسل والذل عنهم وهم مجتهدون وفى آية أخرى - والله قد كركك وقومك وسوف تسألون -

يشير الله إلى أن القرآن شرف للعرب وللهي ﷻ وإلى أننا مسؤولون عنه لأننا أرباب اللغة . إن ذلك توبيخ لنا فى العصر الحاضر . يقول الله إذا كنتم أئمة أبناء العرب فكيف تهربون من محكم ؟ كيف يقوم أبناء الألمان المشتريين الذين لا يملكون ثلثاة فيفهمون تفسيره الكبير وهو تفسير الطبرى للذكور . وأتم يا أبناء العرب تعرضون عنه . يقول الله القرآن عربى فأتتم يا أبناء مصر والشام والعراق والحجاز عرب فليكم نشره . وإذا كان أبناء أوروبا الذين هم ليسوا مسلمين يطبعونه وينشروه أفلمتم أولى به ؟

وقد أخبرنى السيد مصطفى البابى الحلبي الذى طبع ذلك الكتاب . قائلا : طبعت التفسير المذكور فلما أرسلته إلى ألمانيا لم يحجبهم القهرست فوضعوا له هم فهرستا آخر من عندهم . وأخبرنى أخبارا كثيرة من هذا القليل

لقد اطلعت على عجائب فى أيام حياتى . ذلك أئى وجدت كثيرا من عظماء أئتى يحقرون الدين والعرب وكل شئ منسوب لآبائهم . لماذا ؟ لأنهم ظنوا جهالة أن الدين واللغة والانتساب للعرب هو الذى جعل الفرنجة يدخلون بلادنا . وطلق بعضهم انهم باحتقارهم عاداتهم وتقاليدهم وانهم يندمجون فى الأجانب الذين دخلوا بلادهم يرتقون ولكن تغيرت الأيام وظهر فى الشرق وفى مصر رجال غيروا الرأى وأخذت العقول تنشط ولكن إلى الآن لم تصل إلى درجة الارتقاء التى يشيها قوله تعالى - قرأنا عربيا - فان صبغتنا العربية الآن محجوبة وهى تظهر قليلا قليلا وسيكون لها الشأن الأكبر قريبا كما قلت مرارا فى هذا التفسير . إن التعبير بلفظ - قرأنا عربيا - يفيد بقاء اللغة العربية أجيالا وأجيالا لأن القرآن حافظ لشكل اللغة مازم جميع الأمم العربية وغير العربية المختصة بدراسة الأمم العربية أن تقرأ النحو والصرف وما أشبههما وذلك الشكل يبقى مابق القرآن

واقترآن باقى الى آخر الزمان وهذا الموضوع مذكور فى أول سورة آل عمران وهناك ملخص رواية منقولة عن أحد الألمان ملخصها أن اللغة العربية هي التي تبقى بارزة الى آخر الزمان وهي التي تحفظ العلوم لأن جميع اللغات بعد مئات السنين تتغير تغيرا كبيرا واللغة العربية تبقى لأن القرآن يحتم أن تبقى هذه اللغة على حالها بخلاف لغات العالم كلها فهي في تغير مستمر كما هو معلوم في علوم اللغات . وقوله (بشيرا ونذيرا) أى للعالمين به والخالفين له (فأعرض أكثرهم) لأنه لم يتدبره (فهم لا يسمعون) سماع تأمل (وقالوا قلوبنا فى أكنة) فى أغشية جع كنان (عما تدعون اليه وفى آذاننا وقر) الوقراءه الثقيل (ومن بيننا وبينك حجاب) يمنعنا من التواصل (فأعمل) على دينك (إننا علمون) على ديننا (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ أنما لأحكم له واحد) لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التفتي عنه ولست أدعوك بلفظ غير لفتكم فإذا صدكم عن الفهم فتقولون قلوبنا فى أغشية وآذاننا فيها قمل وتعرضون هذا الاعراض (فاسقيموا اليه) الى الله (واستغفروه) مما أتم عليه (ودليل للمشركين) من فرط جهالتهم (الذين لا يؤتون الزكاة) ليحلهم وقلة رأفتهم على الخلق (وهم بالآخرة هم كافرون) لاستراقهم فى طلب الدنيا فلا علم لهم بالآخرة فيرعون عن الانهماك فى المال فيعطونه الفقراء ولاشفقة نذفهم الى الاحسان اليهم ، ثم ذكر أصدادهم فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أى غير ممنون به عليهم أو غير مقطوع

{ ذكر بدء الخلق }

قال تعالى (قل) يا محمد (أنتم لتكفرون بالله) خلق الأرض فى يومين (فى نوبتين) وتصلون له (أعدادا) أى ولا يصح أن يكون له ند (ذلك) الذى خلق الأرض فى نوبتين : نوبة جعلها جامدة بعد أن كانت كرة غازية ومصرة جعلها (٢٩) طبقة فى ستة أدوار ظاهرة فى علوم طبقات الأرض ، لجودها نوبة ونظام طبقاتها نوبة (رب العللين) لا ربها وحدها فهو مربى كل عالم ، فلئن ربها فى نوبتين فقد رى غيرها فى نوبتين أو أكثر (وجعل فيها رواسي) جبالا ثوابت (من فوقها) مرتفعة عليها لتكون أساسها فى الأرض وهي الطبقة الصوانية التى تقم الكلام عليها فى علم طبقات الأرض فى {سورة هود} وغيرها بمثابة حصن فوق الكرة النارية التى هي عبارة عن الأرض كلها ، وهذه الطبقة التى هي أول ما تكون فوق الكرة البارية هي التى برزت منها الجبال ، فالجبال أساسها بميدة الغور ضاربة فى جميع الطبقات واصلة الى أول طبقة وهي الصوانية التى لولاها لم تكن الأرض أرضا ولم تستقر عليها ، فهذه الطبقة أشبه بنظام الأجسام الحيوانية تكون حافظه للامانة والادخلة من الطعام والشراب والحم والشحم وما أشبه ذلك ويسترها اللحم والظفر والشعر والعروق والشرابين والأوردة والشحم وغيرها ، هكذا كرة النار التى هي عبارة عن أرضا غطيت بالطبقة الصوانية وفوقها طبقات ألطف منها تكوّنت فيها الحيوانات والنباتات على مدى الزمان كما يكون على أجسامنا وأجسام الحيوان الشعر والوبر والصوف ، فأما هذه الجبال فإلى لا تتوالت تتأت من تلك الطبقة وارتفعت فوقها عشرات الآلاف من الكيلومترات ثم ارتفعت فوق الأرض وصارت مخازن المياه والمعادن وهداية للطرق وجسا للسحاب والهواء حتى تحفظه ولذلك عطف عليه قوله (وبارك فيها) أى وأكثر خيرها وذلك بالأبصار المتبدنه من الجبال المذكورة الحافظة من حيث أصلها للأرض أن تبدد الخازنة لمائها ومعادنها كالذهب والنحاس والحديد (وقترفها أقواتها) أقوات أهلها . كل ذلك حصل فى نوبتين فيكون خلق الأرض وجعل الرواسي فوقها وأكثر خيرها وتقدير أقواتها من أنواع الحيوان والنبات كل ذلك (فى أربعة أيام) فهذا كالتذليل لما تقدم استوى (سواء) استواء (الساكنين) أى الذين يسألون الأقوات وهو كل حيوان على وجه الأرض قال تعالى - يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى

شأن - فالتناس والحيوان كلهم سائلون ربه ما يحتاجونه من طعام وشراب ولباس ودواء وذلك السؤال طبعى فيهم مغروس في جبلتهم ، سأل الحيوان كالفيلة والنحلة والشاء والذئب الرب كما يسأله الانسان سواء بسواء ، فالفيلة تطلب قوتها فتجده والنحلة والعنكبوت والخنزير والكلب والشاء والذئب ، تطلب الشاء الطعام فتجده الكلاب ، ويطلب الذئب الطعام من ربه فيجده الشاء ، فقد أجاب الكل وكل يحبه ، وقد ألقي بينهم العداوة والبغضاء ليديم الارتقاء للذئب والكل ولما كولا ، فالغزالة تنهرب من الذئب فتعطى قوة ونشاطا لولا الخوف لما كانتا وذلك يقويها ويرقيها ، والذئب يجمع وقد حرم عليه أن يأكل الحشائش فهو مضطرب يأكل الغزالة وهو هو الخفيف المزيج لها ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ حوللقوى لصلاتها لازعاجه ليأها بصوته وحلته فيغير على القطيع العظيم فيأخذ منه غزاة واحدة وأشاء واحدة ، ذلك أجروا فعله لأنه كأستاذ يعلمهم علم القوة وترية الضلات والحذر ويقوى القوى الخيالية ، وينال مكافأة على ذلك شاة واحدة من قطع يبلغ للمئات من الشياه وربما يأخذ الضعيف الهزيل منها لضعفه عن الجري أولتاخره وما تأخره إلا لضعفه ويرجع الحق من التضن بتلك الجشث التي تقع فيه من الحيوانات ، فهذا من معنى قوله تعالى هنا - سواء للسائلين -

ثم إن الانسان يتم بحال ماحوله من الأرض فلذلك قدم ذكرها و بين انها هي وما عليها قد كونتها في أربع نوبات : فنوبة لتجمد المادة الأرضية بعد أن كانت غازا ، ونوبة لتكميل بقية طبقاتها ويدخل فيها معادنها ، والمرتان الأخريان إحداها للنبات ، والثانية لعموم الحيوان ، ولما فرغ من الكلام عليها أخذ سبحانه يذكر السماء على سبيل الترتيب الذكرى أى ان الأرض أولا في الفكر (ثم استوى الى السماء) أى قصد نحوها يقال استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه (وهى دخان) أى مادة غازية نارية أشبه بالسنان أو بالسحاب أو السديم ونسى اليوم في العلم الحديث (عالم السديم) وقد شاهدوا من تلك العوالم اليوم ستين ألف عالم تبرز للوجود من جديد لا تزال على الحالة السديمية كما نقله لك من الكتب الفرنجية في غير هذا المكان ، ورأوا أن من تلك العوالم ما هو في أول تكوونه ، ومنها ما قطع مراحل في تكوينه ، ومنها ما قارب التمام وهى عوالم كمثلنا الشمس التى نحن فيه ، وسيبرز للوجود كابرزت شمسا وسياراتها وأرضها وكانت في الأصل دخانا وتستمر في التكوين ومنتها نوبتان ، ونحن لا نقدر أن نعرف كيف تكون النوبتان غاية الأمر أن نقول نوبة للبداية ونوبة للنهاية ويكون هذا القول من اجل العمالة وقائده أن التكوين لم يكن في لحظة واحدة ثلاثا بطرق الى العقول انه كان كذلك في الأصل بل يريد انه جار على الحكمة والنظام وقد كوّن في غير نوبة وكفى هذا في كتاب مقدس كالقرآن يقول انه خلق الأرض في نوبتين وما عليها كذلك والسموات السبع كذلك . فهذه العوالم كلها التي شوهنت بالماظير للعظمة سبعت للوجود في نوبتين بشوها القسيب كما برزت أرضنا وكوّنت شمسا في نوبتين إذ قصد الله اليها والى كل شمس من الشمس التي كشفت والتي لم تكشف وهى تعد بنحو خمسمائة مليون ، بل قدرها بعض الفلكيين في هذه السنة بما يبلغ أثنى مليون ويقولون هذا قطرة من بحر العوالم المجهولة ، فهذه كانت عالما دخانيا فطورها وكوورها فدارت آلاف آلاف من السنين ، ثم خرجت منها الأرضون والسيارات كما خرجت أرضنا وسياراتها من شمسا أثناء دوراتها ثم برزت الأرض التي قُترت على الأقل بنحو ثلثائة ألف ألف أرض أى ان تلك الأرضي البارزة حول الشمس وحول أنفسها بردت قبل شمسها (فقال الله لها) أى تلك العوالم السحابية (وللارض) أى جنس الأرض التي دارت حولها وهى مئات الملايين (اتقيا طوعا أو كرها) شتتا أم أبيتنا (فالتا) أى السموات والأرضون (أنيبا طامعين) وهذا دلالة على الحركة المستمرة المعبر عن سببها بالجاذبية فهى حركة أشبه بحركة المشوق فهى تجرى جرى طاعة لاجرى قسر ، والليل للمشاهد على ذلك اننا نرى الجبال على أعلى قسرا فيأبى إلا أن ينزل الى الأرض بطريق الجاذبية ، فهو مجنوب الى الجسم الذى هو أكبر منه . هكذا

الأرض مجذوبة إلى الشمس التي هي أصلها وهي حركة دورية بالطول لا بالعرض لأن الحركة القسرية كرمي الحجر إلى أعلى وهي سريعة الزوال . أما حركة الطاعة فهي الباقية مادام المطيع متخلقا بخلق الله هو عليه (فصاعق سبع سموات في يومين) أي يوتين دلالة على النظام والسير بالحكمة كما تقدم في خلق الأرضين ومن هذا يفهم كيف قال - فقال لها وللأرض - الخ ، ذلك للدلالة على أن حركة الاتيان منها مصطعبة فينظر الأرض دائرة حول نفسها وحول الشمس ترى الشمس دائرة حول نفسها وحول شمس أكبر آلاف الآلاف منها ، فهذا هو السبب في ذكرها معا أي أنه قال لها معا وأجابها معا وحقيقة الأمر كذلك لأن الأرض لما كانت من ضمن الشمس كانت دائرة من جلة أجزائها ، فالتقول كان لها معا وهو الآن لها معا ، وإنما قلتم الأرض في الذكر على السماء للسبب المتقدم أولا ولأنها تم تكوينا بعد البرودة . ولما أكثر الشمس فلا يزال هناك زمن طويل حتى يبرد وتسير أرضين (وأوسى في كل سما أمرها) شأنها ومايتأتى حلها عليه اختيارا . ثم ذكر معا أهم لنا فقال (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) فإن هنا العالم الذي نشاهده وهو أقرب إلينا الذي نراه مرصعا بالنجوم هو الذي نسميه السماء الدنيا ، ولوانا ارتفعنا إلى بعض عوالم لرأينا سما أخرى بكواكب غير هذه وهكذا إلى آخرها ، فهو سبحانه يقول انه زين سماءنا الدنيا بهذه المصابيح الثلاثة المشوّهة ، ثم يقول (و حفظناها) (حفظا) من الآفات ومن أن يترك سماءنا من لا يتأهلون لمعرفة (ذلك تقدير العزيز العليم) البالغ في القدرة والعلم . انتهى التفسير اللفظي لقسم الثاني من السورة

﴿ لطيفة في قوله تعالى - وقدر فيها أوقاتها - ﴾

أعلم أن الله لما خلق الإنسان قدر أوقاته متفرقة ، وأحوج كل إلى كل بحيث ترى من يسكن بلاد آسيا يحتاجون إلى أهل أفريقيا ، وأهل أفريقيا يحتاجون إلى أهل آسيا ، وهذه الترية يراد بها التواصل طوعا أوكرها ، فتجد القطن بمصر وأمريكا وكل الأمم في حاجة إليه . وترى النخل لا يكون إلا ببلاد الحارة . وليس للبلاد الباردة فيه من نصيب . وترى النارجيل في الأقطار التي هي أشد حرارة . والبندق في البلاد الباردة . وهكذا جعل لكل قطر خاصية . وأحوج الأمم الأخرى كل منها إلى بقية الأمم . وكلما ارتقت الأمم ازدادت الحاجات . وهذا في الحقيقة داعية إلى التواصل والتحاب طوعا أوكرها . فتارة يتاجر بعضهم بعض وآونة يتصلون بالسلامات . وطورا بالكتب والمراسلات . ووقتا بالبعثات العلمية . وساعة بالحرب والقتال وهكذا كل ذلك دلالة على أن هذا الإنسان تقدير قومه يدعو إلى التواصل والتحاب . وذلك بدعوتنا إلى العلم فإن تقدير الأوقات لما يحتاجه وجدناه يدعو إلى البحث عنه . ولا بحث إلا بعلم . فامة الاسلام أصبحت ملزمة بانساع العلم في كل آية من كتاب الله والا فكيف يقول - وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام سواء للسائلين - وقد تقدم بقية السلام اه

﴿ القسم الثالث من السورة ﴾

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُودَ * إِذْ جَاءَهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِبَنِي الْحِثِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْ كَمْ يُرَوِّا أَنْ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيقِهِمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ • وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَعَبُوا السَّمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ
فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا بَيْنَ يَدَيْنَا مِنَ
الْعَذَابِ

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (فان أعرضوا) عن الإيمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم صاعقة) عذابا شديدا يقع
كأنه صاعقة والصاعقة رعد معه نار (مثل صاعقة عاد وثمود • إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم)
أي أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا الاعراض . أو أنذروهم وقّع الله فيمن قبلهم
من الأمم وعذاب الآخرة . وقوله (أن) هي تفسيرية بمعنى أي (لا تعبدوا إلا الله فلو) أي القوم (لوشاء
ربنا لأنزل ملائكة) أي لوشاء ربنا لإرسال رسل لأنزل ملائكة . وإذا كنتم أتم بشرا ولستم ملائكة (فانا
بما أرسلتم به كافرون) لأنكم لستم على ما شرطناه وهو أن يكون الرسول ملكا فمالتكم لا تؤمن بها (فأما
عاد فلست كعبوا في الأرض بغير الحق) أي فظنوا فيها على أهلها بالاستحقاق فولايتكم عليها بلا استحقاق
(وقالوا من أشد منا قوة) اغترابا بعوتهم وشوكتهم (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) قدرة
(وكانوا بآياتنا يجحدون) يعرفون أنها حق وينكرونها (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة تهلك بشدة
بردها (في أيام نحسات) جمع نحسة أي نكدات مشؤمات (لنديقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) أي
عذاب القتل فيها والهووان في مقابلة استكبارهم في الأرض (ولعذاب الآخرة أخزى) أشد خزيا وهو اسناد
مجازي للبالغة (وهم لا ينصرون) لا يدفع العذاب عنهم (وأما ثمود فهديناهم) فدللناهم على الحق (فاستعابوا
العمى على الهدى) فاختاروا الضلالة على الهدى (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أي ذى الهوان (بما
كانوا يكسبون) من اختيارهم الشرك (ونجينا الذين آمنوا وكانوا بين يدينا) الشرك والمعاصي وهم صالح
والمؤمنون . انتهى التفسير اللفظي للقصم الثالث من السورة

﴿ لطيفة في قوله تعالى - فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة - الخ ﴾

جاء في بعض الروايات أن قريشا اجتمع ملا منهم وقالوا انفسوا لنا رجلا علما بالشعر والكهانة والسحر
فليكن محمدا وليأتنا لنعرف ما الذي جاء به فقال عتبة بن ربيعة أمأ لها ، فلما دخل على النبي ﷺ قال له
أنت خير أرم هاشم وعدد آباءه وقال : كيف تشتم آلهتنا وتسفه أهلنا ، ثم عرض عليه المال والنساء والسيادة
وأن يكف عن ذلك ، كل ذلك والنبي ﷺ ساكت ، فلما فرغ قرأ رسول الله ﷺ « حم • تنزيل
من الرحمن الرحيم » الى قوله « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة » فأنسك عتبة على فيه وناشده الرحم
ثم رجع واحتبس ولم يخرج ، فذهب اليه أبو جهل في جاعة واتهمه بالحاجة لئلا من النبي ﷺ لأنه صبا
اليه فغضب من ذلك عتبة وحلف لا يكلم النبي ﷺ ولكنه قال أقول الحق ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر
وقص عليهم ما جرى وما سمع وقال اني خفت أن يزل بك العذاب

وفي رواية أخرى انه وصل الى السجدة فسجد ثم قال أسعدت يا أبا الوليد فأنت وذاك فقام عتبة الى آخر
ما تقدم وقال لمعشر قريش خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوائله ليكون قنوله الذي سمعت
منه نيا فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وأن يظهر على العرب فلكم ملككم وعزّه عزكم وأنتم أسعد
الناس به فاستهزؤا به سائرين

﴿ القسم الرابع من السورة ﴾

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاهُ اللَّهُ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ • حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
تَمَتُّهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وُجُودُهُمْ • بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • وَقَالُوا لَوْلَا دِينُنَا لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا
أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • وَمَا كُنْتُمْ
تَسْتَعِينُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ تَمَتُّكُمْ • وَلَا أَبْصَارُكُمْ • وَلَا جُودُكُمْ • وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ
لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا بِمَا تَعْمَلُونَ • وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَزْدَاكُمْ • فَأَصْبَحْتُمْ
مِنَ الْخَاسِرِينَ • فَلَمَّ يَصِيرُوا قَالُوا رَبُّنَا مَتَى لَهم • وَإِنْ يَسْتَعْجِلُ فَمَا لَهم مِنَ الْمُعْجِلِينَ •
وَقَبَضْنَا لَهم قُرْءَاءَ فَرَجَعْنَاهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ • وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ
خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا
لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْعَوَّا فِيهِ لَكُمْ تَغْلِبُونَ • فَلَنَذَرَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ
أَسْوَأُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ • ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ لَهم فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا
بِأَيَاتِنَا يَحْتَدُونَ • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْلَافًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْمِلُهُمَا
تَحْتَ أَفْدَالِنَا لِنَكُونَ مِنَ الْآسَفِينَ • إِنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ • نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَعُونَ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ • تَرْوَا
مِنَ غَفْوَرٍ رَحِيمٍ • وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ •
وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ • وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ • وَإِنَّمَا يَرِثُهَا
مِنَ الشَّيْطَانِ تَرَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ •

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار) أي اذكر يوم يجمعون (فهم يوزعون) يساقون
ويدفنون أو يحبس أولهم حتى يلحق آخرهم لكثرتهم (حتى إذا جاءوها) إذا حضروها (شهد عليهم) سمعهم
وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) وذلك بلسان المقال أو بلسان الحال الخاصة التي لا توجد في غيرها

من الممكنات فتكون فيها علامات وشواهد دالة على أخلاقها وأعمالها وآرائها ، وذلك عبارة عن سوائل روحية متباينة كل سائل يدل على خلق من الأخلاق لا يصحب واحد منها الآخر كما يكون في أنواع النبات والشجر وأصناف مختلفة ، وكما يكون في الهواء أنواع الأصوات والروائح ، فالعلم والحلم والنشاط وحسب الناس لها سوائل جيدة والجهل والطيش والكسل وبض الناس لها سوائل رديئة . وتلك السوائل الروحية ملازمة لأربابها مضايقة لهم مشقية أو منعمة لهم مفرحة . وتختلف الناس بتلك السمات اختلافهم في الدنيا بالألوان والأشكال والأصوات وخطوط اليد وخطوط الاجهام بحيث لا يشابه أحد غيره ، هكذا الأجسام الروحية بعد الموت تكون على هذا النوال لا تشبه ضئ نضاً أخرى في أوصافها ، فهذه هي الشهادة التي تشهد بها أسماعهم وأبصارهم وجوارحهم ، وههنا يسدو التعجب منهم قولاً أوحالا وهول المعبر عنه بالسؤال والجواب وهما (وقالوا لجلاودهم لم شئتم علينا) سؤال توبيخ (قالوا أنطقنا الله) نطقاً لفظياً أو فِعْلياً وأنها أوضح من النطق اللفظي (الذي أنطق كل شئ) فكل شئ يدل بلسان حاله دالة أوضح من العبالة اللفظية . انظر هذا المقام في سورة النساء فانك ترى الكشف الحديث مجزئة للقرآن . ثم قال تعالى (وهو خلقكم أول مرة) وفيكم دلائل واضحة تخطوط اليد والابهام والأصوات والألوان والوجوه وأشكالها وظهور آثار الأخلاق على الوجوه ، كل ذلك كان في خلقكم أول مرة ، وقليل من الناس من يظن له (والله ترجعون) وتلك العلامات أصبحت أشد ظهوراً عند رجوعكم إليه ، ولقد كنتم في الدنيا تستترون عن الناس خوف الفضيحة والعار عند ارتكاب الذنوب وما ظننتم أن أعضاءكم وجسمكم الأثيري الذي هو على صورة الجسم الظاهري قد سطرت فيه جميع أعمالكم كأنه لوح محفوظ لها فلذلك ما كنتم تستترون عنها بترك الذنوب ، وهذا قوله (وما كنتم تستترون) خيفة (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلاودكم) لأنكم لم تكونوا عاقلين بشهادتها عليكم (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) أي ولكنكم اجترأتم على ما ظننتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيراً مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم (وذلك ظننتم الذي ظننتم بربكم) مبتدأ وخبر ، وقوله (أرداكم) أي أهلكم خبر ثان (فأصبحتن من الخاسرين) إذ صرفتم ما مننتم من أسباب السعادة إلى الشقاء به (فان يصبروا فالتار مشوى لهم) لا خلاص لهم منها (وان يستعذبوا فاهم من المعتنين) أي وان يسترضوا فاهم من المرضيين ، أو يقال وان يسألوا العتي وهي الرجوع إلى ما يحبون فاهم من الجائين إليها (وقيضنا لهم) وقدرنا للكفرة (قرناء) اخوانا من الشياطين (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من أمر الدنيا وشهواتها (وما خلفهم) من انكار الآخرة (وحق عليهم القول) كلمة العذاب حال كونهم (في أمم) في جملة أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وقد عملوا مثل عملهم (إنهم كانوا خاسرين) تمثيل لتلك والضير لهم وللأمم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) والنظوا فيه واللفظ كثرة الأصوات فكان يرمى بعضهم بعضاً بكثرة الكلام وهو يقرأ حتى يخطط عليهم ما يقول (لعلكم تفلحون) محمداً على قراءته (فلنذبقرن الذين كفروا عذاباً شديداً) وهم هؤلاء القائلون (ولنجزيهم أسوأ الذي كانوا يعملون) أي بأسوأ (ذلك) أي الأسوأ (جزاء أهدها الله) مبتدأ وخبر هي (التار لهم فيها دار الخلد) يقيمون فيها (جزاء بما كانوا بآياتنا يمحضون) ينكرون الحق (وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس) وهما نوعا شياطين الانس والجن (نجعلهما تحت أفدامنا) نجعلهما في الدرك الأسفل (ليكونا من الأسفلين) مكاناً ودلاً انتقاماً ، ولما أنهى الكلام على قرناء السوء وانهم بعد المودة في الدنيا يكونون أعداء في الآخرة أعقبه بالقرناء الطاهرين الخبيرين فقال (إن الذين قالوا ربنا الله) اعترافاً بربوبيته (ثم استسلموا) في العمل مع الثبات على الإيمان والاخلاص (تنزل عليهم الملائكة) عند الموت وعند الخروج من القبر ، ثم فسر ذلك فقال (أن) بمعنى أي (لا تخافوا) مما تهدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما ظننتم في الدنيا من أهل دَوْلَة فانا نخلفكم في ذلك

(وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا على لسان الرسل (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا) أي أنصاركم وأجباؤكم فلهكم الحق ونعملكم على الخير بخلاف الشياطين كما تقدم (وفي الآخرة) بالشفاعات والكرامة أما الشياطين فانهم يكونون أعداء الكفار (ولكم فيها) في الآخرة (ما تشتهى أنفسكم) من اللذات والكرامات (ولكم فيها ما توعدون) أي تتنونه حال كونه (نزلا) رزق للنزول وهو الضيف (من غفور رحيم) * قال العلماء : وإذا كان هذا كله نزلا وهو ما تقدم الضيف فالجاء بما بعده ، وأقول : إن اللذات البدنية مهما طال أمدها لا تسكن النفس الانسانية ولا أمانى النفوس إلا العالم الروحاني ﴿ وبسيرة أخرى ﴾ أن تصل الى لقاء الله تعالى وترقى فوق طبقات أهل الجنة وهو المشار اليه بقوله تعالى - ولدينا مزيد - وقوله - وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة - فكان الصالحين يكونون في الجنة أمدا على مقدار استعداداتهم ثم يرجعون الى ما هو أعلى منها وهو العالم الأعلى المسمى بعلمين كما ورد « أريت الجنة فإذا أكثر أهلها البله وعلبون لأولى الأبواب » وفسر الامام الغزالي البله بمن ليس لهم فكر في حب الله تعالى ، فهؤلاء يقفون عند الثواب الجسدى وليس عندهم شوق الى الامور الالهية ، فهؤلاء هم الصالحون الذين يصلون ويصومون لأجل لذات جسمية في الآخرة فينالونها ، ولكن هناك من هم أرقى منهم وهم عشاق العلم في الدنيا أى نظام هذه الدنيا وهجائها ، فهؤلاء اذا ماتوا طاروا في عالم الجلال وتركوا اللذات الحسية لمن لم يعرفوا هذا النعم الأعلى . انظر اوضح هذا المقام في أوائل ﴿ سورة البقرة ﴾ ثم قال تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله الى عبادته) (وعمل صالحاً) فيما بينه وبين ربه (وقال إني من المسلمين) فيعتقد قلبه الاسلام ويتلفظه (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) في الجواز وحسن العاقبة ، ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي يعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان والحسنة والأحسن منها متفاوتتان كذلك ، فاذا اعترضت سيئة وحسنة فخذ بالحسنة ، واذا اعترضت حسنة في دفع السيئة فخذ في دفعها بالتي هي أحسن ، فاذا أساء إليك رجل فليس طريقه أن تسيء اليه وهناك حسنتان : الفوعة ، والاحسان اليه ، والاحسان أحسن من الفوعة فخذ به ، فاذا تمك فلا تكف بالفعل بل امدحه وهكذا (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فانك اذا فعلت ذلك اقبل عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك (وما يلقاها) أى يلقى هذه السجبة وهى مقابلة الاساءة بالاحسان (إلا الذين صبروا) على تحمل المكروه وعجز الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) من الخير وكما النفس (واما ينزعك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس ، والشيطان ينزع الانسان كأنه ينخسه أى يبعثه الى ما لا ينبغي أى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الصغ بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره ولا تقعه (إله هو السميع) لاستغاثتك (العليم) بفيتك وصلاحك . تم التفسير القفطى للقسم الرابع

﴿ القسم الخامس من السورة ﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَوْنَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِذْ لَبَّى أَحْيَاهَا لَخِيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَنُبَلِّغُ فِي النَّارِ خَيْرًا مِّنْ يَأْتِي بآئِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِ كَرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرٌ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَبِي وَعَرَبِي قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَى وَشَفَاهُ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي إِذَانِهِمْ وَقُرْهُ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ * مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * إِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامٍهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْقَالٍ وَلَا تَفْضَحُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَتَيْنَ شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا ءَإِذَا نَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ * وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَلُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحْصِيٍّ * لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْغَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْتَوْسِقُنْ * وَلَكِنْ أَدْعَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهُ لِيَقُولَ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْخُسْفَى فَلْيُنَبِّئِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أُغْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِمْ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَصْلُ مَنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * سَتَرْنَاهُمْ بِآيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لأنهما مخلوقان مثلكم ، وقد تقدم الكلام بالاسهاب على هذا وما قبله عند تلخيص تفسيرها في أول هذه السورة ، وقوله (واسجدوا لله الذي خالقهم) الضمير للأربعة (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ولا جرم أن السجود أخص أنواع العبادات . فمن سجد الشمس أو قمرنا أنه يتقرب إلى الله فهو في ضلال (فان استكبروا) عن الامتثال (فالذين عند ربك) من الملائكة (يسبحون له الليل والنهار) دائما (وهم لا يسلمون) لا يعلنون وقد تقدم ذلك فالرجع إليه إن شئت (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) يابسة مطمئنة (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفعت (إن الذي أحيأها لمحجى الموتى إنه على كل شيء قدير) فيكون

فأدرا على البعث (إن الذين يلحدون في آياتنا) يميلون عن الحق في أدلتنا بالظن (للايقنون علينا) وعيد لهم على تحريفهم للقرآن عن جهة الصفة وطعنهم (أفمن يلقى في النار خيرا أم من يأتي آمنا يوم القيامة) تمثيل للمؤمن والكافر (اعملوا ما شئتم) نهاية في التهديد (لأنه يعملون بصبر) فيجازيكم (إن الذين كفروا بالذكر) بالقرآن بالظن فيه وتحريف تأويله (لما جاءهم) حين جاءهم يذبون (وأنه لكتاب عزيز) كثير النفع عديم النظر يحصى بناية الله (لا يأتيه الباطل) التبدل أو التناقض (من بين يديه ولا من خلفه) بوجه من الوجوه (تنزيل من حكيم حميد) مستحق للحمد (ما يقال لك) ما يقول لك كفار مكة ونحوهم (إلا ما قد قيل للرسول من قبلك) أي إلا مثل ما قيل الخ من كلمات جارحة ومطاحن (إن ربك لذو مغفرة) لأوليائه (وذو عقاب أليم) لمن هم أعدائهم ، ولما قالوا لماذا لم ينزل القرآن بلغة الهمم قال الله (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقلنا لولا فصلت آياته) يثبت بلسان فقهه (أعجمي وعربي) أي أكلام أعجمي وعجمي وخاطب عري (قل هو للذين آمنوا هدى) إلى الحق (وشفاء) لما في الصدور من الشك والشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ هو (في آذانهم) وقروهو عليهم همي) أي صموا عن استماع القرآن وعصوا عنه فلا تنفع لهم به (أو تلك ينادون من مكان بعيد) فهم لعدم قبولهم الحق أشبه بمن ينادون من مكان بعيد للإيمان فلا يسمعون لبعد المسافة (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) ما بين مصدق ومكذب (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي فصل الخصومة يوم القيامة (لقضى بينهم) بإهلاك المكذبين (وانهم) أي الذين لا يؤمنون (لنفي شك منكم) من التوراة أو القرآن (صريح) موجب للاضطراب (من عمل صالحا فلنفسه) نفعه (ومن أساء فعليها) ضرره (ومار بك بظلام للعبيد) فيعذب غير المذنب (إليه يرد علم الساعة) أي إذا سأل سائل عنها يقال له لا يعلم وقت قيام الساعة إلا هو والخلق محجوبون عن معرفة ذلك ، ثم أشار بطرف خفي إلى نظام يوم القيامة وجزاء الحسن والمسيء ليكون علما للمستبصر فقال (وما تخرج من ثورات من أكامها) جمع كم بالكسر (وما تعمل من أئتي ولا تضع إلا بعلمه) إلا مقرونا بعلمه واقفا حسب تعلقه به ، فكأن أن الفجر لا يخرج من الأكام إلا بهم وعالم به وأن جل الحامل ووضعها لا يكون إلا بعلمه هكذا لا تكون الساعة إلا بتقديره ومشيتته وكأن أن الثمر نتيجة الشجرة وعلى مقتضاها الولد يكون نتيجة أحوال الوالدين جسما وحالا غالبا هكذا تكون النفوس المسلمة من الأجسام الأرضية هناك على مقتضى ما كانت عليه في الدنيا - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سبيلا - وكان هذا العطف أفادنا بطرف خفي أن الناس يوم القيامة على حسب أحوالهم في الدنيا كالثر على مقتضى شجره والولد على مقتضى أبويه ، وعلى هذا تكون العوالم كلها متوافقة في نظامها متسابقة إلى حسن النظام والنتائج الخاصة بها ، فاذن يكون العالم كله راجعا لمبدأ واحد لأن النظام الواحد مدبره واحد ، ولذلك أعقبه بقوله (ويوم يناديهم أين شركائي) بزعمكم (قالوا آذاك) أعلمناك (مأمننا من شهيد) من أحد يشهد لهم بالشرك ، وذلك أنهم لما رأوا العذاب تبرؤا من الأصنام (وضل عنهم) ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل وظنوا ما لهم من محيص) مهرب (لا يسأم) لا يمل (الإنسان من دعاء الخبير) من طلب للسعة في التهمة (ولأن منه الشر) الضيق (فيؤس) من الخبير (قنوط) من الرحة (ولأن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) أي وإذا أحلنا الصحة محل المرض والغنى محل الفقر قال إن هذا حتى استوجبته بأعمالي وهو لا يزل عنى بل هو دائم (وما أظن الساعة قائمة) أي ما أظنها ستقوم (ولأن رجعت إلى ربّي) كما يقول المسلمون اليوم (إن لي عنده الحسن) أي لحال الحسن والحسنة والكرامة والنعمة ، فإذا كان الله أعطاني نعمة فهو يوم القيامة بوليئي كرامته (فلنبنن الذين كفروا بما عملوا) فلنخبرهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد لا يفرغ عنهم (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض) عن النعم وبطرا النعمة ففسى الشكر (ونأى بجانبه) تباعد عن ذكر الله ودعائه

وتكبر وتعلم ، والجانب للكان والجهة قزلت منزلة نفس الانسان كاقول كتبت الى جهة فلان والى جانبه العزيز اى نفسه ، وقوله - نأى بجانبه - معناه نأى بنفسه (واذا مسه الشر) الضر والفقير (فقد دعاه عريض) كثير اى يقبل على السوء والابتهاج والتضرع (قل) يا محمد (أرايتم) أخبروني (إن كان من عند الله) أى القرآن (م كفرتم به) من غير نظر (من أصل من هو فى شقاق بعيد) أى من أصل منكم وجواب الشرط محذوف دل عليه الاستفهام أى فأتتم ضالون وإنما لم يقل منكم بل من هو فى شقاق بعيد أى خلاف الحق بعيد عنه لبيان حالهم وقرعهم من غير مواجهة بالخطاب (سفرهم آياتنا فى الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا وظهور العلوم فى العالم الانساني ، وكشف ما كان مجهولا فى البحر والبر ، وتحليل المركبات الى عناصرها وظهور حجاباتها وانها مركبات بحسب لاخلل فيها كما ينال فى القرآن إذ قلنا - وأبنتنا فيها من كل شئ موزون - وقلنا - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقلنا - وكل شئ عنده بقدر - وقلنا - إنا كل شئ خلقناه بقدر - وقلنا - والسما رفعها ووضع الميزان * ألا تطفوا فى المبران - وقلنا - إن الله سريع الحساب - وهذه كلها ستظهر لكم أيها الناس فتعلمون أن هذا القرآن حق . أقول : قد ظهر هذا كله اليوم وعرفنا أن النبات بحسب فى عناصره الداخلة فيه وكذا الحيوان وهكذا حركات الكواكب والمسافات التى بين كل كوكب وآخر ، كل ذلك ظهر فى العلم اليوم وكله مجزة للقرآن إذ قال الله - سفرهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - وهكذا خاطب الأموات الأحياء وكلمهم وتعارف الأحياء والأموات وفهم كل الآخر ، كل ذلك مجزة للقرآن ، وهكذا نظر الناس علم تشرىح الحيوان وتشرىح الانسان ونظام النبات ، كل ذلك على وقيرة واحدة - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين - فانك لا تجد خلا إلا عند الجاهلين ، فهذه العلوم التى ظهرت فى العالم الانساني يجب على العقلاء أن يدرسوها (حتى يتبين لهم أنه) أى القرآن (الحق أول يكف بربك) أى أول يكف بربك أى ألم تحصل الكفاية به ثم أبطل منه قوله (أنه على كل شئ شهيد) أى محقق فىصق أمره بظاهر الآيات الموعودة أى ألم تكفهم شهادة ربك على كل شئ أى ان هذا الموعود من إظهار آيات الله فى الآفاق والأنفس سيرويه ويشاهدونه فيقتنون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب (الانهم فى صرية) فى شك (من لقاء ربهم ألا إنه بكل شئ محيط) عالم بجميع الأشياء ومنصلاتها . انتهى التفسير اللفظى للقسم الخامس من السورة والحمد لله رب العالمين

﴿ لطائف هذا القسم ﴾

- (١) فى قوله تعالى - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت - وقوله - اليه يرده علم الساعة وينفجر من ثمرات من أكلها وما تحمّل من أثم ولا تضع إلا بعلمه -
- (٢) فى قوله تعالى - لا يسأم الناس من دعاء الخير - الخ
- (٣) فى قوله تعالى - سفرهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - الخ

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(فى إزال الماء من السماء . وابتات النبات ، وإخراج الثمرات ، ووضع الحملات أطفالهن ، مع قوله تعالى - اليه يرده علم الساعة -)

(١) اعلم أن المودة المعدنية والنباتية والحيوانية لاتتم ولا تعيش إلا فى الظروف الخاصة بها ، فإذا لم تكن الظروف المواتقة فانها تنق فى حالة لا تثير فيها ولا تموت ولا حياة ، ومنى لامت الظروف اندفعت ذرات العناصر

وتقاربت وتجاذبت وتحابت ، وبتركبها مع بعضها تنشأ هذه الجباب المنظورة والبدائع المسطورة والزهر والشجر والحدائق والجنان والأعشاب والأنعام والفزلان والأساد والنؤبان ، فترى النبات بما يستوره من الحرارة والنور والرطوبة واليبوسة يهب ويرتفع نارة مسرعا وأخرى مبطنا ، كل ذلك لخوزه ما يلائمه أو يفده ذلك وهذه قاعدة مطردة كانت قديما وتبقى الى آخر الزمان واقطاع الفجر وزوال العصور

(٧) يستنتج من ذلك أن مادة الحياة الأولى انما جاءت من تجمع البساط التي لادمتها الظروف والأحوال
(٨) تركيب العناصر والمواد التي على وجه الأرض يحصل بثلاث طرق كل واحدة أقل مما بعدها وأرق مما قبلها (الطريقة الأولى) أن تركب العناصر تركيبا خاليا من صناعة الكيمياء ونظامها كما تركب الأشجار في الجبال فان تركيبها من عناصر ليس على نظام كيمائى ولا نظام حيوانى إذ ليس هناك قانون الكيمياء ولا قانون الحياة ، وذلك كحجر الجير المسقى أيضا بحجر البناء وهو كتل مختلفة الحجم ولونه أبيض أو سنجاني أو عجمي وله أسماء مختلفة فيقال (دبش) و (دقشوم) وهذه الأحجار مكونة من الكالسيوم وأوكسوجين ، والكالسيوم فلز ذولعنان أصفر يتغير بسرعة في الهواء الرطب ، وإذا سخن على صفيحة من البلاتين يحترق بلهب شديد اللعنان وهو يحلل الماء على الدرجة المعتادة ، فهذا الفلز وهو الكالسيوم مع الاكسوجين يكون مخلوطا بالمل والطفل (يفتح الطاء) وأوكسيد الحديد وكربرونات المغنسيوم ، فهذه الأحجار جميعها تكون مخلوطة بتلك الأجسام ، فاذن هذا ليس تركيبا كيمائيا بل هو أمر اتفاق لقانون له كما بيني الناس بيوتا بمواد مختلفة (الطريقة الثانية) طريقة التركيب الكيمائى (مثال ذلك) البوتاسا الكاوية وهى عبارة عن مركب من البوتاسيوم والاكسوجين والايديروجين والكالسيوم والكربون ، فيكون ثلاثة أجزاء من الاكسوجين وجزء من الكربون ومثلث من الكالسيوم واثنتان من البوتاسيوم وجزء واحد من الايديروجين فهذا المركب على هذا النظام يسمى مركبا كيمائيا ، فهذه الأجزاء تقلى فيحصل الاتحاد بفيلاتها ثم تروق وتصفى وتبعد بسرعة وبعد التصعيد تصهر في جفنة من القضة وتصب على سطوح من الرخام أو في قوالب معدنية وهو في حداته يكون قطعيا يضاء معتمة ، فالمركب من هذه الأجزاء الخمسة يصبح جسما جديدا قد عديم جميع صفات الأجزاء التي تركب منها فلا يتحد للكربون ولا للكالسيوم ولا للبوتاسيوم أثرا في هذا الجسم الجديد بخلاف ما تقدمت في حجر الجير فانك تجد الفترات الرملية والفترات الطفلية وهكذا حافظه خواصها . فهذا هو الفرق بين الأول والثاني (الطريقة الثالثة) طريقة الحياة النباتية والحيوانية . ها أنت ذا أيها القارئ قد تبين لك كيف كان المركب العادى قد حفظت أجزاؤه خواصها والمركب المعدنى قد فقد المركب فيه خواصه وأصبح عالما جديدا بخواص جديدة تخصه . فانظر الآن فيها أقصه عليك وتأمل في هذه الأرض التي نعيش عليها . نعيش عليها ونحن لا نقصرك في أقرب الأشياء إلينا . أقرب الأشياء إلينا حياتنا وحياة النبات والحيوان . فاذا أخذنا الاكسوجين والايديروجين والاوزوت والكربون أمضى إذا أخذنا مقادير من هذه الأربعة التي عليها العباد في تركيب كل نبات وحيوان وإنسان أى أن كل شئ لابد من أنه يتركب منها مع اضافة عناصر أخرى أو أملاح وجعلنا هذه المقادير مع بعضها بلانظام كانت أشبه بتركيب سحر الجير فيها تقدم . وإذا ركبناها بطريق كيمائى بنظام تام وأجزاء ثابتة أصبحت لها صفة جديدة وفقدت خواص الأجزاء الأولى ولكن هل يمكنها أن تموت وهل يمكنها أن تحس وتتحرك . كلا . ثم كلا . فليركب الكيمائيون ماشاؤا فانهم لا يقدر أن يخلقوا ورقة واحدة ولا دودة ولا زهرة . فعلماء الكيمياء أولئك الذين يركبون العناصر بنظام تام على قوانين خاصة لا يقنرون أن يذروها عاجزون جميعا عن إحداث حال جديدة للمركب بها يحس أو بها نحو أو يتحرك ! إذن طلبت من الحياة

﴿ الحياة سرّ سار في المادّة الأصلية للكائنات ﴾

لقد نعلم أيها القارئ أن المادّة تنوّع الى نور وإلى حرارة وإلى كهربائية وإلى مغناطيسية . هكذا تنوّع الى قوّة حيوية وهذا التنوّع سرّ لا يدركه الناس فهو قاسر يقسرها وقاهر قهرها يتوّعها تنوّعات مختلفات . فمثل الحياة إلا بكل من رمى حجرا الى أعلى فارتفع الى الجوّ ولما بلغت القوّة الرافعة له التي استمدّها من الرأى كزّ راجعا الى الأرض . هكذا كل نبات وكل حيوان وكل انسان فتكسب النطفة في الانسان قوّة وسرا يعطيها حياة فتأخذ في الارتقاء والنفوذ . وهناك تكون في الجسم عمليتان : عملية الهدم وعملية التجديد ففي أول الحياة قوّة عملية التجديد على عملية الهدم كما يقوى الحجر وهو صاعد على مقاومة الجاذبية . فاذا بلغ الانسان أشدّه تعادلت القوتان ثم تغلب قوّة الهدم على قوّة التجديد فيأخذ الجسم في الانحطاط والرجوع الى الوراء فيصير هراما فيموت ، فالوقت إذن نالجم من فناء القوّة الحيوية كما فندت القوّة الرافعة للحجر فهبط وليس الموت من أجل تلف الأعضاء وضعت وظاقتها بل للسبب الأمل لبوت هو فناء القوّة الحيوية ببقايا ذلك النصف ، فالنصف نابع لأصل ، ولو بقيت القوّة الحيوية بحالها لأمكن أن تقوم بالتجديد بلذن الله تعالى

﴿ كيف بدأت الحياة ﴾

بدأت الحياة بمادّة هلامية في قعر البحر كشفها العلماء وسموها (بروتوبلازما) وهي مادّة رخوة لزجة نصيب كل الاشكال بسهولة ، ومنى تكاثرت كانت منها (حوصلات) جع حويصلة ويقال لها (القلل) فالحوصلة الواحدة تنقسم الى قسمين وكل قسم الى قسمين وتصبح هذه الحويصلات الجديدة متمتعة بحياة ونمو كالحوصلة الأولى ، والأسهل أن نسميها أيضا جع بيضة كيضة السباجة تهيئها للقيام ، فكل نبات وكل حيوان وكل انسان في الأصل بيضة واحدة تنقسم الى قسمين كل منهما يصير بيضة وهكذا هاتان تنقسمان ويتردد الاقسام ويصبح كل قسم بيضة كاملة تامة الحياة تتغذى بفضاء خاص ، فكل نبات تراه وكل انسان تراه وأنا وأنت أجسامنا عبارة عن بيضة انطلقت فصارت بيضتين كل منهما كالأولى وهكذا ، وفي أثناء الانقسام صار لنا العين والأذن والقلب والشعر وصار للنبات الزهر والورق والفترات وصار للحيوان الناب والظلف والظفر والقرن والأرجل وهكذا . هذه صورة الحياة على وجه الأرض

﴿ صورة ارتقاء الحياة على الأرض ﴾

إن الحياة على وجه الأرض سلسلة غير منقطعة كما قال الله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - فالنبات عبارة عن البروتوبلازما وقد تكوّنت فصارت بيضة فاجتمعت البيضات فكان النبات والنبات يولد ويحيا ويموت ويقتنى ويناسل وهو محتاج الى النور والحرارة والماء وقتله المواد السامة ويقتنص وفي بعض أنواعه لإحساس . ثم ان النبات من أعلاه متصل بالحيوان فان نوع التوقيت يربط الحيوان بالنبات فهو على شكل النبات تثبت بالأرض ولكنه حيوان ويلي الاخطبوط الهلامي وهو لا يمتاز عن النبات إلا بالمكان التنقل وله معدة وبعض ظواهر الأعصاب وليس له نظر ولاشم ولاسمع . وبعد ذلك الديدان وهو أقوى وأقلر وأكل أعضاء من الاخطبوط . ثم الحززون والبزاق وذوات الأصداغ التي ليس لها فقرات . ثم الحيوانات القشرية التي لها قشر كسرطان البحر . ثم عقرب البرّ وله سمع وبصر وله أعصاب عقدية . وبتلك الأعصاب تكون حركة الغذاء ودورة الدم . ثم ذوات الفقرات كالسمك وله دماغ ونخاع شوكي . ثم السباعيات الأرضية . ثم الطيور وأتائها تبيض . ثم ذوات الثديين . ومنها ذوات الكيس وهي تحمل فيها صغارها وهي توجد الآن في استراليا . وهكذا ترتقي الحيوانات حتى تصل الى القرد ثم الانسان فهذه هي السلسلة التي نظّمها الله عزّ وجل من أدنى الى أعلى . فبينما تكون الحياة مادّة رخوة في البحر

إذا هي قد ارتقت في النبات من أدناه مرتقية إلى أعلاه . وفي الحيوان الأدنى مما إلى النبات وترتقي فيه إلى أعلاه حتى تصل إلى الانسان . ومعنى هذا أن هذه العوالم أشبه بقدر منظم موضوعة خرازته بنظم مهتم . وليس معنى هذا أن كل خرة ولدت الخرة التي بعدها بل معناه أن الذي نظم هذا أحسن صنعه ولم يدع في القدر موضعا خاليا ، فأما كون هذه الخرة قد اتبعت ما بعدها فليس ذلك معلوما بل قال به قوم ولم يعم الدليل عليه الآن ، وهذا لا يهم الباحث إنما المهم النظم والجمال

﴿ خلق الانسان ﴾

وهنا وصلنا إلى مقصودنا من تفسير الآيات ، فها أنت ذا اطلعت على نظام النبات لإجلا وكذا الحيوان وانظر قوله تعالى - وما تخرج من ثمرات من أكلامها وما تعمل من شيء ولا تضح إلا بعله - ألست ترى أن الأكل التي على الشجر والجل التي في رحم المرأة عبارة عن تلك اللذة الطامية مضاعفة أضعافا مجتمعة ، فتأمل كيف كان اجتماع تلك البيضات التي لا عدد لها متبها بفوائد متعددة أي كيف كانت نتائج الأشكال النباتية ملائمة لتنتج الأشكال الحيوانية . وإنما مناسبة لها غذاء ودواء . ثم كيف كان هذا الانسان إذ كان أرقاها بؤ أن يستولى عليها عقليا وعمليا ، فهو مفرغ بمعركة كل نبات وحيوان وبحوز كل منها . إذن انظر في تركيبه في بطن أمه . انظر كيف كان خلقه تدريجيا لاطرفة . يقول الله تعالى - اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق - . وانظر كيف رأى العلماء انه يكون دودة صغيرة وهي العلقة المذكورة ثم حلزونية ثم سمكة ثم ذبابة ثم قردا ثم ثور ثم إنسانا . فالسودة والحلزونة والسمكة والذبابة والقرد هي التي أشار لها الله تعالى فقال : - ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة - أي مسواة وغير مسواة ، فما قبل الانسانية هي غير المسواة ، والانسانية هي المسواة ، واعلم أن هذه الصور التي رآها العلماء ليست يقينية بل هي تخمينية (انظر هذا المقام في سورة آل عمران)

وإنما المهم في هذا المقام أن تفكر في أمر حياتنا فانها في أول أمرها بيضة تصلح للنبات والحيوان ثم ترتقي فتصير حيوانا ثم تصير إنسانا

هذا درس أقامه الله إلينا . يقول لنا : أنا لم أخلقكم لأهينكم بل أنا أرقبكم . ففي أمد قصير ارتقيتم في بطون أثمانكم درجات كثيرة وهي النباتية والحيوانية . فإذا عثتم على وجه الأرض رأيتم الحيوان خاضعا لكم . ثم أزلت عليكم عالمها وقت لكم إلى ملائكة وإلى عرش وعالم أرواح وبعث إلى آخره . فإذا تم فاعلموا أن العوالم التي تصالون اليها عظيمة جدا لا تقاس بعالمكم . فإني ردة علم الساعة لاغيري لأنها عوالم لا تقاومها لأنكم لم تروها ولا تدركون زمانها إذ جعلته مجهولا عندكم لحكمة أردتها ونعمة قصدتها . الألوان خروجكم من أجسامكم الأرضية بخروج القمر من أكله والولد من بطن أمه . فكلهما نتيجة لما خرج منه وقد انتهى إلى عوالم لم تخطر بباله فهل كان التفاح يشعر انه يكون على موائد الملوك أو كان الجنين في بطن أمه يدور بخلفه انه يوما ما يكون ذا ملك عظيم ويذهب ويجيء في الأرض ويركب الخيل ويدبر الامور . هكذا حياتكم بعد موتكم تكون في عالم نسبتكم إلى أرضكم كنسبة الدنيا إلى بطن الأم

هذا اذا كانت النفوس عظيمة . فأما النفوس الضعيفة فانها تكون هناك عبياء أشبه بالطفل الأعمى الأصم في الأرض فتكون السعة هناك على مقدار درجات الأرواح العائشات هناك . وبهذا تم الكلام على اللطيفة الأولى والحمد لله رب العالمين



﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى - لا يسأم الانسان من دعا الخيروان منه الشرّ فيؤس قنوط -)

هذا بيان لحال الانسان اذا لم يتوق العلم والدين عقائده وآراءه . إن الناس قبل أن يهذبوا ويربوا متى أصابهم الشرّ أخذوا يلقون ويضطربون ويندبون عظمهم ويعزنون ويأسون من روح الله ، ويطنون أنه لا فرج لهم ولا عزّ لهم ، وأنه قد أقفلت في وجوههم أبواب الفلاح والنجاح ، فإذا سكن جأشهم وخفّ حلهم ورجعت اليهم عقولهم أخفوا يدعون ويتضرّعون ويطعون أن يعطيهم الله تعالى الغنى والسعة ، فإذا أجيّبوا إلى دعائهم وأعطوا نعمة نسوا ما كانوا فيه من الضيق وظنوا أن تلك النعمة دائمة لهم لا تفارقهم وهم أحقّ بها بل ربما غنوا دوامها وأنكروا الآخرة لأن النعم أبطنهم والذلت أسكرتهم

فهذا الانسان أمره هيب ، يسلب النعمة فيضطرب ويكون مسلوب القلب يا قنوطينا . ثم اذا خفّ الأمر عليه دعا الله . فإذا كثرت النعم أصبح أعشى عن الحقائق ناسيا ربه ظانا أن ماله من الصحة والمال والمنصب والقوة دائم وهذا من غفلاته وجهالاته . وليس يخرج الانسان من هذه الجهالة العمياء إلا التذكّر والتفكير ودرس العلوم والحكمة والصبر حتى يعلم الانسان أن النعمة والنعمة كل منهما درس له . فكل حل من أحوالنا دراسة لنا . فكما ندرس أطوار حياتنا في الرسم وفي الحياة الدنيا وندرس الطيوان والنبات يجب أن ندرس ما يليه به الله لنا من المكاره والنعم لننظر ما فائدة ذلك لنا لأننا نأيس ثارة ونفترّ أخرى فان ذلك فعل الدين عاشوا كالحيوان لا يفكرون ولا يعقلون . انتهى الكلام على اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - سنجهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق -)

لقد أشبهت الكلام على هذه الآية فيما تقدم . ولكن أقول لك الآن ان هذا الزمان أخصّ الأزمنة بهذه الآية وأولاهها

لنعم أيها التكيّ أن هذا زمان الاقلاب . ان الله قد كشف العلوم وأظهر الجباب في جميع أنواع الحكمة والمسلمون لا يعلمون . يقول الله هنا - سنجهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - . أنت قرأت في التفسير الى هذا المقلم وأطلعت على ما أبدعه الله في هذه الدنيا وعلى العلوم التي أبرزها في الأرض وأن مافي هذا التفسير خلاصة العلوم وجمالها وبهجتها وحكمتها ولن تراه مجمعا في كتاب . هو خلاصة علوم هذه الكرة وعمرتها . فيه من كل فن وكل علم وكل حكمة . أفلست ترى بعد هذا انك قد اطلعت فيما تقدم من هذا التفسير على تفسير هذه الآية أعني انك قد قرأت فيه معنى هذه الآية . فإذا سمعت الآن قوله تعالى - سنجهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - . أفلست تقول نعم قد تبين لي أنه الحق وأن الله حقّ ذلك . وليس معنى هذا أن تقول إني آمنت بالله ورسوله فلايمان أمر يشترك فيه الجاهل والعالم وإنما أقول انه قد تبين لك أن هذا الدين حق واثق وانك ستقول نعم . أقول لك : إذن أصبح دين الاسلام ليس هو الذي يعرفه الصلابة بل هو دين الحكمة والعلم ودين الفلاسفة أي انه هو الدين الذي لما ظهرت العلوم الحديثة كانت مينة حقيقته . واذا كان كذلك فأنت صرت شريك في السمل أعني انه حرام عليك أن تنام . قم أيها التكيّ . وقل للمسلمين اقرؤوا العلوم وادرسوها حتى تقوموا بنصيحتكم من إسعاد الأمم فانكم الآن عالة على أوروبا . ادرسوا العلوم . وأقيموا الحق فان هذا هو الزمان الذي أظهر الله فيه سرّ كتابكم وقد قال لكم - حتى يتبين لهم أنه الحق -

فقل للمسلمين إن الاختصار على قراءة حديث « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الخ » عار عليكم فلا تقتصروا على ظواهر الدين بل ادرسوا حقائق الكائنات بقول الله لكم - سعيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - فهل وأنتم ذلك ؟ كلا . لا تردونها للإبصار . فليدرس المسلمون كلهم على قدر استطاعتهم ليجتدوا . والله يسأل يوم القيامة وعند الموت من يقرأ هذا التفسير ولا يقوم هو مستقلا بالعمل لرقى الانسانية

أيها المسلمون : أتم خلفاء الله في الأرض وثبينا خير الأنبياء وبحن خير أمة أخرجت للناس . وهذه العلوم يجب علينا أن ندرسها . وهذا التفسير وأمثاله جاء في وقت انتقال الأمم من حال إلى حال والمسلمون سيأخذون دورهم وأتم حنا آخذون دوركم فان لم تقوموا به طوعا تخم به كرها . وهذا التفسير وأمثاله تنبيه وإنذار للأمم الاسلامية . وسبقه الله النبأ فيهم بشوق . فان لم يرقظوا الأمم الاسلامية بأقوالهم وأفعالهم فليطعموا أن الله قد أعد العدة لكل متعاص عن العمل من الأمم والأفراد . وسينزل غضبه على كل عالم لا يسطو على كل أمة متعاصفة متعاصدة - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - ، وكل من حض المسلمون على ما ذكرنا من الحكمة والعلم فله أجر المجاهدين . ومن ترك ذلك فهو من المتقصرين

إن ورود هذه الآية في هذه السورة الواردة في أواخر القرآن لما يدعو إلى الحب فان القارى لما قبلها من السور ، الطلع على ماحوت من بدائع الحكمة في الأفض والآفاق يقر إذا وصل إليها بأن القرآن يدعو إلى علم النفس والآفاق . فان تأخرها إلى الريح الأخير من القرآن بل انفس الأخير منه هذه الحكمة العجيبة ألا وإن هذا هو الزمان الذى سبى الله فيه المسلمين . فطوبى لمن يلد من العالمين . وبشرى لمن كان من المبشرين الموقظين . انتهى الكلام على اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الاثنين (٢٦) رمضان سنة ١٣٤٣ هجرية

(تذييل لتفسير هذه السورة)

(وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الأول في إصلاح الكلام على قوله تعالى - إليه يرد علم الساعة -)

بعد أن أتمت الكلام على هذه السورة خطرت ليلا أن ألحقها بهذه الجواهر الثلاث فلم أدافع الخطر لأنى رأيته خاطر خير . فهذه الأولى في رد علم الساعة إلى الله تعالى مع ذكر الجمل والوضع والقر والأحكام سبحانه من أبدع هذه الدنيا وأحكم نظامها . تأمل رعاك الله في الهرم المكنون والياقوت البديع . انظر كيف جعل للإنسان هذه المراتب وهو جنين . فنقل مراتب في الرحم . فن دودة صغيرة وهي العلقة إلى قوقعة إلى سمكة وهكذا حتى يصل إلى هيئة القرد فهذه الإنسان

ظن المشرحوه وعلماء الأجنة اليوم أن تلك هي الأدوار التي مر عليها وهم بذلك يرون نوحون نظامه ، يمر الإنسان على هذه الأدوار وتكون نفسه في تلك الأدوار مشاككة لنفوس تلك الحيوانات ولكنها تمر عليها مسرعة ثم تقفز فطرة فتكون إنسانا ، فإذا رأينا الطفل يداعب الحرة ويحب الجملة ويلعب بالصغفور فذلك لأنه كان بالأمس مثلها . إن المدرس لا ينجح في تعليم تلاميذه إلا إذا مر على أدوار التطعيم وكان تلميذا فيمكنه أن يمثل أدوار التعليم كما مثل لأمه . إن الله لم يجعل في الأرض عظما في علم أوفى مال أوفى ملك إلا إذا مر على الأدوار المنحطة وارتقى منها صرحها فوجع إليها وعلى ذلك نجد الحكومات في رؤساء المصوص الذين تابوا خبر معوان على التجسس على المصوص ، قرب البيت أدنى بما فيه ، وهكذا نجد الأنبياء عليهم السلام يرفعون الأغنام صفارا ويرعون الأم كبارا . وأمهرا الأطباء اليوم من يجرب الدواء في نفسه ليعرف

أدولوه ثم يصفه في كتبه لينتفع به الناس ، هكذا هنا مرّ الانسان على الأدوار الحيوانية وهو جنين لأنه أولاً سيكون له بها علاقة في الحياة الجثمانية زراعة وركوبها وأكلا وشرب لبن ولبس صوف وشعر ووبر وجلد وما أشبه ذلك واحتراساً من أسد ونمر وهكذا . وثانياً ليدرسها دراسة علمية اذا كان من أهل الحكمة ورجال العلم . وثالثاً ليدرس نفسه وأحوالها فانه يجد صفات هذه الحيوانات فيه وهو يجاهد ليخرج منها الى عالم ارقى من عالم الأرض ، إن هذه الحيوانات تارة تطلب المنافع بالمصصة كالكلب والسنور وأخرى بالهيلة كالعنكبوت وتارة بالقلبة كالأسد وتارة بالفرار كالأرانب والظباء والطير وقد يدفع بالسلاح كالقنفذ وقد يتحصن في الأرض كالقار والطوام ، وهو شجاع كالأسد ، وجبان كالأرنب ، وسخى كالديك ، وبخيل كالكلب ، وعفيف كالسمك ونفور كالغراب ، ووحشى كالنمر ، وانسى كالجم ، ومحتال كالثعلب ، وسليم كالغتم ، وسريع كالغزال وبطل كالقبي ، وعزيز كالقنبل ، وذليل كالجل ، ولص كالعقرب ، وثانه كالطاووس ، وهاد كالقط ، وضال كالغمامة ، وماهر كالخيل ، وحليم كالجل ، وحقد كالجر ، وشموس كالبل ، ومستحل كالذئب . ومضّر كالقار . وجهول كالخنزير . وغير ذلك

فهذه وغيرها من صفات الحيوان معرض لها الانسان . فهو يجتد بما أنزل من البيانات وما سطر من العلوم أن يخرج من هذه القيود الحيوانية ويتعلّى بالهيلة للملكية ويخرج من المائرة الأرضية الى المائرة الروحية . وهناك يتعلّى له بعض قوله تعالى - اليه يرّد علم الساعة -

إن الانسان مادام مغرماً بالأحوال الأرضية فهو أبداً حول هذه الأرض بعد الموت لا يبرحها وكيف يبرحها وهو لا يجد قنة إلا فيها . ولا سعادة إلا في أكنافها فيصبح اليها مجنوباً مبعداً من عالم أعلى . ومعنى هذا الانجذاب أن يذبّ بذبذب جهنم فيكون في خفرة من حفر النار . فان جهنم ملازمة لمن لا يعرف إلا المادّة والجنة ملازمة لمن يتزجج عنها فيقال انه في روضة من رياض الجنان حتى اذا تخلص من ذلك بتاتا صار في جنة عرضها السموات والأرض لاضيق جهنم التي هو ملازم لمن كان لا يعرف إلا العالم الأرضي إن مرور الانسان على العوالم الحيوانية أعطاه أنسه بالحيوان في أحواله المادّية ودراسة العلوم القشرية والخلفية وجهاده في الحياة ليخرج من حال الحيوانية الى الحال للملكية . وهذه نبذة من علم الساعة التي لا يطمع عليها إلا الله تعالى وإليه وحده يرّد علمها . وهذه ساعة من ذلك العلم وبرقة من سماء الحكمة . فأما العلم الحقيقي فهو عند الله « وعنده مفاتيح الغيب » وهذه من أسرار القرآن . وسرّ من أسرار عطف الجمل والوضع على علم الساعة . انتهى الكلام على الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني والثالث ﴾

(في إضاح الكلام على قوله تعالى - سترهم أكتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق -)
فلأذكر فيه نبذتين : النبذة الأولى ما كتبت في كتابي « ميزان الجواهر » تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

﴿ خاتمة تتضمن فكرة المؤلف في العلوم عامّة وفي فن التوحيد خاصة ﴾
هما أجمع عليه رأى الحكماء انه يجب على الانسان أن يجعل له في حياته غاية يسعى لها والا عاش عيشة مهملة . وقد كنت في ابان تعلّي بالجامع الأزهر أتلقى العلوم الدينية وآلاتها من فنون العقليات والنقلات واذا ذهبت الى بلادنا بالشرقية أنظر ماذا فرأ الله من النبات العجيب . وما أودع في الكائنات من الغرائب . وأنأمل ما في الأنهار والفران من سيات عجيب ينذب فكري في ذلك كل مذهب وأفانر ما أراه بما أسمعته فلا أجد مناسبة . وأقول في نفسي : لماذا لا نسمع في العالم التي تلقاها شيئاً يحوم حوله ما شاهد كل يوم من

المزارع الخضر والجنات وبدائع الحكمة الربانية ١ وأجد في نفسي شوقاً وتوقاً الى ذلك . وأتمنى أن يكون له مدخل في معارفنا الدينية ، ثم أكرر كلمة نحو ما ألتقاه من القنون الدينية فأجدها توسع المجال جداً في أحكام للمعاملات والميراث والحدود والمعادى واليقات ، ولا أرى لما أشاهد في أرض الله الواسعة إلا أن العالم حادث وكل حادث لابد له من محدث ونحو ذلك ، وما يذكر في أبواب السلم والربا من المكيلات والموزونات والتسليم والتسليم ، وكذلك الكلام في بيع مبادى صلاحه أو مبادى يده صلاحه ، ومع كونه إيجابياً فاعماً يتكلم عليه من وجهة المعاملات بين الناس لامن الوجهة الإلهية

سارت مشرقة وسرت مغرباً * شتان بين مشرق ومغرب

وكنت أسمع كلاماً من أفواه أساذق وفي كتب التوحيد أن العالم في غاية النظام وأن القرآن في غاية البلاغة ، فإذا توجهت الى بلاد الشريعة وخلوت بنفسى وتفكرت في العالم وفي القرآن أجد الأمر صعباً على جداً ، ولا أشم لهذا النظام وتلك البلاغة رائحة ، فإذا نظرت رأيت بهائم ترعى ، ونباتات يطلع ، وأناسا قد ذهب ونجى ، وبحاراً تجري من أرض عليا الى أرض سفلى ، فأقول أين النظام الذى يقوله العلماء ؟ فصررت أجلس على شاطئ نهر جار وأتأمل في الحيوانات الصغيرة التى تختبئ في الأعشاب وأقول : لو رأيت حيواناً عليه خطوط فيها هيئة انتظام لفضل عندى شعور بهذا النظام ، ثم اذا عرفت أن هذا العالم منتظم كما يقول العلماء الأخيار أكون أعدد الناس وأكثرهم نشاطاً وجداً واجتهاداً إذ يكون لى معنى يقيناً . وبيننا أنا كذلك إذ فتش لى بلب آيات من القرآن . ولم أكن إذ ذاك أعرف تفسيره ، فاستحضرت بعض التفسير وطالعت آيات البجائ وكان أول ما طالعت قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار - الى آخرها فتأملتها تأملاً صحيحاً فافتتح لى باب الفكر ، وصررت أعرض تلك الكلمات على عقلى وأفطر بنفسى في هذه السنة الإلهية وهكذا بقية آيات البجائ ، فأخذت أفكر بطلب والمطالعة تزيد وحلا لى الفهم ، ثم اتصلت بالأزهر بعد انقطاع طويل وحضرت التفسير وغيره من العلوم حضور حباً وله بل عاشق وصررت لا أنال القرآن إلا بتدبر وفهم ، ثم ساعدتنى المقادير بدخول مدرسة « دارالعلوم » فتأملت علومها تأمل من يريد أن يعرف هذا العالم . فكنت أحضر تلك العلوم وأطبقها على العالم الخارجى على حسب ما سبق فى النفس من الشوق الى ذلك حتى اتضح لى أن كل هذا العالم على غاية النظام والاحكام وفهمت آيات القرآن فى تلك البجائ فهما يقيناً لا تقليدياً وصار كل شئ من العالم دروساً توحيدية وكان للتأمل فيه يطالع مجائب القنطرة الإلهية والحكم الربانية فمن درس الهندسة والحساب والطبيعة أو التفسير أو غيرها من العلوم ولم يذق منها لذة النظر من وجهة الحكمة العلمية فهو صاحب صناعة يعيش بها ولم يمتز عن العامة إلا بالمظاهر الفانية . وكذلك من قرأ دروس البلاغة والنحو والصرف فى أى لغة من لغات العالم من العربية أو غيرها ثم لم يستخدمها فى مطالعة ذلك الجبال الالهى فى آيات القرآن العظيم والعلوم العالية مع استحضار الذهن وروزنها بمرزان العقل الغربى فليشرب بأنه أضاع أيامه ولم يحصل من حياته إلا على معانيته وأنه يأكل كما تأكل الأنعام . فأنى لحياة يكون القصد منها ومن تحصيل العلوم فيها ما كل ومشارب تشاركنا فيها الحيوانات والنباتات . أولابرى المعرورون من ذوى التصور عن الاطلاع على ذلك الجبال أن الغذاء والتناسل علان فى جميع النبات . فان كنت فى شك مما أومأنا اليك فاذهب الى الحقول وتأمل زهرة من الزهر كالقطن مثلاً أو الوردة تجد أن الزكران فى زهرة الأول أربعة قد أحاطت بمحمل الامات الذى هو فى وسطها وقد ألقضتها وهكذا البرة يلقح عالياً سافها على منوال ما يفعله الحيوان بحيث ترى ذلك الطلع الذى فى أعلاه ينزل على شربة الكوز ويحصل الانقاع ، ثم تلك الجيوب من جميع الأصناف هى المقصودة للانسان أوله والحيوانات إذ للنبات خادم لها وهكذا الحيوان خادم للانسان ويتبع بالذتين جميعاً حقيقياً . فاذا استعمل الانسان علة فيها يصل به هاتين الشهيوتين اللتين قد شاركا فيه النبات والحيوان

فبُست العلوم وبُست الحياة التي ترجعها من أفق الإنسانية الى أفق البهيمية أو النباتية بل الحياة حياة العلوم العالية والنفوس الكاملة للترقية التي تطلّع ذلك الجبال الأبهى من هذه العوالم وهذا الكمال يشا كلها في العوالم العالوية والسفلية

على نفسه فليكن من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم
ومن قرأ هذا ولم يأخذ بمجامع هواه وأعرض عنه واكتفى بما لديه من العلم فذلك داخل في قوله تعالى - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - وقوله - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - وجيع العلوم آيات ودلائل تُشَفِّ عن حكمة عالية وقدرة باهرة وعلم تام . والذي أراه أن الشرقيين لا ينالون مجدهم إلا اذا رجعوا الى حالة التعليم قبل انمراس العلم لتثبت فكرة التوحيد في جيع الأذهان واستحضار الخالق في جيع الحركات والسكنات ، ولا يخفى أن علم التوحيد أخذ في أدوار تعليمه أشكالا وألوانا شتى من ابتداء الوحي الى الآن ، ففي زمره الصحابة والتابعين لم يكن فنا له قواعد وأصول وفروع بل كان باقيا على الفطرة الإنسانية المستمدة من آيات القرآن ، وكل يعطيه الله من العلم على حسب استعدادة تخلف من بعدهم خلف خرجوا عن الفطرة بما تلقوه من الجدل والفلسفة وانقسموا الى طوائف وحصلت مشاغبات ومنازعات وأخذ وردّ غفاف أئمة الدين رحيم الله على العقائد فألقوا فتى الكلام ليكون حصنا يقي من تهويش أذهان الناس بالمشاغبات فلم يكن مقصودا لهم لدنائه وإنما هوسا سلاح وجهاد ونحن في زمان مات فيه ذلك العدو وبادت تلك المذاهب ، فمن استعمل ذلك السلاح الآن فهو غرر يقاتل في غير عدو وكيف وقد ظهر عدو آخر للعقائد في هذه الأيام ، فيجب على العلماء الآن أن يبذلوا جهدهم للنظر في كلام المذاهب الأورو باويين وجيع المخلفين ليردوا عليهم فإن اللغات منتشرة بين الأمم والأفكار تقتل وجيع ذوي الضعف في الدين يؤثر عليهم كل فكرة يسمعونها ، أما المذاهب البائدة فالكلام فيها عبث - تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون - فإن قلت كيف يعلم التوحيد ؟ أقول : يجب على المعلمين في المدارس وغيرها أن يبتدئوا بذكر غرائب العالم من النباتات البهيمة والحيوانات الغريبة والنجوم ذات البعد العظيم والقدر الكبير والسرعة الهائلة ، ثم ينتقلون من الأغرب الى الغريب الى المعتاد وذلك لأمر :

- (١) إن الفطرة الإنسانية ميالة الى الغرائب والاحداث أكثر عشقا لها وولوعا بها
- (٢) إن دليل الألوهية أقرب الى أذهان البسطاء في الغرائب كالتوحشين حتى إن أهل الهند على نهر الكنج يعبدون نباتا يتحرك في الحقيقة ستين مرة لاعتقادهم أن فيه قوة إلهية ، وما ذلك إلا لظهور تلك القدرة الباهرة بأعظم وضوح
- (٣) إن آيات القرآن كلها ناطقة بأن النظر في العوالم هو طريق التوحيد
- (٤) إن العلم متى أوقف المتعلم على كل عجيبة وذكر عند ذلك القدرة والعلم وصفات التقديس والتزيه بحيث تكون جيع صفات الربوبية تذكر تطبيقا على تلك العجائب كان أثبت في ذهن ورسخ الإيمان رسوخا لا تزلزه الرياح العواصف
- (٥) إن ذلك مع كونه علم التوحيد هو أيضا تلويح طبيعي وطبيعة وتشرح وفك وهكذا فيكون ماصرفه من الزمن في تعليمه قد اكتسب به التليذ علوما تنفعه في دنياه وهو لا يشعر - من كان يريد حوت الآخرة زده في حوته - فيكون قد أراد معرفة خالقه وهو في الحقيقة يقرأ علوما كثيرة إذ التوحيد هو جيع العلوم بل مثل من يقرأ توحيد بهذا الوصف مثل انسان زرع أرضا شجرا مشرا فان هذا لم يفته خروج حشائش لوع البهايم فقد جاء الاقتصاد الأدنى مع القصد الأعلى ، إن الله

يعطى الدنيا مع قصد الآخرة ولا يسلط الآخرة مع قصد الدنيا

(٦) إن التلميذ إذا نظر العلوم العالية يرى في نفسه عند مطالعتها كأنه يطالع حكمة الباري في تشريعها ويظهره وطبه وزرع وحصاده وهكذا لاعتياده على ذلك من صغره ، ولا سبب لفساد أخلاق الشبان الذين يتعلمون في المدارس إلا خلق عقولهم من استحضار الخالق فيما عرفوه من العلوم ، ومن المقرر أن الحكمة لا تقيد إلا من يستحضر الخالق بسره ويعرفه بسفله

(٧) إذا رأى علوم الدين التي أزلها الله على نبيه لانغالب الطبائع الكونية فانه يشب على تطبيق دينه على ظواهر الطبيعة وينفرد ذلك في نفسه وينقسم استنعاراً تاماً بذلك كما هو مقصود القرآن ، ألا ترى رعاك الله أن آيات الرحمة والعذاب يؤتى بعدها بآيات عجائب الكون ، ألم يكن ذلك ليظهر للناس أن العلمين متوافقان ، ومن العجيب أن بلادنا تنقسم الى قسمين : قبض الذين تعلموا العلوم الدينية وحدها ينكرون العلوم الكونية من الطبيعات والفلكيات ، ويظنون أن الدين يرى منها وماهم إلا جاهلون بها ، وبعض من لم تعلم الدين ودرس في المدارس تلك العلوم ينكر موافقتها للدين ويقول انها تخالفه - ذلك مبلغهم من العلم - و - كل حزب بما لديهم فرحون - بل كل من الحزبين مقصر لجهله بما لم يعلم ، ومن جهل شيئاً عاداه ، بل الواجب على كل فرد من أهلها أن يأخذ من كل فن طرفاً والا صدق عليه قول الشاعر

ومن يك ذا فم مر سقيم * يجرد مرأ به الماء الزلالا

فالذي خلق هذا الكون بنواميس خاصة تجارية على نسق بدیع جعل من تلك النواميس قوانين وشرائع بين الناس ، فالكون من فعله وتلك القوانين والشرائع المنزلة على خواص خلقه من قوله . وهل يناقض فعل الرب الأكبر قوله - تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً - . فينبغي النواميس الطبيعية والشرائع المنزلة تطابق وتوافق لا يعرف إلا من عرف العلمين . وأما من درس أحدهما وجهل الآخر فهو حرجي بأن يدعى تنافي العلمين ، بل كثير من قارئ الشرائع تصور عقولهم يرون نصوصها متعارضة لعدم وقوفهم على أصل مأخذ النصين وما هو المقصود منهما فكيف يرون موافقتها للأشياء الخارجة عنها من النواميس الطبيعية فالخلق أن الشرائع الإلهية والنواميس الطبيعية متوافقة متلائمة وأن من أنكرها فاما ينكر قصور في عرفانه وضعف في بصره

هذا ما أردت ذكره بالنسبة للإلهيات . أما النبوات فالذي أراه أن يذكر صفات الأنبياء ومكارم أخلاق سيد الوجود ﷺ وتكون المعجزات داخلة في ضمن تلك الأخلاق حتى يشب الطفل على حب النبي ﷺ وعلى التخلق بأخلاقه ويعتقد فيه الصديق حين يسمع المعجزات وتكون الواجبات في حق الرسول ﷺ قد ثبتت في الأذهان عرضاً . فهذا فضلاً عن كونه علم توحيد علم أخلاق فيخرج قارئ التوحيد من المدارس وقد ثبت درس علوماً طبيعية وأشياء وفلكاً وأخلاقاً . ولنا أمل وطيد من المدارس التي تأسست بالقطر المصري همة ذرى الثروة والجميحات أن تسعى في أن تسلك هذا المسلك الجيد وتدرس التوحيد على هذا النمط لئتم بها المقصود إن شاء الله تعالى . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وبهذا تم الكلام على التبعة الأولى والحمد لله رب العالمين

﴿ التبعة الثانية ﴾

أذكر فيها ما كنت كتبت في مجلة «نور الاسلام» منذ نحو (٢٥) سنة . وسبب كتابتها أني كنت رأيت في المنام عقب قراءة كتاب قتله المرحوم فتحي بلشا زغلول عن أمة الاسلام من الفرنسية الى العربية رأيت

أن ملكا يحرب لى « بدأ الاسلام غربيا وسيعود كما بدأ » ودلم على هذا الاعراب والشرح طول الليل وهو يقول : قوله غربيا صفة لموصوف محذوف ، فالوصف نائب مناب المصدر ، ثم يقول : والمعنى المقصود انه بدأ بدأ غربيا لم يمهده له نظير وسيعود كما بدأ أى انه ينتشر انتشارا غربيا لم يمهده له نظير ، وبقيت طول الليل وأنا أسمع هذا القول ويكرر كائى كنت تليذا يعلني الاعراب والمعنى . ولا يخفى أني أسمع وكنت أرى في هذا التفهيم استعمال الطرق التي كنت ألقيا على التلاميذ لأنى كنت أعطي السنة الثالثة والرابعة في مدرسة (الجزيرة) كتاب النحو وأعطيتهم باب للفعول المطلق ، وكنت أقول لهم ينوب عن المصدر وصفه وآلته وهكذا فشرت أسمع مثل ما أعطى وهو قول : غربيا وصف نائب مناب المصدر الى آخره ، وكنت وأنا نائم أعلم أنى نائم وأعلم الحجرة التي أنا فيها وأعلم أن هذا ملك وهو يلقي الى هذا القول ، فاستيقظت من النوم وقلت في نفسي إن هذه الرؤيا غريبة ولكن هي أشبه بأضغاث الأحلام ومع ذلك وجدت في النفس وجدانا غربيا ولكن كنت أشد التأمل حرصا على أن لا أكلم أحدا لأن مثل هذه يسخر الناس منها ، فإذا أفضل ؟ كنت مقالة وضمتها هذا المعنى باعتبار انه جاء من عندى ابتكارا وعنوانها « مما أوجب للمسلمين السقوط ، جعل اقتراب اقيامة سبب القنوط » وأرسلتها الى إدارة مجلة «نور الاسلام» التي كانت تصدر بمدينة الزقازيق وطلبت أن لا يكتب اسمي تحتها خيفة التشنيع والووم ، ثم اتى بعد نحو (٧٠) سنة بحثت عن المقالة فلم أجدها فأسفت كل الأسف ، ولكني بعد بحث وجدتها في مكتبتي بمجموعة في ضمن أعداد هذه الجريدة فسررت سرورا عظيما وهاأنذا أكتبها هنا بنصها بعد اليأس منها

وبعد أن سبق الكلام على هذا المعنى في سابق التفسير إذ ذكرت أنى في هذه السنة اطلمت على مقالة في الاهرام لكاتب ذكر هذا المعنى وقال اتنى وأنا صغير قرأه في كلام أحد الفضلاء وعتد أسما من المشهورين وقال فلا أدري أهم قلما ، وشرح نفسي بما ذكرته لك فحرفت أن هذا المعنى وصل الى بعض الناس وقد انشر في الجرائد السيارة ، واذن عرفت أن هذه الرؤيا أراد الله اظهارها للأمة ، وانها بشاره لها ، وأنا وان كنت أكتسها عن الناس وقد ظهرت فان آمالي من ذلك اليوم صارت معلقة برقى الاسلام موقفة به ولكن ليس من هذه الرؤيا وحدها ، كلا . بل هناك ما هو أصدق وأبدع وأجل وأعلى ، وليس هذا مجال القول فيها فاقى رأيت أوجب من هذه بما لا يقاس . فهذا هو السبب في إيقاني برقى المسلمين . ولهذا ألقت هذا التفسير . وهذا كله سرّ قوله تعالى - سترهم أياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - . فبذلك فليفرح المسلمون . وبذلك فليسعد المسلمون . وهاك نص المقالة المذكورة

(مما أوجب للمسلمين السقوط . جعل اقتراب اقيامة سبب القنوط)

سبحان من أعزّ وأذلّ وشكل الأشكال المختلفة والألوان البديعة والأصل واحد - وأن الى ربك المنتهى - أزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - فزاد الحلو حلالة والمرة مرارة (١) والغذاء تنذية والهواء مداواة والجبل جلالا والقيح قبحا والعناصر لم تتغير . فيحبا لهذا الاحكام . وما أعجب هذا النظام وكيف من الأصل الواحد تستخرج للتعارفات . وتنتج التضادات . إن في ذلك لآيات . وينزل الخير والجلود الإلهي فيكسب كلا ما يشاء كل طبعه فتنشق للشمس على المحموم والصحيح فتزبد كلا على حسب استعداداه وتعبد الطين وتذيب الجليد . فالسوء واحد والقابلية اختلفت - إن ربك حكيم عليم - وهكذا العلم والمهدي يصيب القلوب فيعطى كل تائب على حسب استعداداه فيفضل ويهدي ويسعد ويشقى ويمز ويذل والعالم في نفسه واحد والقابليات مختلفات

جاء الدين الاسلامي والناس في جهالة وعمية فأخرجهم من الظلمات الى النور. ومما جاء فيه ان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، ولها اقربت وحان وقتها وأن النبي ﷺ بئس هو وإياها كأنهما متلازمان حتى قال ﷺ « بئس أنا والساعة كهاتين »

فكانت تلك الأدلة والآيات والأحاديث من أقوى ما يبعث على أعمال الأمة بل هي أكبر باعث على استنهاض همم أبطال وعوام رجال الأعمال البرّ وترك الكسل والعمود إذ انهم وقت موت الانسان وقيام الساعة التي يلاقى فيها ربه يبعث فيه روح نشاط على أن يستعد في كل قسم من أقاس حياته للخيرات على حسب استعدادة إما لنفسه أو أهله أو وطنه أو بني دينه وجنسه ، ويكون أمام الخلق الأكبر كأنه خليفة على عبادته يعمل لهم ما فيه صلاحهم ، فمن هذا عرفنا أن انهم وقت الساعة والموت من أجل سياسة إلهية كبرى كيف لا وهي سياسة ملهم الملوك ومرشد العلماء . وعلى هذا سلك الأمة الاسلامية بقاؤها في الأعمال عملا بقوله تعالى - سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للتقين - لا للتكاسلين والعاجزين فلكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، وكانوا يعملون حقا أن من طلب منه عمل الآخرة فانه طبعاً طلب منه عمل الدنيا معها إذ هي مزرعة لها وطريق اليها ، وملائيم الواجب إلا به فهو واجب ، فكأنه طلب منهم عمل الدنيا وزيادة لنفع نوع الانسان ، وقد ضربوا لذلك مثلاً رجلاً زرع أرضاً أشجاراً مثمرة فانه لا يحسم حشائش تخرج للبهائم فقد جاء القصد الأدنى مع الأعلى ، أما من زرع البرسيم مقتصر على فلاحه فلا يخرج له الثمرات وعلى ذلك قال تعالى - من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤمها منها وما له في الآخرة من نصيب - فكان وعظ القرآن وحته داعياً لعلو المهمل وعلو الهمة من الايمان ، ومن سفلت همته فهو يمزج عن الفهم والعلم ، ولا تكمل نفس الانسان إلا بآخرة ماء الحياة في سبيل منافع أمته وبلاده مع القصد الأعلى وهو التقرب للخالق الأكبر

هذه أعمالهم وهذه نياتهم ، فانظروا يا قوم كيف تغيرت الأوضاع وانعكس المعنى وأصبح ما كان وسيلة للارتقاء سبباً للذلة والموان ، ولكن لا غرابة في ذلك فالقرآن لم يزل والقابول تغيرت - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له - . هذه الفاتحة وأين هم . سمع سلفنا في الدين القرآن في الساعة وقرئها فأطاعوا وصيته وحملوا على العمل ، وسمعنا فضيلنا وأشرى في قلوبنا حب عجل الجمل وشبان الخلاعة والأمل ، وباليقنا اقتدينا بأسلافنا في الوطن إذ مع كونهم عبدوا الجمل سارعوا الى العمل وما أشبه العلم بالماء يتلون بلون أماته ويمثل على حسب مادخله في بيته وأجزائه وبالنور يظهر على حسب لون الشفاف الذي هو فيه ، فكأنهم أسلافنا بآيات قيلم الساعة ضلنا نحن بها - يصل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يصل به إلا الفاسقين -

أصبح المسلمون الآن في كافة أنحاء المعمورة ولأمل لهم في شوكه ولادولة ولا عز ولا صلة حيث يسمعون من أقواء الجهال بالدين الذين يقولون ما لا يعملون ان هذا الدين سيمحي وأن هذا أوانه ، وأن الكفر يعا وهذا حينه ، وتمسكوا بضلاليهم لا يعرفون معناها إذ هي عمل نظر ويحث بين أكار العلماء ، وانتشرت تلك الفكرة بين العامة والخاصة ، وما يوجب الأسف والحزن أن الأذهان تضابقت على جمع الفكرتين وهما ان الساعة قربت جدا وأن الاسلام يمحى ، وحيث اننا في زمان كثر أصرار الجهل فيه وجب علينا أن نبين للناس فنقول ومن الله التوفيق

أما قرب الساعة فهو لا يدل على ما يزعمه الجاهلون إذ يجوز ان تبقى الدنيا قروناً متطاولة بل آلافاً من السنين بل ملايين ، وربما استطعم هذا بعض العقلاء واستبقده جسداً بناء على ما رسخ في أذهان العوام مستدلاً بآيات كثيرة وأحاديث كاهتم على أن الساعة قريبة قربة قربة له على رسلك أيها الأخ فان القرب ليس

من المهود يتنا والا قامت الساعة في حياة النبي ﷺ أو بعده قليل فان أعمارنا قصيرة ونحن نرى أن أقل من القرن قرب ولكن القرب على حسب علم ذلك القادر القاهر . ألا ترى الى قوله تعالى - إنهم يروه بعيدا وزاء قريبا - فالأرض لها ملايين كثيرة وهي سائرة في القضاء . فإذا نسبنا مائة ألف سنة أو مليوناً الى تلك الملايين الكثيرة كانت قريبا بتلك النسبة . فاذن لمانع من بقاء هذه الدنيا وهذا العالم الى آلاف من السنين والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . فكل أمة اتسمت بمكارم الأخلاق وصلحت في أعمالها وكان صلاحها أكثر من فسادها فذلك هي التي تبقى - حتى تتغير النيات وتهبط العزيمات فترة الى أرذل العمر . وهذه الأمة الاسلامية قد أخذت دورها في النصف . ولقد آن أن ترجع الى صلاحها وتأنس برشدها وتقوم من رقبتها . متى برهنت أمام الله والناس انها أصبحت سالحة للقيام بالخلافة في الأرض سلحت اليها أماتها - ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون - ولقد علم الله وشهد العالم للمؤمنين (أي الطرفون بمقام الاسلام منهم) أن الاسلام أعظم نصير للدين كما يعلم بأدنى التفاتة للتاريخ . وإن كنت في شك مما قصصنا عليك فاقرا كتاب « خواطر وسوامع في الاسلام » الذي ترجمه فتحي بك زغلول تأليف الاستاذ هفري أحمد الفرنسيين . أو اقرأ كتاب ذلك العالم المؤرخ الشهير (سديرو الفرنسي) ترالجب الحجاب من أمة ودين ومكارم اخلاق هيمنت على العالم أجمعه

لجئوا اليها المسلمون واعلموا أن أوان ظهور مجدكم وعوده قد آن . فاسترجعوا مجدكم القديم فقد عرف العالم المؤمنين وشهدت الفطر الصادقة بل شهدت العقول ودلت التجارب أن هذا زمن ظهور الاسلام ورجوع مجده القديم فقد بدا وانتشر انتشارا غريبا لم يهد له مثيل في تاريخ الأديان وتم من نحو ١٣٠٠ سنة وهاهو الآن قائم يعود كما كان وينتشر انتشارا غريبا كما انتشر أولا وهذا معنى ما قيل « بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا » أي كما انتشر أولا انتشارا غريبا لم يهد له مثيل في الأمم . هكذا سيعود وينتشر بتلك القرباء بعينها والسرعة الفائقة حتى تكون مجزة أخرى . فقلوه غريبا صفة لمقدر محذوف أي بدا غريبا . وهاهوذا الآن أوان رجوعه بتلك القرباء . علم الله وشهد كل عالم من علماء الأرض الحقيقين أن للاسلام رجعة بقاءية وثمنا غريبا قد ظهرت بوادره وجاء وأوانه وعلى أيديكم أيها العقلاء يكون ظهوره ذلك إن شاء الله . فليجئوا الارجاع مجدكم وحوز غفركم . ومتى صحت المقدمات صدقت النتائج

لوتأمل علماءنا اكتشافات القوم الحديثة وما لديهم من العلوم لعلموا انها تسيرنا أجل في الدين الاسلامي وتوضح لما غم علينا فيه (وبعبارة أوضح) ان تلك العلوم والأسرار إيضاح وكشف لخبائت القرآن . وأوضح من ذلك أن ذلك مقدمات ظهور سيدنا عيسى وتبشيرات له حين يأتي والناس قد استعدت فطرهم للاسلام طائفة وتصبر الأرض كلها اسلاما بأمر سيدنا عيسى وكأني ببعض اخواني يضعك من سباع مثل هذا الكلام ونحن نقول له أعر استحضار الأرواح هناك لفنة ترالجب الحجاب وتجد غبائت العلوم تظهر على أيدي هؤلاء - وتعلمن نبأ بعد حين -

جاء وعد رسولنا الصادق الأمين بأن عيسى عليه السلام يأتي في آخر الزمان ويحكم بشريعتنا أو يظن أن ذلك يكون بدون مقدمات للاسلام ومبشرات بين يدي ذلك النبي . كلا . مم كلا . وهذا الظهور كل من العلماء يفهمه بما يوافق مشربه ولا تعرض له وانما علينا ذكر النقص وكل يفهم ما يناسب معارفه انظروا الى المستشرقين في أوروبا يقرؤون هذا الفهم ويجنون أي عجب . انظروا لأولئك المنسرين في أوروبا الذين يجيبهم كل شيء صدرنا وهم نظير للمتخرجين عندنا فالقوم في بلادهم لا يعرفون عن الاسلام شيئا إلا قليل منهم ركن من عرف شيئا منه تنبث به . ولا بد أن يكون هذا القرن الآتي أوان ظهور شمس حقايقه في ربيع العالم المؤمنين حتى تأنس ببعض معارفه الأذهان قبل مجيء ذلك النبي في آخر الزمان يحكم

بشرح خبروله عدنان . فكيف بعد هذا كله يقتط المسلمون من رجة الله . وهذا ر. ع. د. لم . أم كيف ثبت في عقولهم أن دولهم تنقرض وهم الذين ورد فيهم « لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق حتى يأتي أمر الله » فهذا الدين وهذه نصوصه . فمن ظن أن الساعة قد جاء وقتها وأن الاسلام سينقرض فقد جهل وضل وأضل وادعى انه أعلم من رسول الله ﷺ

والله تعالى يقول - يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يعلمها لوقتها إلا هو قلت في السموات والأرض لا تأتيني إلا بقة يسألونك كأنك حقي عنها قل إنما دليها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

فكيف جاء قوم اليوم جملا أقسم أنهم أعلم من رسول الله وزعموا قلوب الناس وأرجفوا وخوفوا وافتروا على الله كذبا في أمر الساعة - إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون - وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شئ قدير - ولكن إن بحثت عن هؤلاء تجد ان أكثرهم بها لا يعرفون - يستجمل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويصلون انها الحق إلا ان الذين يجارون في الساعة لفي ضلال بعيد -

فتأملوا يا قوم وانهموا القرآن فان إخفاء الساعة سرّ مكنون ومنه أن يقيم الناس دولهم ويأملوا في بقائها ودوامها . ومتى عرفوا قربها اختلت روابط الأمم ووقفت الحركة وانزعجت البركة . ولذلك أعقب هذه الآية بما يشير الى ذلك حيث قال - الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز -

وإذا كان إخفاء الساعة سياسة لاصلاح المعاش والمعاد معا ولطفا من الله بالمعاش في الدارين لافى الدنيا فقد أرشدنا الى أن الرزق المذكور يؤتى به كالتابع لأعمال الآخرة ولذلك أعقبه بقوله تعالى - من كان يريد حوث الآخرة زد له في حوثه ومن كان يريد حوث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب هذا ورباني من كل من اطلع على هذا أن ينشر هذه الفكرة في كافة أنحاء المعمورة حتى تنزع تلك الضلالة من الأذهان اه

﴿ تذكرة ﴾

إني قلت « بدأ الاسلام الخ » بصفة انها حكمة عاتية .

اللطائف العامة لأقسام السورة كلها (١)

وهي ست لطائف

﴿ اللطيفة الأولى ﴾ في تفسير البسملة وذكر الراجعة فيها ومناشيتها لما ذكر في السورة من طبقات الأرض وما فيها من صور جبلية وبدائع كشفها القوم في زماننا مصداقا لقوله تعالى في آخر السورة - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - فصلت آياته قرآنا عربيا - وكيف بقيت اللغة العربية محفوظة مصداقا لقوله تعالى - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - وقوله - سنريهم آياتنا - الخ وفي هذه مجزتان : الأولى ان الكشف أظهر أن الأرض لم تكن فجأة . الثانية : ان الأيام قد بلغت في علم الفلك مئات الملايين وهذا يقرب من أيام خلق الأرض

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم - مع

(١) هذه اللطائف لم يكن لها وجود عند تأليف وفتح الله بها إلا عند طبع هذه السورة : المؤلف

قوله - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأرجلهم - وكيف ظهر علم الأيدي والأرجل وكشفها للجنايات في الدنيا وانها اذا قبلت شهادتها عند الله فلتقتضه أخرى أن يقبلوا شهادتها وهذه مجيزة أيضا لأن الأيدي والأرجل اختصتا بذلك في الكشف دون سائر الاعضاء

(الطيفة الرابعة) في قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة - الخ

(الطيفة الخامسة) في قوله تعالى - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة -

(الطيفة السادسة) في قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم -

﴿الطيفة الأولى﴾

(في البسملة وذكر الرحمة فيها ومناسبتها لما ذكر في السورة من طبقات الأرض وما فيها من صور

كشفها القوم في زماننا مصداقا لقوله تعالى في آخر السورة - سترهم آياتنا في الآفاق -)

تجلىت الرحمت العظمة في هذه السورة بصورتين اثنتين جيلتين بهيتين ، صورة الحروف ، وصورة العناصر ورمز لمذنب بلطام والملم ، الرحمة وسعت كل شيء ، وتجلى في هذه السورة في الحروف والعناصر ، والحروف والعناصر رجحان لشي واحد هو التحليل ، اللغات التي يعرفها الناس فقدر الآن بنحو خمسة آلاف لغة ذكرت مجملها في ﴿سورة الروم﴾ عند قوله تعالى - واختلاف ألسنتكم وألوانكم - فارجع اليه إن شئت ، وكلها راجعت لشي واحد هو الصوت كما ان العناصر التي وصل المعروف منها الآن حوالى الثمانين عددا منها تركبت جميع هذه المخالقات ، اللغات حركات في الهواء ، وهجاء الطبيعة حركات في الأثير ، وكلها تعال الى أصولها الأولى ، باللغات فدرس العالم ويتعارف الناس ، وبالعناصر وتركيبها تكون حياة الحيوان والانسان

تجلىت رحلت الأصوات والحروف في قوله تعالى - كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا - واللغة العربية كما تقدم في ﴿سورة الروم﴾ لإحدى اللغات السامية التي تفرجت من حال الى حال كما ستره قريبا ، فهي أبدا متقلبة متغيرة ، فبينما نرى قدماء العرب في الجزيرة قبل تاريخ الميلاد ببضعة آلاف يكتبون بالقلم السومري الآتي بيانه وصورته اذاهم يكتبون في الجاهلية قبل الاسلام بقلم آخر اذاهم يكتبون في زمن النبوة بقلم أقرب إلينا ، وهكذا نفس الأنفاظ تتغير لهجاتها تباعا متطورات تطوّر الأزمان والقرون والسنين ، ولكن لما جاء الاسلام استقرت اللغة العربية لفظا وخطا على أساس متقاربة الى الآن مجيزة لهذا القرآن كما ستره مؤلفها ، إذ انك ستري فيما يأتى سورة الفاتحة والاخلاص مكتوبتين باللغة الصينية ومعها اللغة العربية ، فذلك التبدل الذي يصير اللغات لم يجر على اللغة العربية إلا في طريقة التحسين والبهجة ، أما تغيير الحروف لفظا وخطا تغييرا جوهريا كما يصير جميع اللغات فهذا لم يكن . ولما كان لهذه المجيزة آثارها التي ظهرت في المسكونة من أقصاها الى أقصاها قال في نفس هذه السورة - ولوجعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي - وعربي - الخ فكانت هذه الآية رمزا الى ما هو حاصل الآن من أن القرآن يكتب باللغة العربية وان كان القراء له أعجميين لأنهم لو قرؤوه بلغاتهم لورد عليهم هذا الاشكال . أي عربي - وقرآن أعجمي - وهذا هو السر في حفظ نفس اللغة العربية مع القرآن أينما حل

هذه هي الرحمة التي تجلى في هذه السورة في قوله تعالى - كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لأنه لو كان أعجميا لتبل هلا فصلت آياته بالعربية التي نزل بها فاذا قرئ بغيرها لم يكن مفصلا بل كان مبهما أعجميا . وبهذا تم الكلام على الآيات المصلاات الناجات من الحروف

﴿الآيات المصلاات في للمادة الأرضية والسمائية﴾

اعلم أن القرآن لا يفرق في الآيات بين كونها متلوة بالألسنة أو بين كونها مسموعة بالأذان أو مخلوقة في الأرض

والسماوات مركبات من العناصر منظورات بالعيون . الله خلق السمع والبصر . وللمسمع جاءت اللغات ومنها العربية . وبالبرية سمعنا القرآن وبقي الى الآن باللغة العربية لفظا وخطا . والبصر خلق الكواكب والمركبات الأرضية والبساط . إذن الآيات مسموعة ومبصرات . وكما جاء في القرآن ذكر السمع والبصر . ويقول سبحانه - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا - وما للفؤاد إلا ليهية النفس التي بها خفيهم وتبصر فيها سمعنا وفيها رأينا ، والسورة مبلوغة بالآيات المسموعة لأن الناس في أول أمرهم يعملون بما يسمعون ، فإذا ارتقوا قليلا فهموا ما يبصرون ، فالتاس أولًا يؤمنون بما يسمعون بسبب صدق الخبر لهم ، ثم بعد ذلك يفكرون بأنفسهم فيما سمعوه ، فالآيات المسموعة تكون أولًا والآيات المبصرات تتلوها . لهذا ذكر المسموعة وتفصيلها أولًا ثم تلاها بالآيات المبصرات ، فإذا تلا علينا ؟ تلى علينا أولًا أجال هذه الدنيا وأن الأرض خلقت فيها الجبال والنبات والمعدن والحيوان والانسان ، وكان ذلك كله في أربعة أيام ، وأن السماوات خلقت وربيت ونظمت وأعطيت كل شيء نظامها الخاص بها وزينت بأجسل زينة وأبهر منظر . وذلك في يومين . وكان مبدأ أمر السماء دخانًا فما زالت العناية بها حتى صارت وصارت الأرضون بالحال التي نراها عليها الآن . ولا جرم أن المذكور هنا إجمال . فهنا سماء وههنا أرض أمرًا أن يأتيها طوعا أوكرها ولكنهما أقل من أن يصيبا خاتهما فأطاعتا والطاعة إيمان تكون بالعلمة ولا خدمة إلا بحركة والحركة دائمة من أول خلق العالم الى فائه ، بل نفس العالم هو نفس الحركات كما قررناه في مواضع من هذا الكتاب فالعالم كلها مسخرات جاريات متعكرات وكلهن آيات . وهذه الآيات المبصرات ترجع الى آيتين اثنتين في المشاهدات آيات السماء وآيات الأرض . وكما أن مبدأ السورة فيه ذكر الآيات المسموعة القرآنية في تفصيل القرآن العربي والآيات المبصرات الكونية في خلق الأرض والسماوات ، وهكذا في القسم الآخر منها تأييد كون القرآن لا بد من بقائه بالعربية الى آخر الدهر كما قلنا وذلك في الآيات المسموعة وتبيان الآيتين الكونيتين المذكورتين أول السورة إذ يقول تعالى - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لآتسجدوا للشمس ولا للقمر - ويقول - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت - . إذن ما جاء في أواخر السورة مبين لما جاء في أولها . فكون القرآن لا يمح أن يكون أعجيبا راجع لقوله تعالى - كتاب فصلت آياته - الخ وكون السماوات من آياته وخروج النبات من الأرض من آياته راجع لما في أولها من خلق السماوات والأرض . ثم أتبع ذكر الآيات القرآنية والآيات السجوية والأرضية بأنداء المشركون وشهادة الجالود فقطعها . والتأثر المؤلة لهم . والمداوة التي تقع بينهم إذ يهذبون . وتبشير المؤمنين بأن لهم ما يشتهون . ثم ذكر علم الأخلاق . وذكر حسن المعاشرة . والصبر . وجبل الأخلاق . وختم السورة بوعد جيل قاتلا : إن الآيات بقسميها سواء أكانت في القرآن أم كانت في السماوات والأرض سأريكموها . فمن آيات القرآن المسموعة ان هذا القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهذا قد ظهر ظهورا وانحافا أن أهل أوروبا القرن كان هذا القرآن سبب نهضتهم الحديثة أصبحوا اليوم يبطشون بالاسلام وبأهل الاسلام . ومع ذلك غلبهم هذا الدين وبقي محفوظا . والليل على ذلك ما رواه من أنه مكتوب بالحرروف العربية في بلاد الصين كما ستره في الصورة الشمسية في هذه السورة كما ذكرت آنفا . أفليس هذا هو نفس الوعد الذي في آخر السورة . وهل أحد ملزم أن يظهر هذه المعاني أكثر منا نحن الذين نعيش في الأرض الآن . المسفون المتأخرون قبلنا لم تكن لديهم مواصلات مثلا . إذن وجب على أما أن أقول للمسلمين بعدنا أيها المسلمون : وعدنا الله أن يرينا آياته وهذه الآيات منها المسموع مثل ان القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وقد ظهر واتضح . وأن أقول أيضا . أيها المسلمون : إن الآيات المبصرة التي وعدنا الله أن يرينا لها قد أراها فعلا ونسرها في الأرض . الله وعدنا أن يرينا آياته . والآيات المبصرات المذكورات في السماوات والأرض جعلت اثنتين اجبالا في السورة

ولكن هذا الاجال فصل . وتفصيل هذا الاجال جاء في علمين اثنين : علم الفلك . وعلم طبقات الأرض (الجيولوجيا)

الله أكبر : هاهو سر القرآن ظهر ، هاهي العلوم ، هاهي ذه علوم الله وآياته ظهرت وبهرت : هذا وعد الله والله لا يخلف وعده ، الله رحيم ومن رحمته أنه لا يدع عباده يتخبطون في دبابير الظلام تاشين حائرين لا يستقرون . الله سبحانه وتعالى لا يدع المسلم متحيراً يقول يلرب أنت قلت انك خلقت الأرض ونظامها في أربعة أيام . وخلق السموات في يومين : فأنا يلرب في حيرة . يلرب أنت أمرتنا بالوضوء وبالصلاة وبالزكاة وبالجهج وبالمعاملات . وخلق لنا المجتهدين كالشافعي وأبي حنيفة ومالك وابن خنبل والامام زيد والمجاهدين من الشيعة . فيارب إن هؤلاء مايبنوا لنا إلا الأهمال . والأهمال فصل النفوس . والنفوس متى فحلت استغلت العلم . وأنت أنزلت في هذه السورة آيات مسموعة وآيات مبصرة وأمرتنا بالاستقامة فيها إذ قلت - فاستقيموا اليه واستغفروه - . وبعد ذكر الاستقامة ذكرت لنا آيات السموات وآيات الأرض . وكأ أنك أوصحت آية المبشرات وآية المسموعات في أواخر السورة بذكركون القرآن عربيا : وبيان أن السموات والأرض من آياتك أوصحت أيضا نتائج الاستقامة المذكورة في أول السورة إذ قلت - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة - الخ . ففي السورة آيات مبصرة وآيات مسموعة وأعمال مشروعة بالاستقامة وكلها فصلت في السورة . وهذه الأعمال المشروعة لفصل عقولنا ما هي إلا مقتضات لتبصر في العلوم . وكيف تدخل العلوم قلوبا غير صافية لم تصقل وصلها بالاستقامة . ونريد ياربنا أن نكون علماء قبل علم فصل اليك

يقول الله أنا رحيم ، رحتي وسعت كل شيء ، أنا رحمت الخشرات فجعلت لبعضها آلاف العيون لتبصر فكيف لا أعلم الانسان . هأنأذا شرحت وفصلت الآيات في علم الجيولوجيا والفلك ، فليقرأه السامعون لأنه جليل ولأنه بهيج . نعم إن هذه العلوم الأرضية لم تصل الى غاية الكمال لأن قوسكم لا تحتل الكمال في العلم وأتم الآن عندهم مبادئه يأهل الأرض لأنكم لاتوثقون من العلم إلا قليلا ، ومن هذا القليل علم الجيولوجيا والفلك . أقول أنا ولقد جاء في هذا التفسير أن اليوم إما (٢٤) ساعة وذلك بدوران الأرض حول نفسها في اليوم واليلة . وما أن يكون أكثر من ذلك حتى يصل الى (٣٠٠) مليون سنة وأكثر من ذلك وأقل ، وهذه الثلاثة مليون سنة لدوران المجرة التي منها شمسنا على نفسها ، فلذا سئله الله يقول - وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون - أويقول - في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - فهذا فتح باب لمعرفة دوران الكواكب وأيامها وسننها ، وبه نعرف الأيام التي خلقت فيها السموات والأرض . وهذا كله لاتسع العلوم والمعارف فليست الأيام قاصرة على ألف ولا على خمسين ألف ٣٠٠ مليون سنة بل تكون أكثر وأقل باختلاف الشمس والمجرات والسم . وأنا أحد الله تعالى إذ كان هذا التفسير معلوما بهذه العجائب ، فيه منفع لكل من اطلع عليه ، فليجد الله القنى أظم وعلم . هذا من حيث الأيام وأن علومها اتسعت في زماننا فأصبحنا نفتحها بمئات الملايين

بقي علينا أن نبث من علم الجيولوجيا في نظام هذه الأرض والسموات وتدرجهما من حال الى حال وأن السموات كانت دتنا وهذا بيت التصيد

فلاشرح هذا الموضوع بغير الامكان من علم الجيولوجيا تفصيلا لقوله تعالى - سنبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - ولقوله - قل أنتم لتكفرون باللهي خلق الأرض في يومين ونحوهم لله أنأذا ذلك رب العالمين * ويجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى الى السماء وهي دخان - الى آخره
أيها السامعون : إن الله تعالى من عنايته بنا ذكرهنا { عشرة أفعال } في هذا المقام : د خا ،

جعل ، برك ، قتر ، استوى الى السماء ، قال ، قائما ، ففضاهن ، أوحى ، زينا . فهذه الأفعال العشرة جاءت على وتيرة واحدة وهى أفعال تعالى نفسه . وإذا كان الأئمة رحيم الله قداعتوا بأية الوضوء والفعل والتيمم فألقوا فيها كتباً وليس فيها إلا أفعال خسة من أفعالنا نحن وهى اغسلوا وامسحوا اجهروا تيمموا فامسحوا هذه أفعال خسة من أفعال العبد استقرت كتباً فى المذاهب المختلفة ولم تنل هذه الأفعال العشرة التى هى من أفعال الله جزءاً من ألف مما استنفذته نتائج الأفعال الخمسة العملية فى الوضوء والفعل والتيمم . أفليس هذا أعظم تقصير ! أفليس من العار أن يسمع المسلم الله يقول - فقال لها وللأرض - الخ ولا يبحث ولا يفكر ، إن ذلك جهل مبين

إذن لنبحث ونشعر عن ساعد الجد فى كسب أمرين : أمر علمى ، وأمر عملى . أما الأمر العلمى فهو الجمال والبهاء والنور والحكمة والسعادة النفسية لأن علم طبقات الأرض وعلم الفلك يرقيان نفوسنا ، ولا معنى للإنسانية إلا العلم ، ومتى ارتقت النفوس قربت من ربها إذ لا قرب إلا بالعلم ، وما العمل إلا سقل للنفس واعدادها غالباً ، هذا هو الأمر العلمى

أما الأمر العلمى ، قائم لن تنال حظاً فى حياتنا إلا بالعلم . وكيف نفهم خواص النبات أو الحيوان إلا بدراستهما . وكيف نستخرج الفحم من الأرض والملح والمعادن والموائل كالبتروك والغازات اللاتى عرفها أهل أمريكا فأوقدوا بها مصابيحهم من نفس الأرض إلا بعلم طبقات الأرض التى وعدنا الله بتفصيلها . فأذكر لك فيما يأتى شغرات منه . وعلى المسلمين بعدنا إتمام مابدأناه فإن ذلك واجب عليهم شرعاً ، فأجعل الكلام على الأرض فى (بابين) باب العلم ، وباب العمل

- (١) باب العلم . لأبدأ أولاً بذكر معلومات علة عن الكرة الأرضية
 - (٢) ثم أتبع بذكر أهم النظريات الحديثة من حيث إن أصل الأرض كانت سديها أى ذرات معدنية
 - (٣) ثم أتبعه بذكر العصر الأول للأرض
 - (٤) ويحده عصر الحياة القديمة
 - (٥) ثم عصر الحياة الوسطى
 - (٦) ثم عصر الحياة الحديثة وما فيه من بقايا خشب وغابات متحجرات
 - (٧) وما يقع ذلك من العصر الحجري القديم
 - (٨) ثم العصر الحجري الحديث . وعصر البرنز
- ثم يلى ذلك باب العمل ، وهو ذكر نبذة من تاريخ المملدن بالقطر المصرى . فلاأشرع فى تفصيل ذلك فأقول ومن الله التوفيق

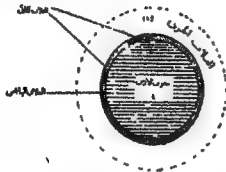
(باب العلم وفيه ثمانية فصول)

(الفصل الأول)

(فى ذكر معلومات عامة عن الكرة الأرضية)

تطلق لفظة الأرض أو الكرة الأرضية على الكوكب الذى تسكنه سواء منه اليابس والماء وعلى ما يحيط به من هواء
ويمكن قسمها بسهولة للبحث قسمياً طبيعياً الى أربعة أجزاء (انظر الشكل ١٣ فى الصفحة التالية)

(١) هذا وما بعده فى هذا العلم من كتاب الجيولوجيا تأليف الدكتور حسن صادق مراقب مصلحة المناجم



(انظر شكل ١٣)

قطاع تخيلي يوضح أقسام الكرة الأرضية

وفي الواقع أن الجيولوجيا تبحث في تكوين وتركيب القشرة اليابسة وما يتحدده فيها العوامل الناتجة من تفاعلات الأجزاء الثلاثة الأخرى

﴿ الغلاف الجوي ﴾

يطلق هذا اللفظ على مجموعة الغازات التي تحيط بالكرة الأرضية . ولا اعتبارات عديدة يقدّر سمك هذا الغلاف تقديرا قريبا بنحو ٥٠٠ الى ٦٠٠ ميل على أنها بحكم قلة ضغطها أو كثافتها كلها بعدنا عن سطح الأرض نكاد لا نكون محسوسة على ارتفاع ٢٥ ميلا من السطح يتركب الهواء من الغازات الآتية بالنسبة المئوية للبيئة أمل كل منها

آزوت (نيتروجين)	٧٩	في المائة
أوكسجين	٢١	
غازي أوكسيد الكربون	٠.٠٣	ر .

وهذا اعدادا كيات قليلة جدا من غازات نادرة مثل الأرجون والهيليوم والكريبتون والنيون والاجزئون وكذلك بخار الماء الذي يوجد بكميات تتفاوت بتفاوت سطح الأرض من حيث الرطوبة والجفاف . وهذا اعدادا الأبخرة والغازات البركانية والأثرية البقية وهي مواد وان لم تكن أساسية في الهواء لها أحيانا أهمية خاصة من حيث أثرها في العوامل الجوية

وترجع أهمية الهواء كعامل من العوامل المؤثرة في سطح الأرض اليابسة إلى صفتين :

(أولا) التأثير الكيميائي لبعض العناصر المكونة للهواء في المعادن والصخور التي يتكوّن منها اليابس (ثانيا) مية الهواء وسهولة حركته من جراء تغير الحرارة والضغط وما ينتج عن هذه الحركة من رياح . ومن الهواء تهطل الأمطار ومن هبوبه تتكوّن الأمواج وهذه كلها عوامل ذات أثر ظاهر في القشرة الأرضية اليابسة . وسيأتى وصف كل من هذه العوامل وأثرها

﴿ الغلاف للمائي ﴾

يطلق هذا الاسم على ما يوجد على سطح اليابسة من ماء في المحيطات والبحار والبحيرات والأنهار وما يتخلل فجواتها وشقوقها . ولو كانت الأرض كرة ملساء لا تعرج في سطحها لفظاها ذلك الماء بغلاف سمكه ميلان أما وسطح الأرض بين مرتفع ومنخفض فقد اجتمع الماء في مناطق الهبوط فتكوّنت منه المحيطات والبحار والأنهار التي تغطي نحو ثلاثة أرباع من مجموع سطح الكرة الأرضية

﴿ أعماق البحار والمحيطات ﴾

يختلف عمق هذا الغلاف المائي من مكان لآخر اختلافا كبيرا فالأنهار والبحيرات غالباً قليلة العمق والبحار قد يبلغ متوسط عمقها ضع مئين من الأمتار بينما المحيطات قد تبلغ من العمق آلاف الأمتار . وقد برهنت

القاسان التي أجرتها بواخر الاستكشاف وبواخر وضع الأسلاك البرقية البحرية أن متوسط عمق المحيطات من ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ متر وقد بلغ أكبر عمق رصدته تلك البواخر نحو ٩٤٢٠ مترا بالمحيط الهادى قرب جزائر البولينيز

كذلك يستدل من نتائج أعمال بواخر الاستكشاف المذكورة أن قيعان المحيطات هي عبارة عن سهول ممتدة تكتنفها سلاسل من الجبال مغمورة تحت الماء وقد يصل بعضها إلى قرب سطح الماء أو يصله فيستكون منها بعض الجزائر في وسط المحيط كجزائر القديسة هيلانة في المحيط الأطلسي وجزائر سانتوش بالمحيط الهادى والماء هو مركب كيميائى من اتحاد الأوكسجين والهيدروجين بنسبة ذرة من الأول وذرتين من الثانى إلا أنه يوجد في الطبيعة دائما مذابا فيه أملاح مختلفة تتفاوت في مقدارها تفاوتا عظيما فياه الأنهار وأغلب السحيرات عذبة . أى لأن الأملاح المذابة بها قليلة بينما مياه البحار والمحيطات مالحة أى مذاب بها كمية كبيرة من الأملاح

وتزيد نسبة الأملاح المذابة في مياه البحار المغلقة في المناطق الحارة نظرا لارتفاع نسبة البخر وعسدم ترويض المياه التي تتدفقها كافي البحر الميت بفلسطين . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثانى ﴾

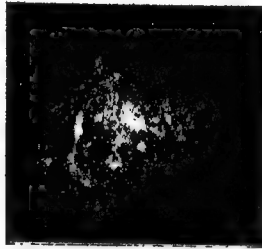
(في أهم النظريات الحديثة من حيث أن الأرض كانت سديما)

اعلم أن العلماء بحثوا في أصل الكرة الأرضية علما منهم بأن المركب ان لم يحلل الى عناصره والعلم ان لم تعرف أصوله ومبادئه وأحواله الماضية لم ينتفع الناس به كما ان اللغات لا تكون مفيدة ما لم تحلل الجمل الى كلمات والكلمات الى حروف ، والحاء والميم اللذان كورتان في أول هذه السور شاهد عدل بذلك لتقوم حجة رمزية على المسلمين الذين يجادلون تحليل العلوم وأصولها لأنهم لا ينتفعون بها ولا بالحياة على هذه الأرض وإذن نشرع في آراء العلماء فنقول .

تقد وضع العالم الفيلسوف الألماني (كانت) سنة ١٧٥٥ نظرية لأصل هذه العوالم . فقال « إن القضاء السماوى كان قبل تكوين الشمس العظيمة وسيارتها مملوءا بسحاب عظيم جدا مركب من مواد غازية مرصعة الحرارة جدا ، ثم أخذت الجاذبية تلتصق بعض أجزائه ببعض بحيث صار كتلا كل كتلة لها مركز خاص يدور بعضها على بعض وتأخذ الحرارة تنقص شيئا فشيئا وهذه هي الشمس التي نسميها نجوما » فلما اطلع على هذه النظرية (لابلاس) الفرنسى سنة ١٧٩٦ - ١٨٢٤ اشتق منها نظريته المعروفة وهي « ان المجموعة الشمسية كانت سديما حارا يلا فضاء واسعا فأخذ يبرد شيئا فشيئا ، وبذلك أخففت حركات حلقه وراء حلقه وهذه الحركات تصكورت وبردت وهي تدور حول نفسها وحول الشمس وهذه هي الكواكب السيارة ومنها الأرض ، فالأرض على هذا الرأى ما هي إلا من ذلك السديم وقد كانت جزءا من الشمس ، والشمس لما أخذت تنقلص وتبرد تركت أجزاء منها هي عين السيارات وعين الشمس الخ »

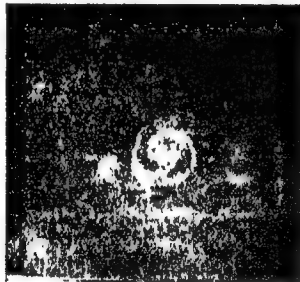
هذا رأى (لابلاس) الفرنسى بعد (كانت) الألماني . ومعنى هذا أن حرارة الأرض الآن أقل من حرارتها في العصور القديمة جدا (عصور الجيولوجيا) أى علم طبقات الأرض ، وهذا الرأى هو الذى كنا ندرسه وتلقاه ونحن تلاميذ مدارس العلوم منذ نحو (٤٠) سنة ، ولكن هذا الرأى الآن ظهر بطلانه لأنهم لما نظروا الى الحيوانات التي استخرجوها من بطن الأرض (وسرى بعضها) وقد مضت عليها آلاف وآلاف من السنين وجدها لا تحتمل حرارة أشد من حرارة الأرض الآن وأن حرارة الأرض الآن هي حرارة الأرض قديما .

إذن هذا الرأي بطل الآن وحل محله رأى آخر وهو أن السديم ليس غازا بلغنى المتعارف بل هو معدن وهذا المعدن ذرات صلبة بينها جاذبية فتكون منها سحابة سحابية أو غبار سحابى يخضع لقانون كانه جسم واحد . أقول والقول الأول والقول الثانى فى نظر القرآن سواء لأن الله يقول - ثم استوى الى السماء وهى دخان - فنظر السماء دخان ، ولكن كون هذا الدخان شديد الحرارة وليس معدنا أو معدنا له أجزاء طائفة فى الجوى كالغبار ، فهذان بيان فى أنهما يسميان دخانا . فالرأى الحديث الذى استقر عليه القوم أن الأصل الأول سديم والسديم كما قلنا ذرات معدنية صلبة طائرات مرتبطة بقوانين ، أوهى غبار سحابى ، أو (دخان) وهما صورتها (انظر شكل ١٤)



(شكل ١٤ - منظر السديم المعروف فى مجموعة نجوم الجبار كما يرى بالنظارة العلكية العظيمة)

ثم ان هذا السديم امتدت منه أذرع أخفت شكلا حازونيا بسبب دوران شكل السديم فأصبح بذلك أشبه بالسديم الحزوني الذى يرى فى مجموعة النجوم المعروفة بالسلاقي (انظر شكل ١٥)



(شكل ١٥ - منظر للسديم الحزوني فى مجموعة نجوم السلاقي كما يرى بالنظارة العلكية العظيمة)

وهكذا أخفت المعادن أثناء الدوران تقوص وتزل فى وسط هذا السحاب . ولما غاصت تركت وراءها مادة ألطف منها . فكانت هذه هى القشرة الأرضية . وهذه القشرة لما جدت بالبرودة انكمشت وصارت

مجمعة فهبطت منها أجزاء وهي المحيطات وبرزت أخرى وهي القارات . وقد أحاطت بالأرض ابخرة صارت ماء . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الثالث في العصر الأولي للأرض ﴾

جاء في كتاب الجيولوجيا ما له

﴿ العصر الابتدائي للأرض ﴾

يبدأ هذا العصر وقد أصبحت الأرض وحدة كروية مستقلة ذات قشرة خارجية من صخور جرانيتية . وتجلت هذه القشرة بالانكماش الناتج عن البرودة فبرزت منها أجزاء هي القارات وانخفضت أجزاء أصبحت أحواض المحيطات بفضل ما تجمع فيها من المياه التي قطرت بالبرودة من الأبخرة التي كانت تهيض بهذا الكوكب في حالة نشأته الأولى

وتعرضت القارات الى عوامل التعرية فتفتت صخورها ثم اكتسحت المواد المقتتة الى البحار والمحيطات من جوار بعض العوامل التي تقدم وصفها كالرياح والأمطار والأنهار فتكونت الرواسب على قيعان البحار ومن ثم بدأ تكوين الصخور الراسبة .

﴿ الفصل الرابع : في الحياة القديمة ﴾

يمثل هذا الحقب جزءا كبيرا من مجموع الزمن الجيولوجي يقدر كإحدى نحو ٣٠ في المائة من مجموعه . وبذلك الحفريات الكثيرة التي وجدت دفينة بين صفحات صخوره أن سطح الأرض وجوف البحار كانت وقتئذ مرعا لأنواع من الحياة تختلف كل الاختلاف عن الكائنات الحية التي تعمروها الآن . فكانت من بينها أجناس وفصائل ورتب قد بادت واقرضت فليس شيء يشابهها الآن على وجه الأرض كما أن على سطحها الآن من الفصائل الشائعة ما لم تكن قد ظهرت بعد . (انظر اللوحة الأولى) في الصفحة الثالثة ومن أهم فصائل الحيوانات التي يخص بها هذا الحقب القديم الجرابيتوليت والتريلويت التي عاشت واندثرت قبل انقضاء ذلك الحقب فلا أثر لها بين صخور الحقب الذي يليه . (انظر رقم ١ و٤ باللوحة الأولى) والجرابيتوليت من فصيلة الحيوانات البحرية المبروقة بالبوريفرا . وهي عبارة عن سلسلة متصلة من الخلايا يربط بعضها ببعض عمود دقيق . وقد تكون فردية مستقيمة أو مقوسة أو حلزونية وقد تكون متفرعة الى فرعين أو أكثر (شكل ١ باللوحة الأولى)

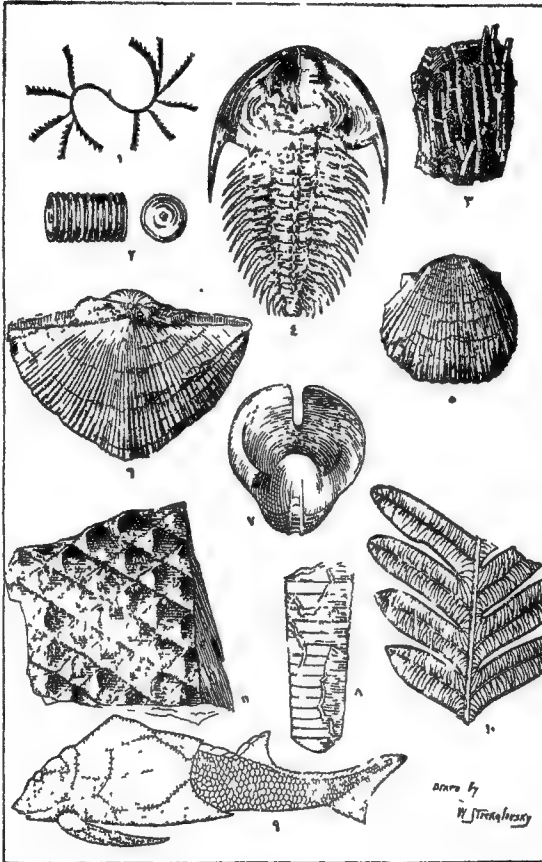
والتريلويت من فصيلة الحيوانات القشرية تنقسم طوليا لثلاثة أقسام هي الرأس والجسم والذنب وعرضيا لثلاثة أقسام أيضا (شكل ٤ باللوحة الأولى)

ومن أنواع الحيوانات أيضا الشعاب المرجانية (شكل ٣ باللوحة الأولى) والحيوانات المحارية (الشكلين رقم ٥ و٦ باللوحة الأولى) وكلها من أنواع وأجناس بادت قبل انقضاء ذلك الحقب فلم يظهر أثرها بين صخور الأقطاب التالية وليس لها وجود في البحار الحالية

وقد كانت الأسماك أولى الحيوانات الفقرية التي ظهرت في البحار أبان ذلك الحقب . على أنها كانت تختلف اختلافا بينا عن أسماك البحار الحالية إن لم تكن هي كلها العظيمة قد تنظمت تماما وكان يستفيض منها الحيوان بطريقة خارجية تغطي رأسه وجزءا من جسمه (انظر الشكل رقم ٩ باللوحة الأولى)

ومن الأسماك نشأت أنواع الأمعيبيا والحيوانات البرمائية . على أن ظهورها كان قرب انتهاء ذلك

الحقب ومنها نشأت الزواحف التي كان لها شأن عظيم في حقب الحياة الوسطى (انظر شكل ١٦)



{ اللوحة الاولى - انظر شكل ١٦ }

(الحفريات الميه بهذه اللوحة حسب الأرقام المية أمام كل منها). (١) حراشوليت (٢) كريويد
(٣) شعب مرجاني (٤) تريلوبيت (٥) برودكتوس (٦) سبيرير (٧) بليريون (٨) اربوسوراس
(٩) سمك تريكتس (١٠) نبات سرخسي (١١) ليندودندرون

﴿ الفصل الخامس في عصور الحياة الوسطى ﴾

جاء في كتاب « الجيولوجيا » ما نصه :

كان هذا الحقب فترة سكون وهبوط لم تتعرض القشرة الأرضية فيه لثل ما تعرضت له من حركات أرضية صعبة إبان الحقب . ولم تكن الأرض في غضون هذا الحقب المتوسط مسرحا لتفاعلات ركابية شديدة ومع أن البحار قد عدلت على بعض أجزاء من الأرض فعمارتها وألفت فوقها برواسبها المختلفة إلا أن ذلك لم يكن نتيجة حركات عجيبة من نوع التي أدت في الأحقاب الأخرى إلى رفع سلاسل الجبال العظمى كذلك كانت هناك براكين في قاع غثافة ولكنها لم تبلغ الشأو والانتشار اللذين بلغت في العصور السابقة وليس للصخور الركابية شأن كبير بين الصخور تكاوين الحقب المتوسط وقد كانت أنواع الحياة من نبات وحيوان تختلف في مجموعها عنها في عصور الحقب القديم * فبدأت من بينها صائلا كانت قد أبيع وتزهت في العصور الأولى كالديلويت والحرايوليت وانتشرت بدلا عنها أجاس اختص بها هذا الحقب كالأمونيت واللمنيت التي بدأت مع انتهاء ذلك الحقب وانقرضت قبل انتهائه فأصبحت من أخص مميزات

والأمونيت (شكل ١ باللوحة الثانية) - من الحيوانات التجارية الرخوة محاربه مستدرة الشكل مفلطحة في التواءات حلزونية بداخلها نحو يد حاروني مسم إلى عرف أ كرها العرف الخارجي التي كان يسكنها الحيوان . وتصل هذه العرف بعضها عن بعض قطاعات محدة . وقد كان من هذا الجنس نحو أربع آلاف نوع يختلف بعضها عن بعض في حجمها وشكلها وزخرفها الخارجي أما اللمنيت (شكل ٢ باللوحة الثانية) فهو حيوان ذو محارة سوداء مستطيلة أعلاها مجوف حيث كان يسكن هذا الحيوان وأسطحها ينتهي نقطة حادة ومن أنواع الحيوانات التي تكاثرت في العصور الجيولوجية الوسطى الشعب المرجانية التي كانت تشبه الشعب التي تتوالى الآن في بحار المناطق الاستوائية (انظر شكل ١٧) في الصفحة التالية

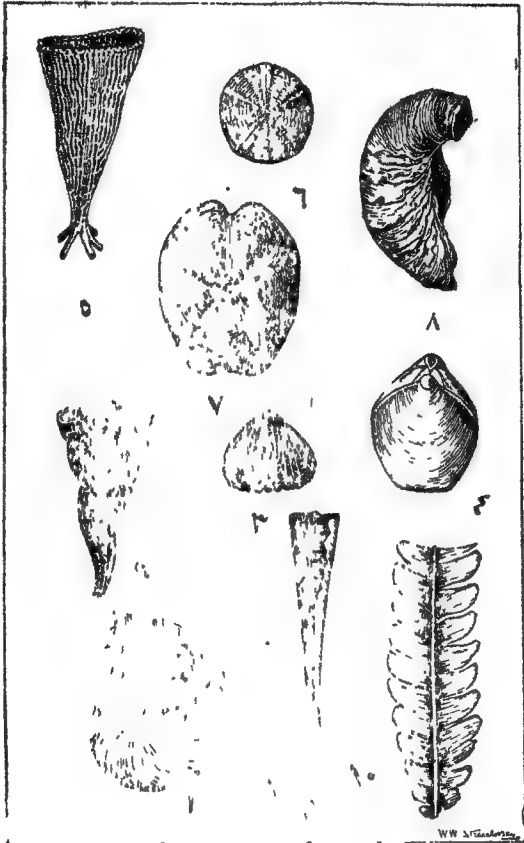
﴿ الفصل السادس . في عصور الحياة الحديثة . (الكاينوزوي) ﴾

جاء في كتاب « الجيولوجيا » ما نصه .

ترجع تسميته إلى الشبه الكبير بين ما كانت تعيش فيه من نباتات وحيوانات وما يعيش منها الآن مع العلم أن كله (كاينوزوي) نواته معها حديث وأحدث وكله (زوي) كله أخرى مع ماها حياة وقد بدأ ظهور الصائلا والأشجار لأحاس إلى نهاية من حيوانات ونبات مع انتهاء هذا الحقب وصارت تزايد نسبتها كلما تقدمنا فيه . فكانت مجموعة الحياة تزداد شها بالمجموعة الحالية . وكان في ذلك تدرج من الحياة الوسطى إلى الحياة الحالية

وكانت أحاس الأمونيت واللمنيت التي اختصت بها العصور الجيولوجية الوسطى قد انقرضت شيئا فشيئا قبل روع الحقب الحديث كذلك طب الروابط الكبرى التي توقفت تلك الصور على باقي الحيوانات ولم تترك وراءها من تلك الصلة سوى أحاس قليلة لا يهيم بهيرة الجسم هي التي هيئت على وجه الأرض الآن كالسحالي والتماسيح والأفاعي

ومن أخص مميزات أنواع الحياة الحديثة هي البرمائيات والزواحف والطيور لم تكن فطرية في ذلك . ومن الحيوانات الفقيرة ما صار التديبه في وقت على من نوع أحدها حيا . ولدت المماكة الباتية



(اللوحة الثانية - شكل ١٧)

(مجموعة أهم الحفريات في صخور حطب الحياة الوسطى بالقنار المصري)

- (أسماء الحفريات المبينة باللوحة الثانية حسب الأرقام المبينة على كل منها من ١ إلى ١٠) أ ب (٢)
 بانيت (٣) رديكونولا (٤) وبراينولا (٥) د هـ ز ح ط (٦) ص (٧) ث (٨) أوستريا (٩) ديسكا (١٠) د ب - ر ح (١١)
 (٨) أوستريا (٩) ديسكا (١٠) د ب - ر ح (١١)

ما لم تكن قد بلغت قبل ذلك من تنوع أجناسها وانتشارها وتوزعها
ويقتررون عدد أنواع الحيوانات التي عاشت في عصور الحقب الحديث بنحو ٢٠ ألف نوع أهمها تابع
للأجناس الآتية

التوموليت وهي حيوانات من فصيلة الثورامبيقرا تسكن إلى هيكلي بيرى مستدير يختلف حجمها وشكلا
من حبة العدس إلى القطعة ذات العشرين قرشا . وقد كانت استدارتها ووقتها التي جعلتها شبيهة بقطع النقد
سببا في تسميتها . فإذا قطعت نصفين رؤيت منقصة في الداخل إلى خلايا صغيرة مرتبة في صفوف حلزونية
يفصل بعضها عن بعض حواجز رقيقة (انظر شكل رقم ١ باللوحة الثالثة) وقد انصهرت حياة التوموليت
على العصر الأول من عصور هذا الحقب وتكاثرت فيه وكان من جراء تراكم عماراتها أن تكونت الأحجار
الجيرية التوموليتية ومنها أحجار جبل المقطم ومضبة أهرام الحيزة
ومن القنافذ البحرية جنس الأكينولامباس . ومن الحيوانات الرخوة السريثيوم وهي من القواقع
ذات المحارات الحلزونية المزخرفة من الخارج بأزوار وخطوط وقد بلغ بعض أنواعها حجما كبيرا . ومنها أيضا
البانوريس وكانت تتسكن المياه العذبة

ومن الحيوانات الرخوة ذات المحارات المزودة الأوستريا (شكل ٦ باللوحة الثالثة) والبكتن (شكل ٧
باللوحة الثالثة) واللوسينا (شكل ٢ باللوحة الثالثة)

وقد انتشرت الحشرات انتشارا كبيرا وذلك يرجع لانتشار النباتات الزهرة . فكان من بينها أنواع النحل
والبعوض والفل والقراش وقد حفظت حفريات بعضها بحالة جيدة جدا داخل قطع الكهرمان (الكهرمان)
الذي هو عبارة عن صمغ بعض الأشجار الصنوبرية التي كانت منتشرة في غابات ذلك الحقب
ومن الحيوانات الفقرية الأسماك وكانت تشبه الأسماك الحالية كل الشبه . والأمفيا والبرمائيات التي كان
من بينها السحالي والثعابين والسلاحف والتماسيح التي لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها في الوقت الحالي
واندثرت الطيور ذات الأسنان التي كانت قد نشأت في أواخر العصور الوسطى وأخذت مكانها أنواع لأسنان
لها تشبه الطيور الحالية

أما الحيوانات الثديية فقد بلغت أقصى حدود السكالك في ذلك الحقب وتفاوتت على باقي أنواع الحياة جميعا
ومن الهياكل العظمية التي وجدت مدفونة في باطن صخور ذلك الحقب أمكن تتبع الحلقات المختلفة في
نشوء بعض الأجناس التي تعيش على الأرض الآن

فالليل مثلا نشأ في العصور الأولى من ذلك الحقب من جنس للستودون وهو حيوان بلغ طوله (٥) ونصف من
الأمتار وارتفاعه ٤ أمتار وله مابان في كل من الفك الأعلى والأسفل (انظر شكل ١٨ أي اللوحة الثالثة) في
الصحيفة التالية





(شكل ١٨ - اللوحة الثالثة)

(مجموعة أهم الحفريات في صخور حقبة الحياة الحديثة بالقطر المصري)

(أسماء الحفريات المبينة باللوحة الثالثة حسب الأرقام المبينة أمام كل منها هي (١) نوموليت (٢) لوسينا (٣) ناتيكالونجا (٤) سرطان بحري (٥) فاكهة متحجرة (٦) أوستريا (٧) بكتن (٨) سن الخوت (٩) ورقة شجر (١٠) كليبياسد)

﴿ الفصل السابع في العصر الحجري القديم ﴾

اعلم أن عصر الحياة الحديثة المتقدم ذكره قسمه العلماء الى قسمين عظيمين : عصر ثلاثي وعصر رباعي وفي العصرين ظهرت أنواع من الحيوانات الرخوة وهي لا تزال حية الى الآن . وقد وجدوها ستة أنواع في أزمان مختلفة . وفي هذا العصر كانت بعض العابات المتحجرة وهي الأماكن التي تظهر على سطحها هذه الطبقات الرملية التي تحتوى على بقايا الخشب المتحجرة . وبتأثير عوامل التعرية فيها تسكنسح الرمال وتبقى الأشجار المتحجرة ملقاة على السطح . ومن أمثلتها « الغابة » المشهورة الواقعة على بضعة كيلومترات شرقى العباسية حيث ترى كثيرا من سيقان الأشجار يبلغ طول بعضها عشرين مترا . وهي محتفظة بدقيق تركيب أليافها حتى إنها تشبه الخشب في شكلها الخارجى إلا أنها مركبة من مادة سيليسية بدلا من مادتها الخشبية الأصلية . وقد استبدلت بالمادة الأصلية مادة السيليس ذرة لنفرة في مياه معدنية سيليسية كانت قد تفجرت من عيون في نهاية ذلك العصر (انظر الشكل رقم (أ) والصورة الفوتوغرافية رقم (ب) باللوحة الرابعة) (انظر شكل ١٩ وشكل ٢٠)

(اللوحة الرابعة)



(شكل ١٩) (أ) قطعة من الخشب المتحجر



(شكل ٢٠) (ب) منظر الغابة المتحجرة قرب القاهرة



إذا عرفت ما تقدم فلفظ الكلام على العصر الحجري وهو العصر الذى كان الانسان يستعمل فيه الأحجار الصلبة ليصنع منها آلاته المختلفة . ولقد كانت هذه الآلات فى أول الأمر مهذبة تهذيباً بسيطاً لا تدل على مهارة خاصة ثم تطورت الى أرقى فأرقى حتى بلغت فى النصف الأخير من هذا العصر درجة كبيرة من الاتقان . ولذلك قسم العصر الحجري الى قسمين

(١) - (العصر الحجري القديم)

وكانت فيه الآلات الحجرية بسيطة الشكل غير مصقولة ومن أمثلتها المجموعة التى ترى فى الشكل رقم ٢١

ومن الحالات التى توجد فيها هذه الآلات يتضح أن الانسان كان فى أول الأمر هامئاً على وجهه منتقلاً فى السهول والوديان باحثاً عن صيد أو هارباً من حيوان ممرض . و بعد ذلك لجأ الى سكنى الكهوف والغارات حيث ترك وراءه فيها ما كاله العظيمة وبعض آثاره من آلات حجرية

ولقد بلغ بعض ساكنى هذه الكهوف مبلغاً عظيماً من العلم فتركوا على جدرانها رسوماً متقنة تمثل ما كان يعاصروهم من أنواع الحيوانات البائدة كاللحوت وبعض أنواع الفزال

ومن آثار هذه الكهوف يظهر أن الانسان كان فى تلك الصور النائية قد نفقه قائمة النار فى الطهى والطعام والتدفئة . كذلك كان قد بدأ يستفيد مما عاصره من حيوانات فكان يصنع من أنياب الفيلة ومن قرون الفزال سكاكين ورموساً للرمح الى غير ذلك من آلات بسيطة الصنع

(شكل ٢١)

(٢) - (الفصل الثامن . فى العصر الحجري الحديث ومعه عصر البرنز)

تمتاز آلات الانسان فى ذلك العهد بصقلها ورقتها ودقة صنعها واختلاف أشكالها . فكان من أدواته الرماح والسهام والبلط (انظر شكل ٢٢)



(شكل ٢٢ - مجموعة من الآلات من حجر العذولان - العصر الحديث - من إحدى المجموعات)

واستمر هذا الاهتمام بأمور التعدين طول عصر قدماء المصريين حتى عهد الرومان . ثم تولاها كاتولي باقى مرافق الدولة خول تام لم تبق منه إلا فى هصور متقطعة إبان الحكم العربى الاسلامى
 فلما أن تبوأ عرش مصر ساكن الجبان محمد على باشا مشى الأسرة العلوية الكريمة فقه بثاقف بصره أن للمعادن هى أساس الصناعات جميعا ، فوجه عناية خاصة للبحث عنها ونذب من علماء الأوروبيين من جابوا الصحارى المصرية باحثين مقيمين . على أن المية عاجلة قبل أن يتم جهوده الفكرة التى كان يرجوها ولم يضع مجهوده سدى . فانتجت الأنظار بعد ذلك إلى مسائل التعدين فى مصر ومابدأ القرن الأخير حتى كانت جهود قيمة تبذل فى سبيل البحث عن المعادن بالصحارى المصرية . فأعيد فتح مناجم الذهب القديمة واستمر استغلال بعضها سنين عديدة ، وكشفت مولود القوسفات والبترول والمخجنز وبلغ استغلال بعضها شأنا لا يستهان به . وسقتصر هنا الكلام عن أهم المعادن على حسب ترتيب أهميتها

(زيت البترول)

أول ما دل على وجود البترول بالأراضى المصرية ما كان يز من منذ القدم على سطح الماء عند سفح جبل ائزيت على شاطئ خليج السويس . وكان هذا الز سببا فى تسمية الجبل بهذا الاسم
 ثم كسفت بعد ذلك عام ١٨٨٥ بمنطقة المشنة (جسا) فى مقاربات كانت قد فتحت قرب الشاطئ . لاستخراج معدن الكبريت . فأدّى ذلك الى البدء فى عمليات البحث التى لم تتر قبل عام ١٩١٠ . ومن ذلك الوقت بدأ استغلال منطقة جسا كحقول بترول واستمر استغلالها حتى عام ١٩٢٧ حيث نصب أغلب آبارها فأهمتها الشركة التى كانت تستغلها (أنظر صورة أحد آبار جسا رقم ب باللوحة الخامسة فى الصفحة التالية) وفى عام ١٩١٤ كسفت الشركة نفسها منطقة العردقة التى تعد ٦٠ كيلو مترا جنوب جسا ، وقد تقدمت العردقة تدريجيا حتى بلغت الآن درجة كبيرة من الإنتاج وأصبحت المورد الأكبر لزيت البترول ومستخرجاته بالقطر المصرى (الصورة (١) باللوحة الخامسة فى الصفحة التالية) . وسنورد بعض الأرقام للدلالة على أهمية كل من هذين المكانين

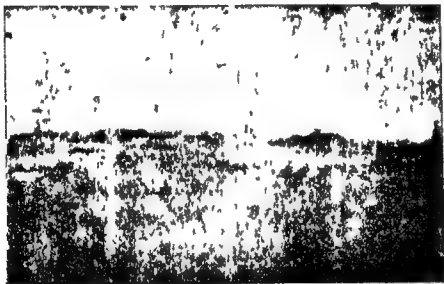
(جسا)

بلغ مجموع آبارها	٣٤ بئرا
عدد الآبار المنتجة	١٠ آبار فقط
متوسط عمقها	٤٠٠ متر
ومجموع ما أنتجته من البترول من وقت ابتدائها حتى أعلنت ١٨٢٤٨٨ طنا وكان البترول الذى أنتجته آبار جسا من نوع جيد غنى بالمواد الحفيمية كما استدلت من الأرقام الآتية	
قوة اللوى	٨٢٧ ر .
نسبة النرين	٢٨ فى المائة
نسبة الكيروسين	٣٣ فى المائة
نسبة الماروب	٤٠ فى المائة

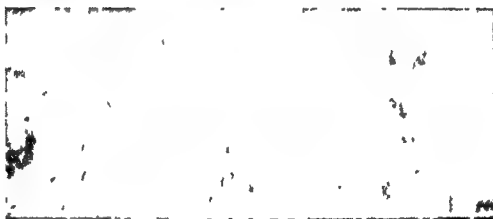
(العردقة)

بلغ مجموع آبارها	٨٢ بئرا
عدد الآبار المنتجة	٦٩ بئرا
متوسط عمقها	٦٠٠ متر
مجموع ما أنتجته من البترول من وقت ابتدائها حتى أعلنت ١٨٢٤٨٨ طنا وكان البترول الذى أنتجته آبار جسا من نوع جيد غنى بالمواد الحفيمية كما استدلت من الأرقام الآتية	
قوة اللوى	٨٢٧ ر .
نسبة النرين	٢٨ فى المائة
نسبة الكيروسين	٣٣ فى المائة
نسبة الماروب	٤٠ فى المائة

(اللوحة الخامسة)

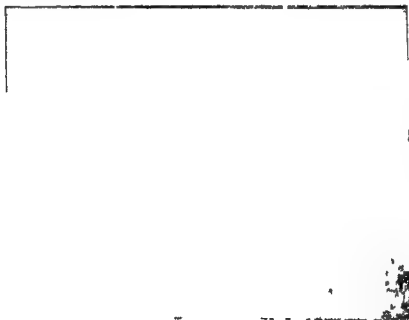


(شكل - ٢٣ (أ) منظر لجزة من حقول البترول بالعردة)

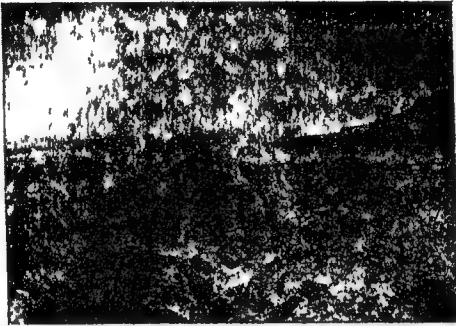


(شكل ٢٥)
(ج) أ.د. هروق للرو الحامة للذهب
بما حرم سما بالصحرَاء الشرقية

(شكل ٢٤)
(ب) بئر في أول إتحاحه يتدفق البترول من
فوهته بقوة عظيمة - جدا



(١) - منظر عام للمبني اللوسسات ذر - ساحة الصحرَاء الشرقية
(شكل ٢٦)



(شكل ٢٧)

(ب) - مطر منطقة مناجم المجير يشبه حيرة سيبا

أما نوع التبول الذي تنتجه الآبار فهو أقل جودة من نوع تبول جسا كما يستدل من المواراة بين الأرقام الآتية والأرقام التي أوردناها

التقل الوحي لبتبول العردقة	٩٢٠ ر .
نسبة النرين	٨ في المائة
نسبة الكبروسين	١٥ في المائة
نسبة الماروت	٥٧ في المائة
نسبة الأسفلت	١١ في المائة
نسبة البارامين (الجمع)	٧ في المائة
نسبة الكبريت	٢ في المائة

وتخرج هذه الربوت مخلطة بمياه مالحة محتاج اصلها منها ان عمليات حادة كما أنه تقع من الآبار غارات كثيرة يتطرقها لحاويلين وهو نوع من لدرين طيب . انتهى من كتاب الجيولوجيا للدكتور حسن صادق وهذا تم الكلام على الناطقة الأولى والحمد لله رب العالمين



﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى - كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا - وكيف بقيت اللغة العربية محفوظة مصداق قوله تعالى - لا يأتيه الظالم من بين يديه ولا من خلفه - الخ وقوله تعالى أيضا - فخرجهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ وهذه مجيزة ثالثة)

اعلم أيها السكّ أن في وصف القرآن بأنه عربي ﴿ مبحثين * للمبحث الأول ﴾ لعوى ﴿ المبحث الثاني ﴾ علمي وسياسي

﴿ المبحث الأول وهو اللعوى ﴾

جاء في كتاب « الاتقان » لعالم القرآن « في الجزء الأول صفحة ١٢٧ ما نصه :

« وأقوى ما رأيت لثبوت غير العربي في القرآن وهو احتياري ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي مبسرة الثاني الجليل . قال : « القرآن من كل لسان » . وقال قبل ذلك : وأجابوا عن قوله تعالى - قرآنا عربيا - بأن الكلمات البسيطة بغير العربية لا تخرج عن كونه عربيا ، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها لفظة فيها غير عربية . ثم قال . وروى مثله (أي مثل ما قاله أبو مبسرة) عن سعيد بن جبيرة وهو بن منه . فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبا كل شيء ، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب . ثم رأيت ابن القيم صرح بذلك فقال : « من خصائص القرآن على سائر كتب الله المدركة أنها رت لغة القوم الذين أزيلت إليهم لم ينزل فيها شيء لغة غيرهم ، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأرسل فيه لغات غيرهم من الروم والفرس والحشة شيء كثير » اهـ

وأيضا هالتي ﷺ مرسل إلى كل أمة ، وقد قال تعالى - وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه - فلا بد أن يكون في الكتاب المعصوم به من لسان كل قوم وإن كان أصله لغة قومه هو اهـ

وهذا ما ملخص لك ما جاء في ذلك الكتاب مما ورد من لغات قائل العرب المختلفة ، ثم أتبعه بما جاء فيه من لغات الأمم المختلفة ليكون ذلك ذكرى لأولى الألباب

ولقد احترت أن يكون على هيئة جدول لطيف بحيث تكتب الكلمة وأمامها معناها وأمامها في منهما اسم القبيلة ليكون ذلك أحسن وصفا وأتم صنعا وأقرب فهما وهما هذه في الصفحات التالية

الكلمة	معناها	القيسة	الكلمة	معناها	القيسة
مسطورا	مكتوبا	جبر	شاكاه	ناحيته	هذيل
السفهاء	الجهال	كنانة	رجا	ظنا	»
خاسئين	صاغرين	»	ملتجدا	ملجأ	»
شطره	تلقاه	»	يرجو	يخاف	»
لاخلاق	لانصيب	»	هضا	قصا	»
ويجلكم ماوكا	أورا	»	هامة	مغبرة	»
قيلا	عيانا	»	واقصد في مشبك	أسرع	»
مجزين	سابقين	»	الأجداث	القبور	»
يعزب	يفيب	»	ثاقب	مضيء	»
تركوا	تياوا	»	بالهم	حالم	»
نجوة	ناحية	»	يهجعون	ينامون	»
موللا	ملجأ	»	ذنوبا	عذابا	»
مبلسون	آيسون	»	دسر	المسلمير	»
دحورا	طردا	»	تقاوت	عيب	»
الخرامون	الكداون	»	أرجأها	نواحيها	»
أسفارا	كتبا	»	أطولوا	أوالا	»
كنود	كفور للتم	هذيل	بردا	نوماخيفا	»
الرش	العذاب	»	واجفة	خائفة	»
شروا	ناعوا	»	دسفة	مجاغة	»
عزموا الطلاق	هتقوا	»	المنبر	للمسرف	»
صلدا	قيا	»	قشلا	تجينا	جبر
آناه الليل	ساعاته	»	عثر	اطلع	»
فورهم	وجههم	»	سفاهة	جنون	»
مدرارا	متابعا	»	زينا	ميزا	»
فرقانا	مخرجا	»	مخرجوا	حقيرا	»
سرس	حس	»	السقابة	الاناء	»
عيلة	فاقه	»	مسون	متن	»
وليحة	بطانة	»	إمام	كتاب	»
افروا	اغزوا	»	ينغضون	يحركون	»
الساحون	الصائحون	»	حسانا	بردا	»
العت	الائم	»	من الكبرعيا	نحولا	»
بيدك	به رنت	»	خرجا	جعلا	»
غمة	شبه	»	غراما	بلاء	»
دوك الشمس	زوها	»	الصرح	اليت	»

الكلمة	معناها	القيسة	الكلمة	معناها	القيسة
أنكر الأصوات	أقبلها	حير	كلمين	مكروين	أزدشنوة
يترك	ينقصكم	»	غلين	الحار الذي	»
مدنين	محاسين	»	لواحة	قناهي حره	»
راية	شديدة	»	رفث	حراقة	منهج
ويلا	شديدا	»	مقينا	جلع	»
بجبار	بمسط	جرهم	بظلم من القول	مقتلوا	»
القطر	التحاس	»	الوصيد	بكتب	»
محشورة	مجموعة	»	حقبا	القناء	»
معلوكا	محبوسا	»	الحطوم	دهرا	»
مرض	زا	»	تسيمون	الأف	»
فباوا	استوجبوا	»	مريج	زعون	»
شفاق	ضلال	»	عفت	منتشر	خشم
خبرا	ملا	»	هاوما	مالت	»
كدأب	كأشابه	»	شعلطا	ضجورا	»
نعولوا	تملوا	»	نحلة	كذبا	»
يفنوا	يغموا	»	حرج	فريضة	قيس عيلان
شرده	نكل	»	لحاسرون	ضيق	»
أراذلنا	سفلتنا	»	قندون	مضيون	»
عصيب	شديد	»	صيامهم	تستهزون	»
لفيفا	جيما	»	نحبرون	حصونهم	»
محسورا	مقطعا	»	رجيم	تتصمون	»
حطب	جانب	»	يلتكم	ملعون	»
الخلال	السحاب	»	خذة	بنقصكم	سعد العشرة
الودق	المطر	»	كل	أختانا	»
شرذمة	عصابة	»	بغايا	عيل	»
ريج	طريق	»	بست	طرا	كلمة
ينسلون	يخرجون	»	تبثس	فتت	»
شوبا	مزجا	»	اخشوا	نحون	»
الحبك	الطرائق	»	ريون	اخزوا	عذرة
سور	الحافظ	»	دمرنا	رجال	حضر موت
لاشية	لاوضح	أزدشنوة	لقوب	أهلكنا	»
العضل	الحبس	»	منسأه	إعياه	»
أمة	سنين	»	طفقا	عصاه	»
الرس	البئر	»		عمدا	غسان

وجاء في صحيفة ١٣٦ من الجزء الأول من كتاب
الاقان للذكور أيضا ما نصه :

وقال أبو بكر الواسطي في كتابه الإرشاد في القراءات
العشر : في القرآن من اللغات خسون لغة ، منها لغة قرش
وهي بل وكثانة وخشم والتخزج وأشعر ونمير وقيس
عيلان وجهم واليمن وأزدشنوة وكندة وتميم وحير
ومدين ونظم وسعد العنبرة وحضرموت وسدوس
والصامقة وأمار وعسان ومسح وخزاعة وخطفان
وسبأ وعمان وبنوحيفة ولعل وطهي وعامر بن
صمصمة وأوس وعزينة وثيف وجذام وبل وعذرة
وهوازن والفهر والجمامة

وفيه من غير العربية الفرس والروم والنبط والحباشة
والبربر والسريانية والعبرانية ولقب ، ثم ذكر في أمثلة
ذلك غالب ما تقدم عن أبي القاسم وزاد الرجز المذاب
بلغة بل طائف من الشيطان نحسة بلغة ثيف الأخف
الرمال بلغة لعل . وقال ابن الجوزي في فنون الأفتان
في القرآن بلغة هيمان الريحان الزرق والبيضاء البيضاء
والعقري الطنافس ، وبلغة عامر بن مصصة الحفدة
الخدم ، وبلغة ثيف العول الليل ، وبلغة عك الصور
القرن . وقال ابن عبد البر في الفهيد : قول من قال
نزل بلغة قرش معناه عندي الأغلب . انتهى

ثم ذكر في صحيفة ١٣٨ وما بعدها الألفاظ الواردة
من كلام غير العرب مرتبة على حروف المهم وهذا نصها

الكلمة	معناها	القبيصة
بئس	شديد	فسان
سوى	كرهم	»
لا تملوا	لا تزيدوا	مزينة
إملاق	جوع	نظم
ولتلقن	ولتقرن	»
جاسوا خلال	تخلوا الأزقة	»
الديار		
العقود	العهود	بنو حنيفة
الجناح	اليد	»
الرهب	الفرع	»
حصرت	ضائق	الجمامة
تملوا ميلا عظيما	تخطئون خطأ بينا	سبأ
تبرنا	أهلكنا	»
نكص	رجع	سلم
الصاعقة	الموت	عمان
ينق	يسبح	طهي
رغدا	خبا	»
سفه فسه	خسرها	»
يس	يا انسان	»
أقيضوا	أقروا	خزاعة
الافضاء	الجماع	»
خيالا	غيا	عمان
نفقا	سريا	عمان
حيث أصاب	أراد	عمان
بمدامة	نسيان	تميم
بفيا	حدا	»
طائره	عمله	أمار
أعطش	أظم	»
لأحكن	لأستأمن	الأشعر بنون
نارة	مرقة	»
اشمأزت	مالت وقمرت	»
لينة	نحلة	الأوس
ينفضوا	ينهبوا	التخزج
فافرق	فاقص	مدين

الكلمة	معناها	الأمة
أبارق	طريق الماء أو صب	فارسية
أبا	لله على هيئة	عربية
أبلى	الحشيش	عربية
أسباط	أزوديه	حبشية
إستبرق	قبائل	لغة بني يعقوب
أسفرا	الديباج العليظ	وهي العبرية
أصرى	الكتب	الهمج
أكرا	عهدي	السريانية والنبطية
	أكواز	النبطية
		»

الكلمة	معناها	الأمة	الكلمة	معناها	الأمة
أليم	موجع	زنجية أو عبرانية	زججيل	هوفارسى	الحبشة
إناء	فضجه	أهل المغرب	السجل	الرحل	الحبشة
أواه	موقن أو الرحيم	(البربر)	د	الكتاب	فارسي معرب
أوب	مسح	الحبشة	سجبل	أولها حجارة	الفارسية
الجاهلية الأولى	الأسخرة	الحبشة	سجين	وأخرها طين	البحرية
		القبضية (فمندهم)	سرادق	هو غير عربى	الفارسية
		الأولى أخسرة	سريا	الدهليز والدار	السريانية
		وبالعكس)	سفرة	نهر	النبطية
بطاقتها	ظواهرها	قبضية	سفر	القراء	البحرية
كيل بدير	كيل حار	عبرية	سجدا	مقنى الريموس	هي أجمية
بيع	الصكنائس	فارسيان معربان	سكرا	الحل	الفارسية
تنور	هوفارسى معرب	هوفارسى معرب	سلسيل	الحل	الحبشة
تغييرا	هي بالنبطية	هي بالنبطية	سندس	الديباج	هو أجمي
من تحتها	من بطها	النبطية	سيدما	الديباج	الفارسية والهندية
الجبت	لنيطان أو الساحر	الحبشة	سبنين	زوجها	القبضية
جهنم	أصلها كهنم	فارسية أو عبرانية	سيناء	الحسن	الحبشة
حرم	الحبشة	وجب	شطر	د	النبطية
حصب جهنم	حطب جهنم	الزنجية	شهر	تلقاء	الحبشة
وقولوا حلة	وقولوا صوايا	العبرية	الصراط	الطريق	هي كلمة سريانية
الحواريون	الصالون أصله	النبطية	صرهق	شققهن	الروم
حويا	حوارى	الحبشة	صاوات	كنائس اليهود	النبطية
ديبار	إنما	هوفارسى	طه	وأصله (صاوات)	العبرانية
راعما	بلسان اليهود	بلسان اليهود	طه	هو كقولك يا محمد	الحبشة
ربانيون	هي عبرانية أو	هي عبرانية أو	طه	يارجل	النبطية
	سريانية	سريانية	طه	يارجل	الحبشة أيضا
ريون	سريانية	سريانية	الطاغوب	الكاهن	الحبشة
الرجن	عبرانية أصله رجن	عبرانية أصله رجن	طقفا	قصدا	الرومية
الرس	أجمي	أجمي	طوبى	الجنة	الحبشة والهندية
الرقيم	ازرومية	ازرومية	طور	الحل	السريانية
رمزا	العبرية	العبرية	طوى	ليلا معرب أو هو رجل	بالعبرية
رهوا	النبطية	النبطية	عبت	قلت	النبطية
رهرا	السريانية	السريانية	حذت عدن	جنات الكروم	السريانية
الروم	فهذا الجليل من الداس	فهذا الجليل من الداس	والأعنان	والأعنان	

الكلمة	معناها	القيلة	الكلمة	معناها	القيلة
العرم	المساة التي	الحبشة	كملين	صغفين	الحبشية
غلق	تجمع للماء	التركية	كقورت	غورت	الفارسية
فيض	قص	الحبشة	مقاليد	مفاتيح	الفارسية
فردوس	بستان	الرومية	مرفوم	مكتوب	العبرية
»	فرداسا	النبطية	مزجاة	قليلة	الحجم أو القبط
قوم	سطه	العبرية	ملكوت	ملك	النبطية (ملكوتا)
قراطيس	معروف	غير عربي	مناص	فرار	القبطية
اقسطاس	العدل	الرومية	مهل	عكازات	أهل المغرب
القصور	الأسد	الحبشة	ماشت الخيل	قيام الليل	الحبشة
قطنا (عشيد)	كتابنا	النبطية أو	ن	أسع ماشدات	الفارسية
(الطاه)		الفارسية معربة	هدنا	وأصله (اون)	
قطار	١٢ ألف أوقية	ريمنية أو يانية	هودا	تبتا	العبرانية
		دبرية	هوا	اليهود	الأعجمية
الفيوم	هو الذي لا ينام	السريانية	وزر	حكا	السريانية
كافور	معروف	معرب	بحور	الحبل واللجأ	النبطية
كفر عنا	لمع عنا	النبطية	يصهر	يرجع	الحبشة
				ينضج	العبرية

قال المؤلف : هذا ما وقفت عليه من الألفاظ العربية في القرآن بعد المحصن الشديد سنين ولم يجتمع قبل في كتاب قبل هذا . وقد نظم القاضي ناج الدين بن السبكي منها سبعة وعشرين لفظاً في أبيات ، وذيل عليها الخافظ أبو الفضل ابن حجر بأبيات فيها أربعة وعشرون لفظاً وذيات عليهما بالباقي وهو بضع وستون فتمت أكثر من مائة لفظة . فقال ابن السبكي :

السلييل وله كقورت بيع * روم وطوبى وسجبل وكافور
والزنجبل وشكاة سرادق مع * استبرق صلات سنن طور
كذا قراطيس ربانهم وغسا * ق ثم دينار اقسطاس مشهور
كذلك قصورة وألم ناشئة * ويؤت كفلين مذكور ومسطور
له مقاليد فردوس يعد كذا * فيما حكى ابن دريد منه تنور

وقال ابن حجر

وزدت حرم ومهل والسجل كذا السرى والأب ثم الجيت مذكور
وقطنا وإناه ثم مشكنا * دارت يصهره فهو مهور
وهيت والسكر والأواه مع خصب * وأؤتى معه والطاغوت مسطور
صره ناصري وغيش الماء مع وزر * ثم الرقيم مناص والسنا الثور

وقلت أيضاً :

وزدت بس والرجن مع ملكو * ت ثم سنين شطر الليث مشهور

ثم الصراط ودرى يحور ومر * جان أليم مع القنطار مذكور
وراعنا طفا اهدنا ابلي ووراء * والأرائك والأكواب مأثور
هود وقسط وكفر زمرة سقر * هون يستون والمنسة مسطور
شهر مجوس واقفال يهود حوا * ربون ككز وسجين وتغير
بعير أزر وحب وردة عرم * آل ومن تحتها عبست والصور
ولينه قومها رهو واخذ مز * جاء وسيدها القيوم موفور
وقل ثم اسفار عنى كتبنا * وسجدا عم ربيون تمكبر
وحطة وطوى والزس نون كذا * عدن ومنظر الأسباط مذكور
مسك ألبريق ياقوت رويو فنا * ماقت من عدد الألفاظ محصور
وبضهم عد الأولى مع بطائنها * والآخرة لمعانى الضد مقصور

هذا ما أردته من كتاب « الاتقان في علوم القرآن » وبهذا تم الكلام على البحث الأول في اللطيفة الثانية والحمد لله رب العالمين

﴿ البحث الثاني ﴾

في اللطيفة الثانية وهو العلمى والسياسى فى قوله تعالى - كتاب فصلت آياته قرآنا عريا لقوم يعلمون - وصف الله القرآن بأنه عربى ، ولا جرم أن هذا الوصف لا يحتاج إلى حد ذاته إلى بيان أو تصريح لأن النبي ﷺ عربى والسامعون له عرب ، فهو معروف بدهاة ، إذن ذكر هذا الوصف قد جرى به لغرض سام وحكمة تظهر للأمم جيلا بعد جيل . ولقد ظهرت بعض آثار ذلك فى أيماننا هذه . ياسبحان الله : إن لغات آثارا عجيبة فى أحوال الأمم وتطورها وترقيتها من حال إلى حال

(١) فلا ذكر لك أولا اللغة اللاتينية ، وكيف كان لها السيادة فى القرون الأولى بالدول الغربية ، ثم تلها لغات أخرى وحلت محلها كما يقوم الابن مقام أبيه ويرث ما علكه

(٢) ثم أتبع ذلك بذكر دولة حورابى وهى السولة البابلية الأولى من سنة ٢٤٦٠ ق.م إلى سنة ٢٠٨١ ق.م وكيف اقتبست القلم السارى القديم على عهد السومريين الذى كان شكله أشبه بشكل الكتابة الهيروغليفية (المصرية القديمة) وكيف استخدموا اللغة السومرية فى المكتابات ، ثم تركوا اللغة وأبقوا الخط ، ثم تغيرت هيئة الخط

(٣) ثم أتفى بذكر اللغة العربية قبيل الاسلام ، وكيف كان خطها النبطى والرق بين ذلك الخط والخط السارى وبينهما نحو ثلاثة آلاف سنة

(٤) ثم أتبع ذلك بالنسبة بين هذا الخط النبطى واللغة العربية إذ ذاك فى القرن الرابع بعد الميلاد وبين ما حدث من التغير فيما أيام البعثة المحمدية

(٥) ثم أذكر بعد ذلك كيف نسخت اللغة العربية لغات الأمم التى حلت بها فى مصر والشام والعراق

(٦) ثم أتبع ذلك بما هو المقصود فى تفسير هذه الآية من هذا الموضوع كله ، وهو أن اللغة العربية سعرا حللا وبفضل القرآن دامت قرونا ، أى نيفا و١٣ قرنا ولغة القرآن لم تتغير استبقاء لوصف القرآن بالعربية ، حتى أن هذه اللغة كلما حاولت السهور والقرون تضييعها على ألسنة العامة على مقتضى قانون التطور العام ، أت أن تفارق اللغة الفصحى واجتذبت أهل الأقطار العربية والعجمية المسلمة إلى تلك اللغة فأصبحت كهروا به تصل ما بين أم وأم فى عصرنا الحاضر ، وهل أعجب من أن ترى الصورة الشمسية لسورة الفاتحة وقل

هو الله أحد مكتوبتين باللغة الصينية في قس بلاد الصين واللغة العربية بالخط العربي مصداقاً لقوله تعالى هنا - قرأنا عربياً - ولقوله تعالى أيضاً - إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون -

فهنا إذن (ستة فصول) لفصل الأول (في مقدمة هذا المقام بذكر اللغة اللاتينية وكيف عجت مع أنها كانت لغة الدين والسياسة (الفصل الثاني) في عرب الجاهلية الأولى وهي دولة جوراني فيما بين النهرين (الفصل الثالث) في اللغة العربية قبل الإسلام وكيف كان خطها النبطي (الفصل الرابع) في النسبة بين هذا الخط النبطي وبين الخط واللغة العربية أيام البعثة المحمدية (الفصل الخامس) في أن اللغة العربية نسخت لغات الأمم المصرية والسورية والعراقية (الفصل السادس) في المقصود من هذا كله في تفسير هذه الآية وهو أن بقاء اللغة العربية محفوظة إلى الآن في بلاد العرب وأوروبا والصين من أكبر المجهزات

(الفصل الأول)

(في مقدمة هذا المقام بذكر اللغة اللاتينية ومطراً عليها تمهيداً لما سند كرم من اللغة العربية ومطراً

عليها تبيننا لمجهزات القرآن)

اعلم أن الدولة الرومانية كانت صاحبة السلطان في جنوبي وغربي أوروبا فكانت حضارتها ولغتها ودينها وعاداتها وقوانينها ساريات في تلك الأمم

ومن عادات الله في الأمم أنها إذا استفحلت وكل عماراتها وعظم شأنها أخذت ترجع القهقري كما يكون ذلك في الإنسان والحيوان والنبات - وتلك الأيام ندأولها بين الناس - . وقيل « مصائب قوم عند قوم فوائد » فكان الرومان كلما ازدادوا في رفهم اقتربت منهم الأمم المتوحشة حولهم وهم سكان سواحل البلطيق وأودية الطونة والرين الذين كانوا في شمال وشرق الدولة . ومازال أولئك المتوحشون يتربصون بتلك الدولة السواثر ويشنون الغارات تلو الغارات إلى أن كانت سنة ٤٧٦ ميلادية لم تمكن ادوكر (وهو قائد من قواد القبائل الألمانية الذين بوصفون بالمتوحشين) من إزالة سلطان (ريمولس) آخر أمبراطور للدولة الرومانية الغربية وجعل نفسه حاكماً لرومه . وهذه الدولة الغربية غير الدولة الشرقية التي كانت عاصمتها القسطنطينية ثم احتلها الترك بدمقرون . فلما زالت المملكة الرومانية الغربية انتشرت الفوضى والهرج والمرج والفساد لأن هؤلاء قوم لا قوانين لهم ولا نظام ، فأهملت الطرق وجهلت التجارة والصناعة والزراعة ، وهناك أصبح الناس هناك جماعات كل جماعة لهم رئيس يجمعهم إصدوا عنهم جبراهم ، وأصبح هناك نظام معروف باسم (نظام الاقطاع) وهو المهود في تاريخ العصور الوسطى

ومثل الألمان في الاغارة على تلك الدولة أهل فرنسا وقد عظم شأنها حيناً من العصر أيام شارلمان سنة ٧٦٨ إلى سنة ٨١٤ وسُميت إذ ذاك بالدولة الرومانية . والذي يهمني في هذا المقام هو اللغة اللاتينية التي هي لغة الكتابة بين العلماء ثم انحصرت بين رجال الكنيسة ، وذلك أن هناك لهجات أخرى مؤسست على اللاتينية في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا ولهجات أخرى مناسبة لها في شمالي أوروبا ترجع إلى الأصل التيوتوني . وفي آخر العصور الوسطى قد ابتدأ أولئك الأقوام يتغنون بلغاتهم وإن لم تكن مكتوبة ، فغنى قوم من فرنسا باللغة الفرنسية التيمالية ، وجماعة من ألمانيا بالألمانية ، وظهر (داتش) فألقب كتابه المسمى « الكوميديا الالهية » باللغة الطليانية . وكتب شوسر الانجليزى حكايات كتربرى باللغة الانجليزية الكسونية القديمة . وظهرت في اسبانيا أشود السد اللغة الاسبانية ، فهالك تكونت أصول اللغات الأوروبية الجديدة ، وظهر أثر ذلك في ترقية معارف تلك الشعوب ، ذلك لأن أكثرهم يحملون اللغة اللاتينية التي كانت وحدها لغة العلم ، فلما

ألفت الكتب باللغات التي يعرفونها اتسعت مداركهم وامتدّت عقولهم ، وساعد على ذلك أمرهم : الأمر الأول الحروب الصليبية التي بها اختلط القوم بالمسلمين وحاولوا كتبهم وعلمهم ، فلما رجعوا غيروا أساليب حياتهم وعرفوا الحقائق وتعلموا الصناعات الكثيرة ، وهذا التفسير قد تضمّ فيه هذا موضحاً في سور كثيرة . الأمر الثاني سقوط الدولة الرومانية الشرقية سنة ١٤٥٧ باستيلاء الدولة العثمانية عليها ، فقد كانت تلك العاصمة حافلة بالعلماء ، فلما أسسوا بدت العثمانيون رحلوا منها ومعهم الكتب الاغريقية العظيمة في الفنون المختلفة التي كانت تجهلها أوروبا ودخلوا المدن الايطالية فزاروها وأسأدت في مدارسهم وجامعاتهم ، وهذه أهم الأسباب في نهضة إيطاليا ومنها انتشرت في أنحاء أوروبا ، وهناك سبب ثالث لا ينقص عنهما أهمية وهو أن الأندلس كان سقوطها في نفس ذلك القرن ، وأنت أيها القارئ ربما قرأت في مواضع كثيرة من هذا التفسير أن ابن رشد لما نفى تفرّق تلاميذه اليهود في أوروبا ورحبت بهم ألمانيا وترجموا كتبه باللاتينية والعبرية وغيرها ، وأيضاً قد كان بعض بابوات روم كما تقدّم قد تعلّم في الأندلس ، وبعض علماء الانجيز قبل ذلك التخرج تعلموا العلوم الرياضية وترجموا كتباً من بلاد الأندلس ومصر

باللهج : إذن هذا القرآن الموصوف بأنه بلسان عربيّ هو السبب الحقيقي في نهضة أوروبا الحديثة . ذلك لأن الأندلسيين المسلمين لم يديفهم والحروب الصليبية ثم أترك المسلمون التابعون لهذا الدين الذي نزل باللغة العربية هم ثلاثة الأثافي . إذن أول النهضة الأوروبية وآخوها هو القرآن العربيّ . وهذا من أسرار وصف القرآن بأنه عربيّ . وقد ثبت بهذه اللغة ولم يتغير تبعاً للتغير المستمر في جميع اللغات من قرن لآخر كما يأتي فالك سترى أن اللغة العربية في مدة ثلاث قرون قد تغيرت ألفاظها واختلفت كتابتها اختلافاً بينا ، وهذا القرآن العربيّ لم يتغير لعلّه مخالفاً في ذلك كل لغة كاللاتينية التي حلت محلّها ألسنة أخرى مبنية عليها ولغات أخرى لاصلة بينها وبينها ، وهذا من أسرار ذكر الوصف بأنه قرآن عربيّ ، فلهذا اللاتين لمة دينية ومع ذلك تغيرت ولغة العرب لم يتغير ولو تغيرت زال هذا الدين ثم ان العداوة بين أهل دين غيرهم كانت سبباً في طرد جماعة من القسطنطينية وآخرين من الأندلس ، كان كل ذلك سبب انتشار العلم والنهضة الحديثة ، ولو تغيرت اللغة العربية كغيرها لانمحى الدين ولم يظهر فيلسوف كان رشد ، ولا ملك يهاجم النصرانية كحمداً للعالم ، ولا ملك يدافع النصرانية كصلاح الدين أيام الحروب الصليبية ، والترك ساهم عربيّ ومع ذلك تأثروا بذلك اللسان العربيّ ، وبهذا كله كانت هذه النهضة الحديثة

ومن آثار هذه النهضة الثلاثية في أوروبا بفضل القرآن العربيّ أن التعليم في تلك الأقطار كان مقصوراً على علوم الدين والقانون الروماني وقانون الكنيسة وفلسفة أرسطاطليس ، ماذا جرى ؟ (أولاً) قامت مناظرة بين العلماء أشهرها المناظرة التي بين (بطرس ايلارد) وبين (الآب برنارد) فالأول يقول بأن الناس يسبرون بمقتضى عقولهم ولا يقتصرون على القوانين الدينية ، والآخر كان ينصر للكنيسة ويحكمها في كل شيء

(ثانياً) ان الكنيسة قوّت (برنارد) ونصرته وخذلت (ايلارد) وحققت تعاليمه ومع ذلك قامت جامعة باريس على أثر هذه المناظرة ثم تلتها سالون وبولونيا في إيطاليا ثم أكسفورد في إنجلترا (ثالثاً) ظهر هناك العلماء مثل (توماس اكرناس) وهو من ذوي الاشكار والعبقرية ، ومثل (روجر بيكن) صاحب النظرية المشهورة وهي البحث العلمي واستنباط القواعد الطبيعية من المشاهدات

في ما جدى ما تقدّم

ان النهضة التي قامت بأوروبا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ترجع للحضارة العربية الآتية من الأندلس ومن آثار الحروب الصليبية وآثار علماء القسطنطينية العرب من اترك ، وكل هذا ينطوي تحت هذه الآية

— كتاب فسات آياته قرآنا عربيا — ونشأ عن ذلك :

(الرقّ السيامي)

كان البابا والامبراطور لهما السيادة ولا رادّ لتضامهما فهذا له سيادة الدين وهذا له سيادة السياسة في جميع العالم المسيحي لأن هذه الأمم كانت تخضع لحكم (الاقطاعات) في الممالك المختلفة وكانت السلطات منشعة في أيدي أمراء مختلفين وكل أمير مقاطعة يناوئ الآخر ويعاربه في تلك القرون الوسطى أي التي بين سقوط الدولة الرومانية الغربية وبين سقوط الدولة الرومانية الشرقية المتقدم الكلام عليهما وذلك في مدة نحو أربعمئة كاهو واضح ، ولكن العقول متى تحركت نشطت الأجسام وهبت من رقادها وقامت من نومتها وقضت غبار نومها ، فترى أحد هؤلاء الأمراء يقوى ويشتدّ ازره ويقلب الآخر حتى ظهرت روح القومية ودبّ حب الاستقلال التام في الهاخل والخارج

(أ) فظهرت في فرنسا أسرة (هيوكايت)

(ب) وفي انكلترا أسرة (الترمدين) و (الايغن)

(ج) وفي اسبانيا أسرتان وهما (قشتاله) و (ارغونه)

(د) وقامت أسرة (هنتوفن) وأرادت تكوين مملكة قومية في (ألمانيا) في القرن الثالث عشر فعارضها البابا

(هـ) وقلم الوطني (ريزي) في منتصف القرن الرابع عشر وحلول تحوير إيطاليا وتوحيدها

(و) وظهر «كتاب الأمير» وهو كتاب وضعه (مكيافلي) وهو كتاب سياسي من أهل فلورنسه شرح فيه أعمال الملوك ، وبين أن الأمير الذي يحفظ كيانه دولته لا بد أن يخالف القنعة والضمير والمروءة والانسانية والدين في بعض الأوقات ، هنالك أخذ للملوك يقاومون نفوذ البابا الذي كان إذ ذاك له النفوذ السياسي والديني

إذن مبدأ نهضة القوم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ولكنهم اعتبروها ابتدأت في القرن الخامس عشر حينما ظهرت علوم وأديان قديمة يونانية ورومانية أكلت مجاهلهم من الأدلس العربي وعلماء القسطنطينية وإلى هنا تمّ الكلام على الفصل الأول والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في عرب الجاهلية الأولى وهم دولة جوراني فيما بين النهرين)

جاء في كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » تحت العنوان التالي مائه

﴿ العرب البائدة ﴾

(أو عرب الشمال في الطور الأول)

يقول العرب ان هذه الطبقة تشتمل على عاد وثمود والعمالة وطسم وجديس وأميم وجوهم وحضرموت ومن ينتمي اليهم ويسمونهم العرب العاربة وانهم من أبناء سام . قال ابن خلدون « وكان لهذه الأمم ملوك ودول في جزيرة العرب وامتد ملكهم فيها الى الشام ومصر في شعوب منهم ويقال انهم انتقلوا الى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام فكنوا جزيرة العرب بادية محيمين . ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وأطام

وقصور الى أن غلب عليهم بنو عرب بن قحطان» (١) وقال في مكان آخر «إن قوم عاد والعمالة ملكوا العراق» (٢)

وإذا تدبرت ما نقله العرب عن القبائل البائدة رأيتمهم يسمونهم الى قسمين العماليق من نسل لاوذ بن سام وسائر القبائل البائدة من نسل ارم بن سام (٣) . قال ابن خلدون «كان يقال عاد ارم فلما هلكوا قيل نود ارم فلما هلكوا قيل نود ارم فلما هلكوا قيل سائر ولد ارم ارمان» (٤)

فالعرب يسمون العرب البائدة ساميين من نسل ارم . أى آراميين الا العمالة فيقولون انهم من نسل لاوذ بن سام أخى ارم ويقولون انهم ملكوا العراق «بابل» ثم نزحوا منها الى جزيرة العرب . فهذا القول على اختصاره يوافق خلاصة ما وصلنا اليه بعد النظر فيما كتشفه العلماء في بابل واشور من النقوش أو قراؤه في كتب اليونان وغيرهم

ثم ذكر العمالة الذين فتحوا مصر وكانوا شمالي الحجاز مما يلي جزيرة سيناء ، وأن النساين ينسبون العرب البائدة الى (ارم) والعماليق الى أخيه (لاوذ) . والذى بهم في هذا المقام ذكره دولة جورابى أو الدولة البابلية الأولى . وسنورد هنا نبذة من تاريخها . وهالك نصها :

(تملن دولة جورابى أو الدولة البابلية الأولى)

(من سنة ٢٤٦٠ ق.م الى سنة ٢٠٨١ ق.م)

إذ استولى سلموبابى أولاً على شمالي بابل نحو سنة ٢٤٦٠ ق.م وكان الجنوب في حوزة العلاميين ، وأخذ الملك يقتل من ملك الى ملك ، وكان السادس منهم جورابى ، وهو الذى أخضع دولة العلاميين ، واستمر في الفتح الى البحر الأبيض المتوسط . ولقى يهنا في تفسير الآبة أن تذكر مدينة تلك الدولة ومن أين اقتبسها ، وما قلها الذى كانت تكتب به لإيضاح تفسير الآبة فنقول ومن الله التوفيق

كان السومريون قبل هذه العولة قد اتخذوا ديناً ووضعوا شريعة واخترعوا كتابة ولهم لغة خاصة . فلما غلبهم الجورابيون اقتبسوا تمدنهم ونظاماتهم كفضل العرب المسلمون بعدهم بدولة الفرس . وكان الجورابيون في أول دولتهم يستخدمون اللغة السومرية في المكاتبات ثم أمهلوها بالتدريج حتى ذهبت وذهب معها العنصر السومرى . وبقى العنصر السامى كما قلب العنصر العربى بمصر والشلم بعد الاسلام بتقلب اللغة العربية . ولكن الجورابيين استبقوا الخط السومرى وهو القلم المسارى لانهم استخدموه في تدوين لسانهم وزادوا فيه أحرفاً لم تكن في السومرية (انظر شكل ٢٨)



(شكل - ٢٨)

(القلم المسارى القديم على عهد السومريين لا يزال شكله سوريا)

وكان القلم المذكور في أصل وضعه سوريا مثل الهيروغليف المصرى كما ترى في شكل ٢٨ . ثم تنوع شكله بالاستعمال وباستخدام المسامير في طبعه على الطين فصار على هذه الصورة (انظر شكل ٢٩)

- | | | |
|----------------------|----------------------|-------------------|
| (١) ابن خلدون ١٨ ج ٢ | (٢) ابن خلدون ٥٩ ج ٢ | (٣) حجة ١٢٢ و ١٢٨ |
| (٤) ابن خلدون ٧١ ج ٢ | | |

أما المسحوت فأهمها الأقلام التي كانت شائعة قبلهم في العراق وطرس والشام ومصر وهي الفهلوى والكلداني والقطبي وغيرها ونشروا قلماً جاورهم كان يستخدمه عرب مشارف الشام وأعلى الحجاز هو الحرف النبطي وتكيف بتوالي الأجيال حتى صار إلى الحرف العربي المعروف وعم العالم الاسلامي العربي وغير العربي

أما تمدن السومريين فأقنيسه الجورايون ورقوه وزادوا فيه كما فعل المسعون بتمدن الروم والقرس وأكثرهم عنابة في ذلك حوراني فانه جمع الشرائع ونظمها وبريها معرفت باسمه وقدرتها في ٢٨٢ مادة وجدوا نسخة منها سنة ١٩٠١ في بلاد السوس منقوشة بالحرف المساري على مسلة من الحجر الأسود الصلب طولها سبعة أقدام وتدل تلك الترسية على تقدم تلك الأمة في سلم الاجتماع إلى أرقى ما بلغت اليه تلك العصور ولا سيما في شروط الزواج والطلاق والتبني والارث . انتهى الكلام على الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث والرابع ﴾

(في اللغة العربية قبيل الاسلام وكيف كان خطها السطى وفي النسبة بين خطها النبطي ولهجتها وبين خطها ولهجتها في أيام البعثة المحمدية)

جاء في كتاب آداب اللغة العربية تحت العنوان التالي مانصه

﴿ العصر الجاهلي قبيل الاسلام ﴾

(من القرن الخامس لليلاد إلى ظهور الاسلام)

ان الحكم على ما تقدم من أحوال الجاهلية الأولى منى على الخدس والتخمين لاستغراقه في القسم وضياح اخبار تلك الجزيرة بجمادى الأيام . ولعلمهم اذا انشطوا للحضر والتقيب كشفوا عن حقيقة هذه الظنون الستار

(الفرق بين لغة الجاهلية الأولى والثانية)

وفي كل حال أن عرب ذلك العهد القديم يختلفون عن عرب عصر الجاهلية الثانية قبيل الاسلام لغة ودينا وأدبا وخلقاً . فالجورايون كان أكثرهم أهل حضارة وتمدن يتوطنون المارل والمدن . وأما عرب الجاهلية الثانية فأكثرهم أهل بادية ونجع وكانت لغة الجورايين أقرب إلى الأشورية منها إلى العربية . فلفظة أيوب اذا كانت عربية فهي غير عربية مضر التي وصلت إليها من عرب قريش وسائر الحجاز . وقد يكون الفرق بينهما كثيراً جداً أكثر من الفرق بين لغة القرآن ولغة عامية مصر أو الشام الآن . لأن أهل هذين المصرين قلدوا أنفسهم بالمحاكاة حتى لعد القرآن وأصاليه . فكلمة ساقته طبعاً الشوه نحو التغيير أعادهم التقليد إلى الأصل . ولولذلك لكان الفرق بين لغة عامية والعامية الصحيح أبعد من ذلك كثيراً

فمن مقدار الفرق بين لغة مضر ولغة عمالقة العراق بالفرق الذي وجدته بين لغة عرب الشام في أوائل القرن الرابع لليلاد مما قرأته على قبر امرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة وبين لغة مضر عند ظهور الاسلام . وذلك اهم عتروا في لطلال العمارة في حوران على حجر دليه كتابة عربية بالخط النبطي عشت في أوائل القرن الرابع لليلاد أي قبل الاسلام ثلاثة قرون وهذه صورتها (انظر شكل ٣٠) في الصحيفة التالية

١. رسم كتابة عربية بخط نبطي على قبر امرئ القيس بن عمرو سنة ٣٢٨ م
 ٢. ملك الأسدين ووزرو وملكهم. وهرب منه جوعكدي وجاء
 ٣. بزجو (٢) في حبس نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه
 ٤. الشعوب ووكه لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه
 ٥. عكدي ملك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكساول بلسد ذوولمه

(شكل ٣٠)

(رسم كتابة عربية بخط نبطي على قبر امرئ القيس بن عمرو سنة ٣٢٨ م)

واليك نصها كما قرأ كل منظر على حدة

- (١) في نفس امر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج
 - (٢) وملك الأسدين ووزرو وملكهم. وهرب منه جوعكدي وجاء
 - (٣) بزجو (٢) في حبس نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه
 - (٤) الشعوب ووكه لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه
 - (٥) عكدي ملك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكساول بلسد ذوولمه
- هذا لسان عربي في تشويه صيغة ارامية يحتاج فهمها الى إيضاح وهاك تفسير هذه الكتابة باللغة العربية

الفصحى وهو

- (١) هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كله الذي شهد التاج
 - (٢) وأخضع قبيلتي أسد ووزار وملكهم وهزم من هزم الى اليوم وفاد
 - (٣) الظفر الى اسوار نجران مدينة شمر وأخضع معدا واستعمل بنيه
 - (٤) على القبائل وأباهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه
 - (٥) الى اليوم . توفي سنة ٢٢٣ في اليوم ٧ ايلول (سبتمبر) وفق بنوه للسعادة
- وكان أهل الشام وهوران وما يليهما يؤرخون في ذلك العهد بالتقويم البصري نسبة الى بصرى عاصمة حوران وهو يبدأ بشمولها في حوزة الروم سنة ١٠٥ ليلاد فاذا أضيفت الى ٢٢٣ كان المجموع ٣٢٨ ليلاد وهي السنة التي توفي فيها الملك
- انظر الى الفرق بين الأصل وتصيره والملة بين هذين المصريين ثلاثة قرون فكيف تكون وبنيهما بضعة وعشرون قرنا؟ والتفسير طبيعي في كل لغة عملا باموس الشوء . اعتبر ذلك في الفرق بين اللغة اللاتينية الأصلية وما تختلف عنها من الايطالية والاسبانية وبين اللغة الانكليزية القديمة والحديثة وغير ذلك
- فآداب العرب في جاهليتهم الثانية يتراد بها آدابهم قبيل الاسلام وهم أهل بادية لا يقرمون ولا يتكسبون . وانما جعلت هذه الآداب بعد الاسلام بالأخذ عن الافواه . انتهى الكلام على الفصل الثالث والرابع والجدد لله رب العالمين

﴿ الفصل الخامس ﴾

في أن اللغة العربية نسخت لغات لم تقم لها قديمة الى الآن فقد جاء في كتاب تاريخ أدب اللغة العربية (لجورجي زيدان) تحت العنوان التالي مائة :

﴿ النبوة الأموية واللغة العربية ﴾

أما النبوة الأموية فاهمة كانت متجهة فيما على الخصوص الى الأدب العربية الحاهلية . لأن الأمويين كانوا شديد الحرس على منزلة العرب كثرى العناية في حفظ الأسانيد وهم الذين جعلوا الاسلام دولة فأبدوها

ونشروا اللغة العربية في المملكة الاسلامية بقل المواليين من القبطية والرومية والفارسية الى العربية . وبعد أن كانت مصر قبطية والنام رومية والعراق كلدانية أو نبطية أصبحت هذه البلاد توالي الأجيال عربية البرعة وتنوسبت لغاتها الأصلية وهي لغة الآن من البلاد العربية . وإذا نزلها التركي أو الانجليزي أو غيرها من أي أمة كانت وتوالفها عدسه عريبا

وظل العرب في أيام بني أمية على بدواتهم وجاهتهم . وكان خلفاؤهم يرسلون أولادهم الى الناذية لائقان اللغة واكتساب أساليب البدو وأهلهم . وظل كثير من عادات الجاهلية شائعة في أيامهم كالماخوة والمناخلة ومناشدة الأشعار في الأبدية العمومية فكان أشرف أهل الكوفة يخرجون الى طاهرها يناشدون الأشعار ويتحدثون ويتذاكرون أيام الناس . وأهل البصرة يخرجون الى اللز بهذه العاية كما سيجيء . كأنهم رجعوا بصيبتهم الى ما كانوا عليه قبل الاسلام . ولم يبع العرب من العرب والسودد ما طلعوا اليه في أيام هذه الفترة . وقد تكاثروا على عهدنا واشتهروا في ممالك الأرض . انتهى الكلام على الفصل الخامس والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل السادس في المقصود من هذا كله ﴾

في تفسير هذه الآية وهو أن بقاء اللغة العربية محبوبة الى الآن في بلاد العرب وأوروبا والعرب والمهد والصين وبلاد حاوه مجبرة من أكبر المجبرات

انظر الى هذه اللغة التي تعبرت لمحاتها وصور أشكائها من كتابة السومريين الأولى ثم انها نصيرت ثم تحورت الى أن صارت قبل الاسلام كما رأيت في (شكل ٣٠) المقدم قريبا ثم انظر الى طورها الرابع وهو ما كتبت في المصاحف ، وكيف بقيت الحروف محبوبة ، وهيئاتها متقاربة فيما وثلاثة عشر قرا . ومن أجل الأدلة وأصعبها ما تراه في هذه الكتابات التي أمامك ، فهذه هذه الحروف العربية واضحة مكتوبة في بلاد الصين ، ومعها الخط الصيني لدورة العائمة وسورة الاخلاص (انظر شكل ٣١ في هذه الصحيفة وشكل ٣٢ و٣٣ في الصفحتين التاليتين)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 其意我 奉普慈 今世獨 慈後世 眞主的 尊名起 又接唸 法體哈
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

أَيُّاهُ نَعْبُدُ وَإِيَّاهُ نَسْتَعِينُ
 اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
 عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

其感讚是惟獨神米阿
 保養普世萬靈
 今世獨主
 執掌還魂
 的主我們惟獨
 拜你我們惟獨
 求你相助哪主
 你指引我們正路

امين

其意哪主。你准承我們
的。若跟隨
的人。也同
以媽。母低
唸阿。接唸
米勒。隨唸
所勒。隨唸
那個。不可言
定。或唸這個。

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
اللَّهُ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ لَمْ يَكُنْ
لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

其意你說。此
主命聖。事。旁
人說。主是獨
一的。主是無
求所。窮。他。不
生。人。公。不。生
無。有。一。分
不。能。為。說。口

فهي تعاون الصينى والألماني والفرنسى والانجليزى والتركى والهندي والاسباني والفرنسي والمصري والهندي والألماني على حفظ اللغة العربية وانحط العربى ، فلم يدخله ولم يدخله لفته ذلك التحريف الذى حل بساحة لغة وخط العرب البائدة أيام جوراني ولايام الجاهلية فى القرن الرابع الميلادى قبيل البعثة المحمدية بل هو باقى كما هو ، فهذا معنى - لا تبديل لكلمات الله - ومعنى - إما نحن نزلنا الذكر وإما له لحافظون -
 ثم هذا كله نفهم أيها القارئ لماذا وصف القرآن بأنه عربى والحمد لله رب العالمين . كتب ليلة الاثنين (٢٠) أكتوبر سنة ١٩٣٠ الساعة العاشرة مساء . تمت الطيفه الثانية . ويتبع هذه الطيفه الثانية جوهرة ثان

﴿ الجوهرة الأولى ﴾

(فى قوله تعالى - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ أنما أحكم إله واحد -)
 جاء فى مجلّة « النهضة النسائية » تحت العنوان التالى ما نصه

﴿ فى وجود الله تعالى ﴾

(للكاتبة الأمريكية الشهيرة ارثر برزبان)

يزعمون أن العقل البشرى موجه اهتمامه بالأكثر الى المسائل الاجتماعية التافهة مثل جمع الأموال وكيفية عقد الزواج وما شاكل ، أما نحن فعلى غير هذا الرأى ونعتقد أن العقل البشرى لا يوجه أخص اهتمامه الى هذه المسائل دون سواها ، لو أن محرر جريدة ألقى على قراءه جريدة سؤالاً عن « الزواج هل هو أفضل أم العزوبة » لوردت عليه الأجوبة الكثيرة بضعة أيام أو بضعة شهور . ثم يصجر الناس من هذه المناقشة وتنقطع الكتابات

وكل سؤال يكون نصيبه الاهتمام بعد اشتغال الناس به زمناً معلوماً محدوداً ، وأما مسائل خلود النفس ووجود الله ومصير الانسان بعد وفاته فانهما لم يرحل تشغل أذهان الناس منذ البداية ، وسوف تبقى موضوعاً لاهتمامهم العظيم دائماً

تأتينا الرسائل فى هذه المواضيع كل يوم من كل سنة فى مسائل تشغل خواطر الناس على السواء يتساءلون « هل يوجد إله وهل تكون النفس خالدة ؟ » وهذه الكتابات الكثيرة الهائلة تختلف فى لغتها وطبيعتها وهى الدليل على مبلغ إيمان كاتبها ، وبعض هذه الرسائل تأتينا من المرتابين المتشككين والمحمدين والكتاب ومن سائر الذين أسكروهم تلك المعرفة القليلة التى جعلوها حكمتهم ودينهم بدلاً من ثقة الأجيال الكثيرة تلك الثقة بوجود الله وخالود النفس

ويظن بعض هؤلاء أنهم اهتموا الى طريقة جديدة مبتكرة تساعدهم على الحياة بالاستغناء التام عن الله وأن العلم قد وفقهم الى هذه الطريقة الجديدة

ولكن العلم لم يفعل شيئاً من ذلك ، بل إن العلم فعل ما هو مختلف على خط مستقيم لظنونهم وأوهامهم العلم أثبت وجود الله وخالود النفس وليس له القارئ أن يضرب لذلك مثلاً صغيراً :

رجل عنده صندوق ووضع فيه بعض قطع فحقت أمها وهى صغيرة جداً ولم تنضج عيونها بعد . اعتنى هذا الرجل بالقطط المدكورة وأحسن معاملة وجعل له صندوق عجالات فكان يحضره الى ضياء الشمس لتمتع القطط بحرارة الشمس . كان يمد يدها باللعن فى مواعيد معينة يزداد التدقيق . كان يطردها الكلب الشرير إذ يحارل الاعتداء عليها ويغيفها ويرعبها كثيراً ، كانت هذه القطط تنق بالرجل وشعرت أنها فى حاجة اليه وأن لاغنى لها عنه وكان هذا دور الإيمان

وحدث ذات يوم أن كلبا توصل الى قطة منها فقتلها بعد أن قطعها بأسنانه وشوّء جسمها ذلك لأن القطة قد خانت القوانين والشرائع التي سنّها لها الرجل خرجت من صندوقها خلّت بها ذلك المصاب . وكانت إحدى القطط قد بدأت تبصر قليلا بأحدى عينيها فقالت مغرورة بالقليل الذي تراه : « أنا لا أعتقد بوجود الرجل فإذا كان موجودا حقيقة فهو ظالم إذ سمح أن تقتل أختي الصغيرة وأن يرققها الكلب لأصدق ما زعمونه من أن أختي قتلت بذنبها لأنها خرجت من الصندوق والحقيقة أن الرجل غير موجود فأنما نحن القطط أولياء أمورنا وسادة الكيان وعلينا أن نحارب عدونا وندافع عن أنفسنا هذه القطة هي قطة « النيرسول » الملعن الأمريكي الشهير

ثم ان قطة أخرى بدأت تبصر بعينيها وهي أرقى من رفيقتها الأولى فقالت (أنا علة . وقد وجدت أنني غير مدنية للرجل وهنائه بشيء وإنما الشرائع والنواميس ولية أمورنا . هذا الصندوق قائم على عجالات يدور في نور الشمس بمجرد إرادته لا أنكر أنني أجهل ماهو الذي يدفعه ولكن أعلم أن الرجل لا يستطيع دفعه وعلمت أيضا أنه لاوجود لنا موس (توزيع اللبن علينا) فأنما يأيننا اللبن في مواعيد معينة بحكم الدور وبحمي اللبن ناموس طبيعي فقد كان يحمي من قبل وهو يأتي الآن وصياني كذلك بعد . دعوني من دعاويكم الفارغة فأنما مقبلة الى فراشي لأأم ولكن لا تذكروا على مسامح مني أمر رجل محب يعتني بنا . الأمر كله نوااميس طبيعية وأنا عظيمة في ذاتي لأنني أول من اهتمت الى هذه النوااميس

هذه القطة هي قطة « اسحاق نيوتن » ولكنها لم يكن لها إيمان نيوتن ويضيق بنا المجال لو أردنا أن نذكر ما قاله قطة « داروين » فقد كانت طويّة اللسان . ولكن اليك ماجرى بعد ذلك كبرت القطط التي بقيت حية بعد أن ماتت تلك التي أصابها الموت جزاء مخالفتها وشرودها عن الصراط المستقيم واقتنعت عيونهن جميعا فصارت تبصر جيدا فرأى الرجل عيانا وعرفته واعترف به وتوسلت اليه أن يسمح لها بالإقامة في منزله . قالت القطط للرجل

(لا تؤاخذنا يا سيدي واغفر لنا حماقتنا وجهالتنا إذ كنا صغيرات جاهلات ولكنك تعلم أن بصرتنا كان ضعيفا واننا كنا لا نبصر ولا نلم) فقال الرجل الكريم لا بأس انصرفن الى البيوتن في أسفل المنزل وتمتنن بالراحة والقوت هناك

اتهى المثل الذي ضربناه . وإنما نحن قطع عيما فكلما حاولنا التعمق في اكتشاف أسرار الطبيعة ومخائنها زداد توغلا في خفايا جملعبدها لا نذكرها نكشف أن الأرض تدور حول الشمس ولكن لا بد لأعظم عالم من الاعتراف بجهله عن الاهتداء الى سبب دورانها يقول هذا العالم « أعطى المحرك الأول وكل شيء سهل بعد ذلك » وهكذا قالت القطط العيما في صندوقها قالت (ادفع صندوقنا دفعه واحدة وعليها هم الباقي)

واطلعت القطط على ناموس توزيع اللبن تحتها بدلا من عناية الرجل بها شأن الذي ادعى الحبسك بناموس الجاذبية العام فظن أنه يقدر بواسطته على مجرود الله . ولكن العقل الكبير الذي اهتمت الى ناموس الجاذبية العام كان عقلا متدسا تقيا علم أنه ضعيف في ذاته لا قدره له على إدارة كل شيء

ان نيوتن لم يسكر وجود الله . وإن أدرك الناس بغموض أ. ارسطوتمته ونوااميسه . علم وعلم الناس أيضا أن ذلك الناموس يبرح عسلا منذ نزل وهند كل ما دعاه وكل ما يدبر أن يدعيه سواء والعالم العصري (لورنكس) أسهر قباغ نيوتن سر له . عرسر الجاذبية ؟ فأجاب : لا يحق للعالم أن يحاول كشف أسرارها ولا يعرف شيء

لذلك قول لرتابين : ارتابوا اذا كان لابد لكم من ذلك ولكن اجعلوا الحكم اسلما لريكم ولرتابوا
 أولا في حكمكم التي لازيد عن حكمة تلك القسط الفبيد
 اذكروا انكم لا تعرفون شيئا طالعا كثيرا ولكن لا تسمحوا لآراء غيركم القاصرة أن تسطو على
 عقولكم وتجعلكم كالغريب والشكوك مهماعلم لا تعرضوا المقامات الآخرة ولا عيهم ، انشروا المعرفة وأذيعوا
 الحقائق . وأما الرب التي تزعج الآخرين وتذهب بسعادتهم فاحفظوها لأنفسكم أذيعوا ما تعرفونه عن يقين
 واكتموا ما دون اليقين فهل يسمح للملحنون . وبهذا انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية ﴾

(في قوله تعالى - وجعل فيها رواسي من فوقها -)

وهي الجبال ، ولقد تقدم الكلام على الخيال في مواضع كثيرة مثل ما جاء في ﴿ سورة الرعد ﴾ عند
 آية - وفي الأرض قطع متحاورات - الخ وهكذا سيأتي في آية - أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت *
 وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت - الخ ولكن تذكر هنا عجيبه جاءت في جملة الطامع
 المصورة « فقد جاء فيها تحت العنوان التالي ماضه :

﴿ في أميركا الجنوبية غنى طبيعي ﴾

هناك جبل من فضة لا ينضب له معين

بوليفيا جمهورية صغيرة من جمهوريات أمريكا الجنوبية ، كانت فيما مضى مستعمرة اسبانية لكنها استقلت
 سنة ١٨٢٥ بعد حروب دموية بينها وبين الجيوش الاسبانية ، وهي صحرة جبلية يتراوح ارتفاع جبالها
 بين ٣٠٠٠ الى ٦٠٠٠ متر ، وفي وسطها اكبات تسمى لا يونا فيها ثروات معدنية لا يحصى لها عدد ، يكثر
 ما فيها عيئات بل بألوف الملايين من الجنيئات ، من بينها جبل كله من فضة يطلق عليه اسم (سيرودي بوتوزي) ، ظل
 مئات السنين يدر الأموال الطائلة على الدولة الاسبانية ، فكان لها المورد الأكبر الذي يأتيهم من كل مستعمراتها
 الواسعة . وقد اكتشف هذا الجبل رجل هندي من هنود أميركا اللاتين بنوى الجلود الجراء يسمى جوالكا
 فقد كان مسافرا في أيام الشتاء الباردة لظفره فوق هذا الجبل ، ولما قرسه البرد أشعل ناراً تصطبى ، فما كان
 أشد دهشته عند ما أبصر الصخور تقوب تحت تأثير الحرارة وتسيل معدنا أبيض جيلا ، فتأمله طويلا لكنه
 لم يتركه ، فأسرع إلى سيده القبطان (جون دي فيلارويل) وأطلعه على الأمر ، فاستحوذ هنا على
 جبل القضة باسم ملكه الأمبراطور شارل كان في يوم (٢٢) ابريل سنة ١٥٤٥

ولما ذاع خبر هذا الاكتشاف في اسبانيا تقاتر إلى بوليفيا كل معاصر وأخذوا يتقاتلون ويتناحرون في
 سبيل الاستحواذ على جزء من هذا الجبل الذي كان يدر أموالا بكثر عن إدراكها الحصر لاسيا في ذلك
 الزمن الذي كان أقل مبلغ فيه يدر ثروة . وقد استخرج من جبل سيرودي بوتوزي من سنة ١٥٤٥ أى
 منذ اكتشافه حتى سنة ١٨٢٥ وهي السنة التي خرجت فيها بوليفيا من أيدي الدولة الاسبانية (١٦) ألف
 مليون ريال طيبلى أى ٥١٢٠ مليون جنيه في ٢٨٠ سنة ، فيكون معتدل علته في كل سنة من هذه
 السنين (١٨) مليون جنيه وثلاث . وقد بلغ مال الدولة الاسبانية من هذا الإيراد (٦٤٠) مليون جنيه .
 وقد دفع أصحاب منجم واحد من هذا الجبل للحكومة خمسة جربة (١٦) مليون جنيه وثلاثة أرباع المليون
 وقد أيد الأمبراطور شارل كان يوما ما أن يكفى سكرته من صخر السون فرانيسكو دي لوس كوبوس
 فطلب منه أن يبنى عليه ما يريد فعظم الفون فرسيسكو بن شفته : « أريد يامولاي (ريل) واحدا على

كل رطل » (والرطل يساوى مئمتين ونصف من عملتنا) . فأجاب الأمير بطور مندهلا : «أهذا كل ما تطلبه ؟» ولما رآه مصمما على طلبه هذا الذى صغرى عيني شارل كان وقع له على الأمر وتاوله إياه ، وبعد ثمانى سنوات أى فى سنة ١٥٦١ مات المون فرانثيسكو وزك ثروة فقتربا أكثر من (٧) ملايين من الجنيهات جمعها مما عاد عليه من المئمتين ونصف التى كان يأخذها على كل رطل فضة يستخرج من جبل سير المذكور ولم يزل هذا الجبل الى الآن معلوما بالفضة لكنها تخرج بمزوجة بالتصدير . ولم تمض على اكتشاف جبل الفضة سنوات حتى أقيمت بلزاته مدينة بوتوزى . وقد بلغ عدد سكانها فى القرن السابع عشر ٢٠٠.٠٠٠ نسمة فكانت أكبر مدينة فى أميركا الجنوبية وأكثرها سكانا

وكان لكل اسبانى (هيدالجو) أى متعذر من صلب اسبانى صميم ليس فى عروقه دم يهودى أو عربى مغربى أن يكون له حق بأن يستغل جزءا من الجبل والعادة المنتبعة فى ذلك والتي لم يزل معمول بها الى الآن أن يأخذ الواحد له ركنا ويحفر فيه نفقا ويستولى على كل ما يجده فيه حتى أصبح فى الجبل أكثر من ثلاثة آلاف نفق . وكان الهنود الجرهم القائمون بالحفر يشتغلون فى الاتفاق المظلمة التى ليس فيها نور ولا تدخلها شعاع من الشمس ، وسيط أسيادهم الاسبانين تنهال على أجسامهم اذا بدا منهم أقل وهن وأدنى ضعف . وكان المراحون على استغلال جبل الفضة يقاتلون حتى أدت بهم التناحر الى الانقسام الى حزبين كثر بينهما الاغتيال ثم القتال فى صفوف مرهوسة . أما اليوم فمدينة بوتوزى التى كانت منذ مائتى سنة زاهرة زاهية لم يعد فيها غير ١٥.٠٠٠ أو ٢٠.٠٠٠ شخص لأن سعر الفضة انخفض كثيرا فى أوروبا وقل الطلب عليها وكثر من جهة أخرى على التصدير ، ولكن من سوء حظ البلاد أن الأرض لم تعد تفل من هذا الصنف إلا كميات أقل مما كانت تفضله فيما مضى . وبهذا تمت الجوهرة الثانية وبهما تم الكلام على الطبقة الثانية والحمد لله رب العالمين

﴿ الطبقة الثالثة ﴾

(فى قوله تعالى - حتى اذا ماجاها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون - الآيات)

قد تقدم فى (سورة يس) - وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون - . فهنا ذكر الجلود مع الأسباع والأبصار وهناك خصص الجلود بالأيدى والأرجل ، وفى هذه مجزتان أظهرهما الكشف الحديث فتكون مجزات هذه السورة بالكشف الحديث خسا . ولقد ذكرت لك هناك أيها الذكى حكاية القاتل اليابانى الذى قتل معشوقته التى رغبت عن زواجه ، وعرف بعد مدة بسبب آثاره ، وهذه مشروحة هناك بأسهاب وإيضاح تام ، ولكن هنا أذكر ماجرى من الحادثة بينى وبين صديق العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى هذا التعبير . قال : كيف تنطق الجلود وتشهد ؟ وما معنى كون الأيدى والأرجل تشهد عند الله ؟ فقلت تعالى يقول فى (يس) - وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم - ، فلم خص الأيدى والأرجل بهذه الشهادة ؟ وكيف تقول الجلود - أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ - . فقلت : أعلم أن هذه المخاوف المألوفة للمشاهدات على قسمين : قسم لما القرة على التصرف فيه ، وقسم لافرة لما على التصرف فيه . فالذى لما القدرة على التصرف فيه شجوات الطعام والتراب والشبى والكلام ، فهذه خلقت فىنا لأجل حياتنا وبقائنا ، وهذه تأتى بالحق وبالباطل ، فإن الانسان قد ينجوع فى كل الأكل قد يضره ، ويطش فيشرب والنرب قد يضره ، ويشتهى

الواقع والواقع قد يضمره ، ويتكلم والكلام قد يضمره . ذلك لأن من شهوات الطعام ما تكون شهوات كاذبة ، ومن شهوات الشراب ما تكون كاذبة ، ومن شهوات الواقع ما تكون كاذبة ، ومن الكلام ما يكون كذبا لاصدق فيه . إذن أحوالنا الحيوانية يعثرها الصدق والكذب . فن الكلام صادق وكاذب . ومن الجوع والطما وشهوات الواقع ما يصدق وما يكذب . فكثيرا ما نرى أنفسنا بعد الطعام بمدة يسيرة نطلب الطعام ، وقد نطلب الشراب قبل مضي ساعة أو ساعتين وقد تسكلم كذبا . هذا هو القسم الأول وهو الذي لنا القدرة على التصرف فيه . أما ما لا قدرة لنا على التصرف فيه من الفاكهة والحطب والخضر والمعادن والحجر والشجر . فهذه صواديق في أفعالها ناطقات بالحق ، فلم تر حبة القمح أنبتت ذرة أو برسيا ، ولم تر بذرة القطن أنبتت كلاً أو بذنجانا ، ولم تر الشمس أصبحت تينا ، ولا التين أصبح عنباً ، بل هناك نظام ، ولم تر الدواب أصبح غذاء ، ولا الغذاء صار سماً ، بل هذه كلها نواطق بالحق ، لا عوج ولا كذب ولا خداع . وإذا رأى الناس أن في الطبيعة ما لم يعمدوه كحوادث الزلازل والبراكين فذلك ليس من أكاذيبها ، بل هذه المفاجآت جاءت لغايات صادقة وإن أخذت الناس بفتة فضائيات شرقة . فأما غايات العواطف النافذة في الإنسان فانها تكون شراء فلاكل شهوة كاذبة والشراب والواقع كلها مقصرات للعبادة جالبات للرض بخلاف حصول البراكين في الأرض من حيث لا يشعر الناس بها فقد تكون لها منافع تربو على مضارها مثل انبعاث بخار الماء وغاز الهيدروجين المتكرر وغازات أحماض كبريتية أخرى فانها تكون هناك رواسب منها معدن الكبريت حول فوهة البركان وقد تصير طبقات سمكة تصلح للاستغلال كما نرى براكين كثيرة في جنوب إيطاليا إذ هي أغنى مورد لمعدن الكبريت وقد تج كل علم منه (٢٠٠.٠٠٠) طن ، فهذه التم الكبريتية إنما جاءت بفضل البركان . إذن مفاجآت البراكين ليست كمفاجآت الكذب وأمثاله . ومن ذا يقول إن شرور شهوات قوسنا وغضبنا الغضب المفضي الى القتال والمار والملاك والتقاطع كغضب الطبيعة بحدوث البراكين . وهل الحرارة الناجمة في (برولس) بالقرب من نابولي بجنوب إيطاليا البالغة (٣٩٠) بميزان ستجراد التي حولها القوم الى قوة كهربائية يستعملونها في الصناعات المختلفة . وكذلك نظائر هذه براكين في جزائر (ليلىرى) وفي (شيلي) يرسب بسببها الكبريت والبوريك والشب

أقول : هل هذه التي وجهت للأنافع العامة للمعادن النافعة والأعمال المفيدة تشبه شرور أنفسنا بالكذب وآثار الشهوات الكاذبة ، فالجوع الكاذب ، والعطش الكاذب ، والعداوة المبينة على سوء الظن ، كلهن جالبات لنا السوء بخلاف ما راء في الطبيعة ، فهو على قسمين : قسم نتأجه ونحتمه لاخلل فيه كالفاكهة والأب وقسم لا تعرف أحواله لاشتباهه علينا كسكون الأرض فنظن أن لبراكين فيها اذا هي ثائرة ، فهذه ظاهرها شر ولكن باطنها نعمة . أما نتائج الكواذب من طباغنا فهو شر محض

هذه أيها القارئ مقتضات لطايفك ، فألسنة الناس تصدق وتكذب ولكن لسان الطبيعة صادق غير كاذب فاننا لم نر الذهب يوما زاد وزنه أو نقص فهو (١٩) بوزن حجمه من الماء وهكذا الزئبق (١٣) تقريبا واعلم أنه لا معنى للكلام إلا حركات في الهواء ، وتلك الحركات مختلفة باختلاف الخارج ، وباختلافها امتاز بعضها عن بعض ، وبانضمام صوتين أو ثلاثة أو أكثر تكون كلمة ، وبانضمام الكلمات تكون جمل ، والجمل يدل على المعاني ، وهذه الدلالة تارة تصدق وتارة تكذب . إذن فائدة الكلام انه يدل على المعاني ، ولكن هذه الدلالة قد تختلف الواقع . فلتنتظر في المحاولات أما ما نرى الماء ونحن علمائى فنحس في أنفسنا بمعنى . وما هو المعنى ؟ هو انه يدل علماً . ومثل ذلك الفاكهة والخضر والحطب وما أشبه ذلك . فكل هذه لها دلالات ولكن دلالتها صادقة لا كذب فيها بخلاف ان الكلام الصوتي فيدخله الكذب . إذن الدال إما يحرف وصوت وفيه الصدق والكذب . وإما لا يحرف ولا صوت وهذا لا كذب فيه . وكلام المحاولات ليس يحرف

ولا صوت . وكلام الانسان بحرف وصوت

واعلم أن الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت قسبان : قسم قدسي وهو كلام الله القديم . وقسم مخلوق وهو كلام هذه العوالم . فأما كلام الله فانه فوق عقولنا ولانبة بينه وبين كلام المخلوق بحرف وصوت . ولا سوف ولا صوت فهذا فوق متناول عقولنا . ولكن لما تناهت عظمته وجلت قدرته أبرز لنا في الوجود عوالم تكون نتائجها مصادقة بدون كلام حرفي أو صوتي حتى سمعناه يقول - ونكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم - كيف كلمه الأيدي وكيف شهدت الأرجل ؟ كلامها ليس بحرف ولا صوت فيها دلالات ثوابت

ومن باهر الصنع ودلائل الاتحاق وبراهير الرحمة والمحبة أن الله تعالى لما احتجب عنا فلم نعرف كيف يتكلم بالاحرف ولا صوت وكان رموقا بالعباد أراد أن يضرب مثلا بالمخلوقات . فكما عرفنا علمه وقدرته بضرب مثل بما نحسن به من علمنا وقدرتنا وأن تكون النسبة مقفودة بين صفاتنا وصفاته تعالى هكذا عرفنا كون كلامه ليس بحرف ولا صوت كما نشاهد في هذه المشاهدات من الدلالات الصادقة :

(١) على حكمته وقدرته وعظمته

(٢) وعلى معرفة الجانين بالطرق العلمية في بحث خطوط اليدين والرجلين

(٣) وبما ننفع به من خواص ما نأكل ونشرب وتتداوى وهكذا . فهذا عرفناه بلا حرف ولا صوت - والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم -

قال صديقي : لقد فهمت من مقالكم أن هذه العوالم مصادق في دلالتها والانسان قد يكتب وأن هذه الأيدي وهذه الأرجل دلالتها صادقات وفيها علامات مثبتات جرائم أصحابها وليست كاذبة بخلاف السنة الانسان في الأرض فهي كاذبة . ولكن هل علم الله تعالى بأعمالنا في حاجة الى أمثال الأيدي والأرجل ؟ فقلت : كلا . هو يعلم ذلك . ولكن هذه الآيات موجهات لاصلاح نفوسنا ولها دلالتان : أولا ان الله عليم بأعمالنا . ثانيا انه ضرب لنا مثلا بأن أيدينا وأرجلنا فيها علامات . ولصدق هذه العلامات البالات على أفعالنا نسب اليها أن نتخاطب بالاحرف ولا صوت من كلامه ليس بحرف ولا صوت . واذا سمع الله منها أفلا يسمع القضاة فلقى هذه الأيدي فيحكمون بما تدل عليه ؟ فقال : محجب : ما لنا والقضاة ؟ فقلت : القضاة قضاء الله قضاء الله يوم القيامة . وقضاة القضاة في الدنيا . فاذا كان الله يوم القيامة وهو العظيم بأفعاله يقول على سبيل المجاز أو الحقيقة أن الأيدي والأرجل نكلمنا وتشهد بأعمال العباد وقد قبل شهادتها وسمع كلامها ، أفلا يقبل شهادتها ويسمع كلامها قضاة الأرض ؟ فهنا علمان جليلان : علم الطبيعة الموزونة الجلية التي تعبر عن جمال مبدعها الذي أبدعها وجعلها بهجة صادقة . وعلم القضاة الذي يرتب على صدق مقدماتها . فاذا سمع المسلمون وقضاةهم الله يقول - وأشهدوا ذوي عقل منكم - ويقول - واستشهدوا شهودين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء - فليس معنى هذا أنه لاينة لإطلاعي هذا المتوال ، فقد أجمع علماء الاسلام قاطبة أن حكم القاضي متى على الظن والنهي وَالظَّنُّ كان يحكم بحسب الظاهر والله يتولى السرار ، لأننا لا نزال في الأرض . واذا وجدنا أن الظن جاء معه يقين ظاهر ألفينا هذا الظن . ألم يقل الله تعالى في ﴿ سورة النجم ﴾ - ان الظن لا يبنى من الحق شيئا -

فاذا سمع القاضي رجلا يقول ان الشمس لم تطلع مع أنها هي طالعة ، فهذه الشهادة لا تقبل لأنها خالفت الحق هكذا إذا دلت أصابع المجرم على أنه هو القاتل وأن آثار الأصابع ظهرت على منحه السيف والسيف وجد على رقة القاتل وجاءت شواهد أخرى على ذلك ، فانا اذا سمعنا شاهدا يبنى هذا يقول له كذبت أيها الشاهد . إن هذه الآيات أبها الصديق نزلت في القرآن لينتفع لنا بها في القصص باب كان مغفلا إلا قليلا فان الخفية يقولون : إن شقرا نزل في إنسان الجرائم . ولكن هذا الزمان الذي ارتقت فيه الأمم

ارتقت فيها أسباب الجرائم فأزل الله تعالى هذه الآيات قرأ في كل حين تدبنا وذكر الله ثم استنباطا يعلّمه ذوالعقول الكيرة . ولقد تقم في ﴿ سورة الكهف ﴾ في قصة الخضر وموسى عليهما السلام ما ملخصه أن قتل الخضر للعلم وخرقه السفينة وابعاع إلى أكلاف النفس وأكلاف المال وهذان أهم حقوق الناس . وإذا وجدنا ذلك في القرآن وعلمنا أنه قتم الحقيقة على الظن لأنه عرف أن هذا القتل مخالف لظواهر الظنون أفضل وأحسن وهذا على طريق الكشف ونحن لا كشف عندنا بل لو كان عندنا كشف لم نحكم إلا بالظاهر ، فلنا طريق آخر وهو أننا متى تحققنا بطريق علمية أن هنا ضررا عققا قام عليه الميليل الظاهر لأهل الحل والعقد فأننا تقدمه على الحكم الذي عرفناه بطريق الظن ، فارجع إليه فلقام هناك موضع بكلام الأئمة وأكبر علماء الاسلام مع دلائل العقل ، وعليه وجب على علماء الاسلام في الأرض طلبة أن يجتوا في جميع العلوم ومن أهمها أدلة الدين والرجلين التي ورد ذكرهما في القرآن لصق دلائلها

فقال باهين : ولماذا خصت الدين والرجلين ؟ أليس جسم كل امرئ فيه علامات تدل عليه ؟ فافرق بين الأيدي والأرجل وغيرهما . ثم كيف تقول ان لساتنا يكذب واليدان والرجلان لا كذب فيما كما هو شأن العوالم للمشاهدة من صدق شهادتها مع أن الله سوى بينهما وبين اللسان فقال تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون -

فقلت الجواب على هذا يرجع لفصلين اثنين : الفصل الأول في قيمة شهادة اللسان . الفصل الثاني في اختصاص الدين والرجلين بالشهادة

(الفصل الأول في قيمة شهادة اللسان)

يقول الله تعالى في ﴿ سورة يس ﴾ - اليوم نحتم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون - فهنا أقر الله اللسان وأطلق الدين والرجلين وقبل منهما الشهادة . ويقول الله في سورة أخرى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - فهنا - قرأ الله بين شهادة الثلاثة إذن هنا اللسان يصدق تارة وبكذب أخرى دليل أنه ختم على الفم تارة وأطلق اللسان تارة أخرى . فإذا كان الانسان بعد الموت ويوم الحساب لا يزل مالكا لقواه وعواطفه كما كان في الدنيا بحيث يتصرف كما يتصرف في هذه الحياة وية مر أن ينطق بخلاف ما في ضميره ، فهناك يحتم على لسانه وتبقى شهادة الأيدي والأرجل . فأما إذا أصبحت عواطفه غير خاضعة لإرادته وليست تحت تصرفه كما جرى في الموم للغناطيس ونحوه فهذا لا ينطق إلا بالحقائق فهناك يطلق اللسان فينطق كما تنطق الأيدي والأرجل . إذن اليدان والرجلان لهما منزلة ليست للسان فاعلمتته بإصاح مقتضيا المساواة أراءنا ما نفعنا . وبهذا تم الفصل الأول والله رب العالمين

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في السبب في اختصاص الدين والرجلين بالشهادة دون باقي الجسم مع أن الأعضاء كلها متساوية في أنها لا يظهر تغير هيئتها الأصلية مدة الحياة)

اعلم أن الإجابة عليها ترجع لعلم اسمه التحقيق الجنائي . وهذا العلم حديث الفشاء لم يظهر ولم يبرز لعالم الوجود إلا في هذا القرن أي في الزمن الذي يؤلف فيه هذا التفسير كما ستره . وأما الآن كتاب في هذا العلم ومؤلفه الأستاذ (محمد بك شعير) وكيس إدارة التفتيش بوزارة الداخلية وهو مدرس بكلية الحقوق . فهناك مادل في ذلك الكتاب :

﴿ بصمات الأصابع والأيدي ﴾

« ليس ماقروء من الوقائع المدهشة عن (شروك هولز) و (كارتر) وأمثالهما وما يكتبه الروائيون أمثال (كونان دويل) و (ليكوك) وغيرهما وماراه يشخص (بشديد الخفاء) في دور الصور المتحركة من الروايات البوليسية الغريبة التي يتعقب فيها البوليس السرى الجناة ويتعرف شخصهم ويظهر حقيقة أمرهم من إثناء لسوء أو وعاء أمسكوه أو كوب شربوا منه أو خزانة فتحوها . ليس كل هذا حديث خرافة وأما هي ثمرة العلم الحديث ونتيجة مجهودات العلماء الذين أتوا بالمجيزات في فتح بصمات الأصابع والأيدي »

الى أن قال « وكان الصينيون والهنود من قديم الزمان يستعملون البصمة في العقود والمشارطات لتقوم مقام الختم والامضاء . وقد أحسنوا في ذلك لأنها لا تشابه ولا تقبل التغير والتزوير . فلو أنعمنا النظر في باطن اليد وأطراف الأكف والأصابع وباطن القدم وجدناها مكسوة بخطوط بارزة دقيقة يشغلها فراغ . ترسم هذه الخطوط أشكالاً وتعاريج وانحناءات مختلفة لا تتطابق في شخصين قط كما نجد ثنيات تحت عقل الأصابع وتجمعات ناشئة من إطباق اليد وفتحها (انظر شكل ٣٤)



(شكل ٣٤)

وهذه الرسوم والأشكال تتكون والجنين في بطن أمه من الشهر السادس للحمل ولا تتغير أبداً وتبقى حافظة شكلها واتجاهاتها في سن الطفولة والشباب والرجولة والهرم بل وبعد المئات الى أن يتحلل الجسم ويبلى كما شوهد ذلك في الموميات المصرية القديمة وفي بعض أجسام القردة المخطئة . وكل ما يبدو عليها أنها تنمو وتكبر وتوسع تبعاً لنمو الجسم كلما تقدم الانسان في السن الى أن يصل الى الواحدة والستين . وقد ثبت ذلك من مباحث كثير من العلماء وأخصهم (السير فرنسيس جالتون) الذي له فصل كبير في هذا الباب . ومن المجموعات الهائلة المحفوظة بإدارات تحقيق الشخصية بأغلب البلاد الراقية . والبصمات هي الوحيدة في جسم الانسان التي لا تتغير طول حياته بل تبقى حافظة شكلها في أية سن وفي أية حالة كان عليها . اللهم إلا ما يطرأ على الجلد من العوارض كالقطع أو الحرق والمؤثرات الأخرى والنعومة بعد أن يصل الانسان الى سن الستين . وذلك بخلاف باقي أجزاء الجسم فانها كلما نما الشخص وترعرع تغيرت بسرعة وبدرجة كبيرة يتغير معها

معرفة بمد بضع سين ، فالسحة وتقاطع الوجه والأسنان ولون البشرة والشعر ولونه وكميته وحتى لون العينين يتغير . لذلك كانت خاتمة البقاء على حالة واحدة في بصمات الأصابع (مع اختلاف شكلها ليس في مجموع الأصابع فقط بل في كل أصبع) الأساس الذي بنى عليه علم تحقيق الشخصية وهو أساس متين غير قابل للنقض ولا للظن بأي وجه . ويشبهون بصمات الأصابع بأوراق الشجر فانها قد تتشابه في شكلها العمومي ولكنها تختلف في تركيبها وتفاصيلها

أما حكمة وجود هذه الخطوط وما يتخللها من الفراغ وما يقطعها من التجمعات والثلثيات في راحة اليد وباطن القدم فلم يمكن تعليلها بشكل صريح . وقد اختلف علماء وظائف أعضاء جسم الانسان في ذلك ، فبعضهم يرى أن مهمتها تسهيل خروج الافرازات المكونة للعرق ، والبعض الآخر يرى أن لها دخلا بالنسبة والحساسية

ولم يكن استخدام بصمات الأصابع في الجنائيات للتعرف على شخصية تاريخها وزرنيها بطريقة ثابتة للاستعانة بها في استخراج السوابق معروفا في أوروبا إلا حديثا ، فقبل سنة ١٨٩٠ لم يعرف عنها شيء في الحياة العلمية ، ولو أن بعض علماء الألمان بحثوا فوائدها في أوائل القرن التاسع عشر ، فضلا عن الاستاذ (بوركنجي) مدرّس علم وظائف أعضاء جسم الانسان بجامعة برساو محاضرة فنية في سنة ١٨٣٣ باللغة الانجليزية عن بصمات الأصابع وفوائدها ، وقسمها الى تسعة أنواع ، واقترح إيجاد طريقة لارتقيها وحفظها والاستعانة بها ولكن مجهوداته لم تلق ماتستحقه من القبول في ذلك الوقت على أن ما تؤيده من الخدمات في الوقائع الجنائية وفي تحقيق الشخصية وإرشاد المحققين والقضاة عن سوابق الجناة واضح لا يحتاج الى برهان ولا أدل على ذلك من تقارير فضائل هذا العلم المقدمة للؤتمر الجنائي الدولي عقد بمدينة (تورين) سنة ١٩٠٧ فقد وفي الموضوع حق الأستاذة (لوكر) و (ريس) و (داسكاريلي) و (دي جاستي) و (دي فيري) وغيرهم . انتهى من كتاب التحقيق الجنائي

فالحجج لأمرين اثنين أيها الصديق (الأمر الأول) قول المؤلف : « إن باطن اليد وأطراف الألف والأصابع وباطن القدم ، كل هذه مكسوة بخطوط تختلف باختلاف الأشخاص (الأمر الثاني) انها تلازم الانسان من المهد الى المهد وأن غيرها مما على جسم الانسان يتغير . » حينئذ ظهر أن اختصاص اليدين والرجلين في الآية دون بقية الجسد أصبح معجزة في القرآن ، فاليدان والرجلان فضلا عما ذكرته سابقا من أنهما تالعان في أعمال القضاة هما معجزة قرآنية أزلهما الله في القرآن وأبرزها فعلا في الزمان الذي كنت أقول فيه في مدرسة دار العلوم وملا بها الكرة الأرضية في أثناء طبع هذا التفسير لأن سنة ١٨٩٠ المتقدم ذكرها هي مبدأ تعليمي في مدرسة دارالعلوم وهذه السنة التي أكتب فيها هذا القول سنة ١٩٣٠ وبينهما (٤٠) سنة . وفي هذه الأربعين سنة ظهر هذا العلم وعلمت به الأمم ، فبدأ الظهور سنة ١٨٩٠ وفي هذه السنة اشترحتي وصل إليها . ومن العجب أن مؤلف الكتاب المذكور كان أحد تلاميذي في اللغة العربية قبل سفره الى أوروبا وذلك في المدرسة الخديوية في أول هذا القرن في العشرة السنين الأولى منه . ومن أعجب العجب أن تختم هذه السورة بما يفيد ذلك إذ يقول - سفرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ كأنه يقول : اختصاص شهادة الأيدي والأرجل دون بقية الأعضاء أمر يشكل عليكم ولكن سأظهر لكم بعض سره في الدنيا وقد أظهره في زماننا ولم يظهره في غيره ، فوجب علينا أن نقول للمسلمين ذلك ونخبرهم بهذه المعجزة التي لم يظهرها الله إلا في زماننا فهي معجزة من وجهين : أولا اختصاص اليدين والرجلين ثم ظهور ذلك فعلا لمكان - سفرهم آياتنا في الآفاق - الخ . وإلى هاتم الكلام على الفصل الثاني والحمد لله رب العالمين

وظهر لك أيها النبي ظهورا واضحا علميا أن اليدين والرجلين اختصت بخاصية لم يتشرف بها بقية الجسم

وانهما أيضا أصدق من اللسان ، فلم يبق إلا شرح خصائص خطوط اليدين والرجلين ، وكيف كانت الخطوط فيهما لامتثابه فيهما بين رجل وآخر . فأقول جاء في الكتاب المذكور أيضا تحت العنوان التالي مانعه :

﴿ البصمات الخفية وطرق اظهارها وحفظها ﴾

يكاد الانسان لا يصدق أن أطراف الأكف ، وأجزاء راحة اليد ، وأباطن القدم ، اذا لامست جسمًا مستويًا أمس كالورق أو الزجاج أو الصنبي أو المرأة أو المعدن والأخشاب المصقولة على العموم تترك عليها بصماتها بكل تصيلاتها ورسومها لأن هذه البصمات تكون غير ظاهرة وغير مرئية للعين المجردة وبخاصة اذا كانت على الورق ، أما على الزجاج وبعض للمعدن المصقولة ، فاذا دقق الانسان النظر فيها ونذاها قليل من البخار الذي يخرج من اقمه فانه يرى بعض شعاع منها لا يلبث لحظة حتى يزول ، وليس تعطيل ذلك من المصطلات العسيرة التي لا يمكن تصورهما بسهولة بل الأمر أبسط وأسهل عما ظن فان بشرة الجلد معطاة بطبقة دهنية خفيفة ناشئة من افرازات العرق ، فاداء تلك الأنامل أوراها اليد جسمًا مما سبق ذكره تركت عليه بصمتها وانطبع عليه الخطوط والرسوم بانحناءاتها وبعيناتها ، وككون تلك المادة الدهنية عديمة اللون تبقى الصمة مستقرة غير ظاهرة ، لكن قليلًا من المواد الكيماية على شكل مسحوق أو سائل يظهرها للعيان ويخرجها من سترها وأتمه جليلة كالصمة المأخوذة بطرق العادية بحيث يمكن استخدامها والاستفادة منها في التحقيقات الجنائية إذ ليس من المقبول عقلا أن الحياة لا تلمس أيديهم بعض هذه الأجسام أثناء ارتكابهم الجرم فتترك عليها أثرًا غير ظاهر إلا اذا احتاطوا لذلك من مبدأ الأمر بلبس قمار مثلاً أو تعمدوا لإزالة ذلك الأثر بعد انتهاء عملهم ولا تكون مبالغين اذا قلنا انه لا تخلو أحده من الحوادث التي تقع في الأماكن المتحضرة من وجود تلك البصمات التي لو عني بالمحافظة عليها وعدم اختلاطها بصبرها أو أزازاتها برامطه تعرضها للتؤثرات الخارجية كانت من آئمن الأدلة المحسوسة وأرجعها



واعلم أن خطوط الأصابع (أربعة أنواع) رئيسية ولكل منها فروع ، فهي منحنيات ومنحدرات الى اليمين ومنحدرات الى اليسار ومستديرات

﴿ النوع الأول ﴾ المنحنيات أو المقوسات بحيث يكون شكل البصمة فيه عبارة عن خطوط أفقية منضبة أو مقوسة الأعلى على الأقل وليس فيه زاوية ولا حادة ، وإذا وضع فيه زاوية لا يتخللها خطوط (انظر شكل ٣٥) وهذا يرمز له بهذه العلامة (A) في مصر



(شكل ٣٥)

(النوع الثاني) المنحدرات إلى اليمين ورمزها في مصر (١) وهو ما تكون فيه نواة بشكل قناة ذات حافتين متصلتين من ناحية واحدة وهذه القناة تنحدر من اليسار إلى اليمين وبزاوية واحدة إلى اليسار وقد يكون داخل القناة خط صغير أو أقطان أو أكثر (انظر شكل ٣٦)



(شكل ٣٦)

(النوع الثالث) المنحدرات إلى اليسار ورمزها بهذه العلامة (ب) وهو ما تكون فيه نواة البصمة عبارة عن قناة ذات حافتين متصلتين من ناحية واحدة. وهذه القناة منحجرة من اليمين إلى اليسار وبزاوية واحدة إلى اليمين بعكس النوع الثاني (انظر شكل ٣٧)



(شكل ٣٧)

(البوع الرابع) المستديرات ويرمز له عندنا بمصر بعلامة (٥) وهو ما يكون فيه نواه البصمة على شكل دائري أو يماوى أو حزوني بين زاويتين متقابلتين إحداهما الى اليمين والأخرى الى اليسار كما في (شكل ٣٨)



(شكل ٣٨)

ولما كانت آيات القرآن وتفسيرها يوجب علينا أن نستوفي هذا الموضوع وجب أن نذكر ما ظهر من آثار الرجلين في العلم الحديث كما ذكرنا آثار اليمين فقول ومن الله التوفيق :
جاء في كتاب « التحقيق الجنائي » تحت العنوان التالى ما مـه :

﴿ آثار الأقدام ﴾

قص الأثر معروف عند العرب من زمن بعيد فانهم كانوا وما زالوا يتتبعون الإبل والمواشى المسروقة فى الصحارى والقفار ويستدلون على محل وجودها ولو كان على مسافات بعيدة ومراحل شاسعة . وجلّ اعتمادهم فى ذلك على قوة الباصرة والحركة والقرين وقليل ما يخطئ نظرهم فتد أنوا فى هذا الباب بالمدحشات التى يحار فى تحليلها الانسان فيبشك الواحد منهم بما اذا كان تارك الأثر ذكر أو أنثى طويل القامة أو قصيرها سليم النظر أو به مرض بأحدى العينين أو بعض أجزاء جسمه حاملا شيتا أو غير حامل . وفى النساء ما اذا كانت إحداهن حلى أو غير حلى وهكذا . ولا عربة فى ذلك فان الاعرابى معتاد منذ اصغر على التجوال فى الصحراء وهى أصلح مكان تنطبع عليه القدم وتترك أثرها بشكل واضح يمكن قراءته كما قرأ الانسان فى كتاب . وبما يساعد على قاء هذه الآثار وعدم محوه واحداؤها بغيرها اتساع لك المقاع وقلة السكان ونُدرة المرور فيها وعدم وجود أسباب الرفاهية والهدوء . وعلى من الأياد ف تكون كل ناحية بعضهم بعضا كما يعرف كل منهم أولاد الآخر وناقته وماسية . ويتمتع فى عبره معرفة شية كل منهم وتغير آ ناره . ويستشهدون بها عند حدوث سرقة أو صياح ماشية . وهذه قاعدة متعة للآر فى جميع أنحاء السودان وفى الجهات البائية

كلاوات ومصاحبة أقسام الحدود . ولما كان هؤلاء القوم مازالوا على المطرة ولم ينالوا من العلم قسطا يمكنهم من التعبير عن أفكارهم وتعليل استنتاجاتهم واقناع الغير بصحتها كما ان كل عمل من هذا القبيل مهما بلغ صاحبه من دقة النظر وإصابة الرأي عرضة للخطأ . لذلك يجب أن لا يعتمد على أقوالهم اعتقادا كلياً . ولا بأس بأحدها بتحفظ تام وعلى سبيل الاستئناس فقط . وهذا لا يبعدنا من الاعتراف بفضلهم وخصوصاً في الارشاد عن الاتجاه الذي سار فيه الأتروالطريق الذي سلكه الجأة

ولم تكن الاستعانة بأثار الأقدام بطريقة علمية معروفة في أوروبا إلى عهد قريب . فأول حادثة اكتشفت فيها مائدة آثار الأقدام العارية وصفت في (٢٧) نوفمبر سنة ١٨٤٦ م وسترى في الأشكال الآتية صور بعض آثار الأقدام المختلفة (انظر شكل ٣٩ و ٤٠ في هذه الصحيفة وشكل ٤١ و ٤٢ في الصفحة التالية)

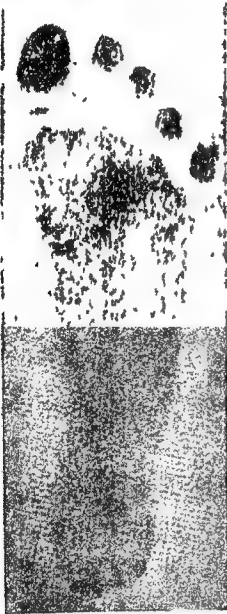


(شكل ٤٠)

من القدم وصاحبها واقف

(شكل ٣٩)

قدم عارية وصاحبها سائر



(شكل ٤٢)

قدم منبسطة



(شكل ٤١)

قدم مقوسة

هذا ما أردته من كتاب « التحقيق الجنائي » مؤلفه محمد شعيربك تفسيرا لقوله تعالى - حتى اذا جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون - الخ. وبهذا تم الكلام على اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

آراء حكماء الأمم وعلماء الاسلام
في الأخلاق

تفسيرا لقوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا - الى قوله - إنه هو السميع العليم -

ولأجل الكلام على هذه الآية في خمس أمور :

(١) الكلام على الايمان بالله والاستقامة

(٢) إلهام الملائكة المؤمنين بالتعبيرات

(٣) مساعدتهم في الحياة وبعد الموت

(٤) محاسن الأخلاق وملاطفة الأعداء

(٥) الاتجاه إلى الله في كل شيء

في يوم الجمعة (٢١) نوفمبر سنة ١٩٣٠ بينا أنا جالس أفكر في معنى هذه الآية ، وأنا أهبط من أن الإنسان يحس في نفسه مذكرا يذكره بأمور علمية أو أخلاقية وهذا شائع بين الأمم ، وكيف كان هذا من مضمون الآية إذ جاء فيها - نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة - على لسان الملائكة

أقول : بينا أنا كذلك إذ أخذتني سنة ثقيل إلى أني في روضات بهجيات ، مزينات بأجل الزينات ، والرياش الفاخرة في جويهم مضى مشرق في قصر منيف ، فيه فرش مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، وتعارق مصفوفة ، وهناك من الجواهر مالا أقدر على وصفه وأدرك كنهه

فبينما أنا في دهش عماريت وفي حجب حجاب إذ أقبلت فتاة أشرق نورها وأضامت للمكان ببهجة جالها وماتحت به من أجل الخلق ، ومالبست من أبهى الحلل ، وقد عطر أرجاء القصر بالروائح العطرة ، فسالت رحيب . فهتاك نسيت جمال القصر وبهجة الزينة والرياش وأخذ الجبال يصري وبصري حتى نسيت كل شيء إلا مارأيت من منظر ناضر وطرف ساسو وجمال باهر ونور زاهر ، فما كان إلا لعل البصر حتى خرت صغاف وغابت الذكرة ونامت الباصرة وأخذت فؤادي تلك النظرات الساحرة ، فصرت كالسحور الذي لا يبي ماحوله ولا يدري كيف يقول . وهكذا بقيت على هذه الحال مدة . فلما أفقت من غشيتي وقت من غفوتي رأيت الفتاة أمامي وهي تبسم فكنت آخر صغافرة أخرى إذ لم أرمثل هذا الجلال في الأرض أمد الحياة وخطر لي خاطر قديم . ذلك اني يوما كنت دخلت (دار الصور المتحركة) بمصر فرأيت من تلك الصور التي تظهر فيها صورة (كليوباترا) ملكة مصر من دولة البطالسة . وقد لبست أنفرا للملابس التي يقال ان ثمنها يبلغ آلافا مؤلفة . فقلت في نفسي إذ ذاك : يا حسرة على مصر . مصر التي انتهكت حرمتها البول وأبقوا فيها امتيازات الأجانب فأدخلوا صوراً تقصد الأخلاق وتثير الشهوات . فأما في بلادهم فإن الأكثر في مشاهد (دار الصور) أن تكون معلمة للشعب الفنون والعلوم وأحوال الحياة بأنهم مظاهرها . فهذا الخطر الذي خطر لي قبلما تجدد لي إذ رأيت هذه الفتاة . فقلت يا ويلتي ماذا أقول الآن وهل مثلي في هذه السن يلعب الجبال بسفله أو يخطر الغرام بلبه . إن ذلك منزه بالمشيب . وإذا كنت أخاف على الشبان من هفوات الأجسام . أقلأخاف على أدبي وعقلي من زلات الضمير وفتنه القلوب والصبوة ولو بالخواطر والمفونة ولو بالخواطر

وبينما أنا كذلك إذ رأيتهما ازدادت ابفساما وقالت سلاما سلاما لا تريب عليك ماهذه بصوبة ولأنت الآن في غفلة . إنك الآن مكين أمين لا يم ولا حرج . أنت الآن في عالم المثال لا في عالم الأجسام . فأنت روح وأنا مثلك . ثم أمسكت يدي فكان نورا قبض على نور . ولم أحس بتلك العظام ولا العضلات ولا تقل الأعضاء الغليظة ، فقصبت الحبب وقلت في نفسي : وهذا كله في عالم الخيال ؟ ولم أكد أتم هذا الخطر حتى أخذت تقول هذا العالم هو الجبال الحقيقي ، أقرأ - وإن القدر الآخرة هي الحيوان - ، فقلت في نفسي : ياليت شعري ما اسم هذه الروح ؟ فقلت على الفور أنا اسمي (البصيرة) فتذكرت قوله تعالى - بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره - وخطر لي خواطر الآية التي نحن بصدد الكلام عليها وأن الذين يعرفون الله واستقاموا يبشرون ويلاحظون في حياتهم الدنيا وبعد الموت وتلهيهم الملائكة ، وقلت في نفسي : هل هذه صورة روحية لبصيرة الإنسان ؟ وياليت شعري أهذه تشاكل بصري أنا أم بصائر جميع الناس في الأرض ! وهل بصائر الناس جمال فائق على هذا اللؤلؤ ، فأجابت بتدبر ولا توان وقالت إن جمال أرضكم جزئي

إنه جال نزل الى الأرض بقدر . ألا ترى أن جبال الرجل أولمراة لا يبقى إلا ريشا يلدان التربة . فإذا أسنا ذهب الجبال وعموما يدل الجبال الظاهري محبة ومودة ورحمة بها يشتركان في تربة التربة وفي المنافع المنزلية والامور المادية . إذن الجبال في الأرض ليس مقصودا بالذات ومباها لسبب فهو لا محالة ذاهب بذهاب سببه . أما الجبال هنا فهو أرق من الجبال في الأرض من جهتين : أولا ان نسبة جبال أهل الأرض الى جبال عالمنا كنسبة نور السراج في الأرض الى نور الشمس . ثانيا ان نسبة دوام الجبال عندنا الى دوامه عندكم كنسبة دوام نور الشمس الى فناء نور السراج . الجبال عندكم مقدمات وعندنا مقاصد وغايات وسعادات . ولقد أخبرتك بأني أنا البصيرة . إن بصائر أهل الأرض جميعا قد جعلني الله مثلا لها ، فأنا مثال البصيرة الكلية وعنوان لها ودليل عليها ، بل أنا هي ولست تتمكن من رؤيتي إلا على هذه الحال . هنالك قلت هذا مقام الملائكة بالله وبك ألا تدري أنجبط في ظلام الأوهام ، إلى أود المقام بجوارك أمد السهر . فلقد قضيت دهرى في حياة كلها فرام بك وحسب لتنتائج الخلقية والطبعية التي أنت المبرزة لها . فقلت انك لا تطيق الآن . أولا لأن مظهرى الآن ربما لا تحمله اذا طال مقامك هنا ، ألم تر أنك خورت صفحا حين لا يقيني . ثانيا انك الساعية كما ذكرت لك في عالم الروح . ولقد قضت العناية أن ترجع الى عالم الأجسام باليقظة ، وعينك هنا ترى ما لا ترى عينك هناك ، وهذا الجبال الذي ظهر لك إنما هو الجبال الكاسب لهذه المرحلة الروحية ووراءها درجات متتابعات تخفى لها عيون على مقدارها في عالم الأرواح العالية . ولأن درجة من درجات الجبال ظهرت لأرواح لم تستعد لمشاهدتها لأهلكتها ، فاذن لابد من رجوعك الى عالم الحس المادى زمانا لما لكى تكمل نفسك فلا تصعق كما صعقت الآن حين رأيته . قلت ولكن لا صبرنى على فراقك . فقلت إن لكل مقام مقالا ، فأرجع الى الأرض عالم المادة واشهد مزارعى التي زرعته في الأرض . فقلت أى مزارع ؟ فقلت مزارع القلوب ، قلوب الحكماء والعلماء والأولياء ، فقرأ ما ألقىته على قلب كوفوشوش حكيم الصين وقلب أفلاطون وسقراط وقلوب الرواقيين وقلب الاستاذ (كنت الألمانى) ، فهو لاء وأمثالهم الذين برعوا في علم الأخلاق قديما . وهكذا قلب الفزالي والرازى وأمثالهما من علماء الاسلام بل أمثال الشعراى من الصوفية فهذه مزارعى التي غرستها في قلوب هؤلاء في علم الأخلاق . فتذكرت إنى قرأت فى « جريدة الضياء » مقالا يوم الأربعاء ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

(المذهب الذى يعتنقه ٥٠٠ مليون من الناس)

الكونفوشيوية هي مجموعة التعاليم التى دعا اليها كوفوشوش منذ ٢٥٠٠ سنة ورواها عنه أقدم حكماء الصين ، ولم يكن كوفوشوش يميل بطبيعته الى التغافل فيأوراء الطبيعة والتعمق فى التأملات الدينية ، ولكنه كان شديد العناية بالقضائل والخلفيات

فهو يوجه جل اهتمامه الى دراسة المسائل العملية الخاصة بالعلاقات الانسانية ويدعو الى اتباع السبل القويم فى المعاملات . وكان فى حياته الخاصة شديد الاعتقاد بالقضاء والقدر ، والايمان بأن الله منه الحياة وحدد له المهمة التى يؤدونها ، وانها تحميه كيد أعدائه

ومن قوله « ما أعظم قوات الأرواح . اذا نظرنا لانراها واذا أنصتنا لانسمعها . ولكنها تدخل مع ذلك فى كل الأشياء ولا يوجد شيء بدونها »

وكان لا يصرح بمثل هذه الأمور الخاصة أتباعه فى خلواته ، أمثالهم فكانت كلها عملية ، لأنه كان معلم أخلاق ورجل سياسة . وكان يعتقد أن معرفة الله شيء يفوق قوة تصور . ومع ذلك فانه اعترف وهو يميز نفسه بقوله انه ولد فى السماء وان الله أوجد القضية التى فيه . وأن تقبله الله لاحد لها ، فهو لا يتنمى من الفضلاء

كما أنه لا يتبرم بالناس . وقوام عقيدته الاعتراف بضعف الانسان وحاجته الى مساعدة الاله ، ومحاوله التمتع بمباهج الحياة ومزاياها عن طريق الاتصال المباشر بالله . وتبكد الكونفشيوشية تكون طريقة مرسومة للحياة فهي الصفة الدينية لأنها تحض متبعيها على عدم مخالفة قوانين الطبيعة والتأقلم مع بقية الناس ، وتنتهي عن حب الثبات وتأمي بتسجعة النفس في حب الآخرين . وقد نجح كونفشيوش في اكتساب العقيدة الصينية ، بفضل شخصيته القوية ، ومحافظة على التقاليد ، ولأنه اتخذ لنفسه صفة القيادة والزعامة فأمنت تعاليمه مسلما بها من الجميع ، ولأن الخارجون عليها في حكم الكفرة

وأساس فلسفة كونفشيوش « التار » وهي قطرة الابداء ، والطريق الذي يتحرك فيه الوجود ، والنظام الذي يدير عليه العالم ، أو النظام الطبيعي . وهو السبيل الذي ينبغي أن يسلكه الناس جميعا . والاتجاه الخلقى لكل انسان . وهناك طرق ثلاثة طريق السماء وطريق الأرض وطريق الانسان وهو أهم الطرق الثلاثة ولكن الطريق شيء غير منظور لا يرى إلا في أعمال الناس فهو مبدأ خلقى مستور تفرع منه فئات الحياة اليومية . ويؤمن كونفشيوش بنبات الطبيعة على مبدأ خلقى واحد ، فهو يقول بأن السماء والأرض قد أظهرتا نباتا معنويا في طريقهما المطردة . والكون نظام وليس فرضى . وتجلى في كل أعمال الطبيعة مظاهر الاخلاص التي يجب أن تعتبر قطرة السيل للحياة الخلقية

ويعتقد الكونفشيوشيون بأن الطبيعة هي خير في ذاتها ، وأن مبادئها وقوانينها إنما وضعت لارشاد الناس الى التصرف الواجب . ومع ذلك فان تصرفات الطبيعة غامضة ولا يمكن كشفها . وهذا ما جعل تصرفات الناس خاضعة لأحكامها المقدرة من قبل . فسعادة الانسان وشقاؤه ، وتوفيقه ونحسه كلها مقدرة ، وإذا كانت لا توجد علم تمكن الانسان من السيطرة والتحكم في الحوادث الطبيعية ، فان وقوع هذه الحوادث يصبح لذلك لا محيص عنه ولا مفر منه . ومع أن وقوع هذه الحوادث التي لا مفر من وقوعها ، ومع ما يبدوننا من قسوتها وشديتها أحيانا . كان وقوعها موهونا في الغالب بتصرفات الناس أنفسهم . لأن الطبيعة ليست شريرة في أعمالها . وكل ما هنالك أنها عادلة وهي تضع دائما الخير مع الخير ، والشر مع الشر ، فالطبيعة شريفة وتكسب بطريقة خلقية سامية . وكونفشيوش مثل لوك وعلى عكس هوبز ، يعتقد بأن الأصل في طبيعة الانسان الخير وأنها تلتمس الخير كإلتصق الماء بالاحجار . وأول ما يتعلمه التلميذ الصيني في كتابه الدينى الصغير «الناس عند ما يولدون يكونون خيرين بطبيعتهم»

ويفسر آئمة الكونفشيوشية هذا المبدأ بأن كل انسان يملك في صميم نفسه مبدأ خيرا ، يسوقه الى العطف على الآخرين ومساعدتهم ، ومبدأ عادل لا يشهره بالجمل من كل ما يثير الجدل ، والكراهية لكل ما يستحق الكراهية . ومبدأ الياقة يحمله على احترام وتمجيد من يستحقون الاحترام والتقدير ، ومبدأ حكيما يعرف به الحق ويؤيده . ويدرك به الباطل ويرزخ عنه

وهذه المبادئ ليست مخالفة للطبيعة الانسانية ولكنها مركبة في غرائز العقل الانسانى ولاغنى للبشر بقصتها . وليس على الانسان الا أن يطبع هذه المبادئ الكامنة فيه ليأمن العار ويسلك الخيب الذي لاغبار عليه . ويصبح انسانا كاملا . ان الناس يولدون أطهارا بطبيعتهم غير أنهم إذ اطعموا غداء دسا . واكتسوا ملابس تشيع الدفء في أجسامهم . وسكنوا أماكن مريحة فانهم يصبحون كالبهائم تقريبا . فغاية التعليم القسوى هي استرداد العقل المفقود ، وأغلب الناس قد فقدوا عقولهم

ومن مميزات الثقافة الصينية العناية بآداب الياقة ، وهي ظاهرة الأثر في النظام الكونفشيوشى ووضع كونفشيوش نظاما خاصا من العوائد والاقبسة لكل العلاقات الأساسية بين الناس . وكل ما يشاهد في الصينيين من مظاهر الياقة وحسن التصرف إنما منشؤه من هذه العادات . فلا تزان الذي يقابلون به أى موقف من

مواقف الحياة يرجع الى استعمالهم الداخلي الذى جرى منهم مجرى الفرائز بفضل مراتهم الطويل مدى
الصور المتعاقبة

فذلك لاحتياج الصبيون الى كتب فى الياقة لأنهم نشؤوا منذ نعومة أظفارهم على اتباع أصولها المتبعة
فى حالهم الدينية المنسوبة الى كوشوش . حتى أصبح الثبات والياقة طبيعة ثانية فيهم . فانت لانفسك أرا
للجلافة عندهم حتى فى أسوأ الطبقات الجاهلة ، بل تراهم جميعا قوما يحسنون التصرف بلباقة فى الأحوال
ويفضل كوشوشوش فى كتابيه الثالث والرابع المعروفين (بتعليم الوضعاء) الكيفية التى يستطيع بها الانسان
أن يمتشى فى قوانين الطبيعة لى تظهر عناصر الخيرية المركبة فى طبيعته . وهالك بعض فقرات من الكتابين
التناسب طريق الطبيعة . والوصول الى التناسب هو طريق الانسان . فالتى يمتشى مع الطبيعة يصيب
الحذف من غير نصب ، ويفهم الحقيقة بدون تفكير والحكيم من يمتدى بظفرته الى الطريق القويم من غير عناء
والتناسب أو التمشى مع طبيعة الكون هو فعل العظيم فى الأدب الكوشوشوشية ، فالرجل الذى يصل الى
هذه المرحلة من التناسق يصبح انسانا كاملا . ويدعو كوشوشوش الى الاهتمام بالأمرين (شو) ومعنى الكلمة
الحكم على الغير باختبار الانسان الشخصى . لأن التشابه بين الناس فى تفكيرهم يمكن الفرد من الحكم على
الآخرين فلا تاتى عاملت كلها أوجودا بما لا أحب أن أعامل به ، فليس معنى ذلك أن هذه المعلمة لانتلىق
بالكلب أو الجواد . ولما كنت أبا انسانا وانقوى الآخرون هم أيضا من بنى آدم أعرف مايسبب لى الألم فالى
أمكنتى أن أعرف أن الآخرين عند مايتأثرون بنفس العامل يتألون مثلى . وإذا اتخذت قلبى دليلا لى فالى
لا أحمل لغيرى مالا أرضاه لنفسى

ويعرف كوشوشوش الرجل الرافى ، بأنه الشخص ذو الفضيلة الكاملة ، الانسان الذى رفع نفسه الى
مستوى الكمال الخلقى . بعكس الرجل الضيق الطن العادى التفكير ، ويجمع الصفات التى تتألف منها أخلاق
الانسان الكامل هى : الاحسان . والانسانية والياثر . وإنكار الذات والروحانية والحب . أما المحبة فهى فى
عرف كوشوشوش غاية الحياة الانسانية . ومن رآه أن الانسان الكامل يجب أن لى نفسى هذه الغاية ولو مرة
واحدة . أثناء تناول وجبة واحدة . أو فى ظرف يكون فيه مشغولا جدا أو عند مايشغل فى عمل فشا فاشا
ويأمر كوشوشوش بحب الناس . أى أن يشعر الفرد بمحبة النوع الانسانى وينظر الى البشر جميعا كأنهم
أخوته . ويمتد الانسان اجتماعيا بالطبيعة . ويحلل النظام الاجتماعى الى خمس علاقات : الملك ووزيره والأب
وولده . والزوج وزوجه . والأخ الأكبر وأخوه الأصغر . والصديق وصديقه . فالانسان بطبيعته مغمور فى نظام
من العلاقات ولا يستطيع أن يعرف نفسه الا داخل هذا النظام . وهذه العلاقات تتشعب فوارق ، فالشعوب ليس
معناه تحديد الحرية الطبيعية . ولكنه شىء طبيعى لا بد منه اه

فلما قرأت هذا وهى مصففة لى (وهجبت لى ذرايتى للقاله أسمى كأتى أشاهدها) قلت انظر فى الآية التى
تفسرها أنت الآن . ألم ترأى ألمت حكيم الصين أن يقول : « إن الله منعه الحياة وحدد له المهمة التى
يؤدّها وإنه بحميه كيد أعدائه » . قلت لى . قلت ليس هذا بينه ما فى هذه الآية . تنزل عليهم للملائكة
الأنحافوا ولا تخزنوا . الى قوله . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . . ثم قالت : ألم تر أن ملخص
كلامه عن نظام السموات والأرض انه فى غاية الكمال ، وأن نظام النفوس الانسانية فى الأعمال يجب أن
يكون على مقتضى هذا النظام (وبعبارة أخرى) إن النفوس الانسانية يجب أن تكون مخصصة ومصادقة
كالاخلاص والصدق فى نظام الأرض والسماء ، وهذه المعانى هى التى برزت فى تفسيرك للقرآن لأن هذا
التفسير سيكون نموذجا يؤمّه أم فى الشرق والغرب يسرون على النظام الطبيعى فى أعمالهم باخلاص وأمانة
وحب لربهم . ثم إن تعريف كوشوشوش للرجل الرافى هو عين قوله تعالى . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة

ادفع بالتي هي أحسن - وأما الحب العلم التي ذكره فهو مضمون نفس هذه الآية ومطلوب القرآن - إنما المؤمنون اخوة -

إذن آراء كوفشييهش هي مقاصد القرآن والله أعلم عليها الآن لتكتبها فيعلم المتعلمون من المسلمين الذين قرءوا العلوم الفلسفية الأوروبية ، إن آيات القرآن المبثولة للجهال والعماء على حد سواء ليست هي كما يظنون غير مستحقة عنايتهم بدعوى أن قراء القرآن أكثرهم جهلاء فقراء ، فإن هذا القرآن من عند الله كما أن الماء المذبول لجميع الناس من عنده وهكذا الحب المينور والنوى في الأرض التي تطوّه البهايم هو هو نفسه الذي يصير حبا وثمارا جنية ، فليس عموم النعمة دلالة على قصورها ولا شمولها الجاهل والعالم عنوانا على هوانها . كلا . فليعلم أولئك المتكبرون أن كبرهم في غير محله وأن القرآن تفسره الفلسفة في الشرق والغرب وحكمة الحكماء ، وعلم العلماء - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم -

ثم إنني تذكرت بعد ذلك بعض آراء أفاطون من للفتنة التي كتبها الأستاذ (بارتلي ساتهاير) أستاذ الفلسفة اليونانية في الكوليج دى فرانس ثم وزير الخارجية الفرنسية التي ترجمها الأستاذ (أحمد لطفي السيد) مدير دار الكتب المصرية ، فأسمعتها مائه . قال :

(١) وقد استعار أفاطون استعارة أخرى ليجوّد بيان هذا الطبع المزدوج للانسان فقال : (فلنتصور أن كل واحد منا هو ما كينة حية خارجة من يد الاله . فالتنهوات التي تحبسها هي كأنها جبال أو غيوط يجذبنا كل إلى ناحيته ، وبتعكس حركتها نجذبنا إلى أعمال متضادة . وهذا هو ما يقرر الفرق بين الرذيلة وبين الفضيلة ولكن الحب السليم يدلنا على أن واجبنا أن لا نطاولع إلا أحد هذه الخيوط ونقع اتجاهه ونقاوم شديدا كل ما عداه من الخيوط الأخرى . ذلك هو خيط الذهب المقدس . خيط العقل الذي هو القانون العام للممالك وللأشخاص . ينبغي أن يكون الحكم العقل مادام أنه هو محل الحكمة وأنه مكلف بأن يسهر على النفس بتمامها ولا ينبغي ألبة أن يصني المرء في نفسه إلا إلى صوت العقل ، لأن العقل المستقيم إنما هو صوت الله يحاطب به أنفسنا . ولأن يعتقد المرء أن النفس تسمو بالمعارف أو بالقوة أو بالجاه والسلطان ، ذلك ليس إلا قصافيا يجب من تشريف مافي نفسه من الجهة القدسية ، وقر يطامنه في كرام نفسه ، فإن إكراهها الحقيقي ينحصر في الدأب على تحمية الفضيلة فيها وحمايتها من الكبرياء والذات ، ومن الترف الذي يجعلها تبغين عن احتمال المشقات الضرورية ومن الجزع عند لقاء الموت بل حمايتها أيضا من جواذب الجليل ، فإن الجليل لا ينبغي أن يؤثر على الخير ، بل يلزم أن يقال : إن كل ما على سطح الأرض وما في باطنها من ذهب لا يستحق أن يوازن بالفضيلة . وإن المرء إن لم يقصر تنبثه على الخير وحده بكل قواه ، كان موردا نفسه ذلك الكائن القدسي - موارد العار والاختقار (١)

(٢) وقال المترجم أيضا « وبقمتضى ذلك كان الواجب الأول على الانسان ، بل الواجب الوحيد الذي يشمل جميع الواجبات الأخرى هو أن يسلك في الحياة سبيل العقل المستقيم . وإن أكبر خطيئة يرتكبها ، وأكبر جهالة يقع فيها إنما هو أن يعصى العلم والحكمة والعقل ، وهي ثلاثها سادته الحقيقيون . إنما هو أن يكره شيئا حكمه هو بأنه حسن جبيل بدلا من أن يحببه . إنما هو أن يحب ويحائق من يحكمه هو وأنه ردىء . على أن النفس تحب طمأنينة تامة ، وقوة أيما قوة حينما تتفق لإحساساتها وأعمالها ، فتقتبط بأنه ليس لها أن تعود باللائمة على نفسها في فكرة أو عمل ظالم في حق الله وفي حق الناس . وإن أكبر حروب في الحياة هي الحرب

(١) القوانين ك ١ ص ٥٤ - الجمهورية ك ٤ ص ٢٤٠ وك ٩ ص ٢٣٢ - طيلوس ص ٢٣٥ - كريتون ص ١٣٥ - فروطا غوراس (السفسطائيين) ص ٥٧ - القوانين ك ٥ ص ٢٥٤ - الجمهورية ك ٩ ص ٢٠٩ - فيدون ص ٢٦٦

التي تقع بصدد صيرورة المرء فاضلا أو شريرا . (١) وقد يقع المرء في الضلالة إذا هو ظن أنه الرجل الذي له قيمة تقضي عليه أن يحسب حسابا لموت أو للحياة ، بدل أن يقصر سعيه على البحث فيها إذا كان ما يعمل هو خيرا أم شرا ، وما إذا كان عمله عمل رجل صالح أم عمل رجل سوء . كل امرئ اختار صمرا ، لأنه رآه أشرف من سواء ، أو لأن رئيسه وضعه فيه ، يجب عليه أن يقيم فيه ثابتا ، ولا ينظر إلى الخطر ولا إلى الموت ، ولا إلى شيء آخر غير الشرف . كذلك كان سقراط ، لما جرى به ليحاكم أمام الشعب الآتي على تهمة كبرى ، لم يتأخر ألبنة عن تنفيذ هذه المبادئ بالعمل . فلما كان يخدم وطنه في ميدان القتال ، احتفظ كما يحتفظ الجندى البلسل بجميع النقط التي وضعه فيها القواد في يونيدة وفي أفينوليس وفي ديلوم . كذلك لم يكن ليتحول عن المركز الذي خصه الله به . بل دأب على درس الفلسفة على رغم الخطر المائل الذي كان يهدده ، حتى إنه لما مثل أمام القضاة ، لم يحظر بياله ليتق الموت أن يقتزل إلى التخصع بسؤال العفو ، ولا إلى التليقات العادية التي اعتاد الناس أن يستترأ بها شفقة القضاة . وما كان الكلام هو الذي يعوزه في هذا الصدد . بل الذي كان يتحصه هو علم الحياء من نفسه . فلم يزل عن عزته إلى سكب الدموع . وما يستبيحه التهمون المتهينون بكرامتهم من الدنيا ، كان الخطر الذي هوفه لم يكن قديرا داعيا إلى إنسان ما هو غير خليف برجل سوء . فالتأشأن أمام المحاكم كالشأن في ساحة القتال ، لا يسمح للمرء أن يتسرع بأى وسيلة من الوسائل المختلفة لحفظ حياته . فكما أنقى الحرب لا ينفى ألبنة أن يلقى المحارب سلاحه ، ولأن يطلب الأمان ، كذلك لا ينفى ألبنة لقاء غيرها من الأخطار أن يتسل (٢) إلى حد أن يقول كل شيء ، ويعمل كل شيء . كذلك مضى سقراط ، من غير أن يضمر من شرفه شيئا إلى الموت الذي حكمت عليه به المحكمة ، وترك الذين اتهموه ملطخين بوصفات الظلم والعار التي حكم عليهم بها الحق . لزم عقابه كما أنهم لزموا عقابهم . والثأشأن في ذلك كما يقول هو أن كل شيء هو على أحسن ما يكون . ليس المهم أن يعيش المرء ولكن المهم هو أن يعيش عيشة حسنة . ذلك المعنى هو الذي حل سقراط على أن يرفض خدمة القتل « كريتون » فلم يشأ أن يهرب من السجن ليخلص من حكم ظالم لأنه يعلم أن هذا الحرب مهما برره الظاهر ، فانه ليس في الواقع إلا مخالفة لقوانين الوطن .

ذلك هو إذن المبدأ الأول الذي قرره سقراط ، وأبداه بالمثل الفعل . هو أنه لا ينفى ألبنة إتيان الشر بأية حجة كانت ، بل ليس سائغا أن يدفع الشر بالشر ، ولئن قيل : إن العدل إنما هو إتيان كل إنسان ماله ، فليس معنى ذلك في عرف الحكم أن الرجل العادل يجب عليه لأعدائه الشر ، كما يجب عليه لأصدقائه الخير ، فليس عمل السوء لأى إنسان من العدل في شيء .

من هذا المبدأ استنبط سقراط نتيجة ضرورية ثابتة لم تكن من قبل ، وهي أن النفس متى كسبت السيئة يعامل الجهل أو الضعف ، على الرغم من شدة تحفظها ، فأول ما يجب الاهتمام به هو شفاؤها من المرض الذي أصابها ، والذي يمكن أن تشفى منه . وعلاج الخطيئة إنما هو العقاب ، فلا ينفى للذنب أن يتذمر من العقاب الذي أصابه إما يد الله أو يد الناس ، بل يجب عليه أن يقتبط بالبلاء الذي يكفر سيئته ويخلص نفسه مهما كان مؤلما . إن العقاب ضرب من الطب المعنوى . وشأن المذنب الذي يحاول اقتداء شأن المريض (٣) الذي قد يؤثر المرض المهلك على أن يذهب إلى الطبيب الذي يعيد إليه الصحة بالحديد أو النار . ولا يعنبر عن سقراط أن هذه المبادئ يبين عليها بادية بدء أنها تصادم الرأى العام . وفي الحق أن من النادر في الواقع أن يوجد

(١) أفلاطون - ذروطافوراس ص ٣٨ - غريغاس (اليان) ص ٢٦٢ و ٣٦٧ - القوانين ك ٣

ص ١٦٧ و ١٦٥ - غريغاس ص ٤٠٢ - الجمهورية ك ١٠ ص ٢٦٥

(٢) أفلاطون - قريطس سقراط ص ٩٠ و ٩١ و ١١٤

(٣) أفلاطون - قريطس سقراط ص ١١٤ و ١١٥ - كريتون ص ١٤٣

جناة يأتون ليسلوا أنفسهم الى العدل الذى يقتص منهم ، ولكن قد يكون ذلك مما لا يعابه ، فانه يلزم أن لا نهم بما ستقوله عنا القوغاء ، بل بما يقوله الذى يعرف العدل والظلم . وهذا القاضى الوحيد لأعمالنا إنما هو الحق ، إنما هو الله . فإذا جهد المذنب . كما هي العادة . ليخلص من العدل ، فأنما هو حقيق بأن يرى له ، حيث يضيف الى سيئته الأولى التى هي الجناية سيئة أخرى شرا منها . وهى بقاء تلك السيئة من غير عقوبة تكفرها . لكن القلب المخلص المستقيم متى كسب الخطيئة بالمصادفة . عجل الى طلب العقوبة راجيا فيها ، لأنها هي التى تصلح بينه وبين نفسه وبين الفضيلة ^(١)

(٣) وقال فى صحيفة ٣٩ وما بعدها ما نصه : «الخبر الأكمل كما عرفه أفلاطون فى كتابه «فيليب أو اللذة» ليس كله فى العقل ولا فى اللذة ، بل هو فى مزيج منهما جميعا . ونسبت فيها مما يندق تعينه . لكن الفيلسوف مع تقيده للذة لا يريد إهدارها كما حاول مناهب الغلاة من بعده بزمان ، فان لديه سعادة العيش وشقاءه مسألة كبرى ليس عنده هم أشد من حلها على الوجه الحسن ، لذلك كان شديد الرغبة فى أن يبين أن الفضيلة لا يقصر شأنها عن أن تكون أجمل شئ فى ذاتها . كما هو مسلم به ، الا عند العقول المربطة بلهى أيضا أنفع وأسهل ما يكون . تلك هي نقطة من الأهمية بأعلى مكان . ولما كانت شرائط الفضيلة فى هذه الدنيا لاتتغير . كان توضيح سقراط لإياها هيمنا كما يهم معاصريه تماما . فاننا لانزال نشكو من المحن المؤلمة الفضيلة كما كانوا يشكون . وإليك مآثراته نفس الحكيم الكبيرة التى زهقت فريسة الظلم الصارخ

إنه يستشهد فيها التجربة . أجل ، متى أراد المرء تذوق الفضيلة والفرزاهما ^(٢) منذ حدثاته سنة ، لا يتركها كما فعل الرند عن مذهبه ، فانها تقر فى القلب . أجل إنما تولد لنا كثيرا من اللذائذ وقليل من الآلام فى جميع مدة الحياة . من ذا الذى يفكر حقيقة ويستطيع أن يؤثر الجنون والحزن والافراط والمرض على العقل والشجاعة والاعتدال والصحة ؟ من ذا الذى تلقا مشهد الأحوال الانسانية يستطيع أن ينكر على العموم بعد الموازنة ، ان الفضيلة ليست أشمل سعادة من الرذيلة ؟ إنما فوق ما تحفظ على نصرائها من التمتع النفيسة الباقية تكسب مكافآت الرأى العام وتوزعها عليهم . إنما لانخدع ألبتة من يهتقونها باخلاص ، فان الملائكة لا يتخلون عن أى كان يحاول بالرون على الخير أن ينسبه بهم فى الحدود الممكنة ، إذ ليس من الطبيعى أن كانا على هذا الخلق يتخلى عنه الموجود الذى به ينسبه . فالفضيلة إذن مكفولة بحماية الله . أما من جهة الناس . أفليس الأمر كذلك أيضا ؟ أليس ما يحصل للإحيين والأشرار هوعين ما يحصل للزلاء المستبقين الذين يحرون سراعا عند صدورهم عن مقر حرفة السباق لكن لا عند رجوعهم اليه ؟ ينبون أولا بالسرعة ولكن على آخر الشوط يصبرون فى حال قصة . آذانهم بين أكتافهم . ينزرون سراعا دون أن يتوجوا . فى حين أن العدائين الحقيقيين يصلون إلى الغرض حازين قصب السبق ويتوجون بتاج النصر . أليس حظ العدائين عادة هو كذلك ^(٣) ؟ أليس حقا أنهم متى وصلوا إلى آخر متروغ من مشروعاتهم . يكتسبوا من سلوكهم وعيشتهم اسما حسنا . ويحصلوا من الناس على المكافآت الواجبة لهم ؟ أليس أنهم يصلون متى بلوا سن الرزاة إلى ما يرجون من غلوة المنصب ؟ أما الأشرار فانهم وإن أخفوا أمرهم على العيون فى شبابهم . فان أكثرهم يفضح أمره ويرفد بالسخرية فى أخريات أيامه . ومضى صاروا أنقياء فى شيخوختهم . بأوا بمسبات الأجانب والمواطنين . بله ما يلحقهم من

(١) أفلاطون - غريغاس ص ٢٥٧ و ٢٨١ و ٢٨٤

(٢) أفلاطون - إخوانك ك ١ ص ٣٣ و ٥٣ «فيليب كل المحاور» الجمهورية ك ٩ ص ٢٠٠ - القوانين

ك ه ص ٢٦٧

(٣) أفلاطون - القوانين ك ه ص ٢٦٧ و ٢٦٩ - الجمهورية ك ١٠ ص ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨

الثلاث التي تكاد قضيتهم دائماً في هذه الحياة الدنيا . وما يتلقاهم يوم القيامة من عدل الله - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه -

أن أفلاطون مقتنع بصدق هذه المبادئ في العمل الى حد أنه كان يظن أنه مستطيع أن يبين بالأرقام المضبوطة مقدار اللقوة بين سعادة الرجل الفاضل وبين الشرير . وجد بحسابه خاص أن أولهما أسعد من الثاني بسبعائة وتسع وعشرين مرة . وإنه يريد فوق ذلك أن يسعر بهذه القواعد الجبلية التي هي ثمرات تجربة يؤيدها العمل اليومي قفوس الصبيان وهي لا تزال لينة مطيعة . ثقة منه بأن هذا الكلام يقرّ به قلوبهم بأسهل من كل ماعداه . ولما أقنع قلب شاب شريف مثل « غلوكون » كاد يطلق نادياً ينادى بأعلى صوته في الناس جميعاً بهذا الحكم الذي أصدره ابن أرسطون « أن أسعد الناس أصدلم وأفضلهم وإن أشقى الناس أظلمهم وشرهم »

الى هذه المشجعات التي لم تكن لتحط مقام النفس أضاف سقراط نصيحة من شأنها أن تعظمها وتكبرها ان حوادث الحياة لاستحق منا مثل هذا الاهتمام العظيم . العقل يهدي الى أن من الجليل الاحتفاظ بالمشاشة عند المصائب وأن لا يبيع المرء نفسه الى الشهوة تلي به في اليأس . وذلك لأن الانسان يجمل (١) ما اذا كانت هذه العولرض في حكمه الله خبرات أم شرورا . ولأنه لا يكسب شيئاً من وراء الحزن لها ولأن الأم ليس لإلحاقها عما يلزم المبادرة بعمله في هذه المواقف . فالرجل العاقل المستقيم الأخلاق اذا حلت به مصيبة كفقد ولد له . أو ضياع شيء آخر عزيز عليه يحتمل المصيبة بصبر لا يطيقه أي رجل آخر . وليس هو في ذلك ألبتة عديم الشعور لأن عدم الشعور في مثل ذلك الموقف حديث خرافة . ولكنه يضع حدوداً لألمه سواء أكان في جمع من أمثاله أم كان منفرداً بنفسه فإذا يلزم إذن عمله في هذه المحن ؟ « أن يستشير المرء عقله فيما وقع . وأن يصلح سوء حظه بأحسن الوسائل التي يحكم بها العقل . وأن لا يروح للصدمة الأولى واضعاً يده على جرحه كالأطفال يضع الوقت بالصرائح . بل أولى به أن يروض نفسه على علاج الجرح بأسرع ما يمكن . وأن يرفع ماسقط . وأن يتداوى بدلاً من أن يتظلم . ذلك هو خير ما يستطيع الرجل عمله في المصائب التي تحمل به (٢) »

(٤) وقال أفلاطون : « وليس من الممكن وجود صداقة مستديمة إلا بين الأخيار . وإن الفضيلة التي هي شرط للسعادة الفردية هي كذلك شرط للسعادة في الجمعية . إن الأشرار لا يستطيعون أن يألفوا زمناً طويلاً . فإذا قربت المنفعة بينهم لحظة . فالتفت أن تباعد بينهم . بل المنفعة التي تساعد الرذيلة « وما الرذيلة إلا أسرع منها انتقالاً » تسلمهم بعضهم على بعض وتصبح الجمعية . وليس فيها إلا أشرار . غير مستطاعة أن تبقى يوماً واحداً . ان هذه القاعدة العتيقة « الشبه يبعث عن الشبه » ليست صداقة إلا بالنصف . فان الرجل الخير هو وحده صديق الرجل الخير . أما الشرير فانه لا يستطيع ألبتة أن يعقد صداقة حقيقية . لاعم الخير ولا مع الشرير شبيهه . ولما كان الشرير لا ثباته على حال متغيراً متخالفاً مع نفسه مضاداً لها . كان بعيداً عليه أن يشابه غيره ويحبه . وحينما اقترب الشرير من شبيهه واشترك (٣) معه ، صار عدوه حتماً . لأنه سيعدى عليه بعض الشيء . وكيف يكون ممكناً أن يبقى المعتدى والمعتدى عليه صديقين

(٥) وقال عن سقراط ماضيه : « ولما كان محظوراً عليه ألبتة أن يأتي الشر . كان لا يعمل السيء لأعدائه . كما لا يعمل لأصدقائه . ذلك منه بعيد . فانه يعرف أن الشر الذي يقع على الأشرار يزيدهم رذيلة على رذيلتهم .

(١) أفلاطون - الجمهورية ك ١٠ ص ٢٧٨ وك ٩ ص ٢٢٤ - القوانين ك ٢ ص ١٠١ - الجمهورية

ك ٩ ص ٢٠٤ وك ١٠ ص ٢٥٦

(٢) أفلاطون - الجمهورية ك ١٠ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧

(٣) أفلاطون - فورطاغوراس ص ٣٨ - ليزيس ص ٥٩ - فيدر ص ٨٦

شأن تلك الدواب الشمس . يضربها السائق الأخطل . فتصير بذلك غير قابلة للتذليل . ومفضل الشر حتى بالاشرار إلا قاعدة لايجرى عليها غير الطغاة أو المجانين أمثال «فرديكاس» و«بريندر» و«كزوكسيس» أما الرجل الحكيم فانه على الضد من ذلك يلقب الشرير بما يمهله من الخير . أو على الأقل بما يضربه له من المثل الصالح من عدائه . إن الشرير أولى الناس بالشفقة . لأنه مريض النفس قد اعتراه المرض في جزئه الأتقن حقا أن من القلوب ماقدباغ في الفساد حثلا لا يمكن معه شفاؤها . بل أخلفت منها الرذائل مأخذاً أصبح معه علاجها عسرا جداً أو مستحيلا . ولكن هذه هي الاستثناءات التي يندر وجودها . أما أكثر الشريرين وفي شفاثهم بقية من الرجاء . فيأزم أن يكظم الغيظ في حقهم . وأن لا يؤخفوا بالعقوبات القاسية التي لا يكون من ورأيها إلا أن يركبوا مآل الحنة ويتعدوا عن الهراء الشافي

إن ما يكسب مبادئ سقراط هذه من رغبة وميزة خاصة بها أنه لم يقصر أمره على تقريرها . بل كان ينادي تطبيقها . وما كانت حياته إلا وقفا على هذا التطبيق الطويل الشاق . فانه منذ تلقى من إله «دلقوس» رسالته المقدسة . واستنارت نفسه بنور الحق مازال يعلم مواطنيه بأكل ما يكون من الرعاية التي قد لا تخلو من التقرير بمحض لهم أنفع النصح . ويحمل إلى السراويل الخاصة نور سريره الساطع . وقد كان يرى أن نفع الناس وتخليصهم مما هم فيه من الضرر واجب عليه إلى حد أنه لو استطاع أن يخلصهم بتقديم حياته قربانا . لما تأخر في ذلك . فلو قال له أهل آتينا

«يسقراط إما تطرح رأى (أبنتوس) ونحكم يراءك . لكن على شرط أن تكف عن الفلسفة وعن أبحاثك التي اعتدتها . وإله إن وقع منك ذلك واكتشف أمرك عوقبت بالقتل لما تأخر عن أن يجهيهم بأهل آتينا إلى أحتريك وأحكم ولكني أطبع الله لأطبعكم أتم . وما بقيت أنفاسي تردد في صدري . وبقي لي حظ من القوة . لا فأتا أنشركم وأنصح لكم وادعواكل من لقيتم باللسان الذي عرفتم مني . ولو أني كفت في هذه الساعة لما كان هذا خوفا على نفسي كما قد يبدو للأذهان . بل خوفا عليكم أن تحاربوا الله بالحكم على هذا هو اعتقاد سقراط وذلك هو إحسانه إلى الناس . فلا يجب من يسمع تقريره من أن يراه قد تقدم المسيحية نفسها لإيقول لأهل جمهوريته : يا أيها الذين تألف منهم المملكة كلكم اخوان . لأنه هو نفسه لم يخل لحظة عن الاعتقاد بأنه أخو قاتليه (١) »

كفى بالمذاهب الأخلاقية اتى من هذا النوع دليلا على المذاهب الدينية التي تتوجها . فمن السهل استنباط المعتقدات الدينية لأفلاطون وسقراط من منبهما الأخلاق . فاذا كان الصوت الذي يخرج من أحشائهم ضميرا هو صوت الله . وإذا كان الله هو الشارع الذي يجب علينا جميعا طاعته . وإذا كان الناس لا يؤلفون فيما بينهم إلا عشيرة واحدة . فمن البدهي أن أباهم العالم أعماهوا الله الذي رضى لهم أن يحبوه كما يحبون أنفسهم بعضهم بعضا . وإن الصلة بينه وبين الانسان دائمة فلا يستطيع أن يفتر منه أبدا . ولو صغر حتى نفذ في باطن الأرض أو كبر حتى (عرج في جوف السماء) . وأبه من ذلك أن يستطيع التغلب على الإله أبدا . أو يتخلص من هذا النظام الثابت الذي شرعه والذي يجب احترامه إلى مالا نهاية . ومن الكفر اليين به بد إساكر وجود الله أن لا يستعبد العناية الإلهية . فان ذلك يستبقر القرب بأن هذه العناية يمكن أن تتخفى عن الإنسان لحظة فلا تراه . وتسلمه بغير حساب إلى سورة وذاته أو عجز فذاته . إن أجل ألقاب الاسمين راحسنا أنه «صنعة صنعا الله يديه» فلا شيء لدينا إلا وهو من قبض إحسانه . ولا يستطيع أن يوجب الشكر على نعماته بصاواتنا ما تقر من القرايين وما تأتي من العبادات المستمرة إليه هرقتونا ولولده . كن شيئا مذكورا . «إن الله على حسب التأليد دقة هو الأول وهو الوسط وهو الآخر لجميع الموجودات . وعبر سير على خط مستقيم تبعا لأمروسة في حين

أنه يحيط بالعالم . ووراء العدل المنتقم في الجرائم التي تقع ضد شريعته . فأيا امرئ شاء أن يكون سعيدا . فليستصل بهذا العدل الالهي وقتف أثره خاضعا متواضعا . آمنا متفتح كبرا . وأسلم قلبه الى نار الشهوات . وظن أن لاجحة له بسيد ولا هاد . فان الله يتركه الى نفسه . ولا يلبث أن يدفع الدين الى العدل الالهي . وينتهي أمره بأن يهلك هو وعشيرته ووطنه (١) »

ثم ادّام هذا هو النظام الثابت للأشياء . فم فكر الحكيم وماذا يعمل ؟ يدهي ؟ أن كل انسان عامل يفكر في أنه ينبغي له أن يكون من الذين يتقربون الى الله . لكن ماهو السبيل المقبول عند الله ؟ هو طريق واحد . لأن الله بالنسبة لنا هو المقياس المضبوط لجميع الأشياء . لا الانسان كما زعموا باطلا . فلا سبيل الى أن يعطى الانسان يقرب الله حتى يعمل كل ما في دعوته ليقتبسه به . أعني بمقدار ما يتيح للإنسان أن يبلغ من التقبيل بذلك المثل الأعلى القوي لا يهانه أحد . ومتى آمن الانسان على هذا الاتصال وذلك «النسب الالهي» واقنع بأن عناية الله تحرسه بلا انقطاع كالحرس بقية الدنيا . وأيده ضميره الذي يرضى عنه لحسن طاعته للنظام العام فذاغسى أن يخفيه في العالم بأسره ؟ وكيف يتمتع قلبه عن الايمان بهذه الحقيقة المعزبة : أن الانسان الخير لاخوف عليه في حياته ولا بعد مماته ؟ فذاغسه في هذه الحياة سوء . فكيف لا يحفظ الاعتقاد الراسخ بأن الاله سيب له ملا يزال يهب للأخيار من لطف في المصائب التي تصيبهم ، وتغير في حالهم الحاضرة الى خير منها ، على أن التمس المعنوية التي اكتسبوها والتي ليست نعمة زائلة أو منتقلة تنق لهم الى الأبد ، على أمثال هذه الآمال وفي أمثال هذه الأفكار يجب أن يقطع المرء عمره ، يتركها نفسه وغيره في كل فرصة وفي كل مقام من مقامات الجحيم واللعن (٢) »

(٦) وقد قال عن سقراط مانسه : « أظن أن سقراط هو أول من حاول من الحكماء إثبات صفة الله في الطبع الانساني بطريق البحث والتقيب ، وقد صدر في ذلك عن هذا المعنى العميق الذي قرره «انكساغوراس» وهو أن العقل أصل كل شيء في العالم فاستنتج منه كما ذكر في «فيدون» هذه النتيجة وهي : أن عقلا مدبرا خالقا يجب أن يكون قد أعد كل شيء على أحسن ما يكون . وليس على الباحث لمعرفة طبع أى شيء إلا أن يبحث أحسن حالة يمكن أن يكون عليها ذلك الشيء ، فليس على الانسان في كل ما يتعلق به إلا أن يبحث ، كما هو الحال في بقية الأشياء . مما هو الأحسن والأكل ولقد كان «هرقليط» يقول من قبل سقراط : إن أجل القردة إذا تورن بالانسان ظهر قبيحا . كذلك الانسان الحكيم لا يظهر بجانب حكمة الله وجاله إلا كاتفرد ، ولكن سقراط عز عليه أن يقف بعينه على درس الجسم كالفلسف «هرقليط» فيلسوف يوناني . فتمشى مع مبدأ الأحسن في درس الروح التي جعلها الجهة الوحيدة لدرس الطبع البشري اه

هذه هي المقالات التي تذكرتها في حضرة تلك الروح الشريفة الجلية ، فها سمعت هذه المقالات من كلام أفلاطون وسقراط وأرسطاطاليس . فلت نم هذه من أجل مزارعي في الأرض فيما بلغكم من العلم منذ ٢٥٠٠ سنة الى الآن . وكل هذه هي التي توضح هذه الآبه وقد تطابقت كلها على «أمرين : الأول» الوازع لما خلى والقانون الوجداني وهو . . . فتبسمت بوقار . فقلت (البصيرة) قالت نعم . بل الانسان على نفسه بصيرة . ولأولي معاذره . «والثاني» إن هأنا قوة علينا تساعد من أطاع هذا القانون وسار عليه . وللناس في أمره أنت مدكر وموعظة حسنة . ألت تحسن في نفسك بما يشد عزمك في أوقات الشدائد . قلت بلى والله . قالت : ألت في أثناء هذا التفسير تحسن في نفسك بسعادة وهنا لم تر لها نظيرا مدة الحياة . قلت بلى . قالت

(١) أفلاطون - القوانين ك ١٠ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٤٩١ و ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥٠٠ و ٥٠١ و ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥٢٦ و ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٢٩ و ٥٣٠ و ٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٣٤ و ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ و ٥٤٢ و ٥٤٣ و ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٥٣ و ٥٥٤ و ٥٥٥ و ٥٥٦ و ٥٥٧ و ٥٥٨ و ٥٥٩ و ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٢ و ٥٦٣ و ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ و ٥٧٢ و ٥٧٣ و ٥٧٤ و ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٢ و ٥٨٣ و ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٨٦ و ٥٨٧ و ٥٨٨ و ٥٨٩ و ٥٩٠ و ٥٩١ و ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٥ و ٥٩٦ و ٥٩٧ و ٥٩٨ و ٥٩٩ و ٦٠٠ و ٦٠١ و ٦٠٢ و ٦٠٣ و ٦٠٤ و ٦٠٥ و ٦٠٦ و ٦٠٧ و ٦٠٨ و ٦٠٩ و ٦١٠ و ٦١١ و ٦١٢ و ٦١٣ و ٦١٤ و ٦١٥ و ٦١٦ و ٦١٧ و ٦١٨ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢١ و ٦٢٢ و ٦٢٣ و ٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٢٦ و ٦٢٧ و ٦٢٨ و ٦٢٩ و ٦٣٠ و ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٣ و ٦٣٤ و ٦٣٥ و ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٢ و ٦٤٣ و ٦٤٤ و ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٧ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٣ و ٦٥٤ و ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٢ و ٦٦٣ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٦٨ و ٦٦٩ و ٦٧٠ و ٦٧١ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥ و ٦٧٦ و ٦٧٧ و ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٦٨٥ و ٦٨٦ و ٦٨٧ و ٦٨٨ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٦٩٣ و ٦٩٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٦٩٧ و ٦٩٨ و ٦٩٩ و ٧٠٠ و ٧٠١ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧٠٤ و ٧٠٥ و ٧٠٦ و ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩ و ٧١٠ و ٧١١ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٥ و ٧١٦ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧١٩ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٣ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩ و ٧٣٠ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٣ و ٧٣٤ و ٧٣٥ و ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٢ و ٧٤٣ و ٧٤٤ و ٧٤٥ و ٧٤٦ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٤٩ و ٧٥٠ و ٧٥١ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٣ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٦ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ و ٧٧٢ و ٧٧٣ و ٧٧٤ و ٧٧٥ و ٧٧٦ و ٧٧٧ و ٧٧٨ و ٧٧٩ و ٧٨٠ و ٧٨١ و ٧٨٢ و ٧٨٣ و ٧٨٤ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٨٧ و ٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٩٠ و ٧٩١ و ٧٩٢ و ٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ و ٧٩٦ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠ و ٨٠١ و ٨٠٢ و ٨٠٣ و ٨٠٤ و ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨٠٧ و ٨٠٨ و ٨٠٩ و ٨١٠ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ و ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢٠ و ٨٢١ و ٨٢٢ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥ و ٨٢٦ و ٨٢٧ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٣٠ و ٨٣١ و ٨٣٢ و ٨٣٣ و ٨٣٤ و ٨٣٥ و ٨٣٦ و ٨٣٧ و ٨٣٨ و ٨٣٩ و ٨٤٠ و ٨٤١ و ٨٤٢ و ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥ و ٨٤٦ و ٨٤٧ و ٨٤٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٥١ و ٨٥٢ و ٨٥٣ و ٨٥٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ و ٨٥٧ و ٨٥٨ و ٨٥٩ و ٨٦٠ و ٨٦١ و ٨٦٢ و ٨٦٣ و ٨٦٤ و ٨٦٥ و ٨٦٦ و ٨٦٧ و ٨٦٨ و ٨٦٩ و ٨٧٠ و ٨٧١ و ٨٧٢ و ٨٧٣ و ٨٧٤ و ٨٧٥ و ٨٧٦ و ٨٧٧ و ٨٧٨ و ٨٧٩ و ٨٨٠ و ٨٨١ و ٨٨٢ و ٨٨٣ و ٨٨٤ و ٨٨٥ و ٨٨٦ و ٨٨٧ و ٨٨٨ و ٨٨٩ و ٨٩٠ و ٨٩١ و ٨٩٢ و ٨٩٣ و ٨٩٤ و ٨٩٥ و ٨٩٦ و ٨٩٧ و ٨٩٨ و ٨٩٩ و ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢ و ٩٠٣ و ٩٠٤ و ٩٠٥ و ٩٠٦ و ٩٠٧ و ٩٠٨ و ٩٠٩ و ٩١٠ و ٩١١ و ٩١٢ و ٩١٣ و ٩١٤ و ٩١٥ و ٩١٦ و ٩١٧ و ٩١٨ و ٩١٩ و ٩٢٠ و ٩٢١ و ٩٢٢ و ٩٢٣ و ٩٢٤ و ٩٢٥ و ٩٢٦ و ٩٢٧ و ٩٢٨ و ٩٢٩ و ٩٣٠ و ٩٣١ و ٩٣٢ و ٩٣٣ و ٩٣٤ و ٩٣٥ و ٩٣٦ و ٩٣٧ و ٩٣٨ و ٩٣٩ و ٩٤٠ و ٩٤١ و ٩٤٢ و ٩٤٣ و ٩٤٤ و ٩٤٥ و ٩٤٦ و ٩٤٧ و ٩٤٨ و ٩٤٩ و ٩٥٠ و ٩٥١ و ٩٥٢ و ٩٥٣ و ٩٥٤ و ٩٥٥ و ٩٥٦ و ٩٥٧ و ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٦٠ و ٩٦١ و ٩٦٢ و ٩٦٣ و ٩٦٤ و ٩٦٥ و ٩٦٦ و ٩٦٧ و ٩٦٨ و ٩٦٩ و ٩٧٠ و ٩٧١ و ٩٧٢ و ٩٧٣ و ٩٧٤ و ٩٧٥ و ٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ و ٩٨٠ و ٩٨١ و ٩٨٢ و ٩٨٣ و ٩٨٤ و ٩٨٥ و ٩٨٦ و ٩٨٧ و ٩٨٨ و ٩٨٩ و ٩٩٠ و ٩٩١ و ٩٩٢ و ٩٩٣ و ٩٩٤ و ٩٩٥ و ٩٩٦ و ٩٩٧ و ٩٩٨ و ٩٩٩ و ١٠٠٠ و ١٠٠١ و ١٠٠٢ و ١٠٠٣ و ١٠٠٤ و ١٠٠٥ و ١٠٠٦ و ١٠٠٧ و ١٠٠٨ و ١٠٠٩ و ١٠١٠ و ١٠١١ و ١٠١٢ و ١٠١٣ و ١٠١٤ و ١٠١٥ و ١٠١٦ و ١٠١٧ و ١٠١٨ و ١٠١٩ و ١٠٢٠ و ١٠٢١ و ١٠٢٢ و ١٠٢٣ و ١٠٢٤ و ١٠٢٥ و ١٠٢٦ و ١٠٢٧ و ١٠٢٨ و ١٠٢٩ و ١٠٣٠ و ١٠٣١ و ١٠٣٢ و ١٠٣٣ و ١٠٣٤ و ١٠٣٥ و ١٠٣٦ و ١٠٣٧ و ١٠٣٨ و ١٠٣٩ و ١٠٤٠ و ١٠٤١ و ١٠٤٢ و ١٠٤٣ و ١٠٤٤ و ١٠٤٥ و ١٠٤٦ و ١٠٤٧ و ١٠٤٨ و ١٠٤٩ و ١٠٥٠ و ١٠٥١ و ١٠٥٢ و ١٠٥٣ و ١٠٥٤ و ١٠٥٥ و ١٠٥٦ و ١٠٥٧ و ١٠٥٨ و ١٠٥٩ و ١٠٦٠ و ١٠٦١ و ١٠٦٢ و ١٠٦٣ و ١٠٦٤ و ١٠٦٥ و ١٠٦٦ و ١٠٦٧ و ١٠٦٨ و ١٠٦٩ و ١٠٧٠ و ١٠٧١ و ١٠٧٢ و ١٠٧٣ و ١٠٧٤ و ١٠٧٥ و ١٠٧٦ و ١٠٧٧ و ١٠٧٨ و ١٠٧٩ و ١٠٨٠ و ١٠٨١ و ١٠٨٢ و ١٠٨٣ و ١٠٨٤ و ١٠٨٥ و ١٠٨٦ و ١٠٨٧ و ١٠٨٨ و ١٠٨٩ و ١٠٩٠ و ١٠٩١ و ١٠٩٢ و ١٠٩٣ و ١٠٩٤ و ١٠٩٥ و ١٠٩٦ و ١٠٩٧ و ١٠٩٨ و ١٠٩٩ و ١١٠٠ و ١١٠١ و ١١٠٢ و ١١٠٣ و ١١٠٤ و ١١٠٥ و ١١٠٦ و ١١٠٧ و ١١٠٨ و ١١٠٩ و ١١١٠ و ١١١١ و ١١١٢ و ١١١٣ و ١١١٤ و ١١١٥ و ١١١٦ و ١١١٧ و ١١١٨ و ١١١٩ و ١١٢٠ و ١١٢١ و ١١٢٢ و ١١٢٣ و ١١٢٤ و ١١٢٥ و ١١٢٦ و ١١٢٧ و ١١٢٨ و ١١٢٩ و ١١٣٠ و ١١٣١ و ١١٣٢ و ١١٣٣ و ١١٣٤ و ١١٣٥ و ١١٣٦ و ١١٣٧ و ١١٣٨ و ١١٣٩ و ١١٤٠ و ١١٤١ و ١١٤٢ و ١١٤٣ و ١١٤٤ و ١١٤٥ و ١١٤٦ و ١١٤٧ و ١١٤٨ و ١١٤٩ و ١١٥٠ و ١١٥١ و ١١٥٢ و ١١٥٣ و ١١٥٤ و ١١٥٥ و ١١٥٦ و ١١٥٧ و ١١٥٨ و ١١٥٩ و ١١٦٠ و ١١٦١ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٤ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٦٧ و ١١٦٨ و ١١٦٩ و ١١٧٠ و ١١٧١ و ١١٧٢ و ١١٧٣ و ١١٧٤ و ١١٧٥ و ١١٧٦ و ١١٧٧ و ١١٧٨ و ١١٧٩ و ١١٨٠ و ١١٨١ و ١١٨٢ و ١١٨٣ و ١١٨٤ و ١١٨٥ و ١١٨٦ و ١١٨٧ و ١١٨٨ و ١١٨٩ و ١١٩٠ و ١١٩١ و ١١٩٢ و ١١٩٣ و ١١٩٤ و ١١٩٥ و ١١٩٦ و ١١٩٧ و ١١٩٨ و ١١٩٩ و ١٢٠٠ و ١٢٠١ و ١٢٠٢ و ١٢٠٣ و ١٢٠٤ و ١٢٠٥ و ١٢٠٦ و ١٢٠٧ و ١٢٠٨ و ١٢٠٩ و ١٢١٠ و ١٢١١ و ١٢١٢ و ١٢١٣ و ١٢١٤ و ١٢١٥ و ١٢١٦ و ١٢١٧ و ١٢١٨ و ١٢١٩ و ١٢٢٠ و ١٢٢١ و ١٢٢٢ و ١٢٢٣ و ١٢٢٤ و ١٢٢٥ و ١٢٢٦ و ١٢٢٧ و ١٢٢٨ و ١٢٢٩ و ١٢٣٠ و ١٢٣١ و ١٢٣٢ و ١٢٣٣ و ١٢٣٤ و ١٢٣٥ و ١٢٣٦ و ١٢٣٧ و ١٢٣٨ و ١٢٣٩ و ١٢٤٠ و ١٢٤١ و ١٢٤٢ و ١٢٤٣ و ١٢٤٤ و ١٢٤٥ و ١٢٤٦ و ١٢٤٧ و ١٢٤٨ و ١٢٤٩ و ١٢٥٠ و ١٢٥١ و ١٢٥٢ و ١٢٥٣ و ١٢٥٤ و ١٢٥٥ و ١٢٥٦ و ١٢٥٧ و ١٢٥٨ و ١٢٥٩ و ١٢٦٠ و ١٢٦١ و ١٢٦٢ و ١٢٦٣ و ١٢٦٤ و ١٢٦٥ و ١٢٦٦ و ١٢٦٧ و ١٢٦٨ و ١٢٦٩ و ١٢٧٠ و ١٢٧١ و ١٢٧٢ و ١٢٧٣ و ١٢٧٤ و ١٢٧٥ و ١٢٧٦ و ١٢٧٧ و ١٢٧٨ و ١٢٧٩ و ١٢٨٠ و ١٢٨١ و ١٢٨٢ و ١٢٨٣ و ١٢٨٤ و ١٢٨٥ و ١٢٨٦ و ١٢٨٧ و ١٢٨٨ و ١٢٨٩ و ١٢٩٠ و ١٢٩١ و ١٢٩٢ و ١٢٩٣ و ١٢٩٤ و ١٢٩٥ و ١٢٩٦ و ١٢٩٧ و ١٢٩٨ و ١٢٩٩ و ١٣٠٠ و ١٣٠١ و ١٣٠٢ و ١٣٠٣ و ١٣٠٤ و ١٣٠٥ و ١٣٠٦ و ١٣٠٧ و ١٣٠٨ و ١٣٠٩ و ١٣١٠ و ١٣١١ و ١٣١٢ و ١٣١٣ و ١٣١٤ و ١٣١٥ و ١٣١٦ و ١٣١٧ و ١٣١٨ و ١٣١٩ و ١٣٢٠ و ١٣٢١ و ١٣٢٢ و ١٣٢٣ و ١٣٢٤ و ١٣٢٥ و ١٣٢٦ و ١٣٢٧ و ١٣٢٨ و ١٣٢٩ و ١٣٣٠ و ١٣٣١ و ١٣٣٢ و ١٣٣٣ و ١٣٣٤ و ١٣٣٥ و ١٣٣٦ و ١٣٣٧ و ١٣٣٨ و ١٣٣٩ و ١٣٤٠ و ١٣٤١ و ١٣٤٢ و ١٣٤٣ و ١٣٤٤ و ١٣٤٥ و ١٣٤٦ و ١٣٤٧ و ١٣٤٨ و ١٣٤٩ و ١٣٥٠ و ١٣٥١ و ١٣٥٢ و ١٣٥٣ و ١٣٥٤ و ١٣٥٥ و ١٣٥٦ و ١٣٥٧ و ١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٦٠ و ١٣٦١ و ١٣٦٢ و ١٣٦٣ و ١٣٦٤ و ١٣٦٥ و ١٣٦٦ و ١٣٦٧ و ١٣٦٨ و ١٣٦٩ و ١٣٧٠ و ١٣٧١ و ١٣٧٢ و ١٣٧٣ و ١٣٧٤ و ١٣٧٥ و ١٣٧٦ و ١٣٧٧ و ١٣٧٨ و ١٣٧٩ و ١٣٨٠ و ١٣٨١ و ١٣٨٢ و ١٣٨٣ و ١٣٨٤ و ١٣٨٥ و ١٣٨٦ و ١٣٨٧ و ١٣٨٨ و ١٣٨٩ و ١٣٩٠ و ١٣٩١ و ١٣٩٢ و ١٣٩٣ و ١٣٩٤ و ١٣٩٥ و ١٣٩٦ و ١٣٩٧ و ١٣٩٨ و ١٣٩٩ و ١٤٠٠ و ١٤٠١ و ١٤٠٢ و ١٤٠٣ و ١٤٠٤ و ١٤٠٥ و ١٤٠٦ و ١٤٠٧ و ١٤٠٨ و ١٤٠٩ و ١٤١٠ و ١٤١١ و ١٤١٢ و ١٤١٣ و ١٤١٤ و ١٤١٥ و ١٤١٦ و ١٤١٧ و ١٤١٨ و ١٤١٩ و ١٤٢٠ و ١٤٢١ و ١٤٢٢ و ١٤٢٣ و ١٤٢٤ و ١٤٢٥ و ١٤٢٦ و ١٤٢٧ و ١٤٢٨ و ١٤٢٩ و ١٤٣٠ و ١٤٣١ و ١٤٣٢ و ١٤٣٣ و ١٤٣٤ و ١٤٣٥ و ١٤٣٦ و ١٤٣٧ و ١٤٣٨ و ١٤٣٩ و ١٤٤٠ و ١٤٤١ و ١٤٤٢ و ١٤٤٣ و ١٤٤٤ و ١٤٤٥ و ١٤٤٦ و ١٤٤٧ و ١٤٤٨ و ١٤٤٩ و ١٤٥٠ و ١٤٥١ و ١٤٥٢ و ١٤٥٣ و ١٤٥٤ و ١٤٥٥ و ١٤٥٦ و ١٤٥٧ و ١٤٥٨ و ١٤٥٩ و ١٤٦٠ و ١٤٦١ و ١٤٦٢ و ١٤٦٣ و ١٤٦٤ و ١٤٦٥ و ١٤٦٦ و ١٤٦٧ و ١٤٦٨ و ١٤٦٩ و ١٤٧٠ و ١٤٧١ و ١٤٧٢ و ١٤٧٣ و ١٤٧٤ و ١٤٧٥ و ١٤٧٦ و ١٤٧٧ و ١٤٧٨ و ١٤٧٩ و ١٤٨٠ و ١٤٨١ و ١٤٨٢ و ١٤٨٣ و ١٤٨٤ و ١٤٨٥ و ١٤٨٦ و ١٤٨٧ و ١٤٨٨ و ١٤٨٩ و ١٤٩٠ و ١٤٩١ و ١٤٩٢ و ١٤٩٣ و ١٤٩٤ و ١٤٩٥ و ١٤٩٦ و ١٤٩٧ و ١٤٩٨ و ١٤٩٩ و ١٥٠٠ و ١٥٠١ و ١٥٠٢ و ١٥٠٣ و ١٥٠٤ و ١٥٠٥ و ١٥٠٦ و ١٥٠٧ و ١٥٠٨ و ١٥٠٩ و ١٥١٠ و ١٥١١ و ١٥١٢ و ١٥١٣ و ١٥١٤ و ١٥١٥ و ١٥١٦ و ١٥١٧ و ١٥١٨ و ١٥١٩ و ١٥٢٠ و ١٥٢١ و ١٥٢٢ و ١٥٢٣ و ١٥٢٤ و ١٥٢٥ و ١٥٢٦ و ١٥٢٧ و ١٥٢٨ و ١٥٢٩ و ١٥٣٠ و ١٥٣١ و ١٥٣

أليست المعاني والمساعدات العلمية لاتفتأ تترادف عليك وكلما ازدادت في التأليف إيفلا ازدادت مددا وعلمها وانتمراح صدر وسرورا . قلت بلى . قالت فهذا هو الذى يقوله كوتنشيوش وسقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس ويقولهم الرواقيون القرين جاؤا بعد أرسطاطاليس وأغروا يعلم الأخلاق وقالوا إن سعادة الانسان فى الأخلاق وجعلها ولهم ما هب خاص بها قل أهمه علماء الاسلام من الفلاسفة والصوفية ، وقد ملأ الفزلى من علمائكم كتاب الإحياء بعلم الأخلاق وهو معروف مشهور ، هاهى ذه بعض مزارعى التى زرعته فى القلوب فاذا رجعت الى عالم المادة فأسوعب ذلك كله وأدخله فى تفسير الآية حتى يعلم المسلمون أن كلام الحكماء تفصيل وتفسير لآيات القرآن وأن آية - بل الانسان على نفسه بصيرة - وآية - إن القرين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - الى آخره تفسران بعلوم الفلسفة . اليوم يشهد المسلمون أن دينهم أقيمت علومه على عقول الحكماء قبل زول القرآن ، فهذه من اعجزه الجيب . إذن أنا أظهر فى كل قلب بحسب درجته وتكون الجبل والانشاء على مقتضى اختلاف العقول والأمم . فانظر الى الشيخ الشعراى رحمه الله الذى جاء فى القرون للتأخرة . فهنا قد ظهرت آثارى على قلبه بهيمة أخرى ، أنا واحدة ومظاهرى كثيرة كالشمس تختلف أضواؤها فيتمو بها كل نبات والاختلاف يكون على حسب القوابل قوة وضعفا ، وإذا كان فى العوالم المادّية نظام جيل :

(١) كقوانين الجذر والتربيع فى امتداد النور والحرارة والكهرباء والمجاذبية وفى قوانين الجبر الساقط فى بئر (هذا فى سورة الرعد عند آية - وكل شئ عنده بمقدار-)

(٢) وكقوانين الذكور والاناث فى تلقيح الزرع والشجر ، وفى نظام أوراق الأشجار من حيث هندستها وحسابها (هذا فى سورة الحجر فى آية - وأرسلنا الرياح لواقح - وآية - وأنبثنا فيها من كل شئ ممزودن -)

(٣) وكنظام همالك النحل والفحل والأرض وغيرها (فى سورة النحل والفحل وسبا)

(٤) وبكمال الأزهر والفجر ووجوه الانسان

وإذا كان ذلك كله جيلا وبديها بحساب عجيب كحساب العناصر من حيث وزنها وترتيبها فى جداول منتظمات (هذا فى سورة النكبات) أفلا يكون علما الروحى الذى هو أصل تلك العوالم وهو سيدها أجل وأبهى وأبدع نظاما وحسابا من عوالم المادة . إذن فقلتم أن لنفوسكم نظاما لا تدركون كنهه ولافتأ فصلحه أمد الدهر ، فتارة نظهر فى عقول الفلاسفة ، وآوثة فى عقول رجال الدين ، ووقتا نظهر بهيمة صوفية ، والمبدأ واحدا والمظاهر مختلفات ، فهل تذكر شيئا من آراء الشيخ الشعراى رحمه الله ؟ فقلت نعم . قل فى المكن الكبرى مانسه :

ودعنا من الله تبارك وتعالى به على عدم تكثرى على شئ فأتى من الدنيا وتكثرى عن صدها عني وذلك لعلنى ويبنى بأن كل شئ فأتى فليس هو برزقى ولا قسم لى فكيف أحزن على شئ لم يقسمه الحق تبارك وتعالى لى أو أتكثر من صد ذلك عني بالوهم وهذا خلق غريب فى هذا الزمان وغالب الناس يحزن ويتكثر من سعى فى قطع رزقه أو خروج وظيفته عنه وربما عادى من عارضه فى رزقه الذى كان يتوهم انه له أبدا ما عاش (وقد رأيت خطيبا كان يحط فى الجامع الأزهر . فلما دخل السلطان سليم مصر وصلى فى الجامع الأزهر قال الناس لا يحط اليوم الافلان لفصاحته ومعرفته بالوعظ المناسب للسلطان ومنعوا صاحب التوبة تلك الجملة لجزءه عن مثل ذلك . فلما خطب رسم له السلطان بخمسين دينارا تنان هذه لى ولم يعط صاحب التوبة منها شيئا فشيت فى الصلح بينهما فلم أقدر ولم تزل العداوة بينهما الى أن ماتا على العداوة فقلت لصاحب التوبة ابن قولك فى الخطبة والله ثم والله ثم والله ما يعطى ويمنع ويضع ويرفع الا الله تعالى فادرى ما يقول وبالجملة فلا يقع فى مثل ذلك الا جاهل محجوب عن الله تعالى فان كان ولا بد للمؤمن من أن يحزن فليحزن على ساعة مرت به لم يذكر الله تعالى فيها فان ذلك محمود ولولم يمكن تداركه لما نبت من انتعظيم لجناب الله تعالى والمحن على فوات

محالته تعالى والوقوف بين يديه جل وعلا كاهو شأن كل عب مع محبوبه ومن لم يحزن على فوات محالته
عجوبه فليس له في مقام المحبة نصيب (واعلم يا أخي) أن الحزن على مفات من الطاعات أمهاو محمود للعبد مادام
عجوباً يختار خلاف ما يختاره له ربه جل وعلا فإذا رفع عنه الحجاب لم يجد شيئاً قسم له ثم فاته أبداً لأن ذلك
لا يصح عقلاً ولا شرعاً (وكان) الشبلي رضي الله تعالى عنه يقول وهو في بداية أمره اللهم ان عذبتني بشئ فلا
تعذبني بهذا الحجاب فلما اكمل حاله صار يقول الحمد لله الذي حببني في الوقت الفلاني عن شهوده فانه تعالى
ما حببني عنه إلا راحة في خوف أن لا أقوم بأدب الشهود وتارة يقول اني لأشتهي رؤية الله عز وجل أبداً فقليل
له في ذلك فقال انزه ذلك الجمل البديع عن رؤية محدث مثلي انتهى ولكل مقام رجال فافهم يا أخي ذلك والله
سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين » اهـ

وقال أيضاً في حقيفة ١٨٨ من الكتاب المذكور ماضه : « وعما من الله تبارك وتعالى به على عدم قطع
بري وحسني للناس اذا كفروا واسطاني في ذلك فاني عبد ليس لي فضل على أحد وانما أنا مستعمل نيا أمرني
الحق تبارك وتعالى به وليس لي مع ملك أرى به فضلاً على أحد من عبيده مطلقاً وتقدير ربي الفضل على
العباد فكلما كفروا واسطاني توفري لأجور بخلاف ما لا مدحوني فر بما كان ذلك المذبح يرجع على ذلك العطاء
فلا يبق لي حسنة وقد كان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يقول أعظم الناس أجراً من يحسن إلى
من لا يشكره أولى من يؤذي من الأعداء انتهى . وسدته أيضاً رضي الله تعالى عنه يقول من أراد النصر على
أعدائه فليحسن إليهم وليتأمل في نفسه الذي يعاقب ولله وتليذه مثلاً بقطع الإحسان إليه يجد الحق تبارك
وتعالى يرزقه ليلاً ونهاراً مع كونه مخالفاً له فينبغي للعبد أن يعامل عبيد سيده بالحلم والعضو والصفح وعدم
المعالجة بالعقوبة كما يعامله سيده . ثم لا يخفى أن الأثم الواقع لمن يعاقب بولاه مثلاً بقطع رزقه إنما هو من حيث
قصده هو ولا يعابد لا يقدر أن يرد ما قسمه الله تبارك وتعالى لعبه أبداً انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على
التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين » اهـ

وقال أيضاً في حقيفة ١٨٩ من الكتاب المذكور ماضه : « وعما من الله تبارك وتعالى على حضور قلبي مع
الله تبارك وتعالى حال أكل وشربي وشهودي ان ذلك من فضل الله تعالى عليّ لأستحق ذرة منه بل لأقوم
بواجب حق تبارك وتعالى عليّ لوسفت الرمادم اذا وقع لي أثني أكت غافلاً عن ذلك المشهد أوشربت
استغفرت الله تبارك وتعالى حتى ينظ علي غني أن الله تبارك وتعالى قبل استغفاري فضلاً مني وانما لم أقل
أستغفر الله مرة فقط لأن مثلاً ربما لا يقع له حضور في استغفاره الا بعد سبعين مرة وأكثر وسمعت سيدي
علياً الخواص رضي الله تعالى عنه يقول ما أسخ الله تعالى علينا ألم بالإصالة ليكر بنا وانما أسفها علينا
ليجمع قلوبنا عليه ولا نخرج من حضرته تبارك وتعالى الا لعذر شرعي وكان الحق تبارك وتعالى يقول من
كنت كافيه عن الحرف والصناعات التي تحجبني حتى بما سخره له من الرزق علي يد عبادي من حيث لا يحتسب
ولا تشرف نفسه اليه فلا شيء يخرج من حضرتي (وسمعت) رضي الله تعالى عنه أيضاً يقول يسيّر
استعمال الطعام نعمة كالصلاة فكما أن الصلاة ماضعة الا لحضور العبد فيها بقلبه مع ربه تبارك وتعالى
فكذلك الحكم في مشروعية الأكل والشرب ما شرعاً الا ليحضر العبد فيها مع من أحسن بهما اليه انتهى *
واعلم يا أخي انه ما رزق أحد على الحضور مع الله تبارك وتعالى حال أكله وشربه الا أوره الله تبارك وتعالى
القناعة ولزهد في الدنيا وكفاه شر نفسه انتهى من كتاب لطائف اللذات الكبرى

فلما سمعت ذلك . قلت : أي فوق هذا النول وما قبله إلا في العبارة على مقتضى الأحوال
واختلاف الأهم ، فكل ذلك الانحياز لله والحب للناس . ثم قلت : بلى أن تذكر ما فعله من كلام علماء
أوروبا في هذا المقام . فقلت : قال الأستاذ (ترجمي ساهلبر) المذكور في كتاب «علم الأخلاق» ماضه :

« حينما يريد الانسان أن يختبر نفسه ويدخل في أعماقها ، فهناك المشهد الكبير الوحيد الذي يكتشفه فيها عند العودة في بعض الأفعال التي فعلها ، بل التي ينوي فعلها ، يسمع في أعماق عقله صوتا يحدس نارة ويألمه نارة أخرى ، ويقطع النظر عن أمثله الذين يمكن أن يجد لديهم أحيانا صدق هذا الصوت الداخلي فإن من المستحيل عليه أن لا يلقى اليه سمعه . ونظرا الى أنه يحمل في نفسه هذا الصوت فلا يستطيع أن ينكره ولا أن يلزمه الصمت متى انغمر بأمره يشعر بأنه عمل صالحا . ومتى عقه يشعر بأنه عمل سيئا . وانما في هذا التردد بين الطاعة وبين العصيان تنحصر كل حياته الأخلاقية فنية في حال وردة في الحال الأخرى ، ولأن يسلم للضعف نفسه ولا رجعي الى خدمة هذه الأوامر الداخلية ويخلص لتنفيذها في جميع امتداداتها من غير أدنى اعتبار للأشياء الخارجة وأن يكون دائما مستعدا لأن يضحي لها بكل الضحايا التي تقتضيها ، ذلك هو القانون الأعلى الذي يشعر الانسان بالخضوع له ولأنه لا يعرف إلا نادرا أن ينفذ مع التحرج أحكامه الصارمة . ذلك هو للمثل الأعلى الذي لا ينال والذي تطالع اليه أنظار نفس الانسان وإن كان بعيد عنه في الغالب إلا أن مرجعه اليه على الدوام . ذلك هو الأمر الواقع المسلم به الذي هو بسيط وجليل معا والذي يتكون الأخلاقية كلها . هل الانسان وحده هو الذي يعرف هذا القانون ويملكه ؟ كل ما به من هذا هو أن الانسان يملكه حقا وذلك هو ما يميزه عن سائر الخليفة التي يعيش فيها والتي لا تمتع بهذه الميزة

إلى هذا الأمر يضاف أمر آخر ليس أقل منه وضوحا ولا أقل منه عجبا . إن الانسان حيال هذا القانون الذي يناجي ضميره مناجاة علق وقرة في بعض الأحيان يشعر دائما أنه يستطيع مقاومته ، فعبثا يوصيه هذا القانون أن يلزم العدل في فعله وعبثا يركي العقل هذه الوصية . فالانسان قادر على أن يرفض تحت مسؤوليته هذه التصاميم القوية الحققة . ذلك لأن له بجانب ذكائه وعقله ملكة أخرى أقوى منهما بوجه ما لأنها تستطيع دائما (متى شامت) أن تكسر غير طاعتها للعقل . تلك هي الإرادة التي لا تخضع لشيء إلا لنفسها . فوجود مثل هذه الملكة فينا وعلوها علما من الاستقلال والسيادة في الدائرة الثانوية التي تخصها هو ما تستطيع الإرادة التحدي بها حينما تهجم على الحق وعلى النور العام ، غير أن ما قوله هذا يجمع عليه من الجنس البشري بل معترف به من جانب الإرادة نفسها إن لم يكن بأقوالها التي كان للسفسطة فيها شأن عظيم ، فأفصلها التي منها ينبجس على رغبها وضوح المبدأ الذي تنكره الإرادة في الانسان هي هذه القدرة التي يستعملها للتصميم على وجهه أو على آخر من غير أن يفتري شيء . الدنيا على إكراهها مادامت لا تقبل هي نفسها ذلك الاكراه ، وبين أن هذه القدرة هي كل الانسان وهي التي تقوم ماهيتها ، إن هذا الصوت الذي يناجي ضميرا هوفينا ولكنه ليس إيانا مادام أنه قانون يلزمنا ، نحن لم نضعه مادنا غير قادرين على تغييره على رغم وحى المنافع وعجايب الشهوات ، أما الإرادة فهي ضد ذلك هي نحن ونحن وهي شخصنا ، هي نحن وحدنا بظلمتنا وضعفنا وبقدرتنا المزوجة على الطاعة والعصيان

ذلك هو ما يسمى بالحرية ، تلك الهبة المجردة الخيفة التي هي قوة الانسان والتي يترتب على قلمها بحسن أو يسئ في استعمالها سعادته أو شقاؤه علوه أو سقوطه ذلك هو ما يسمى بلفظ (كنت) « حياد الإرادة » لامن جهة أن إرادة الانسان كما قد يعتقد (كنت) تضع لنفسها قوانينها . بل من جهة أن الإرادة يمكنها دائما أن تطيع أو تعصى القوانين التي يعلها ذيب العقول والصبر ، فهي حياد الإرادة هو أنها تستطيع أن تقرر ما يجبهها حتى ضد كل عقل وكل منفعة

يتضح بهذا أن القانون الذي هو في ضمير الانسان يناجي عقله هو للمبدأ الأسمى وفوق الانساني . والإرادة الحرة التي تمتد هذا القانون أو تخالفه هذه هي المبدأ الانساني والتابع وهما اثناهما . صدر علم الأخلاق ومفناه . فالانسان يحمل في نفسه قانونا ومحكمة بوجهه ، تحكم براءته أو بآداته بحسب الأحوال ، ولها من

القوة التنفيذية إما الرضا الجليل بأنه عمل خيرا وإما التمس ووخز الضمير على كونه عمل شرا . والانسان يحس نفسه رعية لقوة هي أعلى منه منعمة لطيفة إذا أطاعها منتظمة جارية اذا عصاها . ومتى اقتضى العدل هبط له العقاب الخارجى بما تسببه من سوء العذاب الداخلى الذى يعرف الأثيم سره الأليم حتى لو تخلص من انتقام البيئة الاجتماعية

هذان الأمران : القانون الأخلاقى والحرية ، هما فوق كل مناقشة ممكنة ومن ينكرهما ينزل بذلك عن اسم الانسان وينحط بنفسه (علم أوجهل) إلى ماتحت منزلة البهيمة وان كان أذكى منها بلا شك إلا أنه فاسد الأخلاق والبهيمة ليست كذلك

ليست النتائج هنا بأقل وضوحا من المبادئ ولا بأقل عجبا فان الانسان متى قبل برادته نير القانون فذلك يرفعه ويشرفه . وبعد أن يكون سببا في خفضه . إنه بطاعته الاختيارية يشرك بمحض إرادته شيئا أكبر منه ويحس أنه مرتبط بنظام أعلى منه يشد أزره . وقلمنا يخسر بهذه الطاعة شيئا بل يكسب بهامن العظمة والوقر مالم يكن له من قبل بدونها . إن العالم الأخلاقى الذى يدخل فيه على بيئة من تحديد حريته هو العالم الحقيقى الذى يجب أن تعيش فيه وروح في حين أن جسمه يعيش في عالم يخالف تماما حيث توشك الحرية أن لا يكون لها عمل . إعمالها فكل من الطهر والسلام حيث لأوجاس ولازعارح إلا ما يسمح لها الانسان بالسنخول فيه . فالسكنية والنور فيه لا تتعلق إلا بالانسان وحده ، ومتى شاء استطاع أن يسطع في هذه السماء الداخلية محمولا لا يكدر . ويقدرا ما يوغل عقله في الطاعة يكسب من القوة وقدر الأرض التي يرتكز عليها كذلك أكثر ثباتا ونخضا . إن اعتقادات الضمير تزداد ثباتا بالمران وإن بهذه المعاوضة بين الطاعة الاختيارية من جهة والقوة المكتسبة من جهة أخرى تكبر قيمة الانسان في عينه الى حد لم يكن يعرفه من قبل كبرا لا يأتاه عليه تواضعه لأنه ينسب أصله الى قوة أسوأ منه . من ذلك يستمد ذلك الاحساس الشريف الحبيب الذى يسمى احترام الذات وهو الكفيل للزم بأن يؤدي له أمثاله الاحترام الواجب عليهم والذى يؤديه هو لهم في دوره ، ولوعودل بين هذه الخيرات الداخلية التي هي فوق كل ثمن هذه الفيوض القدسية (كما كان يقول أفلاطون) وبين الخيرات الخارجية قلقت قيمة هذه بالنسبة لذلك ، ومع ذلك فان هذه الخيرات الداخلية يضحى بها من غير تردد بل من غير ألم في سبيل خيرات لا قيمة لها ، على أن الثروة والسعة والمحبة والحياة نفسها لا بقاء لها ، فليضح بها عند الحاجة قربانا للاحتفاظ بما هو أسوأ منها إذ لا يستطيع إثرائها على الأمر الوحيد الذى يجعل لها شيئا من القيمة ،

وقال في صحيفة ١٧ وما بعدها مانصه : « لا يمكن القوانين الانسانية أن تكون أساسا لقانون الأخلاق لأنها تستمد منه ، وهو الذى يقضى عليها ويدينها حينما تتعرف عن جادة أوامره الواجبة الاتباع ، كذلك الترية التي يتحدى بها بعض الفلاسفة لتفسر قانون الأخلاق الذى هو أكبر سلطانا عليها من القوانين العمومية ، والواقع أن الترية مهما كانت ممتازة فليس لها من صورة إلا التشريع الممنون للطفل بدلا من أن يكون مسنونا للناس ، وهذا التشريع الضيق ليس له قواعد إلا التشريع المدنية ، فن أى ماحية نظر الى علم الأخلاق لم يوجد له من حيث أصله أثر بشري ، وأنه ليدبر شئون الانسان ويلى أمره بسبب أنه ليس من عمله ، ومتى أراد الانسان أن يدرس فيه سبل الله عرف منه بوضوح وجلاء أن الله قدير وأن الله لطيف . »

« في العالم المادى بأسره مهما كان جبلا ومهما كان منتظما لا يعد المشاهد اليقظ شيئا يؤتينا أقل فكرة من قانون الأخلاق ، وإن الآثار التي فسادها أحياءا عند الحيوانات الأرقى تركيبا ونظنها آثارا لقانون الأخلاق ليست إلا تخيلات فانتا نغيرها ما نحن عليه ، فنقرض أن لها طبعنا إما لجهل منا قد يكون إنما متى كان يرى إلى الخفض من مستوانا الانساني ، وإما لنوع من النطق التافه ، ولكن الحق أن قانون الأخلاق ليس له محل

إلا قلب الانسان ، وأن الذي خلق العوالم والقوانين الأزلية التي تسيرها لم يخلق شيئا يضارع ضميرنا في العظم
فإن الحرية مع ما بها من ضعف هي أحسن من الطيعة كلها مع ما بها من ثبات لا يتزعزع ، بل إن المقارنة لأجل
لها من الامكان لدى عقل قد فهم ذاته ، لأنها مقارنة سخيفة ، إذ أن رفعة العالم العنوي لاتنافس بها رفعة
على الإطلاق وأن قدرة الله تظهر حينئذ فينا بظهور أجلي من مظاهرها في الخارج ، وأن في إقامة الفيلسوف على
وجود الله بهذا القانون الذي نحمده في قلوبنا ونعترف به عقولنا بلوغا بالاستدلال إلى أجل البراهين وأرفعها ،
غير أن حلم الله يساوى على الأقل قدرته ، ننظر في هذه القوانين غير الكاملة التي يسنها الناس مسوقين
بدافع الحاجة لاسعمالها ، فترى دائما في أوصافها وزواجرها شيئا من الغلظة والوحشية ، حتى متى كانت غاية
في العدل فإن العقوبة التي تقع على المجرم يمكن أن تعلمه ولكنها لاتمس نفسه تخيفه من غير أن تصلحه ،
الارهاب يحوله دون أن يحسن حاله ، أما هنا فلا شيء من ذلك ، في شرع الله البره هو قاضى نفسه مؤقتا على
الأقل ، ومن أجل أنه يمكن أن يحكم على نفسه يمكن أيضا أن يتقى الوقوع في الخطيئة التي يشعر بأنها كبيرة
من الكبائر ، فإن الصوت الذي يتابعه من داخل نفسه قد أنفذه بادئ الأمر إنه يحض له المصح قبل أن
يقترعه باللوم وإنما هو يعاقبه حينما يصم أذنيه ، ولأن قانون الأخلاق سلك في التأديب سبلا غير معنوية
محضة لكان في ذلك من التناقض ما فيه ، فكم في هذا التأديب من محاملة تزاى في حق الجاني أو كم من
مجهود ينفق في سبيل ردة إلى الخير ولا يشعر بهذا المجهود أحد إلا هو ولا بداع خبره في الخارج ! تحفظ ورصانة
أيما رصانة ، ولا شك في أن الانسان مجاوز غير مرتة حدود الاعتدال بهذه الرحمة ، غير أن الشكوى منها إنما
هي الجمع بين كفران النعمة وسوء الخلق . حسب الانسان استهانة برحمة الله أنه لا يتنفع بها فإن كل قلب
يما قسا يجب بها ويشكر الشارع الأسى على لطفه في جانب عظيم قدرته

« إليك نتيجة أخرى لهذا النظام القدسي ليست أقل من الأولى صدقا ولا أخف منها وزنا . وهي أن
الانسان متى أحسن من نفسه الاختيار في طاعة قانون العقل أوفى عصيانه أحسن بذلك أنه مسئول عن أعماله
أمام القدير . الصانع لهذا القانون ولهذا الاختيار ، فليس عليه البتة أن يخافه الخوف الذي لا يليق إلا بالعبد ،
لأن طبيعة طاعته قد تجعله يعامل أبا رحما لا سيادا ، لكنه يجب أن يتقى غضبه عليه بتعدي حدود القانون
الذي يعترف هو نفسه به أنه غاية في العدل ، ولأن كان الانسان يغضب في قلبه من الخطيئة التي وقع فيها ،
فن باب أولى يجب أن يتقصد أن الشارع يغضب على من يرتكب الخطيئة وهو في مكانة من اجتنابها ، وأن
الانسان الذي له قانون الأخلاق في هذه الدنيا حظ ممتاز يجب عليه أن يؤدي الحساب عما يكون قد أفتق
فيه هذا الخطأ ، ليس عليه حساب لأمثاله ، لأن غاية ما يعرفون هي أعماله التي يعاقبونه عليها أحيانا ولأنهم
رعية مثله فخامه وهو إلا على حد سواء ، لا يستطيعون أن يكونوا قضاته الحقيقين ، لأنه يعزب عن علمهم
ما يجب من الصدور من نيات جميع الأفعال ومقاصدها ، على أن النيات والمقاصد وعلى جملة من القول كل
ما يخفى بحكم الضرورة على العدل الانساني هو مورد الحكم ، فاما أن تنسك قانون الأخلاق وحرية الانسان
ومسؤوليته ، واما أن تقبل كنتيجة لازمة حياة أخرى تتلو هذه الحياة الدنيا فيها يقيم الله الوزن بالقسط ويرب
الجزاء الذي أعدّه للذين عملوا الصالحات وللذين كسبوا السيئات ثوابا وعقابا فترد وحده بعلمهما . غير أن علم
الأخلاق لا يتعدى حدوده اذا هو قتر أن هذا العدل الهائى لا محالة واجب وأن حياة الانسان الدنيا لا يمكن
أن تفهم بدون الحياة الأخرى التي يجب أن تتلوها »

الى أن قال : « فعمل الأخلاق بمجاوزته هذه الحياة الأرضية يتجه من الانسان الى الله ، ويثبت وجود
الحياة الآخرة بما فيها من الثواب والعقاب كما يؤكد نظام هذه الحياة الدنيا . ليست هذه فروضا محضة لاسند
لها ، ولا هي من مسلمات العقل العملي كما قد يقول الاستاذ (كنت) بل هي نتائج صادقة

لازمة عن مقدمات صادقة لاجتماعها . وفوق ذلك فإن هذه النظريات في غاية الوفاق مع الاعتقادات الغريزية للجنس البشرى تؤيدها البيانات المينة وتوضحها الفلسفة ،

وقال في صحيفة ٢٢ من المقدمة مانصه : « فعمل الجسم على الاعتدال ورياضته الى حد ما وإتمامه حقه من حياته وجسبه عن كل ما يتعداها ، وعلى جهة من القول جعل الجسم آلة ممثلة ونظاما مطيعا ، تلك هي إحدى القواعد الأصلية للحياة الأخلاقية وبالنسبة لأحد الأجزاء الكبرى للعلم . إن اجتماع الروح والجسم أعنى العقل والمادة هومسألة خفية ليس لعم الأخلاق أن يثير تأثيرها لاختصاصها بعلم ما وراء الطبيعة . غير أن من واجبه أن يبحث عن ظروف هذا الاجتماع ويفسرها على نور القانون ، إنما هو عمل يدرسه كأعمال الضمير وليس بأقل أهمية منها فأغفله قصص عظيم وحذفه من علم الأخلاق قد يرتض الى عدم فهم الحياة الأخلاقية حتى فهمها مع أن هذه الحياة الأخلاقية ليست في الحقيقة إلا ضربا من المبالغة بين هذين الأصلين المتقابلين » وقال في صحيفة (٢٤) وما بعدها من المقدمة أيضا مانصه : « إن النقطة الأساسية لهذا العلم هي أنه يبين للانسان أن قانونه هو عمل الخير دائما مهما وقف في طريقه من العقبات التي يسببها تقعد الأشياء الانسانية ، وأن عمل الخير إنما هو طاعة لا محدودة ولا مقرونة بالتذمر مع استسلام ، بل مع ثبات وبسالة اذا اقتضى الحال ذلك طاعة لأوامر العقل المنشورة في الضمير والتي قبلتها إرادة لها من سلاسة القيادة ما لها من حدة الذكاء ، الأوامر التي يمكن أن تمثل أمام الشخص بأنها أوامره الله . ذلك هو مركز الحياة كما هو مركز العلم ولكنه مع ذلك أيضا ميدان التقاتل في النظريات وفي العمليات ، فإن الفرد يأتي الفتر على العموم إما عن عدم التفات وإما عن جهل ولا يكاد يقراف الامم أبدا بعد تدبر وروية علما بأنه يرتكبه وإن كان من الطبائع ما هو من الشقاوة بحيث إن أجل مواهبها لا تخضع إلا الرذيلة . غير أنه في العلم لا عنبر بالجهل ولا بعزم اللغات . وإذا كان التسامح في مباحيات الحياة يلزم كثيرا حتى بالنسبة للجنة فانه لا يلزم أبدا بالنسبة للنظريات الفاسدة بل يجب دحضها بلاشفقة وإبطلح خطئها ليقول خطرها تجب مداعلتها أمام محكمة الضمير الزهية وأدائها نهايتها بلا استثناء ، وليس بجانب نظرية الخير الذي هو الواجب الوحيد على الانسان إلاحل آخر يمكن وهو نظرية المنفعة مع ما يقتضيهما من التيه والحال التي تشعب فيها شخصيتها وتضل طريقها فإن المنفعة تظهر على صور عديدة ، تظهر أولا على صورة من الخشونة بكان ، وتلك الصورة هي الثروة مع كل الخبرات الثانوية التي تؤلفها ثم على صورة معقولة نوعا وهي صورة اللذة مع جواذبه التي لا تقاوم ثم على صورة أفضل تعينا وأكثر قبولا تبدو في رواء حسن خداع وهي السعادة . إنه يجب على القانون الأخلاقي وبالنسبة أيضا على علم الأخلاق أن ينسكرك المنفعة ويحاربها على أي شكل كانت عليه من الثروة أو من اللذة أو من السعادة نفسها وأن لا يقبل أي واحد من هذه العوامل على أنه عامل لسلك الانسان ، لاشك في أن هذه العوامل هي المقلطة فعلا في الغالب بل قد يكون من الحسن أن تقسط الى حد معين ، ولكن ليس لواحد منها أن يدهي السلطة ولأن يغتصب لنفسه السيادة دون مبدأ الخير صاحب السيادة وحده . إن قانون الأخلاق الذي تتمله القلوب الجاهلة أو الضعيفة بألوان قاسية ، هكذا لكي تسهل مخالفتها لا يحرم الانسان من الثروة التي هي ثمرة عادية يستحقها لعمله ولأن اللذة وهي حاجة طبيعية له ، ولأن السعادة التي هي رائد جمع مجهوداته ، ولكنه يهديه الى أنه يجب عليه في بعض الحالات على نغرتها أن يضحي للخير بالثروة وبالذائد وبالسعادة بل بالحياة ذاتها ، وأنه اذا لم يعرف أن يقرب هذا القرب فإن قاما هو بعيد الأصنام ولا يصدق الله الحق ، وأن هذه التضحيات على ندرتها عند الذي يفهمها تنكي لكشف القناع عن قانون الأخلاق في أسنى بهاته . وبما أن الخير هو الذي ينال الظفر عند أكبر المنارعات وأشدها علانية يكون بذلك هو السيد الحقيقي للانسان . ولا نكون جمع العوامل الأخرى المتولدة من المنفعة على درجات مختلفة كالثروة واللذة والسعادة إلا كما يكون الطاغية الظالم لرعيته ، انتهى

مأثرته من مقدمة المترجم لكتاب ﴿ علم الأخلاق ﴾ وهو الاستاذ بارتلمى ساتيلير والجد لله رب العالمين فلما ألفت عليها ذلك . قالت : فهذه آثارنا ألفت إليكم وأنا أهنيك بها إذ تطلع المسلمين على خلاصات علم الأخلاق فتشرح صدورهم وبها تعلمون أن حكماء أم الشرق والغرب يجمعون على فحوى هذه الآيات القرآنية . فعلماء اليونان والفرنسيين وحكماء الصين جميعا أيقنوا بأن لهم داعيا في نفوسهم يحاسبهم إذا قصروا ويشتمهم إذا أطاعوا وبهذا يعرف الناس عظيمة القرآن ، وهذا الزمان مبدأ ظهوره لحكماء الأمم شرقا وغربا ، فهذه هي آثارى ، أنا البصيرة والقرآن بصائر للناس . فهذه المقالات التي قرأتها على من هؤلاء الحكماء هي آرائى وهذا الجلال الذى شاهدته فى رواه ما هو أجل منه ، وهناك ما لعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولن يرى الله إلا نفوس حازت صفتين : علما كاملا بهذا الوجود . وإخلاصا وخدمة لنوع الانسان مع أخلاق كاملة . الجلال يحيط بالناس فى المادّة وفى النفوس . وما أسعد من اعتدات النظافة والانساق والنظام ودرس فنون الجبال فى الكواكب والبحار والأنهار والزرور والأشجار . فهذه المناظر كلها ازدادت عنده نمكنا ازدادت نفسه شغفا بالجبال الحقيقى . وهناك يشاقق للذات الروحية وهى أبهى وأبهرو أجل وأكمل . وهذه الطائفة أقرب الناس الى طبيعى فإذا أسديت لهم النصائح استمعوا لها بلا توان . لقد شاهدت فى قلبك أنت ﴿ ثلاث صفحات مكتوبات ﴾ صحيفة الكواكب فى سماها . وحميفة الزروع والأنهر والأشجار والعوالم الأرضية . وحميفة آراء العلماء والحكماء قديما وحديثا . فأقرأ على من حميفة الحكماء مامنه يكون القبس مم تبسمت ، وهذه الانضمامة إشارة الى قوله تعالى - وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لملى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى - (وقد كنت فى الليلة السابقة أردت دعا فى الصلاة وهاصة بآراء الفلاسفة سأوضحها) . فاسمعي من القلوة الثالثة من قلبك آراء حكماء بعد من ذكروا الآن ومتى أتبعته بالقبس يتضح المقام أتم لإيضاح . فقلت :

آراء الحكماء بعد أرسطاطاليس

﴿ أولا ﴾ آراء أتباعه مثل (فاروسطس) المتوفى سنة ٣٧٨ واستراقون المولود سنة ٢٨٨ المجهولة وفاته وغيرهم من كانوا خلف أرسطو فى رئاسة دار التعليم بأثينا ، فهؤلاء عدلوا عن الإلهيات ، ذلك لأن أرسطو اعترض على أفلاطون أستاذه وقال له : « إن المثل التى استدلت عليها بأدلتك العقلية وقلت انها معان معقولة تكون أصلا لكل موجود فى الخارج غير واضحة ولا ظاهرة هى خفية ، وخير لنا أن نبدلها بما هو خير منها من المادّة والصورة وانهما أصل العلم لأن الصورة فى المادّة أقرب الى الفهم من تلك المثل والمعاني الى لانعرفها »

فرّد هؤلاء العلماء التابعون لأرسطاطاليس قوله وقالوا : « إن الصورة متعيرة لاثبات لها فى المادّة ، فكيف نسد العلم الى ما هو متغير ! » وأدله كثيرة من هذا القليل أوجبت رجوعهم عن الإلهيات

﴿ ثانيا ﴾ هنالك ظهرت فرقان : فرقة (أبيقورس) وهؤلاء عدلوا بالذّة أى ان الانسان يقرأ الفلسفة لأجل اللذة المستفادة من فهمها ، وهو مولود سنة ٣٤١ ق.م ومات سنة ٢٧٠ ق.م . وفرقة الرواقيين ورئيسهم زينون توفى سنة ٢٦٤ ق.م وكرزيبوس المتوفى سنة ٢٠٩ ق.م ومذهبهم انه ليس هناك إلا جوهر واحد هو المادّة والله يلقى عليها شعاع نوره ، والإلهيات والطبيعات عندهم علم واحد . فهناك عقل يضبط المادّة ألطف جدا له قوة تحرك العالم . فالعالم كحيوان وهو كروحه . والانسان عالم صغير فى ممالك العالم الكبير . والانسان له من ذلك النور الإلهي أكثر من غيره . والأخلاق عندهم عليها مدار الفلسفة . وإذا كان نور الله مشرقا على الانسان أكثر من غيره وجب عليه أن يتلقى ذلك بالترحاب . وهل يكون ذلك إلا

بالأخلاق الشريفة . وما الفلسفة إلا بستان للخلق سيلجوه وعلوم الطبيعة أشجاره وبخاسن الأخلاق ثمرته . فلا علم إلا بصل ولا حكم إلا من بلغ من العلم والعمل الدرجة العليا . ولا قصد للحياة إلا بالتخلق بأخلاق الله ولكنهم جعلوا الإنسان مجبوراً لا اختياراً فصار مذهبهم فيه بعض الانقباض . وأيضاً رجعوا إلى غيبوبة النفوس وأهمادوا الأعمال الظاهرة نوعاً ما وأخلوا يبحثون في معرفة ما وراء الحس والكشف . وتبعهم في ذلك بعض الأمم الإسلامية وهم كثير من فرق المتصوفة . ولم يحدث بعد هاتين الطائفتين ارتقاء في العلم هناك

(٣) ثم جاء في أواخر القرن الثاني للسيد أمثال (يقولنا نحن الجهر سيني) الذي عاش إلى سنة ١٤٠ بعد المسيح القائل بأن الأعداد هي أصول للوجودات وهو صاحب كتاب الارتعاطيق ومن فلاسفة هذا العصر جالينوس الطبيب . ولقد ظهر بالإسكندرية إذ ذاك (امونيوس سكلس) ومعنى سكلس (الجمال) لأنه كان في أول نشأته يحترف بتلك الحرفة وكان نصراني الأصل ثم انتقل إلى ملك اليونان العتيقة وهي الوثنية وتعلمى الفلسفة واشتهر فيها . وقد ولد سنة ١٧٥ بعد الميلاد وتوفى سنة ٢٤٢ وجاء بعده تلميذه أفلاطون المتوفى سنة ٢٢٩ ب.م وبعد أفلاطون تلميذه بروقيرسوس ولد بصور الشام سنة ٢٣٣ ب.م وتوفى سنة ٣٠٤ ب.م وهؤلاء ومن تبعهم يسمون القوم الإسكندري . وبعدهم يليخوس ومن تبعه ويسمى القوم الشامي إشارة إلى مولد يليخوس إذ كان ياحدى بلاد الشام وتوفى سنة ٣٣٧ ب.م ثم سريانوس وبرفلس ومن تبعهم وهم يسمون القوم الأثيني لكون دار التعليم إذ ذاك قد انتقلت إلى أثينا . ولد بروفلس سنة ٤١١ م وتوفى سنة ٤٨٥ م كل هذا من كلام (ستلائه التلياني) في كتابه (تاريخ الفلسفة) وإلى هنا انتهى دور اليونان ومن تبعهم

فهذه أم خلعت ثم جاء الإسلام وكان عصر الصحابة رضى الله تعالى عنهم وبني أمية . ويعحسن أن نذكر هنا نبذة من كتاب « مبادئ الفلسفة » المترجم من اللغة الإنجليزية بقلم الاستاذ أحمد أمين في الكلام على عصر العباسيين فقد جاء فيه ما يأتي :

فلما جاءت الدولة العباسية « ١٣٢ - ٨٦٥ هـ » عظمت حضارة المسلمين ، وهضموا ما أخذوه (بالفتح) عن الفرس والروم والهند ، وقلوا علوم الأمم التي سبقتهم في المدنية ولاسيما الهند واليونان . وفي زمن أبي جعفر المنصور الرشيد والمأمون ومن بعدهم ، ولاسيما المأمون توسع الناس وخاصة السريانيون (في ترجمة علوم اليونان على اختلاف أنواعها : من طب وهندسة وهيتة وتقويم لمدان ، وفلسفة بفروعها المختلفة من طبيعيات وإحيات ومنطق ونفس وسياسة وأخلاق) إلى اللغة العربية فترجوا في القرن الثاني والثالث للهجرة كتب أفلاطون وأرسطو وأقليدس وبطليموس وجالينوس وغيرهم ، وبحثوا فيها وتدأولوها يشرحونها مرة ويختصرونها أخرى ، وخصص كثير من المسلمين حياتهم لدراسة الفلسفة وتفهيمها فكانوا بعد فلاسفة

وكان أغلب مؤسسى الفلسفة عند العرب ومؤيديها أطباء وعلماء في الطبيعيات أكثر منهم رجال دين ، وعلى العكس من ذلك فلاسفة الغرب في القرون الوسطى فقد كان أكثرهم قساوة . ولهذا لم يقصر المسلمون نظرهم على الإلهيات بل كان البحث في الطب القديم والعلوم الطبيعية عندهم يسير جنباً إلى جنب مع البحث في الإلهيات وما وراء الطبيعة ، وترجوا كلام جالينوس في الطب وأقليدس في الهندسة كما ترجموا كلام أرسطو في الإلهيات (١)

غير أنه يظهر أن ما يتكروه من عند أنفسهم قليل إذا قيس بما نقلوه من اليونان ، نعم أنهم في بعض فروع العلم كالكيمياء وعلم المعادن والطب وعلم وظائف الأعضاء كان لهم أثر ظاهر ، واستكشفوا من القوانين ما لم يصل إليها اليونان قبلهم ، ولكنهم في غير ذلك من فروع العلم كالمنطق والنفس والأخلاق كانوا هتلة أكثر

منهم مبشكروين ، وكانوا في طريقهم العلمية ونظامهم في البحث وأنظارهم إلى العالم وترتيب فلسفتهم وقواعدهم متأثرين تأثراً عظيماً بفلسفة أرسطو والأفلاطونية الحديثة

ولهم الفضل على الغرب بكل مما نقلوا أو ابتكروا ، فكثير من كتب اليونان وأبحاثهم ما كان يصل إليها الغربيون لولا حفظ العرب لها ودراستهم إيّاها . كما أن كثيراً من مبشكراتهم واختراعاتهم تعد (بحق) من أسس المدنية الغربية

ابتدأ المسلمون لأول عهدهم بالفلسفة بدرسون الفلسفة « الأفلاطونية الحديثة » (وهي مذهب مزيج من الفلسفة والدين ظهر في أواخر القرن الثاني لليلاد ، وكان مقره الأصلي الأسكندرية ، حاول مؤسسه التآليف بين الدين المسيحي والمذاهب الشرقية ومذاهب اليونان ولا سيما أفلاطون وأطلق عليه « فلسفة أفلاطون الحديثة » ومن أشهر دعائه (أفلاطون) ولد في مصر سنة ٢٠٤ م قبل انه رحل إلى فارس ودرس الفلسفة الشرقية وعلم في رومة من سنة ٢٤٤ م ومات نحو سنة ٢٦٤ وكانت تعاليمه مزيجاً من الفلسفة العلمية والتصوف الديني) والتي دعا المسلمين إلى اعتناقهم هذا الضرب من الفلسفة انها كانت فاشية لعندهم في الشام وأنها مذبوبة بالصيغة الدينية ، ثم ارتقوا منها إلى النظر في فلسفة أفلاطون وأرسطو ، ولكن كانت قد فليت عليهم فلسفة أفلاطون الحديثة ، فلما أن نظروا بعد في فلسفة أفلاطون . وأرسطو نظروا إليها ببيون متأثرة بالأفلاطونية الحديثة

وأول من اشتهر من المسلمين بالفلسفة يعقوب الكندي ويقلب (فيلسوف العرب) لأنه عربي صميم نبحر في الفلسفة . وقد كان تابعاً للأفلاطونية الحديثة وتعاليم أرسطو أكثر منه فيلسوفاً مستقلاً . وأكثر ماله من الفضل جاء من ناحية الترجمة والنقل ، وقد ظهر له في عهد المأمون والمعتمد كتب كثيرة بعضها ترجمة وبعضها تأليف وصل إلينا من أسماؤها نحو ٢٥٦ كتاباً عندها صاحب أخبار الحكماء ، وفهرست ابن النديم ومات نحو سنة ٢٦٠ هجرية

وجاء بعده أبو نصر الفارابي المتوفى سنة ٣٣٤ هـ عاش تحت كنف سيف الدولة بن حمدان وكان يعرف لغات كثيرة وبرز في الموسيقى والرياضيات وعلم اللغة والفلسفة ، درس فلسفة اليونان ومهر فيها ، وقد كان كالكندي تابعاً للأفلاطونية الحديثة (وإن لم يعرف هو هذا الاسم) وتعاليم أرسطو ، وكان معشوقه من فلاسفة اليونان أرسطو حتى قيل إنه وجد (كتب النفس) لأرسطو وعليه بخط الفارابي (إن قرأت هذا الكتاب مائة مرة) وقد لقب بالعلم الثاني (والعلم الأول هو أرسطو) لجله معيمات الفلسفة اليونانية ، وكان الفارابي كسائر فلاسفة المسلمين يرون أن الاسلام من قرآن وستة حق . وأن الفلسفة حق . والحق لا يتعدد فوجب أن يكون الفلسفة والاسلام متفقين . غير أنه يؤخذ على فلاسفة الاسلام أنهم لم ينظروا إلى الفلسفة اليونانية (كما كان ينبغي أن ينظروا إليها) من أنها مجموعة أقوال ومذاهب قد يناقض بعضها بعضاً . وأنت ما يذهب إليه أرسطو في مسألة قد يكون مناقضاً لما يذهب إليه أفلاطون فيها ، بل نظروا إليها كأنها حقيقة واحدة ملتبسة ، وقالوا أن أفلاطون قد يختلف مع أرسطو في طريقة البحث أو التعبير عن المصعد ولكن آراءهما في الفلسفة واحدة ، وصلت إليهم تعاليم أفلاطون كما حكاهما فورفريوس (وهو من أصحاب مذهب الأفلاطونية الحديثة) وتعاليم أرسطو كما حكاهما متأخرو المشائين ودخل عليهم فيما قل إليهم من فلسفة اليونان ، ولا سيما فلسفة أرسطو ، خلط ونشوش . يدل على ذلك أنه في زمن المعتمد ترجم أحد نصارى لبنان جزءاً من أنبده أفلاطون إلى العربية وسماه (لاهوت أرسطو) وتلقى المسلمون كل ذلك بالقبول ، وعصوا أقوال الفلاسفة المختلفة شرحاً لحقيقة واحدة فبدلوا جهداً عظيماً في التوفيق بين أقوال أفلاطون وأرسطو ، وزاد عليهما المتدينون (القرآن) وهذا ما فعل الفارابي ، فقد كان مؤمناً بأقوال أرسطو وأفلاطون منزهاً للقرآن عن الخطأ ، فخرج

اللوحي والقلم والكرسي والعرش والملائكة والسماوات السبع بتعاليم اليونانيين الوثنيين مع ما بين أجزائها من التناقض ، ومحاولة ذلك تستدعي ذكاه نادرا وقصوفا و (كشافا) وغموضا وسبحا في الخيال

ويبحث الفارابي كذلك في السياسة في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) واختار من أشكال الحكومة المحكومة للملكية الدينية ومنح في هذا الكتاب بين آراء أفلاطون في (الجمهورية) وبين أقوال الشيعة في الامام المعصوم اذ كان سيف الدولة بن جردان مقرب الفارابي وحليفه شيعيا

وعن لم أترك في الفلسفة الاسلامية جمية شبه سرية تسمى (اخوان الصفا) اجتمعت في البصرة نحو منتصف القرن الرابع للهجرة ودعاهم الى جعلها سرية كره عامة الناس وعامة المتدينين للفلسفة ومن اشتغل بها ومحاوولتهم إيقاع الأذى بالفلاسفة ، وقد عد القضي في أخبار الحكماء أسماء خمسة من أعضائها وكان قصدهم نشر المعارف بين المتعلمين في جميع الأقطار الاسلامية وتغيير أفكارهم الدينية والعلمية . قالوا (ان الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولان سبيل الى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتماعية . وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال (١) فأنشأوا إحدى وخمسين رسالة ضمنوها خلاصة أنواع العلوم المعروفة لعهدهم فهي (دائرة معارف) تشتمل على معارف العرب اذ ذاك باختصار ، قالوا في أول هذه الرسائل : ان الحكماء والفلاسفة الذين كانوا قبل الاسلام تكلموا في علم النفس ولكنهم لما طولوا الخطب فيها ، ونقلها من لغة الى لغة من لم يكن قد فهم معانيها ، حوفا وغيرها حتى افتلق على الناظر فيها فهم معانيها ، ونحن قد أخذنا لب معانيها وأقصى أغراضهم فيها وأوردناها بأوجز ما يمكن من الألفاظ والاختصار في إحدى وخمسين رسالة اه)

وكانت تعاليمهم فيها كذلك مزيجاً من أبحاث (الأفلاطونية الحديثة) والتصوف ومقالة ارسطو في العلم الطبيعية ومقالة الفيلسوف ارسطو في العدد (الرياضة) وقد كان لها أثر كبير في العقول بانتشارها بين الناس ولكن فيها من الخلط والتشويش ما ذكر قبل . وقد طبع بعض الباحثين أن هذه الجمعية جمية باطنية (اسماعيلية) لما بين ما يبعث فيها أحيانا وبين تعاليم الباطنية من التطابق ، وقد عثر المغول عند فتحهم قلعة الموت (وكانت في يد اسماعيلية) على كثير من نسخ الكتاب

وكان لأبي علي بن سينا البخاري (٣٧٠ - ٤٢٨) شهرة فائقة في الفلسفة ، وفلسفته تهرب من الفلسفة الارسطاطلية ليسية الصرفة ، وربما كانت أقرب فلسفات المسلمين اليها ، وكتابه (القانون) كان العمدة في الطب في القرون الوسطى عند الشرقيين والغربيين معا وله فضل كبير في نشر الفلسفة بين الناس بمؤلفاته العديدة ولا سيما الاطليات والمنطق . هذا الى كثير من أمثال هؤلاء الفلاسفة كالبرقوني وابن مسكويه وابن الهيثم

وقد كان انتشار الفلسفة بين المسلمين في القرن الثالث والرابع والخامس للهجرة سببا في حركة جديدة قام بها المتكلمون (علماء الكلام) يرمون بها مقاومة تعاليم ارسطو وأفلاطون والأفلاطونية الحديثة المعلقة بالالهيات أو الرد عليها ودحضها فنشأ من ذلك أبحاث كلامية كثيرة فبحثوا في الملة والمعلوم والزمان والمكان والحركة والسكون والجوهر والعدد والذات والتسلسل ونحوها ، ولم تكن ردودهم موجهة الى الفلاسفة فحسب بل الى كل من خالف سنتهم من معتزلة وزنادقة وفلاسفة وظاهريه وحنابلة ، ومن أعلام هذه الطريقة أبو الحسن الأشعري وامام الحرمين والباقلاني ، ولكن أحداهم لم يخص الفلسفة بالظعن ولارد عليها من جميع جهاتها حتى جاء الغزالي (٤٠٥ - ٥٠٥) فدرس الفلسفة اليونانية درساً دقيقاً (كما حدث هو عن نفسه) ، ثم حل عليها حلة شديدة من جميع جهاتها وألف في ذلك كتابه المشهور «تهافت الفلاسفة» وكفر الفلاسفة لبعض تعاليمهم ، وأظهر منافاة الفلسفة لتعاليم الدين ، ودعا الناس الى الرجوع الى دينهم الصحيح الخالي من الفلسفة

(١) أخبار الحكماء

ورغب في التصوف وأبان أنه الطريق الحق إلى الله ، وكان بليغا في قوله مخلصا في حديث سهل العبارة قوى الحججة ، فأثر ذلك في المسلمين أثرا كبيرا ، وكان من آثاره أن حول الناس عن الاشتغال بالفلسفة ، ورجعهم إلى الكتاب والسنة ، وأعلى شأن التصوف والصوفية وجبب ذلك إلى الناس . وسار على طريقة الغزالي كثيرون من بعده هذا مجمل حال الفلسفة في الشرق ، أما في الغرب أعني في الأندلس وشمال أفريقيا فقد أظهرت الفلسفة (حينئذ) أكثر من أزهارها في الشرق . وكان فلاسفة الأندلس والمغرب أكثر ابتكارا من فلاسفة المشرق ، وكان يفسر بين مسلمي الأندلس الخلاف في العقائد والمذاهب كالنبي كان عند المشاركة ، فكلمهم إلا القليل ما لم يكن سني ، أخذوا الفلسفة عن أهل المشرق فقد كان منهم رحل إليه رحلا عن طريق القاهرة وأمعنوا في الرحلة حتى إلى فارس واستمعوا بعلومهم ، وجاء الحكم الثاني « ٣٥٠ - ٣٩٦ هـ » فبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار فجعلوا إليه كتباً ، فاشتغل الأندلسيون بالرياضة والعلوم الطبيعية والتعجيم والطب بعد أن نقلت إليهم كتب الفارابي ورسائل اخوان الصفا وطب ابن سينا . وقد تعاون المسلمون واليهود معا على الاشتغال بالفلسفة في الأندلس . ولم يلبث أن نبغ منهم كثيرون . مع مقاومة العامة وأشياهم مقاومة أشد من مقاومة المشاركة

ومن أشهرهم (١) ابن باجه وقد اتبع تعاليم الفارابي (٢) وأبو بكر بن طفيل (مات سنة ٥٣١ هـ) وصل إلينا من تأليفه رواية (حي بن يقظان) وكان بطلها (حي) يعيش في جزيرة لا يسكنها أحد من الناس وليس له علاقة بأحد من أهل الجزائر الأخرى . بحث بعقله بحثاً منطقياً مستمرا من البسيط إلى المركب حتى وصل الاعتقاد بالله . وغرضه فيها أن يبين أن الشرع يتفق مع العقل . وقد ترجمت إلى اللاتينية وظهرت سنة ١٦٧١ م وسنة ١٧٠٠ م ولم يمس على ظهورها عشرون سنة حتى ظهرت رواية رومبوسو كروسو (٣) و (٤) ابن رشد وهو أشهر فلاسفة الأندلس على الإطلاق (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ) كان يعد أرسطو أكبر فلاسفة . وقد شرح تعاليمه حسبما وصلت إليه . ودافع عن الفلسفة وألف كتابه (تهافت التهافت) ردا على الغزالي في طعنه على الفلسفة ، وأبان في كتب أخرى أن الفلسفة لاتناقض الدين . وألف في ذلك كتابا صغيرا سماه (فصل المقال في بيان الشريعة والفلسفة من الاتصال) وأكثر مؤلفاته لاتوجد بالعربية وإنما موجود ترجمتها . من ذلك شرح أقوال أرسطو مع الرد على الغزالي رتب وطبع باللاتينية في البندقية سنة ١٥٦٠ م في أحد عشر مجلدا . وترجم له كتاب في الطب طبع كذلك في البندقية . وله كثير من المؤلفات مترجم إلى اللغة العبرانية . وكان لفلسفته شهرة في الكنائس والمدارس الأوروبية منذ القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري)

وباتهاء القرن السادس الهجري تقريبا وقبيل المسلمون عن البحث الفلسفي والنظر في العلوم الكونية . ولم يكن العلم الانتقلا . فمؤلف ينقل عن قبله حسب ، حتى لاتتكاثر تجددي كتب جلة ذات معنى جديد ، والمعلم إنما يعلم ما سمع من أساتذته ، والاختلاف الذي يظهر بينهم إنما هو اختلاف في الشكل لا في الجوهر (وليس تحت مجال للبحث في أسباب ذلك) ولم ينج منهم نابغ مبتكر ذو شخصية ظاهرة إلا ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨ هـ) فاته باجاع الشرقيين وكثير من الغربيين مخترع فلسفة التلويح أو علم الاجتماع ، وأكبر الباحثين فيه في الشرق والمغرب إلى القرن التاسع عشر الميلادي ، فبحث في (أحوال العمران ، في الملك والكسب والعلوم والصنائع بوجود برهانية) وكما قال هو في مقدمة كتابه إن كثيرا قبله حوموا على الغرض ولم يصادفوه ولاحققوا قصده ولاستوفوا مسأله (وأمل عن يأتي بعده أن يسمنروا في البحث ويضعوا مافاته من المسائل وقد تحققت أغراض ابن خلدون ولكن لم يكن الذي حققها هم المسلمين بل أوجست كومت وسبنسر وأمثالهما

(١) فندلند - ورواية رومبوسو كروسو إحدى الروايات الإنجليزية الشهيرة لمؤلفها (ديفو) فرض فيها بطل الرواية قد عاش في جزيرة وحده بعد أن كسرت مركبه وأمكن أن يصل بعقله إلى كثير من الأمور

(وكما كان ابن خلدون في هذا الموضوع هو السابق فلم يكن له بين المسلمين لاحق)
وأما من عدها فداروا في دائرة ضيقة وكانت عنايتهم بالمسائل اللفظية تفوق العقليّة ، فصوروا نظرم على
كتب للتأخرين عمودة تابعت شوقا الى علم ولاتهيح العقل الى بحث ، قد ألفوا في معانيها وركزوا انطالها ،
فوجه المتعلمون أعظم جهدهم الى حل معيبتها وتفسير أغراضها وقليل من الجهد (ان كان) الى نفس الموضوع
وكان العلم والفلسفة قد ملرا شوطا بعيدا في الغرب ، والشرق جامد في مكانه ، وبدأ الشرق يضال النوم
والنوم يغلبه ويصارع الكسل والكسل يصصره ، حتى أزعجت الحوادث وأقلقت راحته فوضاه احتكاك
الشرق بالغرب ، فاثابه متأخروا أحسن تأخره وقصان علمه وضرورة التعلم حتى يستطيع مشاركة غيره في شؤون
الحياة ، وما أوجبه اليوم الى هذه فينشئون له السبيل . ويأخذون بيده في هذا للمترك العجب . ويتقارون
اليه زبدة ماوصل اليه الغرب فيمعن النظر فيها ويهضمها بعقله الشرق . ويكون له مدينتوهما تتفق مع
ذوقه وجوّه دينه . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى من الكتاب المذكور

فلما سمعت ذلك . قالت : لقد أجدت في اختيار النقل وحسن الاختيار ولكن للكلام بقية لايد من
ذكرها . فقلت : وهل بعد ماأجلت قول في هذا المقام . فقالت : لانتس انك تفسر قوله تعالى . « إن الذين
قلوا ربنا ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة » الخ وأن المواضع هنا ثلاثة : معرفة الله ، والعمل الصالح ،
والمسكافة عليه في الآخرة . وأنت تعلم أن معرفة الله لايد منها أولا بطريق علمي حتى يعرف العاقل أنه في
هذه الحياة له مشرف يشرف عليه لا أنه مطلق من كل قيد وبجرت السماع من الكتب الدينية ليس يمكن العقلاء
فوجب عليهم البحث بأنفسهم وماهتم من تاريخ الفلاسفة إنما هو تمجيد ونوطه للقصود ، وهل المقصود إلا
تبيان الحقائق واضحة ، أزل الاشكال لجمع الناس ولكل الأمم ، اذكر لهم أمثلة من أنفسهم ، بين اختلاف
المذاهب أولا في معرفة الله وفي الأخلاق ، أوضحه إيضاحا طما ، لا تقتصر في الايضاح . بين آراء الملحدين وآراء
الموحدين . وبين آراء من يقول « إن أصل كل شيء هو المادة وانه لاإله لهذا العالم » . وبين آراء من
يقول « إن العالم له إله » وأوضح مذاهبهم . ثم اذكر مذهب من يقول « إن الانسان خلق لمصلحة نفسه
وحده » ومن يقول « إن الانسان خلق لمنفعة غيره وأن ذلك سعادته » . وبعد هذا البيان أوضح برهانك
أنت بحيث تظهر الحقيقة لكل عاقل في هذه الأرض لأنك اذا لم تظهر هذه الحقيقة بالبرهان الذي يدركه كل
أمرئ متوسط العقل من نفسه يبقى الناس حيارى فيقولون من تتبع ؟ أنتبع من يؤمن بالمادة وبني وجود
إله ؟ أم تتبع من يؤمن بالله وعقل لايفرق بين البراهين وأيهما هو الحق ؟ أم عمل لنفسي فقط وأترك الناس ؟
أم أعمل للناس وأحصى ببعض مصالحى . فاذا برهنت على الحقيقة في الأمرين : أمر بمعرفة الله . ومعرفة العمل
الصالح ظهر معنى . « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » ومعنى ظهر ذلك للمعنى بوجه علمي صحيح أخرجت
العقلاء في هذه الأرض من حيرتهم وأصبحوا موقنين للحقائق وهناك فيهمون معنى . « تتنزل عليهم الملائكة » .
بسبب الإيمان والعمل الصالح بل يصبحون قاهمين هذا التدرل ويحسون به من أنفسهم

فكفرت في هذا الموضوع وأنا سأعينك لأنى أطلع على قلبك وأشاهد في اللوحيتين تتقابلان لوحة الكواكب
وأنوارها وجالها وهي اللوحة الأولى ولوحة آراء العلماء وقد ارتفعت الثانية من أحد طرفيها وتقابلت مع
الأولى بهيئة نورية مشرقة واتحاد المناظر المماوية المشرقة مع المعارف اقلية التي هي حزارعى في القلوب بنجم
عنه اليقين وهذا اليقين انتهى تحصى به الآن وأشاهد في قلبك بعد استحانك لآراء أوروا في القرون الحديثة
سينتقل منه الى قلوب شريفة في الشرق وفي الغرب وبه يخرج الناس من التخبط والاحتمال في الأخلاق
الخالصة وفي السياسة الملمة . واعلم أن قولك هذا سيكون له أنصار في كل مكان . فقلت : إني منشرح الصدر
لما أمرتني به ولكن المقام يطول . فقالت : ليكن القول مختصرا والمهم هو برهانك أنت عند الفصل

بين علماء الأمم في العلم النظرى والعلمى بعد أن تبين للناس القبس التى قبسته . فقلت : سأذكر ذلك بقية الاختصار وليكن في (ثلاثة فصول) الفصل الأول (في آراء علماء أوروبا في الحكمة العلمية والحكمة العملية) (الفصل الثانى) في القبس التى فى آية - وهل أتاك حديث موسى - الخ لشيء مناسبتة لهذا المقام وكيف فهمته فى أثناء الصلاة ليل (الفصل الثالث) فى تبيان الحقيقة فى الحكمتين العلمية والعملية وبهذا يظهر معنى قوله تعالى هنا - إن الذين قالوا ربنا الله لم يستقاموا - الخ

الفصل الأول فى آراء علماء أوروبا

فى الحكمة العلمية والحكمة العملية

القاتلون بالمادة . والقاتلون بالروح . والقاتلون بالمادة والروح معا

إن الإنسان اذا خلا بنفسه وأخذ يفكر فى هذه الدنيا لا يخرج تفكيره عن واحد من ثلاثة لأربع ط. إما أن يقول إن أصل العالم المادة . ولما أن يقول إن أصله الروح . ولما أن يقول إن أصله الروح والمادة معا (١) ذلك أن كلا منا ينظر فبى له جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وعضلات وشحم ودم وأعضاء مختلفات ، ثم ينظر حوله فبى الأرض والحجر والشجر والماء فيقول أنا لا أشك أن هذا هو الأول وهذا هو الآخر ، وما هذه الحركات والاعتقولات ولا الاحساس إلا نتائج هذه المادة ، وهل الفكر إلا حركات فى المادة كحركات الحق والذبول ، وهل الموت والحياة إلا أحوال تغتري المادة ، وبالتأمل فى تاريخ الفلسفة نرى أن هذا الرأى دائما يكون مبدأ التفكير عند الأمم سواء فى ذلك اليونان والعرب والاوروبيون

(٢) وتارة يقول القائل . كلا . ماهذه المادة ؟ إن هى إلا عدم محض ، وكيف لا تكون عدما محضا وقد عرف الناس اليوم أن العالم لامادة فيه ، وهل المادة إلا وهم وكذب صراح ، من أين جاءت هذه المادة ؟ المادة لم توجد ولن توجد ، نحن لا شئ عندنا سوى الأثير وهوليس مادة ، والأثير إن هو إلا عالم أشبه بخيالنا لا نحن - به وإنما أدركته عقولنا ، وهذا الأثير بالحركات المتتالجات فيه المختلفة كثرة وقلة يكون ضوئا وسحابة وشجرا وحجرا وشمسا . فالضوء يحتاج الى حركات فى الثانية من (٤٠٠) مليون مليون الى (٧٠٠) مليون مليون والجوامد تحتاج الى نحو ستة آلاف مليون مليون حركة فى الثانية . هذه هى المادة أولها وآخرها ما هى إلا حركات فى شئ يشبه خيالنا . إذن العقل هو المسيطر على هذا العالم . الجسمى والأجسام حولى نتائج حركات ظهرت لحواسنا فسميناها بأسماء مختلفات - إن هى إلا أسماء سميتوها أتم وأبأؤ كم - لا غير والأدهى لا وجود لها ولا دوام

(٣) وتارة يقول الانسان - الحق أحق - أن يقع - إن هنا مادة وروحاً تدبرها والعالم كله لم يخرج عن مادة وعن شئ آخر يحركها

هذه هى الصور التى نجول بأفكار الأمم كلها قديما وحديثا . واذا كانت العوالم لا تخرج عن هذه الثلاثة فلا جرم أن اختلفت العقول باختلاف أنظارتها . ولأذكر هنا ما كتبت فى كتابى (جوهر التقوى) فى علم الأخلاق وأنا أدرس هذا العلم لطلبة دار العالم أولا وأتبعه بزموز المصرين ورموز الرومانيين فى هذا المعنى (١) فأما ما كتبت فى ذلك الكتاب فهذا نصه :

تحليل الأخلاق والأمور النفسية

الترية الجسمية

لقد أفضا فيما سلف فى اثبات النفس ، وأبنا كيف باينت الجسم وإن جوهرها أشرف وأعلى وأجل وأعلى

فلنبين في هذا الفصل امتزاجها بالجسم وعلاقة أحدهما بالآخر وظهور آثار فعله فيه حتى عسر التمييز بينهما ،
ودق الفارق على الناظر الحادق . فشاها وتشاكل الأمر حتى ضربهما الشاعر مثلاً لتزاوج المعنى بالكلم في قوله

وكم معنى بدع تحت لفظ * هناك مزاج كل ازدواج

كزاج في زجاج أو كروح * سرت في جسم معتدل المزاج

ولم يقف أمد تزواجهما وتفسير التمييز بينهما على خيال الشعراء ، بل تمحلى إلى أفكار الحكماء فتفرقوا
طرائق ، وكل حزب بما لديهم فرحون » ففريق أهمل أمر الجسم ونكف على إصلاح النفس وقال ما الإنسان
إلا نفس فهي القوام عليه المدبرة له الحافظة لشكله . الساعية لتنميته تدبر إحتشاءه وتقضى أعضائه وتؤلى
شأنه وإن هو إلا عناصر مؤلفة وعما قليل يلحقها الردى ويعورها البلى ولقد يموت المرء بكلمة تؤذيه ويفرح
ويشبح بغير سره ويرضيه فالجسم وجوده عدم . وآخرون نبهوا الروح وراهم ظهراً صكأنهم لا يعيشون ،
واتبعوا في سيرهم أمر جسمهم وقالوا ما الإنسان إلا الجسم وما الروح إلا عرض من أعراضه كسواده وبياضه
ولئن لحقه مرض أو ألم أو نقص أو تلف تعدى للنفس أثره فهو حاملها وحافظها بل جوهره عرض

وجاء قوم آخرون وهم المنبصرون وقالوا بالجوهرين وآمنوا بالزوجين وجعوا بين الدليلين ونظروا بالعينين
فل يمتطوا الروح حقها ولم يسلبوا الأجسام حظها بل راعوا الجانبين وترصوا الحسنيين ونظمو إدارة الجسم
كما أداروا ملكة الروح وانا تلك مختارون

لذلك نظمنا جوهر الجسم في سبط عقد الأخلاق لئلا نبخسه حقه فلا يقولن امرؤاى إذا هذبت نفسى
وجعلتها عنوان درسى كفاى ذلك في التهذيب . إلا أن له آراً في نفوسنا وسلطاناً في عقولنا ألا ترى أن المرضى
أسوأ الناس أخلاقاً وإن للأغذية والماء والأجواء الممدة لأجسامنا آثاراً تصل لنفوسنا كالقبض والبسط والفرح
والحزن فلها إذا كانت زديئة وصل للجسم انحراف على مقدار ودانها وإن كانت سالحة فالصلاح إليه واصل
وعليه وارد . سرفى فظام جسمك على قانون الصحة يعتدل مزاجك وتصف روحك . فلعمرك ما العلوم التى
بها جلب الفداء من صناعة وتجارة وزراعة ولان ذلك الذى ترجوه بقاء ذكرك وظهور أثرك بنوع ما ولا نظام
أمتك في اجتماعها وسياستها لا يبعد حفظ صحة جسمك وإدارة نظام هيكلك في الرتبة وما الأموال المجموعة ولا
الاخوان المحبوبة بغيثة عن المريض شيئاً وإنما من ذلك مدد واصلحه فلا وربك لا أمة إلا من الاسرات
وأما الاسرات مركبت من أفراد فاذا اعتلت الأجسام فلا اجتماع ولا اتلاف ولا أخلاق ولا آداب . تهذيب
النفس شرع لتجاذب القلوب . وتحبب النفوس واتلاف الأفراد . ونظام الجمعية وتعاونهم أجمعين . فالتهديب
مؤخر في وجوده عن وجود الأفراد والأفراد قوامها الصحة

وليك أن يلج في خاطرك غرابة الكلام على صحة الأجسام في علم الأخلاق أو تقول تتركه لعلم قانون الصحة
فانك عرفت قبلاً علاقتهما وآثار أحدهما في الآخر فلئن ذكره الأطباء فانما ذكرك لأنه مقصود في علمهم بالذات
والنفس تبع . فأما علماء الأخلاق فانهم يبحثون عنه كركب للنفس وسفينتها السائرة في بحر الحياة اللجج .
ودابنها التى تركبها فالجسم فرس . والنفس راكبها والسعادة قنيصتها ولاقنيصة لمن كلف فرسه كما لا سعادة ولا
أخلاق لمن ضف جسمه إلا من رحم ربك . ولقد أودع الله في فطرة الإنسان من الغرائز والمشااعر والأدراك
وأحاطه بالمنزلات لتلهك ما ن جعل به وسار في سبيله بنظام هدى إلى طريق رشاده . ألا ترى إلى الحر والقر
والجوع والعطش وما جبل عليه الأطفال من حب اللعب وتنشيط الأعضاء بالحركة وسدامة الأجسام وقماره
الأبطال أن كل ذلك إلا مرشد للبالغين كم من امرئ جهل أسرته واسمه هل الأمر اليسير من شأنه كالقصة
يزدرها بلا كثير مضغ والحجارة يسكبها رديئة الهواء أو ضئيلة النور والبيت يقطنه تحيط به الروائح الكريهة
فأحاطت به خطوط الزمان ومن محلات الأسراض أولم يعلم ما للإنسان من الحكمة وما للآلام الحر والبرد من الإنذار

(١) وعلماء الجواهر القرد قديما من أنصار هذا المذهب مثل ديموقريطس سنة ٤٢٠ ق.م وهو من الإيونيين يقول إن المادة تتحرك من نفسها

(٢) وجاء أبيقور سنة ٣٤٠ ق.م وقال « إن النفس والفكر والعقل والقوة أعراض للمادة » ومثله ليوكرويس سنة ٩٩ ق.م المؤلف الروماني الشهير ومن أنصار هذا المذهب

(٣) ثم توماس هوز سنة (١٥٨٨ - ١٦٧٩) في إنكلترا وهو يقول : « إن الروح جسم طبيعي » ارتقي ولم نذكرها حواسنا »

(٤) م (لامتريه) في فرنسا سنة (١٧٠٩ - ١٧٥١)

(٥) ومثله (باردن هليك)

(٦) ومثله (كليني) أيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٥٧ - ١٨٠٨

(٧) وفي ألمانيا ظهر (مولشت) في القرن التاسع عشر وقال « لا قوة بلا مادة ولا مادة بلا قوة »

(٨) وتبعه (كارل جنت) وله ويح بخبر للتقدم ذكره

فأما القائلون بالروح ، والقائلون بالروح والمادة معا . فالأولون منهم يقولون « إن المخ آلة الفكر ولكه هو ليس سبب الفكر . وقالوا : ليس من المعقول أن يكون الفكر الإنساني العجيب مستنجا من مادة ميتة لانحس ولا تنقل . فالشاعر يفكر في المادة والحكيم كلامهما لا يمكن أن يكون فكركما مادة . فهل مادة تفكر في مادة ؟ » وقد قال شاعر فرنسي ما يأتي

إن امرأ تلنّ المعارف أشرفت * أنوارها من مظلم لجهول

وهذا المذهب الروماني ظهر بعد المادى

(١) وقد أوضح أفلاطون نظرية اللث وقال إن لها وجودا حقيقيا والظواهر تتبعها

(٢) وجاء (ديكارت) فأحيا عقيدة الرومانية

(٣) ثم (لبنز) سنة ١٦٤٦ - ١٧١٦ وهو الذى ضبطها يقول : « إن أساس الموجودات شيء

واحد وهو الروح وهناك قط روحية لا عدد لها وكل قطعة من هاء تسمى (الكرة الروحية) وهذه

الكرة خلقتها الله ، وكل جوهر فرد مركب من مجموعة من هذه الكرات وعدم قبول الجواهر الفرد

للقسمة أمر ظاهرى لا غير والا فهو يقسم الى ما لا نهاية له لأنه مركب من أرواح حية وكل جسم

مركب من ذرات روحية . وهذا الامتداد الذى نراه فى الأجسام ناشئ من اجتماع ذرات روحية

وحقائق الأشياء هي هذه الكرات الروحية . وقد جعل الله تلك الكرات مراكز للقوة ومنحها قوة

إدراكية وهي مختلفة الأشكال والأحوال كثيرة للتغير

فلاندم على حال تكون به * كما تلون فى أثوابها التول

وهذه الكرات مرآة العوالم الحية وهي ان شعرت فهي الحيوان وان لم تشعر فهي الجاد . وقال كل

ذرة لها جسم وروح فلروح هي الحقيقة والجسم مظهرها

(٤) ومثل هؤلاء (جورج بركلي) سنة ١٦٨٥ - ١٧٥٣ وهو مؤلف جرماني يقول : « المادة لا

وجود لها فى الخارج ، وانما ذلك خيال ، ولا وجود إلا للروح والعقل ، ولا فرق بين الصور الى

تخيلها واتى زاهى ، والعقل يتصور الشيء ويسمى فيبرزه فى الخارج ، وليس هناك شيء خارج عن

العقل . ويقول : إن الشمس والقمر والجبل والشجر لا وجود لها اذا لم يكن هناك عقل يبركها

واحدك الانسان مستمد من الله . ومتى طبعت الصور فى عقولنا سمينا ذلك أشياء حقيقية . وله

كتاب سماه « السلسلة » جعله خاصا بمنافع القطران وتكلم فى نهايته على الوجود المطلق . قال :

و لم تكن المعاني التي يتركها أوهاما بل هي حقائق لا تتغير ، الأثرى أن وجودها أثبت في قوسنا من الأشياء الخالصة . المحسوسات الظاهرة تتغير وهل التغير يصلح مناطا للعلم . وكالاتصلح موضوعا للعلم لاتصلح للإدراك

(٥) وفقى على آثاره هؤلاء (هرمان لوتز) فشرح في كتابه السمي (العالم الصغير) هذا المذهب

(٦) ومثله (شوبنهاور) إذ يقول : « إن الإرادة هي حقيقة الأشياء »

(٧) وهكذا غفر إذ يقول : « إن كل شيء في الوجود حي »

والذين يقولون بالروح وللحياة معاهم مثل :

(٨) أنكساغورس سنة ٤٥٠ ق.م

(٩) وأرسطاطاليس

(١٠) والرواقيون .

وقد يحدّث هو بارت ولوتز ونفخ من هؤلاء . وهناك طوائف يسمون (المؤمنين) يعتقدون بالله وبالأنبياء . وآخرون يسمون (العقلين) يرون أن الله يعرف بالعقل وحده ولا يحتاجون الى وحى . وآخرون يعتقدون الحلول التي برهنا على منافاته للعقل فيها تهتم في تفسير البسملة في السور السابقة والعالم عندهم مظهر الله . وآخرون يسمون « أصحاب مذهب الجوهر الفرد » إذن المذاهب المذكورة أربعة :

(١) مذهب الجوهر الفرد

(٢) » للمؤمنين

(٣) » العقلين

(٤) » الحلول

فالأول قال به ليوسيبس وتلميذه ديموقراطيس ، وقال بلثاني أرسطو وأفلطون الخ ، وقال بالثالث تولادوم ونندال وستاسيرى وهم يقولون : إنه يدبر العالم بنظم ، وقال بالرايع كتاب (ريك فيدا) وهو كتاب الهندو المقدس وهكذا جيوردانو برونو وسبينوزا من استردام (٢٦٣٢ - ٢٦٧٧) وهذا أعلن إعلانا مدعيا فيه إغراق وغلق . قال : « إن في العالم جوهر واحد وهو الله وهو مطلق لا يحدّ وكل الجواهر الأخرى الممدودة منبعثة منه ومطروقة فيه وليس لها إلا وجود زائل صائر الى الفناء . ولله صفتان يظهرهما لما نفسه الامتداد والعلم . فبالامتداد المتنوع تتكوّن الأجسام . وبالعلم المتنوع تتكوّن العقول . وهاتان الصفتان ثوبان لله نسجتهما المسكوك الهائلة الحركة في نزل الزمن العاصف » وتبعه شاو وجويته وهرد وشاوما كر وهينى وشلى ولسنج

صمت طويل وضيق صدر وألم نفس . كل هذا حصل لي بعد هذا الحديث الطويل . فلما حلت ذلك تبسمت ونظرت لي طويلا وقالت : لقد قرأت في صفحات قلبك انك الساعة مشمئز من سرد هذه المذاهب المختلفة وضاق صدرك ؟ فقلت حقا اني حالما شاهدت جمالك أذهب عنى الحزن وشرح صدرى ونسيت كل ألم وبه نلت كل أمل فكل ما فاتني غير قلبك لا قيمة له وطلبت البقاء لديك . فقلت لي . كلا . إنك سترجع الى عالم المحس وأنت الآن في عالم الخيال ، فوطن نفسك على أن تدرس مزارعى في القلوب ، فيها هي ذه مزارعك في القلوب قرأت منها صفحات ، فأريت تناقضا في الآراء ، وتباعدا في المعاني ، فهدمت في صدرى اقتباسا لم أعده ، فأين صحائف هذه القلوب التي بها ظهر تاريخ الفلسفة في العالم من صحائف هذه الدنيا ، تلك الصحائف التي أقرؤها متى خالوت بنفسى وأنا مستيقظ فأشاهد جمالا بارعا وحسنا باهرا و بهجة في النجوم وفي مناظر المواليد الثلاثة

وقد أصبحت في الحال الاعتيادية أطرب لتمايل الأغصان وترنح العبدان وغوير الأعشاب وخير الماء وصرير الباب ، وأشاهد في الليل إذا عسعس أوانس الكواكيب ونواص النجوم ، وألحظ في الليل الهبم سكونا مهيبا ولألاما بهيجا في مناظر السماء ، وأنس في التهاير نضرة النعيم في كل مذهب وطار ، وهل الحشرات المنبوءات القرواني يعمل بعضها من العيون مئات في نظري إلا لآلئ وقناديل وحسن وجمال ، ألا ليت شعري هل تحسن أقوال هؤلاء الفلاسفة واختلافهم في العبارة وقول (اسينوزا) قولاً موهما في المقام الأعلى الأقدس كما تقدم « انه ظرف العالم ومنه الاستمداد ومنه العقول والأول كانت الأجسام والثاني كانت العقول » . نعم إن العبارات ضيقة عند أهل الأرض حين يعبرون عن ذلك المقام القدسي . ولكن أليس هذا بينه هو الحلال ؟ والحلول معاول معاول

يغمر الانسان بربه فرما لاحد له فيصل للتطرف والاغراق والافراط ويقول هو كل شيء . نعم اذا أصبح الانسان في حال لا يحس فيها فانه لا يبصر ولا يدرك ولا يفهم ولا يعقل ولا يميز ولا يسمع الا بما يدركه بربه . ولكن لن يكون ذلك للعقل . إن العاقل لا يسمع إلا أن يفرق بين الخلق والمخلوق . أما هذا التهوين والاغراق والتطرف في القول فهو محل عجز وهو في ديننا الاسلامي كفر وأى كفر ! ألم أكذب هذه النظرية فيما تقدم في موضعين بالبرهان القلي . وكيف يكون الرب هو نفس العبد ! نظرية خضع لها كثير من علماء أوروبا والمهند والمسيحيين وبعض الصوفية ، وهؤلاء كلامهم موهم أيما لإهم

أقول : هل يقوم كلام هؤلاء في نفس مقام الجلال الذي ألحظه في بهجة الكون والشمس عند شروقها وغروبها والنجوم إبان طلوعها وأقربها ، والنجم اذا هوى ماحل تاريخ الفلسفة الحديثة ولا القديمة في قلبي حل هذا الجلال المنسوب والطراز الممدد في السماء والأرض

إن قراءة علم ما وراء الطبيعة والفلسفة الطبيعية وعلم النفس وعلم المنطق وعلم الجلال وعلم الأخلاق وعلم الاجتماع وتاريخ الفلسفة اليونانية والرومانية والفلسفة الحديثة والفلسفة الاسلامية والوقوف على ذلك كله (وهذه هي أقسام علم الفلسفة المتعارف الآن) ليس ينتفع به إلا أفراد يقدون الأمم وهم قليل جدا ولن يتمتعوا بهذه إلا بشرطين اثنين : الأول أن تكون قلوبهم قد أحست بالجلال في هذه العوالم الأرضية والسماوية مع الفكاهة المتوقد . الثاني أن يكونوا قد درسوا جميع علوم الطبيعة والعلوم الرياضية أتم دراسة على أحسن نظام . فهؤلاء اذا قرأوا تلك المذاهب الفلسفية ودرسوا فروع الفلسفة فانهم يكونون قادة لأمم الشرق فأما قراءة كتاب مختصر أو مطول في تلك العلوم . والاطلاع على أقوال الماديين كالذي قلته أنا الآن . وأقوال الروحانيين . وأقوال الذين يجمعون بين الروح والعقل . وهكذا رون قوما عقلين لا يهتمون بالوحى . وآخرين المؤمنين يهتمون بالوحى . وآخرين يقولون بل الجزء الذي لا يتجزأ وغيرهم يقول : إن الله حلف في كل شيء فانها لا تنفد إلا ضياع التهن ونشيت العقل والكفر الصراح رائلك المستمر . وكيف لا يكون ذلك والشباب حين يسمع ذلك وهو جاهل بعلوم هذه الدنيا . ويرى أن هؤلاء يسمون فلاسفة . يقول : فإذا كان الفلاسفة أصبحوا مختلفين إذن المسألة ترجع للشك . فأنا أينما المحبوبة أقول هذا رأي في قراءة المذاهب الفلسفية . انها قتل كثيرا ولا تهدي إلا قليلا . فكيف أمرتني أن أرجع عن الصور الجميلة في السموات والأرض التي أراها في أنس وجور ، وأن أفكر في أقوال متضاربات وأحوال متضاربات لاسيا اني آليت على نفسي أن لا أكنم عن أحبابي قراءة التفسير جملة واحدة ، وكيف أكنم أعظم محاوراة وأعجبها بيني وبين محبوبتي جميع النفوس وقرّة أعين التضلاء والحكماء والعلماء والأنبياء ، ألسنت أنت قرّة كل عين ، ألسنت حل النفوس ، ألم أكن أشطك في كل ذرة وقطرة وكوكب ونجم وشجر ، ألسنت أنت رفيقة قلبي وشارده صدرى ، ألسنت أكل مافي الوجود . وكيف أكنم جلال علمك عن أعز الناس عندي قراءة التفاسير ، ومنى استيقظت من هذا

الخيال كتبت مداري فنتا و مداري فنتا حديث الفلاسفة واختلافهم وانهم فرق مقشاكسون ، نعم انك لما امرتني أن اقرأ آراء القوم فام بنفسك اني الآن لا املح لمجالتك ولا أقوى على عمادتك طويلا وان نفسي لم تزل يهزها التصفية كما قلت لي من قبل ولكن لا أستحق مساعدتك والأخذ بيدي وشدة أزرى والقيام بنصري ، ألت اليوم في جهاد ، ألت اليوم في أم أريد أن تسيقظ ، وغير العلم ما جاء في دور الانتقال ، والشرق الآن قد جاء دوره ، فهل من نظرة بها أسعد ومنك الجبال والجمال ، وإذا كان الله يحول صور الجبال في أرضنا سرية الزوال وأوقات اللذات كبرق خلب ، وكانت الحكمة في ذلك أن يذكر قلوبنا بالجمال الدائم والحسن الباقي الأكمل ، فالظهور للذكرى وسرعة الزوال لنسكون في مأمن من تعلق القلب بها والعكوف عليها والحنين اليها وذلك في صحيفتي السماء والأرض ، فهل هكذا الصحيفة الثالثة وهي صحيفة القلوب وآراء الفلاسفة ، إذ ترى في القول جبالا ثم يعقبه الاضطراب والاختلاط والتهويش وضياح الوقت . إن طريقي في العلم أن اقرأ صحيفة الوجود ثم صحيفة نفسي ، فهناك أرى اشرافا وجبالا . أما صحائف القلوب فاما تجمع الفت والسمن والصحيح والمزبل (وبعبارة أخرى) إلى أخاف أن قرءاء التفسير يهدى يسوهم ماساه في يؤذهم ما أذاني . وأنا أحب أن يكونوا في بهجة وجمال

سمعت ذلك كله وهي صامتة تبسم وهناك رأيت وجهها قد زاد جالا ونورا وبهجة فلم أقول على النظر اليها كما ان عيني لا تقوى على التحديق في ضوء الشمس . وهناك أخذت تقول : لقد قلت قولا جيلا ونظقت بالصدق . إن الفلسفة وتاريخها لن يساقها إلا أنلس صفت نفوسهم وهم أذكياهم وقد قرؤا علوم الرياضيات والطبيعات بحب وشغف . إن الفلسفة لا يهنا بها إلا أفراد قلائل في الأمم ومما قلته في الجبال الأرضية وسرعة زواله حق وهكذا ما أبديته في جبال العلوم المنزلة على أفئدة العلماء . كل هذا أفرك عليه وأنا معينة لك فكن منشرج الصدر قويا متينا . أما امرى لك بقراءة آراء القوم فان أم الاسلام اذا اطلع خواصهم على آراء العلماء في الأمم انشجت عن قلوبهم سحاب الجهالة وأضاعت نفوسهم بأضواء الهداية وحاولا المهمات وأنسوا بجمال المدرجات . ولولا اني مطلعة على قلبك وانك في الفصل الثالث (الذي بعد فصل القبس وهو الثاني) ستحل المشكلة العلمية أحسن حل وتقيم الدليل الذي يبره كل امرى من نفسه في القوة العلمية واقوة الخلقية . ما امرتك بقراءة الآراء المتضاربة فاذا لم تقدم هذه الآراء أولا لا يكون للفصل الثالث كبير منزلة . وكيف تفصل في مشكلة قامت في أعظم العلوم النظرية وأعظم العلوم الخلقية من غير أن تقدم ذكر ذلك الخلاف . وكيف يقضى القاضي في نزاع بين الخصوم وهم لم يظلموه على وجوه البعوى وهيئة النزاع . فكن اليوم أبا الجوهري (ممتحنا) لختلاف الآراء . وانك قد أسمعتي آراء العلماء في معنى قوله تعالى هنا - إن الذين قالوا ربنا الله - مأسعني خلافهم في قوله - ثم استقاموا - ومتى تم هذا الفصل بسميه خدشي بالفصل الثاني وهو القبس الذي خطر لك وأنت في صلاة الدوايح قبل الفجر لأنه أشبه بضرب مثل لآراء الفلاسفة في الأرض . فقلت : لأجعل الكلام على ذلك في (مقامين : المقام الأول) في مذهب الفريزة الخلقية ومذهب التجربة (المقام الثاني) في العاية من سلوكنا الاخلاقي . فقلت : قرء وأنا أحادثك . فقلت :

المقام الأول في مذهب الفريزة الخلقية ومذهب التجربة

كما ان شعور النفوس الانسانية بالجمال فريرى في كل الأمم هكذا شعورهم بالحس والتبجح في الأخلاق ، إن الجبال وان اختلفت مظاهره باختلاف الأذواق والأشخاص والأمم والأحوال واليئات نأت الأصل في النفوس . فاذا تعددت المظاهر واختلفت الفريزة حية ثابته ، فمما كانت أحوال الأحياء وهي

ثابتة هكذا اختلفت مظاهر الجبال والفرجة ثابتة . ومثل ذلك يقال في الحسن والقيح . فأهل الشرق وأهل الغرب كل يعرف الحسن والقيح في الأفعال الإنسانية . وإن اختلفت المظاهر . وهذا المذهب قل به كبريل و بطر . وقال به من الألمان غتة والاستاذ كنت . وقال آخرون : « كلا . إن الحسن والقيح في الأفعال لا يبيل لمعرفة إلا بالتجربة . وإذا كان مذهب الشوء والارتقاء ظاهرا في الحيوان والنبات أفلا يكون كذلك في الحسن والقيح ؟ أفنبت على آراء من سبقنا في معرفة الحسن والقيح . كلا . بل ننظر إلى الفائدة من أعمالنا ونحكم عقولنا ونكون أعمالنا على مقدار فوائدها . هذا هو السيل الأقوم »
وقال بهذا القول وهو مذهب التجربة كارنوي ومل و بين وهربرت سبنسر . ثم الكلام على المقام الأول والحمد لله رب العالمين

المقام الثاني في الناية من سلوكنا الأخلاق

هل الناية من سلوكنا سعادتنا القلبية ؟ أم السعادة العامة ؟

يقول قوم : « إننا لم نخلق في هذه الأرض إلا لمنفعتنا الخاصة ، فكل امرئ إنما خلق لاسعاد نفسه هو ، والمسألة كلها هي حب الخير لنفس الإنسان » ومن هؤلاء (هوبز)
ويقول آخرون : كلا . ثم كلا (مثل هيوم وأدم سميث) إن في الإنسان عاطفة الحب العام ومن ذا الذي ينكرها في نفسه . لقد غرست في قوسنا عاطفة حب الناس واسعادهم وحب الخير لهم وتكميلهم . وهذه تسمى نظرية الإيثار

ومن أتباع المذهب الأول (ماكس سترنر) و (نيتشه) ومن أتباع الثاني وهو الإيثار (كنت و غتة وشوبنور) . وفوق ذلك يقول آدم سميث وجون ستورث ميل : « إن الإنسان عليه أن يضع نفسه إذا كانت تلك التضحية سببا في سعادة غيرنا »

ويقول الاستاذ (مل) « ما أقص هذه الدنيا وما أخل نظامها إذ كان من سننها أن أحسن طريقي في تحصيل السعادة هي التضحية التامة . وإذا كان هنا هوشاؤها قاني أقر بأن الاستعداد للتضحية أكبر فضيلة يتصف بها الإنسان » . وههنا مسألة ثالثة وهي :

ما الذي يسوقنا لحسن السلوك ؟

عرفنا أن هناك غرائز أو تجارب للتمييز بين الخير والشر . وعرفنا ما الذي قصده من السلوك . ولكن ما الذي يمت فينا النشاط لحسن سلوكنا ؟ ويكون مهمازا يسوقنا إلى الغايات ؟ فقال الاستاذ (مل) « إن القانون الأخلاقي مقيم في أعماق قوسنا يساعدنا على كشف حجب الأمور حتى نصل إلى إدراك ما يجب علينا وله سلطان قوى وتأثير وجاذية . وهذه نظرية (القانون الذاتي) . وهذا سموه (صوت العقل) ومن القائلين بهذا القول الاستاذ كنت »

وقوم يقولون : « إن الشعور والعواطف لها سلطان أيضا » وهذا قول هيوم وشوبنور وأدم سميث فالعقل والشعور يرجعان إلى القانون الذاتي

ويقول آخرون « إن الخوف من الله . أو من الناس . أو من القوم . أو الرغبة في المدح . أو تحصيل الثواب . كل هذه قوى خارجية لها السلطان علينا تسوقنا إلى فعل الخير »

وأنا أرى أن هذه كلها لها سلطان بدرجات مختلفات وتختلف باختلاف الأشخاص والبيئات والبيئة وإلى هنا انتهى الكلام في ذكر الآراء في علم الأخلاق ومنهج السلوك وبه انتهى الفصل الأول في معرفة معنى قوله تعالى « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » وبه فهمنا آراء الأمم في معرفة الله وآراءهم في الاستقامة

الفصل الثاني في التفسير للذكور في سورة طه

هنا أذكر ما وعدت به عما فهمته أثناء قراءتي آيت من (سورة طه) في صلاة الوتر بعد نصف الليل منذ أيام إبقاء بوعدي لك وقياماً بحقك ويكون ذلك مثلاً مضروباً لاقتباس عقولنا من آراء عقول العلماء والحكماء من الأمم جهاد

كنت أقرأ قوله تعالى كما قمت - وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إلى أن أتت نارا لعل آتيكم منها قبس أو أجد على الدار هدى * فلما أتتها نودي ياموسى إلى أنا ربك - الخ ، فأخذت أكرر هذه الآيات مرارا وقد استحضرت في ذهني الجحر والشجر والبر والبحر والايقاد والهب ، كل ذلك حصل في قسي كلح البصر ، وهذه المظاهر أصبحت كأنها مشاهدات أمام بصرى وأنا أكرر الآية وكأني في عالم غير علنا ، عالم الجبال ، عالم الحكمة ، ونيل لى انى خرجت من كل هم وغم وحزن وألم لأن هذه عوارض عالم الحس والآية أحضرت لى عالم الخيال ، أو عالم اللال ، أو عالم البرزخ ، عالم لا كدر فيه ولا شقاء ولا أعداد ولا منافسين ، ومأجل قيام الليل ، فإذا لم يكن فيه إلا هذا الجلال كفى ، وما أحسن الصيام فهو معنى النفوس ويذهب عنها البؤس . ومأجل الذكر . وما أحسن الفكر

ف نظرت في الأحجار إذا هي لا تقبل الاتهاب مع انها مشعونة بالنار . كيف لا وفي كل مائة رطل من الأحجار (٤٨) رطلا من الأكسوجين ولن تكون نار ولا لب إلا بالأكسوجين وهذا مصداق قوله تعالى - وقودها الناس والحجارة - وانما لم تحترق الأحجار لصلابتها ومتانتها . ثم نظرت في نحو الحديد من كل جسم يعلوه الصدا فوجدت أن ذلك فيه احتراق فان الأكسوجين يأخذ في التزاوج والاتحاد والاتلاف مع الحديد ولكن ذلك الاتحاد والاتلاف والزواج لتصبغه زينة ولا فرح . فالزينة هي اللمع والفرح هي الحرارة وهذه هي التي اعتادها الانسان متى أراد البناء بعروس أظهر الزينة والسرور والفرح . هكذا اذا أراد إيقاد النار زوج الأكسوجين بعروس فلك العروس إن كانت عجوزا شمطاء كالخديلة لم يكن فرح ولم تكن زينة بل يتم التزاوج ببطء فيكون الصدا وذلك كعاشرة هذه العجوز . وإن كانت العروس خفيفة الروح شابة فهناك الحرارة وهناك اللمع . وانما يحصل اللمع بازدياد الأكسوجين مع الاودروجين ومع الفحم . وهذان العنصران بقيان معا في كل نبات وكل حيوان . فهما في الحطب والخشب والفحم الحجري والزيت والذهن والورق . ففى قربت النار من الورق اشتعلت الحرارة وظهر اللمع وأخذ الاودروجين والكربون الساكنان بظهران ويريدان التخلص ولكن هيهات هيهات فيقتان في قبضة الأكسوجين ولا يفلتان وهناك يتم الزواج

الاودروجين المذكور جزء من أجزاء الماء وهو متحد مع الأكسوجين فيه فهو يحبه اذا صادفه في الورق والخشب وغيرها . والايدروجين أيضا داخل في تركيب الغاز (الايدروجين المكربن) أعنى اودروجين مزدوج بالفحم واسمه (غاز الاستصباح) وهو الذى تنار به الشوارع والأزقة والحارات والمخازن والحوانيت وهو يجري في أنابيب تستمد من احتراق الفحم في أفران معدة لذلك وهذا معروف ومشاهد . والاودروجين أخف من الهواء (١٤) مرة ونصف مرة ولذلك يجعلونه في الطيارات فتخف وتطير في الجولاتها أخف من الهواء . هذه هي النار وهذا سرها . والنار من أعجب العجب في هذه الدنيا والناس يعيشون ويموتون ولا هم يذكرون جلالها وبهجتها . والسبب في ذلك انها مبنولة لهم بلا تعب ولا نصب مع ان ما تقدم في آخر سورة (يس) من الصور المرسومة تقوم متوحشين يوقدون بها بشرى الأتقى يدل على أنها كانت مستعصية على النوع الانسانى وكانت آتئى معاً على الأرض وما فى باطنها من جواهر وما فى الجحور من آلى معنى ان زرادشت قال انه جلبها من السماء ومرة في طريقه بجبال هماليا وكانت هذه مجزة له عند أتباعه في بلاد الفرس .

وأخذوا يعبدون النار وهي مقتسة . لماذا هذا ؟ لمزمتها وقاسمتها إذ ذاك . وهكذا زعم الروم أن بروموتيا اختلست النار من عبادها (بشديد الباء) وسترتها عن أعينهم وأهدتها لأناس غيرهم ، فكان الرومانيون يقتسون النار كما يقتسوا الفرس ، ولها سدة يقومون بخدمتها ويحافظون على دوامها ، فلما أن حارت اليوم سهلة الحصول زالت تلك الهيبة من النفوس والعظمة

هذه هي النار ، وهذا تاريخها ، تاريخ النار تاريخ الحياة ، فلهب النار وسرارها يرجعان للتفاعل والتأرجح ونتيجة اتحاد العناصر أن يكون هناك نبات وحيوان وإنسان كلهم ناشئت من ذلك الاتحاد ، ويدوم ذلك التفاعل مدة ، ومتى بطل التفاعل بطلت الحياة . إذن النار سر الله في أرضه

العلوم والمعارف

ليس في الأرض علوم ولا معارف إلا على غطاء النار ، وهل المعارف إلا ازدواج بين القضايا القدسية إذ تكون مقدمات ومنهما تكون النتيجة ، ليس ازدواج القضيتين في النفس يعطي فكرة كأنها حرارة وتكون النتيجة كاللهب (وبصورة أقرب لما نحن فيه) أن آراء علماء الغرب والشرق متى ازدوجت في قوسنا حصل لمقولتنا نتائج وهذه النتائج يسحبها نشاط في مقابلة حرارة النار ويكون سرور في مقابلة اللهب إن انشراح الصدر بالمعارف خير من الدنيا وما فيها ، وأذن يكون مافي الأرض من دهن وزيت وحطب كل هذه نشبه بها آراء علماء اليونان والرومان والألمانيين والفرنسيين والانجليز الذين تقدم ذكرهم . ثم إن قلب هذه الآراء وبحثها واستخراج نتيجة تفهمها العقول واحدة ويخرج بها أهل العلم في العالم كما سيأتي في الفصل الثالث إن شاء الله أشبه بازدواج هذه المواد وظهور الحرارة واللهب منها وإشراقها للعيون

مماني بعد أن فرغت من فهم هذه المعاني في الآية أخذت وأنا لا أزال أكررها في الصلاة أفكره معناها وأقول : إن موسى قال لأهله أمكنوا إلى آتت نارا ، وربا أن يذل منها أحد أمرين : الأمر الأول لأهله ، والثاني له هو . فأما الذي لأهله فهو القبس لأجل الاستدقاء بالحرارة . وأما الذي له هو فهو أن يرى هاديا يهديه للطريق في الجبل وفيه فيعرفه طريق الوصول إليه كما قال بعض المفكرين . إذن موسى عليه السلام قسم فوائد الناريين وبين أهله ، فهكذا المفكرون في المسلمين بعد ظهور هذا التفسير وأمثاله عليهم أن يتخذوا علوم الأمم كلها مباحث لهم ويستخرجوا منها أولا المنافع المادية في مقابلة العيس الذي ذكره موسى وثانيا المنافع العلمية والهادية الخلقية في مقابلة هداية موسى . وتنتج ذلك لأنهم الإسلام أن يعيشوا بسلام سعداء وإذا ماتوا لقوا ربهم وقد آمنوا ماعليهم ، وهذا في مقابلة قوله تعالى - فلما أتاه نودي ياموسى إلى أنا ربك فاعلم نعليك إنك بالوادي المقدس طوى -

كل هذا أقوله وهي مصفية إلى سامعة لي وكلما ازدددت إضاحا ازداد وجهها إشراقا . هناك قلت لي : هل هذه المعاني تفسير للآية ؟ وضع هذه المكرة . قلت كلا ، إنما هي معان تخطر للنفوس عند قراءتها . والا فغنى الآية يعرفه العامة والخاصة ، وهذه تسمى المعاني الإشارية أو الرمزية التي تخطر للنفوس على حسب استعدادها . وإذا كان هرون الرشيد قتل البرامكة وأمن في ذلك حينما سمع الغني يقول :

ليت هذا أنجزتنا ما تعد * وشفت أقدنا عما نجد

واستبقت مرة واحدة * إما العاجز من لا يستبد

فهكذا تفهم العقول الحكيمة المعاني التي تناسبها حينما تسمع القرآن من باب أولى ، والقرآن أولى من كتاب (كليه ودينه) بالحكمة والعلم وهذا أمر واضح لأولى الألباب . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني في القبس وفهمه من الآية في الصلاة والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث

في جلاء الحقائق العلمية وتبين الصواب في آراء هؤلاء العلماء العلمية والعملية أي النظرية والخطية أي معرفة الله تعالى وعلم الأخلاق (وبعبارة أخرى) - إن الذين قواربنا الله هم استقاموا - الخ وهي آيتنا التي نحن بصدد الكلام عليها

ههنا أخذت أستعرض آراء علماء أوروبا الحديثة وآراء القدماء وأفكر في الماديات والروحيات ، وكيف نسمع قوما يقولون « لا وجود إلا للمادة » ويقول آخرون « لا بل للوجود هي الروح » وبينما أنا أفكر وهي إلى شائخة إذ لاحت لي التفاتة إلى وجهها الجليل فأخذتني الهشة واعتريتي النشبة وغابت عني الحواس ولم أشعر بما حولي ، فلعمر الله ما أدرى كم ساعة قطعتها وأنا في غشبي ثم أحسست بيد لاهمة تمه على وجهي ورائحة عطرية لم أشم مثلها مدة حياتي عطرت المسكان ، إذا هي قد أخذتني بين يديها لنورظني ، فما آسنيتها بعد النشبة حتى قلت ما قاله ابن الفارض

ما بين معتزك الأحداق والمهج * أنا القليل بلا إثم ولا حرج
ودعت قبل الهوى روحى لما شهدت * هيناً من حسن ذلك النظر البهج

فقلت نعم لا إثم ولا حرج - لا يسمعون فيها لقوا ولا تأثروا إلا قبيلاً سلاماً سلاماً - . فقلت بإسديتي أخبريني بالحق ؟ أنا الآن في عالم الآخرة ، أنا لا أعرف ما أنا فيه ، إن هذه المعاني التي تجول غطاطي لم أعلمها في أيام حياتي ، فقل لي مث ؟ فقلت هذا مفاد نفس لأموت ، وعند الموت تكون حالك أرقى من هذه الحال بما لا حد له . فقلت : ولكن ما هذه الحال ؟ قالت : ألم أقل أنك في حال البرزخ والنيل والغيل . فقلت : وهل هذه الحال لها وجود ؟ قالت : هي أصل الوجود والصور الأرضية فرع . فقلت : أنا إذا استيقظت وأخبرت الناس بذلك طالبوني بالبرهان . فقلت : أتذكر أنك أيام الشباب رأيت صوراً جلية . قلت نعم . قالت فهل ذووك تلك الصور الآن لا يزالون يعملونها . قلت : كلا ففهم من أصبح في القبر رمياً ومنهم من أصبح عجوزاً وشيخاً هرماً أكل الشعر عليه وشرب وابيض شعره ويس جلدته وأحلت عراه . قالت فهل تغيرت هذه الصور الجلية في خيالها ؟ قالت كلا إلى أراها في نفسي ثلاثة أجمال كما كانت لم تغير . فقلت هذا مثل واحد ضربته لك لتعلم أن جميع الصور التي ترونها في المادة التي تتخيلونها باقية في عقولكم إلى أمد الدهر ، وبتراكمها تنتج أخلاقاً وعوائد وسعادة وشقاء على حسب ما تصورت - كفي بنفسك اليوم عليك حسيباً - بل الإنسان على نفسه (بصورة) - وهنا انقسمت انقساماً وأضاء المكان بالنور وصبح الصبر . ثم قالت : إن الوجود الأصلي إنما هو محافظته النفوس ، فأما وجود المادة فهو تبعي لأصلي ، ألم تركب لا يكون عمل إلا بعد فكر ، فهل المهرم ظهر في الوجود إلا بعد رسم في الخيال ، وهل الكرسي والباب والشباك والآلة البخارية والقطار السائر في الأرض والسفن في البحار والمنطاد في الهواء وكذا الطائرات والجيش والمنظمات في الجوّ وفي الأرض وفي البحر برزت في الوجود إلا بعد أن رسمت في مخاتف الفكر فكان إيراها للعيان بعد ظهورها في الأذهان . فإذا حرق الكرسي والباب والشباك وحطت الطائرة وهزم الجيش وقررت جوعه فان صورها تبقى في الأذهان . ألا ترى أن أخبار معارك هنيال وحروب رومه وقرطاجنه تتناقلها القلوب وتتداولها الألسنة وتتلقاها الأجيال مع ان تلك الأمم قد زالت من الوجود وخلفتها أم آخرون من نسلهم أومن أم أخرى ، إذن الأشباح المنظورة نتائج الصور المعقولة لا فرع لها ، أولست أنك قد ذكرت في التفسير في غير ماموضع أن هذا العالم كله حركات في عالم يسمى الأثير ، وما الأثير إلا اسم تجهلون معناه ، وما هو إلا أشبه بالخيال ، ويؤيد هذا نظرية (اينشتين) إذن للمادة ، وغاية الأمر أن هنا حركات مختلفات الأعداد

والأحوال بها ظهر للعيون والحواس أصلح . فقلت : إذن هذا تأكيد للمذهب الروحانيين . قلت هنا أرواحاً
وهنا أجسام ، إن المواد لها وجود في درجة الحواس فهي موجودة معلومة هي متددة بين الوجود والعدم
فأما عالم الصور العقلية فهي موجودة أبداً . وإن الدار الآخرة على الحيوان . . . فقلت : وهل هذه آخرة ؟
فقلت : إن عالم المثال الذي أنت فيه الآن مقبلة لعالم الآخرة ، ثم تبست وقالت : ولكن أنت الآن لم تحت
فأنت حي . ثم أنها جاءت قالت استودعك الله ، فراعني هذه المفاجأة وقلت .

ألت خيت مم قامت فودعت * فلما نزلت كلفت النفس تزهني

فقلت أنا ما ودعتك إلا وأنا واقفة بما أنيك من المطبات الطيبة ، وما منعك الله من الحكمة ، وأنت
ستلحق للناس حقائق ورفائق حتى يعلموا أن آراء الفلاسفة ليست مقبلة وأنا مطلة على قلبك أقرؤه كالصحيفة
أمامي ، وأنت ستقول للناس قاطبة « إن كل فيلسوف له رأى » ، فهذا الرأي راجع لحل خاصة (وبعبارة
أخرى) أن أفكار هؤلاء الفلاسفة جزئية لا كلية ، ومتى أوضحت كل قول وأوضحت سببه عرف الناس أن كل
واحد له حق من وجه واحد ولكنه باطل من وجوه عدة ، هذا كله ستقوله أنت ، فانصرفي الآن يكون
بعد ما أخبرت قلبك وأنت ابن بجدتها (١) وأخو عنزتها ، وجذيلها المحكك ، وعذيقها المرتجب . فقلت : ولكني
لا أطيق فراقك ، ومتى قت وأنا لم أتم ما شرعت فيه من اتى أسمعت ما سأكتبه في هذا المقام ينالني ما لا يطاق
من الهم ، وإن إصفاك لي وسبائك لكلامي وإن كنت مطلة على ما في قلبي يحدث فيه مسرة لأن إصغاء
المحبوب تقول الحب أنهى إليه من الحياة وأعز عليه من روحه كما فرح موسى عليه السلام بقوله الرب العالمين
وهو يعلم ما في نفسه . هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنبي ولي فيها ما رُب أخرى . ويجتهد في
قلبي حكمة إذ أطمئن على ما سأكتبه وأتقن بما ألقيه في هذه المسألة التي حار فيها أهل الشرق وأهل الغرب .
فقلت : لا تزع قد أجبتا طلبك ورحنا فصرّحك فأنهم ما شرعت فيه

وهنا حوت من شدة الوجد والهام ، كأنني في أخفاك أحلام ، وقد كرت قول ابن المعتز في الشرق :

وقد نشرت أيدي الجنوب مطرفاً * على الجود كنا والحواس على الأرض

يطرّزها قوس السحاب بأصفر * على أخضر في أحر تحت مبيض

كهيئة غود أقبلت في غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

وقول إبراهيم بن سهل الاسرائيلي في الأندلس

أشمس في غلالة أرجوان * وبدر طالع أم خصن بان

وغير ما أرى أم نظم در * ولحظ ما حوى أم صارمان

وقلت في نفسي هذا أوان الجذل والنزل في صور لا تفي ولا تزول ، فأما في الأرض فأنها صور زائلة وهذه هي
السعادة التي لانهايقط ، فإن هذه الحسنة الحفباء قد ازدادت جلا طبع مرات وهي تزداد بهجة وجمالاً وحسنات بها مودة
إن الجبال في أهل الأرض لم يجتمع لاصري قضا ، فإذا أشرق وجه الشباب بالجبال ، فالهيام إنما يكون
بالظواهر غالباً فيه ، وإذا أضاء قلب الحكماء والعلماء أحسهم فلا يذهبهم وأغروا ذلك القرام بيواطهم لا
بطواهرهم لأنهم لا يستأهلون لذلك الهيام والحب إلا بعد استكمال قواهم الباطنية وتتمام عقولهم وعلاوهم ،
ولكن لم ير أحد من أهل الأرض جلالاً كما أرى أنا اليوم ، فالوجه مشرق والروائح عقيقة لم أرهما نظراً على
الأرض ، والجبال يزداد على مدى الساعات ، والحكمة والعلم يضاهيان حكمة وكبر الحكماء وعلم العلماء
هنالك أدبرت لي أن أشعر في تحقيق الحق في الآراء المقيمة كما تصدم . فقلت : « إن الناس إذا

(١) هذه أربعة أمثال تضرب لمن هو كنفه للشيء وهو به جدير بمجدة كسجدة ، وعذرة بوزن غرفة

وجذيل مصفر جذل ، وعذيق على وزله

أرادوا أن يقتفوا على جليلة الحق فلينبظروا لأنفسهم ، وذلك من (وجهين : الوجه الأول) من جهة الحواس الخمس والعقل وذلك للعرفة (الوجه الثاني) من جهة العواطف والشعور وذلك للأخلاق

الوجه الأول معرفة الإنسان من جهة حواسه الخمس والعقل

إن حواسنا خمس : أذناها البصر ، وأعلاها البصر ، وفوقها كلها العقل :

(١) أما البصر فأنما يستمد معرفته من المواد المحيطة به مباشرة ، فهو إذن كالأعمى يتلمس ما يحيط به
(٢) وأما السمع فإنه وإن كان كاللسن ففيه مزية أرقى ، وهو أنه يستطيع ما هو أليق للغذاء ، ولا يقبل إلا ما اختاره بخلاف البصر فهو أعم

(٣) وأما حاسة الشم فهي أبعد مدى وسلطانها يكون على المسموعات اللاتي هي ذرات منفصلات من المواد والهواء السفيريين حاسة الشم والمشموم ، إذن هذه واسعة الأفق تمتد الأكتاف شريفة فيها لطف به اقتربت من عالم الأرواح

(٤) وأعلى منها حاسة السمع فهي أبعد مدى ، وأشرف مرتبة ، وأعلى مزية ، وسلطانها يحكم في الهواء وسواكه لاني ذرات متتار من المادة فهي إذن أقرب من الشم إلى عالم الأرواح

(٥) وفوقها حاسة البصر فهي لاسلطان لها على عالم المادة ولا صلة بينها وبينه فلا تتصل بنفس المادة كحاستي السمع والبصر ، ولا يفرات طائرات منها كالشم ، ولا بلطف الهواء كالسمع بل سلطانها في عالم متوسط بين المادة وبين الروح وهو عالم الأثير الذي يعمل الصور الضوئية من المادة ويوصلها إليها . فترى الأشباح والصور والأشكال وقد امتد سلطانها إلى أبعد غاية . فإذا كان السمع لا يعلم إلا ما كان في عالم الهواء والهواء محدود لا يتجاوز (٥٠) ألف كيلومترا فإن البصر يمتد سلطانه إلى أبعد ما كان في هذا الجوز النسيج . فهو يرى الشمس على بعد هائل عظيم بحيث تصل القنبلة لها في ١٧ سنة ويصل لها القطار السريع في (٣٥٠) سنة . وبعد الشمس الهائل لا يقطع النور في أكثر من (٨) دقائق و (١٨) ثانية . ووراء الشمس كواكب وشموس وسدم رأيت العين أنوارها في أبعاد شاسعة تقدر بسير النور لابسير القطار ولا بسير قلة المدفع مائة ألف سنة بل مائة مليون سنة وأكثر . إذن تبين أن العين أعظم الحواس سلطانا وهي تحكم في عالم الأثير الحامل للنور فضالها أقرب إلى عالم الأرواح

قاعدة

وهنا ظهرت لنا قاعدة هائلة جدا « إن كل حاسة وهبت لنا لن تنفصل عن عالمها فهي به متصلة اتصالا يناسبها . فاللس متصل بعالم عظيم وهي المواد المحيطة بنا وهكذا السمع وهكذا العين والبصر شرف على عالم أوسع وأوسع . وكلما ارتقت الحاسة عما قبلها اتسع عالمها والعين بلغت النهاية في اتساع عالمها حتى أننا بالمتأثير المعظمة لم تقدر المدى الذي تراه العين في الاتساع والعظمة واللطافة المتناهية وهي لطافة النور في عالم الأثير

(٦) — العقل

وهنا أن أن نبحت في حاسة فوق هذه الحواس . نعم هذه الحواس تحضر الصور وهذه الصور تخزن في خزائن الدماغ وهذا يحصل ازدواج الآراء وتحصل نتائج . فيألت شعري أي عالم اتصل بالعقل فأعطاء نور المعارف الخاصة به ودل له : « خذ الظواهر البسيطة الآتية من الحواس الخمس وتصرف فيها واستخرج في الحساب وفي الهندسة وفي الجبر وفي الكيمياء آلاف القولين » . إن هذه القوانين لا وجود لها في صور المادة الواصلة للحواس الخمس . فنأين أتى ذلك العلم للعقل ؟ أبدأ له من تلقاء نفسه ؟ إذن فلماذا ترى الحواس

كلها لاعم لها إلا بما حولها ولكل حاسة علم يناسبها ويشاكلها وهي دوجات بعضها فوق بعض وأرقامها البصر وعلمه وسط بين المادّة والروح - - - - - وقال جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا - - - - - إن العقل حقا له اتصال حقيقي بعالم عقلي وهو أوسع من عالم النور بملاحد له بل هو عالم لانهائية له قياسا على ماقدنا ، إذن الانسان يجلس وقد وضع القلم في يده وأخذ يكتب مايل عليه عقله ، فاقلم متصل باليد والعقل متصل بعالم عقلي وينبوع منه يستمد الفكر ، واتصال العالم العقلي بمقولنا كاتصال القلم بأيدينا ، وكان اليد جسم كثيف اتصلت بجسم كثيف يليق لها وهو القلم هكذا حقولنا متصلات بعالم لطيف تستمد منه استمداد العين من الضوء والأذن من الصوت وحاسة الشم من الروائح في الهواء

وهذا البرهان لا يرد عليه ماورد على أفلاطون إذ استدلل على عالم المثال وبوجوده كما تقدم بأنه مقيس على المخلوقات الأرضية التي كانت الشمس سبب وجودها وسبب ظهورها لبعوتها وهدايقها - - - - - فالتة في مقابلة الشمس وعالم المثال في مقابلة المحدثات بسبب ضوئها وهداية الله لعقولنا كهداية الشمس لبعوتنا وعالم المعاني كالجمال والغير والعقل والعظم والقوة وغيرها علم لا يتغير بقاء كما ان الله لا يتغير وباق ، والحوادث الأرضية تغني لأنها وجدت بواسطة عالم يثني ويتغير وهي الشمس . وهذا البرهان الذي فله أفلاطون لم يكن مقبولا عند أرسطاطاليس فبنى عالم المثال كما قلناه فيما تقدم . وقال كلا ، مم كلا . إن عالم المثال لا وجود له والعالم العقلي غير موجود وإنما للوجود عالم للمادة ، ويجوز النظر للمادة والصورة كاف في أن عقولنا تدرك القوانين ، وهذا هو السبب فيما وجد مرسومها في الصورة التي رسمها الرسام الإيطالي التي تقدم ذكرها من أن أرسطاطاليس يشترى الأرض وسقراط يشترى السماء ، وبسبب هذا اختلف الأحزاب بعد أرسطاطاليس . وقد تقدم الكلام على الرواقيين والأبيقوريين وكيف وقع هؤلاء في اللول وشكت (بشديد الكاف) طائفة وأعلنت أخرى وهكذا مما تقدم في هذا المقام

وبقي العلم على هذا للنوال حتى جاء العصر الحديث وظهر العلماء في أوروبا وفيهم يقول الاستاذ (بارتلي ساتهير) مترجم أرسطو من اليونانية الى الفرنسية في القرن للماضى وهو التاسع عشر في هجيرة (١٩٣٠) من المقدمة المترجمة ما يأتي

« بعد الرواقية وبدون أن أقف على شيشرون ولا على سنيك الروماني أقنعتهم عشرين قرنا وأمضى الى (كنت) أكبر أخلاقي في الأزمان الأخيرة ، اننا نجد من نظرياته خيطا لمن المذاهب الثلاثة الخ » أى مذهب أفلاطون ، ومذهب أرسطو ، ومذهب الرواقيين

أقول : ولقد قدمت في هذا التفسير مرارا أن الاستاذ (ستلاي التلياني) ومثله (سبنسر) الانجليزي يقولان كما يقول جميع العلماء منهم : « إن فلاسفة القرون المتأخرة بالنسبة لسقراط وأفلاطون كالبقة بالنسبة للقليل في مثل هذه اللواضيع الشريفة الراقية » وهاهنا الاستاذ (بارتلي) يقول كذلك في مواضع كثيرة من كتابه حتى جعل علماء أوروبا مدينين اليونان . كما ان العلامة (مديو القرنسي) للمؤرخ جعلهم مدينين للأمم العربية الاسلامية ، وكل قال على مقدار ماوصل له من العلم . إذن (بارتلي) لا يرى علماء نبغوا في علم الأخلاق بعد عشرين قرنا إلا الاستاذ (كانت) ، فإذا يقول فيه ؟ يقول في هجيرة (١٣٣٩) مانسه :

« اذا كان من اللازم ترتيب هؤلاء العظماء الذين حلت أفساكرهم فاني لا أتردد في أن أضع العلامة أرسطاطاليس في الصف الثالث والاستاذ (كنت) في الثاني وأفلاطون في الأول ، وبني ذلك الترتيب على الاعتقاد لأن أرسطو لم يتكلم في مستقبل الروح ولا في علاقتها بالله وجعل لسعادة الانسان مدخلا كبيرا في الأخلاق مع ان الفضيلة وعمل الواجب هو الأولى بالرعاية . وقال : إن (كنت) وان اعترف بالله وبقاء الروح فان دليله ضعيف جدا أقل من دليل أفلاطون ، فان (كنت) يقول : اذا كان الانسان يسمى لاسعاد

نفسه من جهة ولعمل الواجب لغيره من جهة أخرى فإن العمل لواجب قد يتعرض مع العمل لنفسه ، وهناك لا ينال مطالبه في الحياة الدنيا . إذن الحياة قاصرة هنا فلا بد من حياة أخرى رقي فيها ويكون الخلود وهناك يكافئ الخالق كلاً بما فعل .

إذن الأستاذ (كنت) جعل الاقرار بالله وبقاء الروح تابعين للقانون الأخلاقي ، وهذا ضعف ظاهر ولكنه على كل حال أرق من آراء أرسطاطاليس وإن كان أقل من آراء أفلاطون . هذا مجمل الكلام الذي ذكره وأومضه أيما إضاح في المقدمة المذكورة

وأنا أقول : وهنا آراء أفلاطون وهي الصف الأول ، وآراء (كنت) في الصف الثاني ، وآراء أرسطو في الصف الثالث . وقد عرفنا فيما تقدم أن آراء أفلاطون وهو في الصف الأول لم يعبأ بها أرسطاطاليس . وبسبب ذلك تحببت الانسانية نحو عشرين قرناً من رواقية وأبيقورية وملاحدة أوروبية ، وظهر أمثال ليوكاروس وتوماس هوبز في إنكلترا ولامترية في فرنسا وهكذا من الماديين ، لماذا ظهر هؤلاء ؟ لأن العلماء تحببوا من أيام أرسطاطاليس وهاموا فلم يجدوا من يمدحهم عن الحقيقة بأكثر مما قاله أفلاطون ، وأفلاطون عارضه أقرب الناس إليه وهو تلميذه ، فأين ينهب الناس ؟ فلما جاء (كنت) أتى بمذهب وسط وترك برهان أفلاطون ونزل إلى برهان شليل

هذه هي الآراء المنتشرة في أم الأرض ، وهذا آخر العلم فيها . فلما البرهان الذي قلته أنا الآن فليس يرد عليه من الطعن ماورد على برهان أفلاطون فضلاً عن (كنت)

لقد برهنت يبرهان لا يقبل النقض وأقل ما فيه انه برهان الاستقراء فقد استقرينا الحواس فوجدناها متصلة بعوالم تحس بها ، فلماذا يكون العقل وحده هو الذي يقوم بعملية الاحساس من ذاته بلا عالم معه مناسب له ؟ وهل يمتد العقل إلا عقول تماثله وتناسبه ونسبت إليها نسبة الشم إلى الهواء والسبع إلى الهواء والعين إلى الضوء

وأريد عليه برهاناً آخر وهو ان الأرض لم يكن في استطاعتها وهجرت أن تعلى النبات نموًا والحيوان هداية . إن النبات لا ينمو إلا بحرارة وبماء ، والماء لن يكون إلا بالبخار ، والبخار يشور الإبحرارة ، وهذه الحرارة لا تستلغ إلا رازها الأرض فأرسلتها الشمس . ثم ان الحيوان يحتاج إلى أن يرى سبله في الأرض . والأرض لم تقدر أن تهديه نوراً من نفسها . إذن الأرض قد برهنت على عجزها في الحرارة وفي الضوء لتمتد النبات والحيوان ولهداية الأخير . والضوء أيضا مساعدة في نمو النبات (كما تقدم في سورة يس عند آية - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها - لأن ضوءها يساعد المادّة الملائنة في تقاطع الغذاء من الهواء)

وإذا هجرت الأرض عن أخس الأمرين أي الحرارة والضوء لتبقى أبنائها فهي عن أشرفهما أجهز وهو الإدراك والعقل وفرائز الحيوانات . فإذا كان الضوء استعاره من عالم السياء فهي إلى استعارة العقول والفرائز أحوج من عالم الطيف من علنا

فهذان برهانان قطعيان يشتان عالم الأرواح الثابتة وبرهان هذا الانسان من الحضيض الذي وقع فيه واذن لا يرد على هذين البرهانين ما أورده أرسطاطاليس على أفلاطون ويقتضيان هذان سليمين من الطعن . وإذا كانا أثبت من برهان أفلاطون فمعاً من برهان (كنت الألماني) أكثر متانة وقبولاً . واذن ظهر معنى قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله - الخ . وثبت بالبرهان العقلي الركن المهم في علم الأخلاق وهو بقاء الأرواح ووجود الله تعالى . وذلك ان هذه النفوس الأرضية متى ثبت اتصالها بعوالم روحية تناسبها فاما بقول هذه العقول الروحية لابد من اجتماعها كلها بموجود أعظم منها ولا بد أن يكون واحداً كما ان أضواء الشمس مهما تكاثرت عددها فلها منبع واحد

وهنا تسقط تلك المذاهب المادية لأول وهلة وقول لأمثال الأستاذ (كارل غلت) القائل : « إن للمخ يفرز الفكر بين الطريقة التي يفرزها الكبد الصفراء والكليّة البول »

لقد أخطأت الرّبي ولم تصب الخرز ، قد نسبت أن المخ عضو الاحساس الأعلى والأعضاء الحساسة لها أحكام غير أعضاء التغذية ، ذلك أن أعضاء الحس متصلة بعوالم خارجية وهذا عضوي داخل البدن . ثم قول له ولأمثاله : « نحن لانكذبكم لأنكم أشبه بحاسة الحس فالحكمكم موجهة الى العربة التي وقفت عندها والرجل الأعمى يشكر الصوت والضوء »

إذن ظهر أن فلسفة الأعمى كل يقول ما وصل اليه عقله لا غير ، وعلى الحكماء في الاسلام أن يدرسوا هذه العقول في هذه الأمم ويستخرجوا الزبد ليرفعوا هذه الانسانية للسكينة

فكانت : قد أحسنت كل الاحسان وأجست كل الاجادة وبهذا ثبت البرهان على أساس متين ، فشكرتها . والى هنا تم الكلام على الوجه الأول وهو معرفة الانسان من جهة الحواس وما يتعلق بها وبه ثبتت المعرفة النظرية ، وهذا المقام سيزيد لإضافا في (سورة محمد) ﷺ عند قوله تعالى - قل علم أنه لا إله إلا الله - في الرسالة التي سميتها « مرآة الفلسفة »

الوجه الثاني

البحث في الانسان من جهة عواطفه وشعوره

وهنا أقول : قد تبين بوجه الأول أن حواس الانسان وعقله أشبه بمعدة تعمل فيها الناس الارتقاء في الأحوال والسعادات ، فمن وقف عند الطعام والشراب وحس المال فهومن الطراز الأدنى لأنه لم يجاوز حاسة الطعام . و ترى الناس يسارعون الى السفر برا وبحرا ، لماذا يهجرون الأوطان ويتعجمون المشاق ؟ ليطعموا على عجائب الأم والبر والبحر ، وآخرون يتكفون الفراش الوثير والطعام اللذيذ والروائح العطرة في بساطتهم ودورهم . ويرتدون على دور الصور المتحركة ومحال الفناء مفضلين لقلة البصر والسمع على لذات الحس والشم والذوق . إذن المحسوس كلما كان ألطف كان أشرف وألذ . إذن المحسوسات بالهقل ألطف المحسوسات وأشدّها وأشرفها ، فمن قصر في فهمها ولم يشتغل الى ذلك العالم الأعلى فهو غيبي لم يدرس نفسه

بهذا وبهذا وحده يفهم النوع الانساني كله أن الآخرة والأولى نفرسهما من أحوال أجسامنا ، وهذا من سرّ قوله تعالى - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وهذا الذي عرفناه في الوجه الأول تتبعه بما وعدنا به في الوجه الثاني فنقول :

إن الطفل بعد ولادته تراه لا يعرف إلا نفسه ، ويظن أن كل من حوله مسخرون له ، ثم يأخذ جسمه في النماء وشعوره وادراكه في الزيادة . فإذا تكامل شعوره وتمّ نماء أدرك أن له أمّا وأبا وأخوة ومدينة وأن عليه حقوقا وواجبات فيكون له ذرية وتلاميذ وعشيرة وأمة ، ويمسّ في نفسه حب لهم غريب ، وكلما ازداد عقلا ازداد شعورا بحب الناس حتى أن الفلاسفة والحكماء بعد الأنبياء أحبّ بني آدم للناس يحبون لهم الخير على مقدار علمهم . وعلى مقدار ازدياد العلم يزداد الحب . وعلى مقدار النقص يكون قص الحب للناس . و ترى هناك تناسبا عجيبا بين الأم نحو أبنائها وبين النبي والحكيم نحو أتباعهم . فهذه تمحو على طفلها وتسهر عليه وتعطي الطيب ما تملكه من مال وما عندها من حلي ولا تملك ولا تأكل ويلحقها الضنى وتبت على الطوى مع انها قد تكون شابة فتية جميلة . ولولا هذا الطفل لأخذت زيتنها وتبرجت بجلاها ولكن الرحمة الآخذة بمؤاخذها قهرتها وأخضعتها لهذا الطفل . وعجوب الأمم من الحكماء يطفون عليهم هذا العطف عينه . وهكذا القواد الصادقون يقدون أوطانهم بأنفسهم . و ترى العالم يزهد في لذت العيش ويبت إليه ساهرا ونهاره عاملا

ليفرح بإسعادته ورقى إبنائها ونجاحهم وفلاحهم . ولقد كنت في أول زحان شباني أقول في نفسي « أتني أن ألق على الحقائق وأكون مجهولا لا يعرفني أحد ويكون ذلك مسرة لي » . ولما صارت سني أربعين سنة فأكثر كنت أتني لوائى جلست في مكان وسعت الأمة حول فرحة قد أقامت الأفراس لاتصلرها وارتقاتها وأنا جالس لا يملكون مكاني وتكون غاية أمتني أن أعلم ذلك وأستد به وإن كانوا لا يملكون

وصل هذا الذي ذكرناه الآن تعرض آراء الفلاسفة . فلذا سمعنا (كلرليل) يقول : « إن الانسان يعرف قيمة الخير والشر بمجرد الاطعام والشعور بدون حاجة الى تخمين » . فذلك ظاهر في حال المرأة إذ ترى طفلها وفي حال الحكماء وعظماء الرجال . ومامن رجل أو امرأة إلا وعنده أثر من هذه الفريضة قليلا أو كثيرا فيقول في الجهلاء ويكثر في العلماء غالبا . فلذا رأينا (كلرلي) و(مل) و(بين) يقولون ذلك إنما يكون بالتجربة والتخمين فقول : ثم إن معايشة الكرماء وقراءة تولى بهم وما أشبه ذلك وكذلك التعود على الكرم . كل ذلك يزيد فيها تصف به الانسان بظهوره وهكذا بقية الأخلاق

وإذا قيل إن المقصد من الأخلاق هو مساعدة الانسان نفسه وهي الآخرة كما يقول (ماكس سترنوفش) قلنا لاغربة في ذلك ، وهذا حق لأن الطفل هذا شأنه ، ولكن المرأة تقضى طفلها بنفسها والحكيم والقائد كذلك . إذن هذان نظرا نظريا كما يقول لأمثال (كارل غت) القائل فيا تفسد : « إن المخ يفرز العقولات كما تفرز الكبد الصفراء والكلية البول » . إنك صادق بحسب ما وصل اليه عقلك وعقلك لم يفرق عما نلسه الأيدي بحماة النفس ولو كنت مبصرا أوسميا لعلت ما علمنا . فأمثال (ماكس سترنوفش) نظروا نظرا صبي في أول حياته يرى أن الناس مسخرون له

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فلنحسن الجليل

هذه هي أخلاق الإنسانية وآراءها ذكرنا نموذجاً لتحليل قضاياها العلمية والعملية ورددنا كل رأى الى مقره ، فآراء العلماء في هذه الأرض أكثرها راجعات لأحوال خاصة . أما النظر العالم فهو الذي يكون على نسق مايناه « وما كل مصقول الحديد يمانى »

وإذا قيل : « إن السابق لسكوننا في أعمالنا هو الخوف من التعبير والنم أوجبتنا منح الناس فذلك قص . وإذا كان الخوف من الله أو الرغبة في ثواب الآخرة فهو أكمل ولكنه ليس في المرتبة العليا . أما إذا كان العمل لأحد أمرين إما لحب العمل نفسه مع النية من حيث انه جليل ومحجوب ونافع كأولئك الذين يقدون الوطن بأرواحهم ، فهؤلاء يجتهدون في هذا الأقدام سعادة ، فهنا اجتهدت سعادة الناس مع سعادة الانسان نفسه . والمرأة التي تسهر ليلا على ابنها ترى في ذلك انها عملت واجبا أرضاها ولا ترضى به بديلا . وأما لحب الله وطاعته بدون نظرائى ثواب أو خوف من عقاب . فهذا العامل هو الذي يكون كأء في جنة عرضها السموات والأرض لأنه في كل حين يكون مستحضرا ذلك المقام الأقدس فرحاً به في غدوه ورواحه لا يالى بالمستقل بل يفرح بأنه قائم بواجب في حضرة ربه ويكون إذ ذاك كأنه بين يدي الله تعالى وتحدثه نفسه أن رب الدنيا هو نفسه رب الآخرة . ومثل هذه النفس تجل لها السعادة في الحياة الدنيا فتسكون الأعمال بمزوجة بالسعادة . وهذا الفرق موجود في الأرض الآن ولكنهم مجهولون ، يحسون أن الله ناظر اليهم ، وإذا وقفوا في العراء ظنوا انه أغرى النجوم الثقات لتسير الأرض فتدكرهم بحاله فيكونون حالا في حضرته وإن كانوا في أجسامهم الطمأنينة . فالسكون للخوف بعيد مسخرون والسكون للحب هم المقربون هذا تحقيق المقام . كل ذلك وهي صامته لا تبدى حواكا

فلما أتممت هذا الدال . قلت : لقد أجدت ووفيت المقام حق على قارمأسعه ، وقد أذن الله بظهورها في هذا الزمان لأن الأمم منذ أكثر من عشرين قرنا لم تكن تستمد لها . أما الآن فان الإنسانية أخذت تقرب والعقول أخذت تسقيظ . وأنت من المهدين لرقبها والمجدين لاسعادها . ثم قالت : استودعك الله .

ووضعت يدها على صدرى وقرأت كلمات فلم أحس بشدة ألم لفراقها . ثم غادرت المسكان وأما لا أنزال في عالم الخيال ، وهناك استيقظت فالتفتي في مكاني لم أرحه ، وخصيت الحب عما رأيت ، وكتبته ليلة أول ديسمبر سنة ١٩٣٠ م

وفي صباح يوم الاثنين أول ديسمبر حضر صاحب القى اعتمد أن يباحثني في هذا التفسير واطلع على ما كتبته . فقال : حيا لله هذه الروح التي ساعدتك على إبراز هذه المعاني ، فقد حوت كل ما يعوزنا من الحكمة ، فهذه ذمجت آراء علماء اليونان وعلماء أوروبا وبها أدركننا ماوصل اليه فلاسفة العالم أجمع في قوله تعالى - إن الذين قالوا رباننا الله ثم استقاموا - وهذا فهمنا معنى ماورد « أوتيت جوابك السكام واختصر لي الكلام اختصارا »

فإذا كانت هاتان كلمتان لم يفهمهما إلا بعد أن درسنا آراء أفلاطون مع سقراط ثم أرسطاطاليس ووجدنا الآخر يقول على المادة في العلم والأخلاق ، ولكنني سأسألك في معنى السعادة عند أرسطاطاليس . فإذا كان هو لم يسل نظرية العالم المجرد ونافاه الاستناد (كنت) الألماني بعض المخالفة إذ أثبت الثاني العقل المجرد ورتبه على أن قانون الأخلاق والسلوك يؤدي في نتيجته إلى أن هناك عقلا مجردا لئلا جزءه جزءا وقفا ، فهل يتكفي الأول في السعادة بمجرد عمل الواجب والمادة العقلية به . قلت . كلا . إن أرسطاطاليس يقول : « إن السعادة يلحقها جانب الأهل والأصحاب حتى جال الانسان نفسه » . فالسعادة عنده رأسها سلامة العقل ووفرة الحكمة . ويدأها ويرجعها الزوجة والولد والأصحاب والولد

وقد قررت ذلك الامام الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه الاحياء وصل السعادة إلى ستة عشر نوعا وجعل للعقل أربعة وللأصحاب والولد والأهل أربعة وللأموال والخارجة عن هذا ستة كاتون فيق والتأييد وما أشبه ذلك . ولا يرم أن ذلك يرجع إلى رأى أرسطاطاليس . فقال : وما لأرى في هذا ؟ فقلت : إن رأى عند الفلاسفة قد قلت وهو أن السعادة العاتة لا يثار وأن يحصل المرء نصب عينيه لإسعاد المجموع . فأما هذه الأقسام التي زادها هو على السعادة النفسية وتبعه الامام الغزالي فيها فهي صالحة للسعادة والشقاء . فالولد والولد والأصحاب . كل هذه صالحت غير الانسان وشره وهي تعين على عمل البر كما تعين على عمل الشر . إذن هذه آلات صالحت للسعادة فتزديدها وصالحة للشقاء فتزيدها . وخبر من أفصح عن ذلك هو « لعل فليس » الذي لخصناه في مواضع من هذا التفسير . وعلى ذلك لا تصلح هذه الخيرات الأرضية للفرح بها . وكيف يفرح الانسان بها وهي معرضة للزوال فيكون الحزن والحزن شر وهذا سر قوله تعالى - إن الله لا يحب الفرحين - لأن الفرح يدل على قلة المعرفة بالحقائق . وهذا هو السبيل القى انتقد بسببه بعض فلاسفة أوروبا الأخلاق عند أرسطاطاليس ، فنجد أن (بارتلي) القى تقدم ذكره في صفحة (٩٨) من المقدمة التي ذكرها في النسخة المترجمة يقول : « اني أضع أخلاق أرسطاطاليس في مقام أنزل بكثير من أخلاق أفلاطون وسقراط . وإن (بروك) أقصى منافي حكمه إذ يرى أن أخلاق أرسطاطاليس إنما جرت إليها مظهر معيات الملوك التي عاش فيها وليس صالحة إلا إلى تكوين بطالة تهمهم ثروتهم أكثر مما تهمهم سعادتهم ، أو أمراء كالاسكندر اشغف بالجد منهم بالفضيلة » له

وأقول أما : فما ذكره الامام الغزالي في الاحياء بما عاين أرسطاطاليس ، فند لطفه هو في الاحياء كثيرا واضطر لذلك فيه لأن فلسفة أرسطاطاليس هي الشائعة إذ ذاك . ثم ان أرسطاطاليس قدم جعل العلم ليس راجعا إلا إلى المادة لا إلى المثل الأفلاطونية . وقد تقدم شرحه صهرا . وهذان سببان فيما تقدم من أن روافد المصور صورة في الفاتيكان مشيرا إلى الأرض كما صور سقراط مشيرا إلى السماء . إذن أرسطاطاليس أنزل العلم النظري إلى عالم المادة وجعله مرتبطا به هكذا جعل السعادة في الأخلاق لها ارتباط بالمادة

وأذكر كذبا الكذب بما كتبت في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - ويشر الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون - الخ فهناك ترى ملخص (لفرقاب) اليوناني الذي عاش في زمن سقراط قبل أرسطاطاليس بزمان ، وكان ذلك في نحو القرن الخامس قبل الميلاد

ويقرب منه من حيث هذا المعنى كتاب «الكوكب الهندي» المؤلف في القرون الأخيرة بالفرنسية وقد نلصته سابقا في هذا التفسير . فقال : «أي الفريقين يؤيد القرآن ؟ أفريق القائلين بأن السعادة مادية ، أم القائلين بأنها معنوية ؟ قلت : الفريق الثاني . فقال ماديليك ؟ قلت : - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - ، فقلوه - ويؤثرون - الخ هو عين ما يقوله علماء الفريجة فما تقدم (للتضحية) . ومن هذا القبيل الجهاد في سبيل الله ومنه - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم - الخ وكيف يكون المال والولد سعادة (كما يقوله أرسطاطاليس) في القرآن والله يقول - ولا تحبكم أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليذهبهم بها في الحياة الدنيا ويذهب أنفسهم وهم كافرون - فإذا كان المال والولد عذابا كما في القرآن وفي صريح قول سقراط وقايس فكيف يكون سعادة ؟ فقال بالاجب إن حكم القرآن وأسراره هي نفس آراء أعظم الفلاسفة . وهنا أود أن سمحت أن أسألك في معنى بقية الآية فإن ما نهدم كله في معنى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استغفوا - الخ لأن الظريات العلمية ترجع لقوله تعالى - قالوا ربنا الله - والنظريات الحقيقية كقضية أرسطاطاليس وكنت وغيرهما ترجع إلى - ثم استقاموا - فما معنى قوله تعالى - تنزل عليهم الملائكة الأتخافوا ولا تخزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم ولكم فيها ما تقدمون نزالا من غفور رحيم - قلت : هذا المعنى تقدم في أول هذه المقالات . ألا ترى إلى ما يقوله حكاء الأمم قبل الإسلام وبعده وقد قلناه قريبا والمقول عن علماء الصوفية بحر لاساحل له في مساعدة الله تعالى للصلحين والمسلمون قد برعوا في هذا والسبب في تلك المساعدة والمدد هؤلاء الصالحين انهم متى صلحت أعمالهم ، واستنارت عقولهم ، وعرفوا أن نفوسهم متعلقة بموالم مجردة غير مادية صاروا أقرب إليها وأصبحت عند عقولهم قريبة كقرب المادة من أجسامهم ، فهناك يحسون بألمهم وبقربهم وبشأئر ، ولا يعرف هذا إلا هم ، أما غيرهم فاتهم محرومون من ذلك ، فثلمهم كمثل أكثر النوع الانساني من حيث مشاهدة الجبال ، فلبال حال حولهم ولكنهم لا يفحرون به لأنهم محجوبون عن جمال النجوم والشجر والأنهار والبحار والأزهار ، ذلك لأنهم من يوم أن أتوا إلى الأرض لم يسمعوا عن سعادة إلا مساعدة المال والسلطان ولم تفتح لهم أبواب سعادة الجبال ، فأغلب النوع الانساني محرومون من هذا الجبال والاحساس به مع انهم يروى يمينهم وهم محرومون منه . ولا ريب أن المحسوسات بالحواس أقرب إلى عقول الجهور . فإذا كان الأقرب لعقولهم وهو الجبال لم يتركوه ولم يسعدوا به فكيف بما هو أبعد من حواسهم وإن قرب من عقولهم وهو عالم الاطام والبشارة في عوالم عقلية متصلات بعقولهم وهذه الموالم صلة بينهم وبين ربهم . فهؤلاء هم المحجوبون بسبب أن أبواب عقولهم أقفلت بينهم وبين الأرواح العالية . فإذا أحسوا بألمهم أوراوا رؤيا فأروها صباحا مثل فلق الصبح ثم رأوا مثلها صراما وتكرارا فاتهم يقولون هذه مصادقات . وإذا أغشيوا في حال الضيق أو أطموا أسرها فاتهم قلما يكثرنون له ويقولون هذه مصادقات وهم يجهلون انهم مغفوزون في رجة الله وهو قريب منهم وهذه علامات قرب به ولكن استعدادهم الناقص يحجب عن ربهم فلم تفتح لهم أبواب السماء . وهذا الباب يفتح للعامة بطريق الذكر والقوى وللخاصة بذلك والتفكير والعلم

واعلم أن كثيرا من قراء هذا التفسير سيفتح لهم هذا الباب وهم المتوسطون في الفهم الذين لهم صفاء به بدركون البرهان الذي فتح الله به علينا فإن أحدهم يجلس وقد أعجمش عينيه وفكر فبرى أن روحه لطيفة

متصلة بعالم راسخ تستمد منه . وهالك بحسب أحدهم بأنه في عالم قديم . وهؤلاء هم الفريق الذي ورد فيه الحديث « اعبد الله حكا أنك تراه الخ » فهذا باب من أبواب كائنك تراه . وهذه من أعظم درجات الناس في الدنيا . فمن لا يرى الله بين البصرة ولكن بهذا البرهان تراه بالبصرة . وهناك درجة أقل من هذه وهي أن نعبد الله ونعلم أنه هو يرانا . وهذه درجة أقل من تلك لأننا إذا كانت الخطأ الله وجاله في قسي وفي كل ما هو حولي فإن ذلك أشرف من أن أكون عبداً سوء فأعبده خوفاً من تراه أو طمعاً في جنته وتكون عبادتي مبنية على تلك الأسباب مرتباً منه لإرضائه نراه عنى أو أن يدخلني جنته . وغير من هذا أن أكون كائن أراه في الحياة فإذا مات فأتى أراه بعد موتى ورويتي له في الآخرة أجل من الجنة وهو المعبر عنه بقوله تعالى - ولله دينا مزيد - والمقول فيه - وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة -

وأوصلت الى هنا فتوضأت وسجدت لله شكراً على نعمة العلم في هذا المقام وصاحي يشاهد ذلك فقال : لقد شرحت صدرى ، وصرت موقفاً ليقانا تاماً ، وأصبح المصور ميسوراً ، والمجهول معلوماً ، وعلمت أنا ما لم أكن ولا كثير من أمثالي فلم وكان فضل الله علينا كثيراً . فقلت : الحمد لله رب العالمين

تذكرة

إني غادرت القاهرة وتوجهت الى مزرعتنا بلوج يوم الاثنين أول ديسمبر سنة ١٩٣٠ م وسرت على قديمي نحو أربع ساعات لجزد الرياضة ، وهناك خطرت لي هذه الخواطر فكتبتها يوم الثلاثاء ٢ منه وهي :

نواصر الجواهر ، لنفائس المرائس

في خلاصة ما تقدمت لها من الحكمة العلمية والعلمية

ذلك إنما مثل النفس الانسانية مع حواسها كمثل الشمس مع سياراتها ، فكأن أن للشمس سيارات على كوكب المشتري وتدور حولها ، وسيارات سفلى كالزهرة وعطارد ، هكذا للنفس مدرجات علوية كالعقل والعين ومدرجات سفلى كالاس والفوق ، واعتبار آخر ان المدرجات (ثلاثة أقسام) قسم أعلى كالعقل . وأوسط كالعين . وأدنى كبقية الحواس ، فاعتبار التقسيم الأول كان الفلاسفة على قسمين : قسم أقرب الى المادة وهم الماديون ، وقسم هم أقرب الى العقل وهم الروحانيون ، وكل لم يقل إلا ما وصل اليه جته واجتهاده لأقل ولا أكثر ، فالماديون أشبه بالصم العمى لم يعرفوا إلا ما لمسهم أيديهم ويشموه ويدفوقه ، والآخرون لهم عيون ولهم عقول . والصورة التي رسمها روهيل في الهاتيكان مظهر لتلك التقسيم . فأرسطو تقسم الأرضي وسقراط تقسم السماوي . واعتبر التقسيم الثاني يكون أفلاطون كالعقل والاستاذ كنت كالبحر وأرسطو كالحواس المادية لعالم المادة . ذلك ان برهان الأول في إثبات وجود الله وخلاود الروح أرقى من برهان الثاني و برهان الثاني لا يحتمل الصادمه لأنه علقه على قوانين الأخلاق وأن من الناس من لا يبالون مكافآت في الحياة فلا يجرم تكون للناس حياة أخرى وإله يحرق بالعدل . وبرهان أفلاطون رجع الى الشمس وما خلقه الله بسببها وهدايتها للحيوان وأن ذلك يقاس عليه وجود الله ووجود عالم المثال وهذا هو خلاصة عقول الناس منذ (٢٥) قراً ، فأولم أفلاطون مع سقراط ، وهذا هو برهانه الذي نبهه أرسطو وعول على المادة والصورة في برهانه تغلفه تلاميذه ، فأخذت الانسانية كلها تتخط الى وقتها هذا فكان الرواقية والايقورية قبل الميلاد ، فالرواقية وقوا في الحلول ، والايقورية قالوا بالذات الروحية بالعلقة . وتعالى الرواقية في الفناء وفي البحث عن كشف ما وراء الحس

فأما بعد الميلاد فقد نشأت الفرق الثلاث . الاسكدرية واللاتينية والسورية . وأشهرهم أملاطين وشبهه بمدنة الاسكدرية وهؤلاء هم الأفلاطونية الحديثة

م انتقلت الفلسفة الى الأمم الاسلامية والأمم الأوروبية ولم يظهر بعد الروقيين في الأخلاق عند أوروبا إلا الأستاذ (كنت)

هذه خلاصة الأمم تجلت واضحة جليلة ، وقد عرفت أهم آراء هذه الأمم كلها ، وعرفت براهينهم بقاية الجلاء والوضوح

أما تفسير الجواهر فقد أتى يرهانين (الأول) المدركت كلها مضمومة مضمورة ومتصلة بعوالم تناسبها ، وهذه العوالم تكون أعظم وألطف وأجمل وأوسع كما كانت أرقى ، فإذا وصلنا من أدنى الحواس الى أعلاها وهي الخمس ووجدنا هذه القاعدة مطردة فمن الجهل ومن البله ومن الحق أن نحرم المدرك السادس وهو أعلاها بل سيدها من هذه الزرية وأن يكون متصلا بعالم يشاكله ويكون أعظم وألطف وأجمل وأوسع من العالم المتصل بالمدرك الذي يليه مباشرة وهو العين . وهذا البرهان حديث الفناء لم يذكره أحد من هؤلاء الفلاسفة ، وإن يرد عليه أي اعتراض بما ورد على الأستاذ (كنت) ولا بما ورد على أفلاطون وسقراط ، وأذن تستأنف الإنسانية اليوم دورا جديدا في العلم والحكمة بعد هذا البرهان (البرهان الثاني) يساوي البرهان الأول في القوة إن لم يكن أقوى منه ، وذلك أن قول أن الأرض مجرّت عن إجماد حرارة بها تثير البخار من البصار وتثير الرياح فيكون مطر من السحاب المحمول بالرياح ، ومجرّت أيضا عن ضوء يساعد النبات على التغذية والحيوان على الاهتداء في فجاج الأرض ومسالكها والانتفاع بالحياة فيها ، ونجدنا استعارت الحرارة واستعارت الضوء من الشمس ، فإنا نجد الحيوان لا يرى غذاءه ولا يميز عدوه من حبيه إلا بالضوء ، ويزي المطر والرياح لا يكونان إلا بحرارة باعثة ، ويزي أوراق النبات لا تجتنب غذاءها من المواد الغذائية في الهواء إلا بمساعدة ضوء الشمس لها (انظر ما تقدم في سورة يس عند آية - - - يعان التي خلق الأزواج كلها - - - الخ فهناك ترى الأوراق مرسومة مشروحة وتفهم ذلك هناك فهما تاما)

فإذا رأينا أرضنا مجرّت عن إمداد أبنائها بالحرارة والضوء واحتاجت الى الشمس في ذلك فهي عن إمداد ما يكون عليها من حيوان بالادراك والفرار والحواف والعقول أولى ، ومن مجرّعا هو أسهل وهو المحسوس بحواسنا من الحرارة والضوء فهو عما فوق ذلك مما تترك عقولا أشد مجرّعا . فثبت بهذا البرهان أن للمادة لا تقوى على إحداث قص أو عقل أو فريرة أو شعور في الحيوان لأننا وجدناها قد أظهرت مجرّوها ولم تسقنا بما هو أسهل وأقلّ عنه

فهذان البرهانان اللذان ونحنا وضوحا تاما بهما طاحت تلك المذاهب البائدة وبهما تخرج هذه الإنسانية من ضلّ الرأى والاعتزاز بالألقاب الفخمة العريضة الطويلة التي يفتخر بها الأحداث في المدارس فيظنون بهمون بسبب سوء التقليد بلا عقل ولا هدى ولا كتب منبر

هذا هو نهاية الكلام على الحكمة العلمية . وما يلحق بهذا مسألة الحرية وهل نحن أحرار في أفعالنا وإذا لم تكن أحرار فم القاب ! وإذا كنا أحرار ما أين هي تلك الحرية ! فأفلاطون أجل في هذا وآخرون استدلوا على وجودها بما اتفق عليه العقلاء من التمييز في العقاب بين العقل وغير العقل وهكذا فدل ذلك على أن هناك حرية تتمتع بها ولا تبطّل في هذا الآن

الحكمة العملية

ملخص ما تقدم

(أولا) إن في الانسان إلهاما يميزه بين الحسن والقبيح في الأعمال كما يميز بين الجليل وغير الجليل في الأجسام والتجربة تعين الانسان على ذلك

(ثانياً) إن غاية سلوكنا إما أن يكون نقصنا الخاص بنا وهي الآلة ولما أن يكون النفع العام
(ثالثاً) ما الذي يبيننا إلى تلك الأخلاق ؟ أهو صوت بالطنى في نفوسنا أم هو أمر خارجي كالخوف من
الله أو من الناس ، أو حب للمعص ، أو حصول الثواب

هذه آراء الأمم ، أما ملجاء في تفسير الجواهر فهو أننا كما قلنا في القسم النظري إذ عوّلتنا على النظر في
المدرجات الست للانسان هكذا فعلنا في القسم العملي الخلقى وقلنا ننظر الفرق بين طفل يستخدم جميع مواهبه
في الاستعانة بما حوله وبين حكيم يحب لوطه ولم يرضع ولدها وأب ينفق عليه ، فهو لاه في الثروة العليا من
العطف والاشفاق والرحمة والإيثار وذلك في المركب الأسفل في الحياة ، وعلى ذلك يزول خلاف الفلاسفة إجمالاً
فن قال لا عمل إلا لنفسى قلنا له : هأنذا ذا عرفت درجتك ، فأنت إما طفل ، وأما حي ، وأما صراحي ،
والناس درجات لاحصر لها كدرجات الانسان في حياته ، فهذا المثال لا يفرم منها إلا دخل فيه ، فن هل
بالهداية الذاتية فهي مشاهدة ، ومن قال بالتجربة فكذلك ، ومن قال أخضع الجميع . فهذه الأم مع
والدها وهكذا فلثالث واضح جليّ . وقيمة الفلاسفة تختلف باختلاف معارفهم . وأذكياهم قراءة هذا التفسير هم
الذين يكونون شهداء على الناس . ذلك لأنهم يقرّون علوم الأمم لكسبهم هم الذين يحكمون على الفلاسفة
بقولهم على منوال ملجاء هنا في تفسير الجواهر . أما ترك هذه الانسانية تتخطى في ديمور الظالم فهذا لا يجوز
ولا يصح ونحن خلفاء الله في أرضه

(جال العلم في الحكمة العلمية والحكمة العملية)

اقتد ضربنا المثل بالانسان في الحكمة العلمية والحكمة العملية ورأينا أن قوته العقلية كما تتخذ الحواس
الخمس آلات لها في اكتساب المعارف الجزئية تستمد من العالم العقلي الكليات والكليات هي العلوم الحقيقية
أما مدارك الحواس فهي قليلة جزئية ويعتبرها الخطأ أن العين قد ترى الكبير صغيراً كالشمس . وترى الصغير
كبيراً كالأصبع في الماء . وكل للحواس من خضع ولا يصلح تلك إلا العقل السليم
إذن كل ما عندنا من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها مستمد من عالم حقيقي وهو مستمد من المبدأ الأعلى
التياض القدسي كما تشرق الشمس بأنوارها على أرضنا وعلى السيارات الأخرى . فهكذا في أخلاقنا وأعمالنا
وشعورنا وعواطفنا قول ما قلناه في القسم النظري : « اذا هجرت المادة عن أن تمجد الأجسام بالحرارة
والعيون بالضوء فما أشد هجرها وأضعف قوتها ومأوئها حيثها في إلهام الأم حب ولدها وإلهام الأستاذ حب
ارتقاء تلميذه وشوق قلوب الحكماء إلى التكليف للأجيال المقبلة التي لم يروها ولن يروها ، فن أين أنت محباب
الأهارب والأصدقاء والأزواج والقرية ؟ بل من أين أنت هذه الشهوات الطالبات ملايس وأغذية وأزواجاً
وذرية وما كن وملكا عظيماً ، ومن أين أنت هذه البواصت الشديدة في نفوسنا من المحافظة على العرض
والشرف والسجدة وحماية الثمار ، ماذا قلنا أن ذلك من نفس المادة التي خلقت هي فيها ، وأن تلك العواطف
والحب والفرام والشوق كلها ناجيات من نفس الطبيعة يكذب أن هذه الطبيعة الميتة هجرت عن إحداث الحرارة
اللازمة لها وعن إحداث الضوء والأولى هجرت عن إحداث عقل وإدراك ، فهكذا هي أشد هجرنا عن إثارة
الحب والفرام والعواطف والشهوات

فثبت إذن أنه كما أن الحرارة تثير البخار من البحار وتثير الرياح ويحمل الأخير الأول فيكون مطر
ويحدث نبات وحيوان هكذا هناك فينا شهوة في مقابلة الماء وغضب في مقابلة الرياح ، وهناك باعث من أعلى
لامن الطبيعة شر أنواع الشهوات لتتغنى وتلبس ونسكن ، ويثير الجلبة فتعاطف على الشرف والمال
والعرض ، وهذا الباعث المسلط على نفوسنا آت من العالم الأعلى كما أن الإدراك في القسم النظري مصدر منه ،
فصير هذا الباعث هنا من العالم الأعلى القدسي في مقابلة صدور الحرارة من الشمس في العالم الحسي والضوء

وإذ السحاب والرياح ثم هداه الحيوان على الأرض ، ونتيجة ذلك كله إليه البهائم والطيور والجمادات والنباتات
 فلذا جلست إليها القدي في خلوتك وفكرت في نفسك وأخبرت أن عظمك وجميع جوارحه لها القهار يعلم
 عقل أنت فرع منه وهذا العالم العلوي أوسع من عالم النور وهو مستمد من الله ، فهناك محبس يأكله في عالم
 جبل بروج ، وإذا لم يتنجس بذلك فسكرحالا في جمال التجويز ليل والشجر والزهو والأشجار كلها وهكذا عرج
 إلى ما ألهت من عوالمها ، وما منعت من شرف وحاسة وهفة وكيل وحسب علم لرقى نوع الإنسان ورفق
 أهلك وعشيتك . وقد علمت أن هذه إن هي إلا قبس من ذلك النضال العميق والحب الأعلى والاحسان
 الكامل وأن إحسانك وحبك وعطفك كل ذلك مقتبس من العالم القدسي وأن العوالم التي يستمد منها عظمك
 هي نفسها التي تستمد منها عوالمك الحب والاحسان والرفق والفرام والنعيم العام . فترى نفسك إذن كأنك
 عالم صغير وتفرح بأن لك صلة بجمال لحدته وكيل لاهيائه . فترقب الموت ارتقاب القرح بالكمال الهبل على
 سعادة لانهائية لها . ولن يتم لك ذلك الحب والفرام إلا بطاعة التكسير والبحث وتصفية النفس وكثرة الصيام
 والقيام . هذا هو سر هذا الإنسان . وهذه هي سعادته . وهذه هي النفس المطمئة التي توديت قليل لها
 - يا أيها النفس المطمئة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في صلبي وادخلي جنتي -

خطاب الله عز وجل شكره

لك الحمد اللهم على الاطعام والانعام والحكمة والجمال وقسمة العلم والنور . علمتنا وأوتيت بصائرا فنحن
 نعلن شكرنا وثنى عليك الشناء كله . أرىنا آياتك في الآفاق وفي أنفسنا . نظرننا في قوسنا وفي الآفاق فأفينا :
 (١) أولا سورا جبهة في السكاك وفي الزروع والشجر والثر والقمر وفي المعادن والحيوان وفي الإنسان
 وجمال وجهه في عائن الحدين والعينين والأف والشم
 (٢) ثانيا أوتيت في أنفسنا شهوات لا قوام لحياتنا إلا بها . وهل نعيش إلا بالطعام والشراب واللباس
 والمسكن . وهل نحافظ على هذه الهياكل الجسمية إلا بحفاظ يحفظها وهي القوة الغضبية التي بها
 ندافع الأعداء من الخارج ونهذب أنفسنا من الداخل ولا نفرد في حقوق الجسم وللحفاظ عليه
 بإتارة الحياة لأجل حب البقاء

(٣) ثالثا جعلت لنا عقلا ينظم القوتين السابقتين فهو نبراسهما ومعلمهما ومهتدسهما ومنظمهما
 ولما عز علينا فهم تلك الدقائق ومعركة تلك القوى العاملة فينا أرىنا ما في الآفاق فعرنا الحقائق . أرىنا
 الماء وأرىنا الهواء ومنهما تثير الحرارة البخار وترجي الرياح ويحمل الريح الماء على مته ويسوقه إلى الأرض
 البعيدة مرغما لشي الأرض فيكون النبات والحيوان ، فيكون الضوء مساعدا على تغذية النبات أولا وعلى
 هداية الحيوان ثانيا

فهما علمان : عالم حامل ، وعالم محمول آثارهما الحرارة وجاء دور الضوء فكان الغذاء لتنام الاشكال
 والهداية للسير

فلما نظرنا في هذه الحرارة وفي هذا الضوء وجدناهما جاءا من عالم الأثير بسبب الشمس وعالم الأثير وسط
 بين عالم المادة وعالم الأرواح . والضوء في هذا العالم الوسط يجري بسرعة هائلة بحيث يدور حول الأرض نحو ٧
 مرات في ثانية واحدة . هذا هو العالم الوسط بين المادة وبين الروح الذي آثار الماء وآثار الهواء ونظم الغذاء
 والهداية في فجج الأرض . والأرض لا قبل لها بالحرارة ولا قبل لها بالهدوء
 فلسظر فيها هو أبعد مدى من ذلك فالتناجد أمرا عجبا . نجد أولا قوى تبث على الغذاء . وأخرى تحافظ
 على هذه الهياكل كل داخل وخارجا وهي الغضبية وأخرى هادية مرشدة . وهذه تقابل الحرارة والضوء في عالم المادة

فن أين أنت هذه القوى الثلاث ؟ أمن للمادة أنت ؟ كلا . لأنها مجزأة من أحداث الحرارة والضوء وهما وسط بين الحسنى والعقل ، أجمعت من عالم النور الآتى من الكواكب وهو العالم المتوسط بين العالمين ، كلا . فأين النور وأين العقل مثلا الذى هو الملقب منه . إذن هذه القوى برزت من المادة وهكذا القوى المنظمة للعالم الكوكبية والنباتية والحيوانية الآتى تحدث التزويق والجمال فهذه كلها لن تكون إلا من فوق عالم النور وهو عالم الأرواح ، وهذا العالم قاض من الفئات القسسية كقاض النور من جرم الشمس . إذن كل جمال فى الإنسان والعالم حوله ، وكل قوة فيه علت أو سفلت فانها من عالم روحى متصل بالقدس الأعلى

وهذا فهم قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - ، فكل جمال فى شجر أو زهر أو كوكب روحه فهو قبس من العالم القدسى وهكذا قوانا الباطنية من عقلية وغذائية وقوى المحافظة على ذلك فكلها نور بمعنى وزع على منافعه من ذلك لجمال الألفس

وهذه الأنوار المخلقة فى أجسامنا ، الظاهرة فى جمال ماحولنا ، وفى وجوهنا يشملها قوله تعالى - مثل نوره كشكاة فيها مصباح - . إذن يرب أنت فى علمك القديم علمت مجزئا عن أن تنظر أنوارك فلائت أرضنا بأنوار جملتها فى مقابلة نورك ، وكل نور منها مشكاة ، فمواظفنا وعالمنا وجمالنا والقوى الباطنة فينا وبهجة القمر والنجوم والأزهار كل واحدة منها كأنها مشكاة من نورك ، ولكن لم نبح لنا أن ننظر نورك نفسه لأننا لا نقدر عليه غاية الأمر أننا تفكر أو ننظر جمال الشجر أو الزهر أو الجوه الجلية ، أما وجهك فلا . أنت يارب بالنسبة لعقولنا كالشمس بالنسبة لأبصارنا ، عجزت أبصارنا عن أن تنظر اليها فهكذا عجزت عقولنا عن أن تراك فخرجت بالمشكاة لإذ لا تطيق أكثر منها ، المشكاة فى أرضنا مستمدة من الشمس وعقولنا وجيع الجمال الداهل والخارج عندنا مستمدة من أنوارك الجلية

إن نبينا ﷺ رأى وهو فى حال الاحتضار ذلك الجمال والكمال والحكم والحب العام والرحمة ، وغاية الجمال الذى كل جمال فى الأرض ماهو إلا مشكاة ، فإذا قال : « قال اللهم الرفيق الأعلى » رآك بين بصيرته ولكننا الآن عرفنا ذلك بمجرد الفكر ، نحن الآن نطبق الفكر فى هذا ولكننا لا نطبق جمال « الرفيق الأعلى » ولا أنواره إلا اذا كملت نفوسنا ، إن جمال عقولنا وكمال نفوسنا أشبهنا فنحن نطبقه ، ورسولك لما رآك وقدر أن يراك فخطبك قائلا « اللهم الرفيق الأعلى » لأنه رأى جمالا نسبته الى جلالنا كنسبة نور الشمس الى نور السراج فوصفك بالأعلى يعنى ونحن رفاقا ولكننا أدنى ، وإنما كنا أدنى لأن علمنا وجمالنا وحلنا وجمال صنع صناعتنا ورجتنا لعبادك ضئيلة جدا ، فبرسم أحدنا طفلا وله له ومريضاً أشرف على الهلاك . ولكن لتضيق الرحمة عندنا وضيق الحب لم نبذلها إلا لعدد محصور لأن رجتنا محصورة وحبنا محصور على مقدار ضعف نفوسنا لأن كلا منا مشكاة . فإذن كل منا رفيق أدنى . ولما رآك ﷺ وإطلع على رجلك وجمالك وحبك لكل مخلوق وأنت منعم على الكل ترك هؤلاء الرفقاء الضعاف واشتاق الى الرفيق الأعلى . انتهى والحمد لله رب العالمين . كتب ليلة الخميس (٤) ديسمبر سنة ١٩٣٠ م

وقل الفراغ من هذا المقام بحسن بنا أن نختمه بما يناسب الآية التى نحن بصدد الكلام عليها وذلك (بزهران : الأولى) فى قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله - وهى الحكمة العملية (الثانية) فى قوله تعالى - ثم استقاموا تمزّل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون * نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون تزل من غفور رحيم - وهى الحكمة العملية . فلا شرع فى ذكرهما فأقول مستعينا بالله

زهرتان في بستان الحكمة العلمية والعملية

الزهرة الأولى في قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله - وهي الحكمة العلمية

جاء في جريدة الزيل بتاريخ يوم الأحد أول شعبان سنة ١٣٤٩ هجرية الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٠ م تحت العنوان التالي ماله :

التوفيق بين العلم والدين
رأى العلامة سرجيمس جينس

إن عقولنا تتحيز للتفسير الآلي ، ويرجع بعض السبب في ذلك الى طريقة نشأتنا العلمية الأولى كإبراج السبب فيه أيضا الى أننا ننظر كل يوم الامور تفسير آليا ميكانيكيا . لذا كان التفسير الميكانيكي هو التفسير الأسهل الذي لا يحتاج الى كثير عناء أوالى مجهود فكري ضئيف ، وهو علاوة على ذلك تفسير طيبى ، ولكن اذا نظرنا الى الحالة العامة نظرة دقيقة وثاقمة غير متأثرين بنوع تربيتنا العلمية والى شعورنا الشخصى رى أن المادة قد فشلت فشلا مروعا سواء أكان ذلك فى العلم أم فى الفلسفة ، ويوجد الآن شبه إجماع بين العلماء أن العلم يتجه نحو الحقائق غير الآلية وصار ينظر الى العالم كأنه يمثل فكرة عظيمة بعد أن كان يعتبره آلة ضخمة وابتدأ العلماء يشعرون بأن المادة ليست غريبة عن العقل ، ثم أخذوا يرجعون بالعقل ويعتبرونه منظما للمادة لا يقصد بذلك عقل الانسان ولكن يقصد العقل الذى منه تمت عقول الناس

إن العلم الحديث يلزمنا أن نغير موقفنا الذى اتخذناه بدون طويل بحث أو روية ، ذلك الموقف الذى كنا نبجاه فيه أن العالم مادى لا أثر للحياة فيه ولا علاقة له بالعقل ، ذلك الموقف الذى كنا فيه نعتقد أن بين المادة والعقل عداوة قائمة ، يجب أن نرد ذلك الموقف لأنه لا عداوة أو خلافا بين المادة والعقل بل هما يتفقان وذلك لأن المادة وليدة العقل وهوالقها ومبدعها

ومن هذا يقين أن التفسير المادى للكون قد صار قديما وأن العلم قد ارتقى فنرى هذا التفسير أثرا بعد عين ، ويشعر علماء النفس الآن أن فى العالم حقائق روحية ونفسية لا يمكن ادراكها إلا اذا اعتقدوا بصحة الدين وضرورته . انتهى ما أردته من الجريدة المذكورة . تمت الزهرة الأولى

الزهرة الثانية

جاء فى كتاب اخوان السقاء ما يأتى :

« ذكر أن رجلا من المترفين وأرباب التمتع عن قد بسط له دنياه ومكن فيها جعل أكثر جهده وكده طول عمره ليلا ونهارا فى تتم بدنه ورفاهة جسمه رفقة عيشه واصلاح شهواته حتى لم يكن له فى طول نهاره شغل إلا دخول الحمام وخلق رأسه وتمرج بدنه أو تغيير لباسه أو تبخير ثيابه وبدنه واستنشاق طيبه أو تنقله من مجلس الى مجلس فى تجديد لذاته واصلاح شهواته حتى لم يكن يأكل ولا يشرب إلا أطيب الطعام وألذ الشراب ، ولا يلبس إلا أنعم اللباس ، ولا يقعد إلا على أوطأ المراكب وألين القرش ، وكان لا ينالم إلا على سرير ملقى فى الهواء فى وسط قبة له مخافة ديب يمرضه أو غبار يصيبه ، فعاش على هذه الحال زهاء طول بلا حتى شهر فى الناس بليب عيشه ولذذ شهواته ، وجعل الراضبون فى شهوات الدنيا يمتنون حاله وينبطونه فيها فيه ، ويقبشه به المترفون من أهل زمانه وأرباب التمتع كل واحد بحسب امكانه واتساع حاله حتى صار قوة لطالبي اللذات فى اتباع الشهوات ، وكان مع هذه الحال كلها لم يكن يعرف شيئا من اصلاح نفسه ولا تحسين أخلاقه ، ولا تفقها فى الدين ، ولا تزودا لآخرته ، ولا تفكرا فى أمر معاده ، ولا رغبة فى علم ، لا طلبا لأدب

ولافكرة في زوال الدنيا ولا ذكرا للموت بل كان مقبلا على طلب شهواته محققا لأموال الناس منديا على من
دونه معرضا عن الفقراء مهاجرا لأهل العلم متهاونا بأمر الدين ثم أراد الله تعالى أن ينهيه من نوم غفلته وورقة
جهالة ويرى لعباده قدرته ويحيط بعبرة لغيره وعظة لمن سواه فينبأ هو ليلة نائم على فراشه فوق سريره معاقبا
لحييته وأبواب داره مغلقة وصنوره مسبلة وحول سريره شموع تضرع على أبواب داره خدمه وغلمانه مستيقظين
إذ رأى فيها يرى التائب كاه في بيرة قفرة وحده وهو حريان جائع عطشان وبذنه مسود وشعره طويل وجسده
ملوث برجيع مائي جوفه وعلى ظهره قتل ثقيل وإذا هو بأسودين منكرين خلفهما طويل قائمتما وعيونهما
تبرق ومن مناخرهما يخرج النيران ومن شدقهما تلتبب النيران وبأيديهما حواب حداد وهما يقران نحوه
ليأخذاه فلما راكبا ولي هاربا من بين أيديهما وهما يتبعانه حتى إذا أسعن في هر به إذا هو بجبل شاهق فيه
طريق ضيق وعمر مسلكه سلكه بشقة شديدة وعناء طويل حتى إذا انتهى إلى قلته هوى من الجانب الآخر
في واد منكمسا على رأسه حتى وقع في بئر يخرج منها دخان معتكر يأخذ بالأنفاس ولهب يشوى الوجوه
والأسودان في أثره لا يفارقاه . فن هول ما رأى وعظم ما عاين وشدة ما لقي صرخ في منامه صرخة واضطرب اضطرابا
شديدا ووقع من سريره إلى الأرض وانتبه كل من كان في داره ومن حوله من جيرانه من شدة زعقة وطاش
عقله وشخصت عيناه وارتعدت مفاصله وانفلق لسانه واجتمع حوله كل من كان في داره من خدمه وغلمانه
وأقربائه يسألون ما الذي أصابه فلم يطق جوابا بقية ليلته حتى أصبحوا وجهت له المعزوم والرافون ونظروا أنه
أصابه لم من الجن أوسر من الأعداء ووسوس من الشيطان . فقال لهم ليس في ما نظنون ولكن رأيت رؤيا
هائلة وأفزعني وأدهشتني فجمعت له المعزوم وقصت عليهم رؤياه (فقال) بعضهم أصغاث أحلام وقال بعضهم
هذا من غلط سوداوى ومزاج غليظ . وقال آخر لابل فكردى وتغبل فاسد . وقال آخر لابل هو من الجن
وجعلوا يرجون الظنون حتى جنهم الليل فجمع خدمه وغلمانه وأقرباءه في مجلس واحد حول سريره ونام هو
بينهم فوق فراشه وجعلوا يقرؤن الرق والعزائم والعوذ ويستخرون النسخ حتى كان من ذلك الوقت من الليل
فأذا هو برؤياه ذلك بعينه بل هو أعظم وأهول وأصرخ ففز من فراشه وأفرج كل من كان حوله . ثم أذكره
وجعلوا يسألون عنه وهو صعد مرعوب لا ينام ولا ينامون توجعا له إلى الصباح وتسامع الناس بخبره وجهت له
الأطباء فوصفت له الحمية والاستفراخ والشرية وظنوا أنه نافع من هذا العارض ففعل وما نفع شيء . فلما كان
من الأسبوع الداخل في مثل ذلك الوقت من الليل فأذا هو برؤياه بعينه بل هو أعظم وأهول فأنبه مرعوب بأسرعه
إلى الصباح مانام . فلما كان من القد جمعت له المنجمون والمعزوم والرافون وسئلوا عن موجبات أحكام
النجوم فذكروا أن مثل هذا العرض إنما يمرض للانسان من أجل أنه يكون في أصل مولده من استيلاء
النحوس على درجة طالعه أو أحد الأوتاد في نحويل السنين والشهور . فقبل لهم فها الهواء النافع فيه والمنجي
له فقالوا تختاره يوما يكون القمر متصلا بالسمود وطالعا جيدا يكون السمود في الأوتاد والنحوس سواقط عنها
ويتحول من ذلك الوقت من بلد إلى بلد أو من محلة إلى محلة أو من دار إلى دار ففعل ذلك وما نفع الهواء له
وشاع حديثه في الناس وتسامعت به الأخبار في البلاد وصار في موضع رحمة بعد أن كان بحال غبطة وأصبح الذين
تمنوا مكانه بالأمس خائفين أن يصيبهم مثل ما أصابه من البلى والمحن وجعل أهل المدينة ليس لهم حديث في
مجالسهم ومحافلهم الا حديث ولا عظة الا ما أصابه فينا يوما جاعلة من جيرانه فتود على الطريق في حديثه إذ مر
بهم رجل يعرف بالناسك وكان من أهل العلم والدين والسر قد رزق العلم والایمان . فقيل له كيف غمك على
فلان جارك هل كتم أب مشفق طيب على ولد عليل فقيل له وكيف ذلك هل لأن عندى تأويل رؤياه ودواء
دائه . فقيل له لم لا تصدده وتعرفه ما عندك قال لانه لا يسمع قولى ولا يقبل نصيحتى فقالوا ولم ذاك قال لأن أزهده
الناس في علم الرجل جيرانه ولكن أخبركم أنا وعرفوه أنهم ولا تذكرونى عنده فاني خائف ألا يقبل استسعارا

١١ أقول أو يضل من غير يقين فلا ينفسه قالوا له عرفنا نسمع ما تقول ، فقال أما رؤيته البرية لفترة فهو برأته
 من الدنيا وبرأتها منه يوم يموت ، وأما قره فهو قره بعد الموت وحشة الحاجة في الآخرة إلى الزاد ، وأما حربه
 فهو حربه من الأعمال الصالحة التي لها ثواب الآخرة ، وأما جوعه وحشته فهو رغبته وسو حه في طلب شهوات
 الدنيا ، وأما سواد بدنه فهو سواد وجهه عند الله لسوء أعماله ، وأما طول شعره فهو شعور حزن طويل في الآخرة
 ، وأما تلوث بدنه برجيع مائي جوفه فهو خوف واكتساب يناله في الآخرة بتغنى الرجعة إلى الدنيا ولا سبيل له إلى
 ذلك . وأما الثقل الذي رأى على ظهره فهو ثقل أوزاره وسوء أعماله ، وأما الشخصان المنكران فهو منكر
 أفعاله ونكير أخلاقه وسوء عادته لا يذوقان نفسه حيث ما ذهبت يتبعانها . وأما الجبل الشاهق فهو جبلته وعادة
 التي هو عليها مشقة والشاهق شقاء يناله بعد الموت إذا أن يتوب ويرجع إلى الله من أفعاله . وأما الملك الوعر
 فهو طريق الآخرة التي لا بد له من سلوكها بنصب وعناء ، وأما الوادي فهو وادي جهنم والبر المهيى هي
 الطوية التي إليها تصير نفوس الأشرار وأرواح الصغار فتقولوا إن هو بادر وتدارك وتلافى قبل الموت والاسيكون
 مصير نفسه إلى هناك بعد الموت فإن الله تعالى أراد بهذه الرؤيا أن يظهروا ويذكروا ليتوب ويرجع عما هو فيه
 من الفعلة في أمر الآخرة والحرص على الدنيا ، فقالوا له غداؤوه ، قال ينوي نية صادقة ويمزم مزما صحيحا
 ويرجع إلى الله ويتوب عما قد سلف ويتصدق بشر من فضول عمله على الفقراء والمساكين وبطيس الخشن من
 الثياب ما يورى العورة ويصوم في كل أسبوع يومين ويعشى إلى المسجد خاضعا وينفقه في الدين ويستعمل
 القرابين ويصلي في ظلمة الليل ويستغفر في الأسحار ويسأل الله تعالى أن يكشف ما به وأنه تعالى يفعل ذلك إن شاء
 فقام القوم من ساعته ودخلوا عليه وعرفوه بما أصابه وبما هو خائف متقرب له ثم أخبروه بما قال لهم الناسك فقال
 لهم من أين لكم هذا التأويل ومن وصف لكم هذه الرؤيا فقالوا أخبرنا العالم في الدين الناصح الذي لانشك فيما
 قاله فقبل قولهم وجمع جماعة من العلماء والفقهاء وأهل الدين فأخبرهم بما قيل له ، فقالوا حقا ما قيل وصوابا
 ما وصف فسألهم عند ذلك عن التوبة النصوح كيف تكون وعن فقه الدين وطريق الآخرة وأمر المعاد وصفة
 الجنان وثواب الأخيار وأين يكون متقلب الأشرار فوصفوا له ما هو مذكور في كتب الأنبياء عليهم السلام
 فقبل ما قالوه وفعل ما أمره بين شك ويقين وخوف ورجاء ، فلما كان في الأسبوع الآخر مثل ذلك اليوم صام
 نهاره وصعد عند افطاره وأكل كل يسيرا من الطعام وقام يصلي ليلته ، فلما كان من ذلك الوقت وهو ساجد
 إذ غلبه النوم فرأى في منامه كأنه في تلك البرية بعينها وقد اخضرت من العشب والكلأ وقد فتحت زهر
 الرياحين وراح نسيمها فإذا هو على رأس فة عليها عين من الماء الزلال وكأنه قد اغتسل من مائها فتناثر عن
 بدنه ذلك الشعر والبرن وقد أبس ثيابا جدا فتوح منها رائحة الطيب وإذا هو بشخصين قائمين أمامه كأنهما
 صورتان من الصور تشف أبدانها عليهما زي الجبال ومحاسن الكمال وروني الشباب وهيبة الوفاق وهما متبسمان
 في وجهه كالشبتين لم يشيران إليه بالظر إلى قدماهما فتأمل إذا هو بضوء فسبح يقصر دونه الطرف
 وأبوابا قد ملأت الأفق من الضياء وإذا في ذلك الفضاء رياض خضر كان بينها نسج الدباج من الزهر والنور
 والزعفران وإذا في وسطها أنهار تجري على أرض يضاء كل حصباءها البر والياقوت والمرجان ، وعلى حافات
 تلك الأنهار أشجار كأن أوراقها الحرير والسندس والأرجوان وإذا به نسيم تخشع أوراقها كأنها أصوات
 نغمات أوتار العيادان وبين تلك الأوراق ألوان الفخار متشعبة الأشكال والطعوم والألوان وإذا بين ذلك قصور
 ساهقة كأنها جبال من رخام أبوابها مفتحة ومخون واسعة وأبوابها متقابلة فيها سرور موضوعة عليها فرش
 مرفوعة وتعارف مصفوفة وبينها سادة كرام متكئين متقابلين عليهم زين الجبال ومحاسن الكمال وهيبة الوفاق
 بأيديهم النصف يسي بينهم ولهمان وفلجان وجوار حسان أتراب مبرقات بالبحاسن والجبال ، فلما رأى تلك
 المحاسن قال لصاحبه ما هذه قال هي الجنة دار السلام ومعان الأرواح ومسكن نفوس الأخيار ومستقر الأبرار

فان أنت دمت على ما أنت عليه الى الموت فيسكون مصيرك الى هناك بعد مفارقتها جسدها فتجد لغة العيش
وسرور النعم صافيا بلا تنقيص ما في الدهر فن فرح ماسم وسرور مباشر استزده ذلك فاقبه ههنا متفكرا
يتخى عسى أن ينام فيرى تلك الرؤيا ثانيا بعد أن كان كلرها للنوم غفلة أن يرى رؤيته الأولى ، فلما أصبح
تصدق بجميع ما له وأعتق كل عبده ولبس المسوح وكان طول نهاره صائعا وسهر ليله قائما بجانب الناس لا يكلم
أحدا بل يصلي نهاره باكيا حزينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة حتى فشاخه في الناس ونسأمت به في المدينة
والبلاد فقصده الناس من الآفاق يسألونه رؤياه ويسمعون تأويله ويتعظون به ، ثم صار بعد ذلك يتكلم على
الناس في المجالس بالحكمة والموعظة ويضرب لهم الأمثال ، ويدلهم على طريق الآخرة ويرغبهم في ثواب الجنة
ويزهدهم في غرورها وأمازيها ويحذرهم الاعتزال بها . فقبل له من أين لك هذه الحكمة والموعظة وأنت لم تكتب
الحديث ولم تسمع الأخبار ولم تقرأ الكتب ، قال أجده في كلراءة يتراى فيه حقائق الأشياء وأجد لسانى يترى
على الصواب من غير تكلف منى وأجد نفسى كالترجان تسمع من وراء الحجاب وتعبى وتؤدى الى أبناء جنسى
مما سمع بلا تصنع منى . فلم عند ذلك أنه مؤيد بك من الملائكة يلهممبازن الله جل ثناؤه ، ثم صار ذلك الرجل
قدوة في الدين لأهل زمانه فينبأ هو يوما في محفل والناس حوله يسألونه عن أمر الدين وهو يشتم والناس ما بين
مستمع مصدق وشاك ومتعجب منه كيف كان بالأمس أرغب الناس في الدنيا وقدوة لطالبي الشهوات وكيف هو
اليوم في أمر الدين امام لطالبي الآخرة إذ وقف في المجلس رجلا من أولئك الذين دخلوا عليه يسودونه
فرأى ذلك الناسك في مجلسه يسأله عن مسائل من أمر الدين ويستوصف منه طريق الآخرة فدنا منه وقاله
شبه المتعجب هذا صاحبك الذى فسررت منامه ووصفت دوائه وأنت اليوم تسأله عن أمر الدين وطريق الآخرة
قال نعم ولكن قد جاءه من العلم ما لم يأتنى وقد قبل نصيحتى أمس فنفضته اليوم وأما أقبل منه اليوم ما عسى
أن ينفعنى غدا وكانت صفته أمس تعليا بشريا وصفته اليوم تطعيم ملكى ، ثم ان ذلك الرجل التائب بقى مدة
من الزمان مجتهدا في عبادة الله على عادته حتى قرب أجله ووقت مفارقتة فرأى في منامه كأن روحه قد خرجت
من جسده وإذا هى على صورة مثل شكل الجسد وهيئة سواء غير أن هذا الشكل جسمانى وتلك صورة
روحانية شفافه لا يلبسها لابس ولا حس وإذا هى قد ثبتت في الهواء حيث شاعت وكيف شاعت بلا كفه ولا صاء
وهي تجل من ذاتها خفة وراحة وسرور وروحانية وفرحا لا يوصف بثلاثها حال الأجسام ونظرت الى جسدها إذا
هو طروح لا حراك به خفت اليه لطول الصعبة وإلق العادة . فلما دنت منه وتأملت منه فاذا هو كأنه قفاى عليه ثلاثة
أيام بعد الموت وهو مستفتح من أن الرائحة يسبل منه الدم والقيح والصديد ويجرى بين لحمه ودمه الديدان ويخرج
من فيه ومنخرية وأذنيه الديدان والقمل . فلما رأت ذلك الهائل اشجارت منه وتأخوت عنه وأنتت من الدنو
اليه وجعلت تقبض حلقها حين فارقتة وخرجت منه ونجت من وصحه ودرنه ووحشته وعاره ووباله ثم التقت فاذا
هى أبواب السماء قد فتحت والمراج قد امتد من السماء الى الأرض والملائكة نزلت وامتلأت الآفاق من
النور والضياء وسمعت مناديا ينادى - يا أيها النفس اللطيفة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى في عبادى
وادخلى جنتى - فاقبهم نومه ذلك ، ثم أخبر بما رأى وأوصى وصيته وما مكث إلا أياما حتى توفى ومضى
لسيله : انتهى ما أردته من اخوان الصفا والحمد لله رب العالمين

ويقع هذا ﴿ حكمتان : الأولى ﴾ بعنوان ﴿ حكم عامة ﴾ في موازنة عطف الأم على ولدها بنفع
الحكيم لأمت ﴿ الثانية ﴾ في السعادة الزيفة وهاك نصهما في الصحيفة التالية

حكم عامة

الأم

الأم تغذي ولدها مع شفقة وعجة بلبنها

...

الأم تسهر على ولدها وتكأوه

...

الأم لا تبالي بالمشاق في سبيل تربية ولدها

...

الأم تبذل مالها وكل ما تقدر عليه وتصرف وقتها في إسعاد ابنها

...

الأم تستلذ النسب والتب في تربية ابنها

...

الأم تحس بلذة تضاهي ما عراه من رقة ولدها

الحكيم

الحكيم يغذي الأئمة والأمم بجملة مع شفقة وعجة

...

الحكيم يسهر على الأمة والأمم ويكأوها بعطفه

...

الحكيم لا يبالي بالمشاق في سبيل إسعاد أمته

...

الحكيم يبذل ماله وما يقدر عليه من عمل ووقت في إسعاد أمته

...

الحكيم يستلذ النسب والتب في إسعاد أمته

...

الحكيم يحس بلذة رقة الأم بجملة أعظم من لذة الأم ، نسبها إلى قمتها بولدها كنسبة الجوع الكثيرة التي يهداها إلى الولد الواحد الذي ربته الأم

السعادة المزيفة

(١) القاعون بأمر الأمم أغلبهم ذوو سعادات لفظية

(٢) الملوك منهم والأمراء اكتفوا بالنساء وكثرة المال والحصول على الشهوات

(٣) هؤلاء الحكماء يتقون بما ظنوه سعادة ، مع أن القوى الجسمية كلما ازدادت تعاطيا للشهوات ضعفت وقلت لذاتها ثم فقدتها

(٤) فإذا ضعت شهواتهم أخلوا يستعوضون عنها بالرطب والنياشين من الملوك ، وما كان لرتبة ولا نيشان ولا ألقاب تعظيم أن تفيل القلب سعادة ، أو تصرف الفهم عن القوائد

(٥) وإذا ملئت خزائنها بالمال وقد ولي العمر وحالت الحال رجعوا إلى أنفسهم فوجدوها خاوية على عروشها فأزدادوا اقتباضا وبئس المصير

(٦) إذن مكافأة الجهلاء من نوع الإنسان أشبه بمكافأة الأطفال بالدمى واللعب والألعاب المزركشة ، والوالدان يعلمان أن ذلك وقته قليل القيمة . هكذا العناية الإلهية لكافأت أطفال الرجال بما يشبه مكافأة الأطفال استغفارا لعقولهم ورحمة بأنهم ، فهم أشبه بفناء لأعمهم يسهرون على راحة المجموع ويكافئون بما أكثره شؤم عليهم لأنهم لا يعقلون اه

واعلم أيها التقي أن هذا المقام العام ملخص في تفسير البسطة في سورة الدخان ، وفي رسالة (مرآة الفلسفة) في سورة محمد ﷺ عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - فانظر هناك إن شئت . وإلى هنا تمام الكلام على قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة - الخ والحمد لله رب العالمين

اللطيفة الخامسة

في قوله تعالى - ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت - الخ وفي قوله تعالى - سنبهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ في هذه اللطيفة فصلان

الفصل الأول في قوله تعالى : فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت

جاء في مقال في جريدة الاهرام يوم السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٠ تحت العنوان التالي مافيه :

وحدة الحيوانات والنباتات

يمتد أغلب الناس أن بين الحيوانات والنباتات تباينا كبيرا واختلافا تاما ، وأن كل فريق منهما مستقل من الآخر . وقد كانوا يعلموننا في المدارس أن هناك عالم الحيوان وعالم النبات أو مايعبر عنه الفريون بمملكة الحيوان ومملكة النبات . وبما لاشك فيه أن من يلقي نظرة سطحية على الحيوانات والنباتات الراقية يجد أن بينها اختلافات ظاهرية . فالحيوان يتحرك ويتغذى ويتأثر . أما النبات فهو ثابت في مكانه ولا يظهر أنه يتحرك أو يتغذى أو يتأثر على أن من يحسن النظر ويحقق في البحث يتضح له أن هذه كلها اختلافات ظاهرية لاحقيقة لها

ذلك لأن كل ميزات الحيوانات مثل الحركة والتأثر والتغذى والتنفس والتوالد توجد كلها في النباتات . وهي في الواقع تعتبر الى حد ما ميزات جميع الكائنات الحية من حيوان ونبات فالحركة لا يختص بها الحيوان . فان هناك حيوانات عديدة ثابتة منذ نشأتها الى موتها مثل كثر من الحيوانات المسماة بالجوفاء كالرجبان . وكذلك الحيوانات التي تعيش في قاع البحار وتشب في شكلها بالنباتات والأزهار . ومنها الحيوانات المسماة بالتونسية أو القمصية الساقية للحيوانات الفقرية أو بالأحرى إحدى المخلوقات المتوسطة بين الفقرية واللافقرية . فانها تكون عند ولادتها متحركة مثل سائر الحيوانات . ولكن صفراها لاتلبث أن تثبت على صغر في البحر وتظل هكذا إلى مدة حياتها الى أن تموت

كما أن هناك من جهة أخرى نباتات متحركة مثل النباتات المقرنة فان لها أعضاء خاصة تنقبض على مايقع عليها من القباب والحشرات والحيوانات الصغيرة الأخرى وتنطبق عليها وتفرز حولها عصيرا هضميا مثل عصير الحيوانات فتضم مايقبل الهضم منها وتمتصه ، ومن النباتات المتحركة النبات المعروف للعامة باسم « المستحية » ومنها فصيلة كاملة من النباتات الطحلية المائية المسماة « أوسيلير » فانها في حركة اهتزاز مستمر مثل ردة ص الساعة ، وأبلغ من هذا حركات بعض النبات الأولية ذات الخلية الواحدة فان لكثير منها شعرا صغيرا عديدة - ولها أوشرة واحدة طويلة في مؤخرها مثل الذنب تستعين بها على العوم في الماء فتذهب ونحى و مسافات تذكر لافرق بينها وبين الحيوانات ، وكذلك بفرة أوبوضلت البسات الطحلية للماذبة وبذرة صف « الموس » وصف البسات ذات التوالد الجنسي . فان تلك البذور تستعين بذنبها . أي بالشعرة التي في مؤخرها للتحرك في الماء بحيث لا يستطيع الانسان أن يميز من أول وهلة بينها وبين الحيوانات الصغيرة التي من حجمها . ولهذا سميت بالبلفر . الحيوانية

هذا كله في الظاهر أما اذا حققتا النظر في الأمور ما نجد أن الحركة نتيجة لازمة للادة الحية على الاطلاق سواء أكانت نائمة أم حيوانية . ونفصلا لهذا الاجال ، نقول ان أنسجة جميع الحيوانات لاترى إلا

بالميكروسكوب ، وشكل هذه الخلايا وتركيبها واحد في الحيوانات والنباتات فالخلية مكونة من مادة زلاية أو بالأحرى من خليط من مواد زلاية مختلفة ومواد دهنية ، ومواد سكرية أو نشوية . وقليل من بعض مواد معدنية . وفي وسط كل خلية نواة تحكيها واحد في الحيوانات والنباتات . والخلية في معظم الأحيان غلاف خارجي من مادة زلاية أخرى مرنة عند الحيوانات ومن مادة جامدة تسمى بالسيلولوز عند النباتات . وهي مادة القطن وورق الكتابة

ومادة الخلايا التي يسمونها بروتوبلا أو المادة الحية (خليط من المواد الزلاية والدهنية والسكرية) من أهم خواصها الحركة أي أن أجزاءها في حركة مستمرة مادامت حية . ولا شك في أن هذه الحركة نتيجة تفاعلات كيميائية دقيقة مرتبطة على حريق المواد الغذائية . التي تصل إلى الخلايا بعد الهضم والامتصاص ومثل حركة المواد الحية حركة السوائل . وهي تقل والآلات الميكانيكية بسبب حرق الفحم أو البنزين أو الزيت وغيرها

ولافرق في ذلك بين الخلايا الحيوانية والخلايا النباتية . ولكن لما كانت أغشية الخلايا الحيوانية من مادة زلاية مرنة كما تقسم كانت الحركة التي تبدأ في واحدة منها تقتل الجارها وتأخذ في الامتداد فيتحرك المجموع بعكس الخلايا النباتية فإن مادة كل خلية منها محبوسة داخل أغشية صلبة من السيلولوز . فالحركة التي تقوم في بعضها لا تستطيع الانتقال إلى ما جاورها من الخلايا ولا الانضمام إليها . ولهذا كانت مواد كل خلية نباتية تتحرك في مكانها داخل غلافها ومجموع النبات ثابت . والغلاصة أن الحركة من خواص جميع المواد الحية النباتية والحيوانية على السواء

وفي الحقيقة والواقع ليست الحركة وقفا على الأحياء ولكنها تعمل في الجاد وجميع المواد المعدنية . وتم كل مافي الكون من أكبر الأجرام السماوية إلى أصغر ذرات المادة أو الجوهر الفرد . وما هو أصغر منها مما اكتشف أخيرا ونفى اليون أو الإلكترون . فإذا رفعنا نظرا إلى السماء نجد أن جميع الكواكب والشموس والسيارات (بما فيها أرضنا) والأقمار وذوات الذنب في حركة مستمرة لاتعرف الكل . وكل ما يحيط بنا على الأرض متحرك كذلك بلا اقطاع من أمواج البحار ومياه الأنهر وهواء الجوف والزواجر والزلازل وتساقط الأمطار والثلج والبرد ودوى الرعد واضطاض الصواعق وغير ذلك من العوامل الطبيعية التي دكت الجبال الشاهقة وغبرت من شكل الكرة الأرضية مرات عديدة في الأعصر الجيولوجية القديمة منة ملايين من السنين الغابرة . وكذلك الحال بالنسبة لجزيئات المادة وجواهرها الصلبة وذرات هذه الجواهر فاتها في حركة مستمرة تزداد بلوتخا الحرارة وتنقص بانخفاضها . وبالحللة فإن الحركة هي النظم الأساسي الذي يدير الكون بأسره منذ الأزل وإلى الأبد

وما يقال عن الحركة يقال عن التأثير فانه صفة لازمة للمواد الحية الحيوانية والنباتية على السواء . فإذا ملئ الانسان بسلك رفيع مثلا خاة من الخلايا الحيوانية أو النباتية . وهي تحت الميكروسكوب يراها تتأثر وتنحرف فتدكمش أو تمد . وهذا الذي يحدث عرضا بفعل الانسان يحدث عادة وعلى النوام بفعل المؤثرات الطبيعية والكيميائية التي تعمل في أجسام الحيوانات والنباتات أو في البيئة التي يحيط بها وتؤثر عليها ولا فرق في خاصة التأثير بين الحيوان والنبات ، وكل مافي الأمر أن أغشية خلايا النباتات تحول دون انتقال التأثير من خلية إلى خلية نظرا إلى جودة تلك الأغشية فيظهر النبات في مجموعه كأنه لا يتأثر . والحقيقة أن مواد خلاياه تتأثر . ولكن يحجب هذا التأثير مادة السيلولوز الجامدة

على أن التأثير ليس في الحقيقة من معزات المواد الحية دون غيرها ، بل يشترك فيه كثير من الجاد مثل المواد الفرقة ومثل المواد الكيميائية غير الثابتة التي تتأثر بالنور كمواد التصوير الشمسي (الفوتوغرافيا)

أو بالزطوية أو بالحرارة أو بالكهرباء وغيرها . ومن الأمثلة على تأثر الجادات أمر معروف في علم الصوت (جزء من علم الطبيعة) وهو أنه إذا دق انسان دقة على وتر من آلة موسيقية وكانت في الفرقة آلة أخرى مثلها فلن يور الذي يقابل فيها الور الذي دق عليه بالآلة الأولى يهز من تلقاء نفسه اهتزازا خفيفا ولكنه يظهر جليا بواسطة الآلة المبكرة للصوت

أما من جهة التغذية فمن المعلوم أن النباتات تتغذى مثلها في ذلك مثل الحيوانات فإفاتها الخضراء (الكلوروفيل) تستعين بضوء الشمس لتحليل حمض الكربونيك (ثاني أكسيد الكربون) المنتشر في الجو وتأخذ منه الكربون اللازم لغذائها وتخرج بهاء فتكون أولا السكر والنشاء والسيلانز (مادة القطن وورق الكتانة) ومادة الخشب وغيرها . ثم تكون أجاسا عضوية تركب منها المواد المعدنية . وتمتص من الأرض الماء وبعض المواد المعدنية المشتملة على الأزوت مثل الأزوتات وألترات وتخرج هذه بالمواد السكرية والنشوية والأحماض العضوية فتكون المواد الزلالية وهي أهم غذاء لها وللحيوانات . وبالجملة أن النباتات تتغذى بالحيوانات . وتناول لغذائها نفس المواد التي تتغذى منها الحيوانات وهي المواد الزلالية والمعدنية والسكرية فضلا عن الماء وبعض الأملاح

والتغذى ليس قاصرا في الحقيقة على الأحياء من حيوان ونبات بل يحدث لكثير من الجادات بقعة الصدا التي تبس صغيرة على قطعة من المعدن ثم تكبر إلى أن تنتشر على سطح المعدن كله إنما هي تغذى في الواقع من بخار الماء والحامض الكربونيك المنتشرين في الجو ومن مادة المعدن القاطنة على قنمو وتنسح كالجمو ويكبر الجسم الحي والبروات الصغيرة المنطلة في ماء مشبع من محلول موادها تتغذى من المادة النائية في الماء قنمو وتصبح بالبروات كبيرة . والآلات الميكانيكية المتحركة تتغذى بالفحم أو البزبن أو الزيت . وليست مواد الوقود الأغذاء تلك الآلات الميكانيكية تحرق فيها قوتها اللازمة لحركتها وقيامها بأعمالها ويلتقى بالغذاء التنفس . وغير خاف على كل من درس علم الفسيولوجيا النباتية أن النباتات تنفس مثل الحيوانات ولها مسام صغيرة في أوراقها وغصونها يدخل منها الهواء ومعها الأوكسجين الذي هو العنصر الأساسي في التنفس أن الغرض من التنفس واحد في الحيوانات والنباتات وهو احراق (أي تأكسد) المواد الغذائية داخل الخلايا لتوليد القوة اللازمة للحياة وقد عرف علماء الفسيولوجيا الحياة بأنها حرق أي تأكسد مستمر . وما الأجسام الحية الا آلات لتحويل القوة الكهوية الكامنة داخل مواد الغذاء بواسطة احراقها إلى حرارة وحركة حركة انتقال . وحركة افراز . وحركة نمو . وحركة تولد وما إلى ذلك من القوى الحيوية . مثلها مثل الآلات الميكانيكية التي تتغذى بالفحم أو بالبزبن أو بالبرول

وقد أثبت علماء الفسيولوجيا هذه الحقيقة بتجارب حاسمة حيث وضوا حيوانات داخل كالور يتردد فيق (آلة لقياس كمية الحرارة . وهي خلاف الترمومتر الذي لا يقيس الا درجتها دون كيتها) وكانوا يقيسون حرارة ما يتناوله الحيوان من الغذاء وما ينتج جسمه من الحرارة . بعد خصم الكمية التي لم تهضم ولم تمتص من الغذاء فوجدوا أن الكميتين متعادلتان وقد طبق اثنان من العلماء الأمريكان هذه التجربة على الانسان وهما أوزر وبيدكت فضعوا كالور يتر كبير حجمه كالفرقة المتوسطة واتخذوا كل الوسائل الدقيقة والاحتياطات الشديدة ، وكانا يقيسان مقدار الهواء الداخل من جهة والخارج من جهة أخرى ودرجة حرارتهما وما يشتملان عليه من اوكسجين وحامض الكربونيك . ويقاسان في كالور يتر صغير على حدة ما تنتج من الحرارة كمية الطعام الذي يتناوله الشخص الذي يعمل عليه هذه التجارب وغير ذلك من الاجراءات . فكانت النتيجة تعادل كمية القوة التي تدخل جسم الانسان في هيئة غذاء وكمية القوة التي تخرج منه في شكل حركة وحرارة . ومعنى هذا أنه لا توجد في الجسم الا القوى الطبيعية ولا تعمل فيه الا القوى الطبيعية

أما التفريق والتوابع والطور وكافة مظاهر الحياة فلا حاجة لتكرارها في هذا الكتاب بين الحيوانات والنباتات. ويطول بنا المقام لو أردنا أن نثبت أن هذه المظاهر كلها مع التباين في الجاهة أيضا يتبع مما تقدم أنه لا يوجد أي تفرق جوهري بين الحيوانات والنباتات. وقد حار العلماء في بعضه جدناصل بينهما أو تحك للتمييز بين بعض الأحياء السفلى للتبني في أسرها وهل هي حيوانات أم نباتات فلم يحدوا أمامهم سوى فاصل واحد يقررون بأنه سطحي ظاهري وهو مادة السيليلوز المكتونة منها أغشية الخلايا النباتية فإن هذه المادة لا توجد لها في الحيوانات

ولكن هذا الفاصل غير شامل لجميع النباتات في جميع أدوار حياتها لأن هناك بعض نباتات سفلى من صف النباتات الفطرية بمن النسيبة السبابة ميكروميتت قضى حياتها كلها أو معظمها وخلاياها شائعة بلا أغشية تفصلها عن بعض. ولكن إذا ساءت الأحوال الجوية واشتد البرد وتهاطلت الأمطار أو التلوج فترز هذه البسات حولها أغشية سيليلوزية لتجسس نفسها داخلها فتتقي هكذا خطر تقلبات الجو. أما في الفصول المعتدلة فإنها تعيش خالية من هذه المادة. فهي تشبه من وجوه كثيرة. وهي على هذه الحالة بعض الحيوانات الأولية ذات الحلية الواحدة مثل الأميبا التي يجب نوع منها مرض الدوسنتاريا

ومن جهة أخرى في بعض الحيوانات مادة تقرب كثيرا ككربون من مادة السيليلوز وهي الحيوانات النونية أو التجميعية المتوسطة بين الحيوانات الفقرية وبين اللاقترية مما تقدم لنا الإشارة إليه. كما أنه في جميع الحيوانات مادة هي شقيقة السيليلوز من الوجهة الكيماوية وأعلى بها الكر فكلتاها مكتونة من لحم وماء. ولذا أطلق على مجموع هذه النسيبة الكيماوية اسم هيدرات الكربون

وهناك فاصل فيسولوجي بين الحيوان والنبات قد يكون أوجه من الفاصل المقدم وهو كيفية التغذية. قلنا فيما تقدم أنه لا بد لعداء الحيوانات والنباتات من مواد زلالية ومواد دهنية ومواد سكرية. ولكن الفرق بين الحيوانات والنباتات هو أن الحيوانات تتناول هذه المواد مركبة جاهزة كلهي من أجسام البسات أو الحيوانات الأخرى التي تأكلها بعكس النباتات فإنها لا تجد أمداءها. هذه المواد الضرورية لغذائها كما نجد ها الحيوانات (مع استثناء النباتات المفترسة) فتضطر أن تركيبها على الوجه المتقدم يات. قبل أن تتناولها. وبالجملة فإن الحيوانات تتناول طعامها جاهرا أما النباتات فتكت وتنتقي في تركيبه قبل أن تتغذى به. على أن هذا الفاصل غير شامل لجميع النباتات فيوجد صف نباتات هي البسات الفطرية لم تجد عليها الطبيعة بالمادة الخضراء (الكلاوروفيل) فلا تستطيع أن تركيب غذاءها بنفسها لهذا هي تتصرف في الحياة كالحيوان بمعنى أنها تتناول طعامها جاهرا من حيوانات أو نباتات أخرى ومن أجل هذا تجدها كلها طفيلية تعيش على غيرها من الحيوانات والنباتات الحية أو على أجسامها الميتة. وعلى هذا فتكون النسيبة الفطرية الحلقة المتوسطة بين الحيوانات وبين النباتات. ولولا وجود السيليلوز فيها لجرم العلماء بأنها حيوانات فهي نبات من جهة السيليلوز وحيوان من جهة كيفية تغذيتها

وفي هذا برهان واضح على وحدة الحيوانات والنباتات وتساها من أصل واحد وهو الجاه. وقد جاءت الباحث والتجارب الجلية التي قام بها العالم الهندي الكبير السربوز مؤيدة لهذه الحقيقة التي أصبحت الآن أساس العلوم الطبيعية. وقد كان لاختراعه للآلة التي تكبر حجم الحبة عشرة آلاف مرة تأثير كبير وتائج هائلة في العلم. وعلاء أوروبا يتحلقون في جامعاتهم وفي مؤلفاتهم باكتشافاته ومباحثه الأخرى مندد أكثر من عشرين عاما ومع ذلك نرى قوما هنا يحملون على هذا العالم الشرقي الجليل لأغراض باها العلم وشرف المنس نصيف المتقاضي الهندي

خرج كلية العلوم بجامعة باريس (المورد ن)

ويلحق بهذا ماجاء في جريدة الاهرام أيضا يوم الجمعة ٤ يولييه سنة ١٩٣٠ وهذا نصه

رأى في علاج الأزمة المالية

كاد ينقضى على انشاء وزارة الزراعة عشرون عاما . ومع ذلك لم تقدم بشئ من المهمة التي اقيمت على عاتقها بينا نرى اختصاصات وزارات الزراعة في الدول الاخرى لا تقتصر على تدبير الأشجار وحمل الاحصاء السنوي لكمية المنتظر من محصول القطن . أو الارشاد الى ادخال تحسينات تافهة على الزراعات القائمة . أو مقولمة بعض الآفات مقاومة لاجدى ولا تنفع . أو الحصول على بعض الأسمدة والبذور الخاصة بالنباتات التي تزرع عادة . لو ان مهمة وزارة الزراعة اقتصرت على ذلك لكان الأمر على الجمعيات الزراعية الأهلية . ولاكتفت الحكومات بمعاونتها دون انشاء وزارة خاصة بالزراعة . ولكن المهمة أجبل وأسمى من ذلك . المهمة خاصة بانماء الثروة الأهلية بادخال زراعات جديدة تستثمر فيها رؤوس الأموال المتجمعة من الزائد عن النفقات الزراعية والنفقات المعاشية للفلاح . المهمة خاصة بايجاد مشغل من صنع الاخصائيين فحو ويكبر على توالى الالام داخل معامل التعطيل والابتكار والطعم لتزويد البلاد برأس مال جديد في كل عام لا أن يقتصر الأمر على ايجاد بعثات زراعية سنوية الى مختلف البلاد ليعودوا أعضاءها ويشعروا بالوظائف الكتابية أو وظائف التفتيش الرئيسية فتصديفهم الحمية وروح الابتكار ولا ان يكونوا في مكاتبهم وفوق كراسيهم كالبومات وشهادات الامتياز جعلها الاطراف الزائفة ولا قيمة لها الا في عين جلتها . مع ان الواجب كان يقضى ان تكون قيمتهم في نظر الأمة وللأمة حتى تستطيع أن تقرر بحق انها استثمرت ما أنفقت عليهم من أموال في تخصصهم وتمتعهم . ويستطيع الآباء أن يطلبوا مبالغتهم بجرمة كذهم وتجبهم في سبيل تربية أبنائهم . والا فإذا ادخلت وزارة الزراعة المصرية على زراعاتنا من جديد يعاون في سبيل الاحتفاظ بثروة الأمة بعيدا عن تهديد الازمات والأخطار التي تصيب محصولا لا تقوى الا عليه ، لتقل لنا الوزارة ماذا صنع معمل زراعة للمناطق الحارة حتى الآن وأي نتيجة لتجارب أدت الى ادخال عامل زراعي جديد في مصر مع أن زراعة المناطق الحارة قد درست في مصر قبل الآن درسا عميقا أيام حكم ساكن الجنان اسماعيل باشا الخديوي الأسبق والمؤلفات والتقارير الزراعية من نباتات المناطق الحارة في عهده تكاد تزيد عن الضروري . وما كنا في حاجة الا الى مراجعتها لتعلم أي الزراعات تدخل في مصر حتى تعدد المحاصيل وتجنب الأضرار الجسيمة التي يلحقها القطن بثروتنا العامة بين أونة وأخرى وتكرها على البكاء والويل مادامت مصر في عهد اسماعيل هي مصر الآن جوتا وتربة وماء مع مراعاة ان العمار قد ازداد والسكان قد تضاعفوا والأيدي العاملة قد ربت وطرق المواصلات قد تعددت والمسالك الزراعية فظمت والترح كثر . لقد تكلمنا فيما تقدم عن زراعة الكاوتش في مصر ورجونا من المصريين أن لا ينتظروا الا نتيجة جهدهم وكذهم في ادخال هذه الزراعة الغنية بمحاصلاتها في مصر حتى يتفقدوا أنفسهم بأيديهم من مخالب الافلاس الذي يهددهم دائما أبدا بسبب تحكم مستهلكي القطن أو زيادة محصول الأمريكي الخ واليوم نقول كلمة أخرى عن زراعة المناطق الحارة الصناعية وما يجوز ادخاله في مصر بناء على آراء الاخصائيين ولما كنا قد بدأنا بزراعة الأشجار في سبيل احياء عصر الغابات في مصر وجب علينا الاستمرار في هذه السبيل مقتصرين في بياننا على الجهات التي تستورد منها هذه النباتات ومنافعها

(شجرة البقرة) ان هذه الشجرة من «كرا كاس» وساقها معتدل باسق . وطول أوراقها بين ٢٥ و ٣٠ سنتيمترا في عرض عشرة سنتيمتر . وعمرتها كالبندفه الخضراء . وترجع شهرة هذه الشجرة الى طبيعة ألبانها التي تحاكي من كافة النواحي لبن البقرة ولذا كان اهل «كرا كاس» يتفنون منه . ويمكن الحصول عليه بجزء ساق الشجرة في عدة نواح . ولقد أثبت الميسو «ريفيرو» والميسو «بوسينجور» ان «مقات هذا العصور

السكرى كصفات لبن البقرة مع فارق بسيط هو أنه لزج قليلا وله رائحة كرائحة اللحم أما خاصية الكيائية فانها تختلف عن خصائص اللبن البقراذ الأحاض لا تؤثر فيه أما «الاصبر» فانه يؤثر فيه الى درجة معينة حيث يجمد قليلا اذا أضيف له قشر منة واذا وضع في «حمام ماري» استخرج منه عطر كذلك الذي يستعمل في إيطاليا لطيبب التفازات . ولكنه مع ذلك يختلف مع سائر الصارات الزرجة لانه لا يشمل أى كمية من الكاوتش وقد زرعته هذه الشجرة في بروكسل . ومن باب أولى أن تزرع في مصر لاستعمالها غذاء وواسطة لاستخراج عطرها . وتصديره وتصدير هذه الألبان في زجاجة خاصة

(ذات اليد) وهي شجرة يعلى قم فروعهها وير أشقر اللون وتستعمل ثمراتها المصرة في اسوداد لعلاج الصرع ويمكن استيراد هذه الشجرة من البرازيل كما يمكن استيرادها من أوروبا بأخص الألمان ومن السهل شتلها بواسطة الفسائل في فصل الربيع (حشيشة الورق) وهي شجرة صغيرة من بلاد الصين ترتفع الى خمسة أمتار ويستخرج لباب ساقها ليصنع منه الورق الناعم في الصين التي تصنع في العام ورقا قيمته ٦٤٩ و ٩٧٧ و ٣ (هاليوان تايل) أى ريال ولكنه ثابت القيمة . ودائما يتراوح بين ٦٦ في المائة من الدولار وبين دولار وثلاث . ولقد أدخلت هذه الشجرة الجبلية ضمن الزراعات المصرية في سنة ١٨٦٨ وبجهد نجاحا عظيما ولكن لسوء الحظ لم تستخدم في الغرض الذي جلبت من أجله وهو استخراج لبابها لصناعة الورق الناعم مع أن زراعتها في مصر من السهولة يمكن اذ يكفي وضع عقل الفسائل في بطن الأرض وتغطيتها بقليل من التراب فلا يضي وقت قليل حتى تنبت

(شجرة الحرير) وهي شجرة من نوع الأشجار العملاقة . وليس هذا التمييز لمجرد الخيال وإنما هو الحقيقة فان المسيو (برتران بوكاديه) قد حكى أنه رأى في كالامانس مراكب طولها ١٥ مترافى عرض مترين ونصف تصنع الواحدة من ساق إحدى هذه الأشجار وتسع كل مركب من هذا النوع ثلاثين ثورا وستة عشر بحارا للتجديف وثلاثة رجال للعطف على الموسيقى . فضلا عن هذا فهي تحتوي على غرف ومطبخ وحمام الخ . أما نوعها فهو من المراكب السريعة ذات الشراعين والمجاديف . وهذا ما يكون عندنا فكرة من محيط ساق هذه الشجرة . غير أنها لا تعيش أكثر من قرن . ولذلك فان الأهالي يزرعون شجرة منها عند ميلاد كل ولد من أولادهم فإذا ما بلغ الطفل السن التي تتيح له الاستقلال بمعيشته وجد في هذه الشجرة كل ما يلزمه لبناء منزله دون أن يمس باستمرار نعماتها

وإذا ما بلغت هذه الشجرة سن الاتاج أثمرت فاكهة يخرج منها وير قطنى حريري في كمية جسيمة تنامي على الأرض الى مسافات بعيدة تراها وكأن السماء أمطرت لؤلؤا وثلجا . ويستخدم هذا الير في صنع الوسادات والكنبات وغيرها ويمكن غزله لاستخدامه في صناعات مختلفة . ولقد أدخلت هذه الشجرة في مصر بواسطة الدكتور فيجارى بك ويوجد منها نوع في قصر العيني (أما حشيشة الملوك الشوكية) فان ارتفاعها يصل الى عشرة أمتار وساقها ضخمة وشاذلة . وتزرع هذه الأشجار بصنفها بذرة أو عقلة

(شجرة الدهن) وهي شجرة متوسطة الطول وتزرع في الأواضي الرطبة من الصين . ولها لوز تحوى كل واحدة منها ثلاث حبات وأهميتها فيها ينطليها من طبقة دهنية بيضاء سيكة صلبة الى حد ما ويضيف الصينيون واليابانيون الى هذه المادة قليلا من شمع النحل وزيت الكتان لصنع الشمع الأبيض الذي يضيء مدة طويلة ، وللاستخراج هذا الدهن يجب سحق البذرة وإبقاء مسحوقها في ماء على درجة الفيلان حتى تطفو المادة الدهنية على وجه الماء فيسهل استخلاصها (ومن جهة أخرى) هم يستخرجون من هذه الحبوب نوعا من الزيوت الصالحة للوقود ، وقد وجدت شجرة من هذه الأشجار بمدرسة الطب ، ولكننا لاندرى ماذا صنع بلوزها ، كذلك زرع في حديقة الروضة شجرة من هذا الصنف ، ولا ندرى لماذا لا تزرع

هذه الأشجار في مصر مع أن زراعتها سهلة سواء من ناحية البنية أو العقلة
 (شجرة البهار) هي شجرة من مدغشكر طويلة جيلة المنظر، وتستخدم أوراقها وجلدها كصكبار
 ودواء. وهذه الشجرة تنمو في الحدائق المصرية. وتوضع أوراقها في الطعام خضراء. ولا بد لزراعتها في مصر
 من الحصول على بذرتها من مدينة مدغشكر أولاً فأولاً
 (شجرة الثعابين) وهي شجرة صغيرة في البرازيل طولها يقرب من متر. وتستخدم جذورها دواء
 للشفاء من لسعات الثعابين. وهذه الشجرة تصلح في مصر فقط لأنها لا تزرع إلا في الطينة الصالحة للزراعة
 وللناطق التي جهزت بمعدات الري وتزرع عقلاً
 (شجرة الاراروت) وهي شجرة ذات جذور سكرية لها ساق طوله يقرب من متر ونصف متر.
 وجذوع هذه الشجرة غذاء قوى للأطفال على ما نعرفه جميعاً. وهي تزرع على الخصوص في جزيرة الأتي
 وأمريكا الجنوبية. وهي صالحة للزراعة في التربة المصرية
 (الكستري الأمريكاي) أو كستري الحامي: وهي شجرة تدرّ اللبن الذي يتجمد في صلبة القسدية
 ويستخدم في التأثير على القماش بإشراق لأمحي، أما العلكة ذاتها فبها غذاء جيد، وتدخل هي والأوراق
 في كثير من الأدوية، وهي تزرع بطريق البزور التي تجاب من البرازيل. ويمكن استخدام العقل (بضم
 العين وفتح القاف) في زرعها بعد أن تنبت وتشتد في مصر. انتهى ما أردته من الجريدة المذكرة

بهجة العلم

في قوله تعالى أيضاً - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فلما أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت
 إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير -

يقول الله تعالى في أول هذه السورة - كتاب فصلت آياته - ويقول في سورة أخرى - يدبر الأمر
 بفصل الآيات لعلمكم بقاء ربكم توقون - ، إذن الايقان بقاء الله تعالى مرتب على تفصيل الآيات ، ذلآيات
 المضلات في هذه العوالم هي التي تعطينا اليقين ، واليقين هو الذي لا يعتريه شك ، فهل لك أن أريك اليقين
 في هذه الآية بينك حتى تجسكن من نفسك كنص الآية ، وتعلم إلى أي مدى وصل هذا القرآن اليوم ،
 وهل تفصيل الآيات المورث لليقين إلا ما قام عليه البرهان أو ثبت بالمناسبة . فهاك (عجبتين في إحداهما)
 من علم الحيوان ، والأخرى من علم الأرواح

(الحجبة الأولى التي هي من علم الحيوان)

جاء في كتاب (بول بيرت) العضو بالأكاديمية العلمية وأستاذ السربون وزير المعارف العامة بفرنسا
 المرحوم بقلم زوجته الاسكتلندية إلى اللغة الإنجليزية (وقد نقلت عنه في هذا التفسير كثيراً) فقد جاء فيه في
 صحيفة (٧٩) و(٨٠) تحت عنوان «أفاسوريا» ما نصه :

«إني سأريك نبأ عظيمًا عن مخلوق مدعش غريب يختلف اختلافاً كثيراً عن سابقه ، وأين يكون هذا
 الحيوان ؟ إنه يكون فيها تمامه النفوس وتحقره العيون مما يكون على جسم الحيوان الذي فسدت جثته
 بالتعض والنبات للمقي للزدرى ، وهذه المخلوقات أكثرها يسمى في علم النبات باسم (أفاسوريا) وسترى
 صورته قريباً . ولكن هناك حيوانات ليست منه عجبة الأشكال ومع ذلك ليست قليلة الفائدة . انظر إلى
 هذه الزجاجة التي فيها الماء التي أحضرت فيها بعض اليريس (أي مثل البرسم الجاف المعروف في بلادنا)
 أمسك الزجاجة واجعلها بينك وبين ضوء الشمس حتى ترى بوضوح وتفصيل كل ما تحويه ، أنت ترى فيها

أشياء صغيرة تتحرك في الماء (انظر شكل ٤٣ الآتي قريباً) . إن النظار الزجاجي يمسك فلداً أن تقيس هذه المخلوقات بطريق أوضح ، ولكن (المكسكوب) يجب الاستعانة به لتكوين الرؤية أ كمل ، إن هذه كأنها قطا غير متميزة صورها ، وفي الحقيقة هي حيوانات تعيش وهي آلاف مؤلفة ، هانت ذا ترى في الزجاجة حيوانات صغيرة ذات صور مختلفات وأشكال متباينات بعضها قد صغر جدا ، وليس يظهر لها لموتنا إلا آلات الزجاجة المكبرة بمقدار عظيم جدا ، وآلاف مؤلفة منها تعيش في قطرة ماء . وهنا أخذ يسأل التلاميذ قائلا : من أين جاءت كل هذه الأشياء اللاتي أعشت أبصاركم ؟ ثم أجاب قائلا : إنها جاءت من العصف المأكول والتبن والبريس . ثم قال : كيف كان كل هذا ؟ وأجاب بقوله : هذه المخلوقات جافة كأنها يابس فمى تعيش هكذا وهي بهيئة طحلب لا يشعر به فوق سقف المنازل وهي جافة أثناء الصيف ، فإذا نظرتنا بالآلة المكبرة فاعلمنا تظهر لنا هيئ حبوب صغيرة من رمل أخضر ، ولكن إذا أنزلنا عليها قطرة ماء وهي على هذه الحال فانتنا نراها قد تحولت حالا وامتد جسمها وأخذت تبحث عن رزقها وما به حياتها ، فإذا غاض ماؤها أو صار بخارا رجعت خامدة لا حركة لها ، جامدة لا حياة لها كما كانت من قبل مترتبة هطول آخر من الماء ينزل عليها فتحيها به . هذه مخلوقات عجيبة ! ألسن ترى ذلك ؟ وهذه تريك أن أعظم ما يستر النفوس وأبدع الجباب ليس خاصا بالحيوانات الكبيرة (انظر شكل ٤٣ و ٤٤)



(شكل ٤٣)

(ألسوريا) لارى بالمدن المجردة
وقد طشت في قطرة من الماء الأسن



(شكل ٤٤)

حيوان الكثرى وهو لارى بالتين المجردة

المعجبة الثانية التي هي من علم الأرواح

نذكر في هذه المعجبة ما جاء في إحدى المجلات العلمية وهي مجلة « كل شيء » بعدد ٢٣٤ في يوم السبت (٣) مايو سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

توفيق دوس باشا يخاطب روح والده زبهرته لكية علم الأرواح في لندن

لما سافر الوفد الحكومي المصري الرسمي إلى لندن برئاسة عدلي يكن باشا لمفاوضة الحكومة البريطانية في حل المسألة المصرية . رافق الوفد يومئذ معادة الاستاذ الكبير توفيق دوس باشا بصفة مستشار قضائي وسعادة شريف صبرى بك وحضرة الاستاذ عبد الملك حجة بصفه سكرتيرين . وبعد وصول أعضاء الوفد الى لندن بقليل أخبر الاستاذ عبد الملك حجة صديقه توفيق دوس باشا وشريف صبرى بك انه من المهتمين بدرس علم الأرواح وأنه يرد أن يدعوها الى زيارة « كلية علم الأرواح » التي تديرها المسز سيد ابنة المستر وليم سيد الصحافي الانجليزى المشهور الذى غرق في الباخرة « نيتانك » في سنة ١٩١٢ فسأله عن هذه الكلية وأغراضها فقال لها انها معهد علمي يؤتمه الأشخاص الذين يأنسون في أنفسهم قوة الوساطة فيمتحن المعهد هذه القوة فيهم بين الأرواح التي في الآخرة وسكان هذا العالم ممن كثيرين من العلماء الذين

يشعانون بمل الأرواح يرددون على هذه السكينة لاجراء تجاربهم العلمية فيها فهي ليست والحالة هذه دارامن دور الصب التي يدخلها بسطاء العقول ليدفعوا جنبها أو جنينين مقابل (مخاطبة الأرواح) وهنا ندع الكلام لتوفيق دوس باشا لكي يصف لنا زيارته لتلك السكينة ، قال :

ولما سمعت هذه المعلومات من الأستاذ عبد الملك حزة تولت في رغبة في زيارة كلمة علم الأرواح لأميط الثام من حقيقة ما كنت أعتقدته بتجسيدا ، فرافقتي حضرته إليها ومحبنا شريف صبرى بك ولما بلغناها قدعنا للسزستيد فطلبت منها أن نحيثنا الى وسيت من القادرين على مخاطبة الأرواح فمرقتنا بشخص اسمه المستريتر ولما اختلينا به طلب إلى أن اضمر الشخص الذي أريد أن يستحضر لي روحه بدون أن أسر اليه باسمه فاضمرت والى بجلس الرجل على كرسى أمامنا وماهى الاثون قليلة حتى أخذت عضلات وجهه وشرايين حلقه تنفتح انتفاخا ازيجي منظره ثم لم يلبث أن نام نوما هجيا وأخذ يتكلم باللغة الإنجليزية وهى اللغة التي كان والى يجملها تماما فقال لى : «أوالله» قلت له «ومادليك على ذلك ؟» قال «أنا أطول منك قليلا» قلت : (هذا لا يكتفى) قال (وأخف قليلا) قلت «وهذا لا يكتفى أيضا» قال (ولى لحية خفيفة لعب الشب يجره منها) قلت له (وكيف انتقلت إلى العالم الثانى ؟) فقال . (بعملة عملت لى هنا) (وأشار الى مكان الأعماء والمئات والكبد) قلت له . (هذا لا يكتفى) فقال . (عملت العملية طيبان وفى أثناء انهما كهما بعملهما دخل عليهما طبيب ثاك وعاونهما . ولما اتوا من مهمتهم قالوا لكم ان العملية نجحت ولكنى توفيت فى اليوم التالى) قلت . (وهل تعلم لماذا نحن فى لندن ؟) فقال (لأجل مسألة كبيرة) وفتح ذراعيه على وسعهما قلت . (وهل تنجح فيها ؟) فقال (كلا وبجاني سيدة تزاحنى لى تخطبك بدلانى .) وهنا أخذ الوسيط يتكلم بلسان هذه السيدة فوصفت نفسها وصفا يبطى تماما على همه زوجتى قلت . (وهل لك أولاد ؟) فقالت لى . (ابن وابنة) قلت . (وهل هما بيدان عنك ؟) فقالت (بني وبينهما بحركبير) قلت . (وهل هما فى مصر ؟) فقالت . (كلا)

قال لنا توفيق باشا . (ولذا استثنينا هذا الجواب الأخير (أى هل هما فى مصر فأجابت كلا) فان جميع الأجوبة السابقة والبيانات التى تضمنتها تطابق الواقع . وقد عزوت ذلك فى بدى الأمر الى مايسمونه علم قراءة الأفكار وقلت فى نفسى ان هذا الوسيط له قوة قراءة أفكارى فيسترددها على الاجابة على أسئلتى ولكن هذا الاعتماد زال عنى لما قال لى الوسيط . (ان هناك سيدة تزاحم والى لتتكم مى) فانتى لم أكن أفكر قط فى عمة زوجتى ساعتئذ لى قال ان الوسيط قرأ أفكارى فى صحتها أيضا ولذلك لأعرف كيف أهل هذا الحادث على الإطلاق

ومضى توفيق باشا فى حديثه معنا فقال . (وقيل لى بعد ذلك ان فى السكينة وسطاء لهم قوة استحضار وجوه الأرواح بحيث يستطيع تصويرها بالقوتوغرافيا فنحبت الى السكينة فى يوم آخر مع شريف صبرى بك وعبد الملك حزة بك وأخذت مى زجاج التصوير (البلاك) متعالكل تلاعب ولما قابلنا المستريتر قلت لها . انى أريد تصوير وجه والى) فقادت الى أحد الوسطاء القادرين على استحضار وجوه الأرواح فدعانا الى قاعة طليت جدرانها باللون الأبيض وأجلنا على ثلاثة كراسى متلاصقة وأخذ يرتل بعض الصلوات والأناشيد الدينية ثم فتح آلة التصوير وصورها ولما انتهى من عمله أخذت زجاج الصورة وكان شريف بك قد وقع عليها بامضاته لتلا تسبدل بلاوة غيرها وعينت بتعريضها فى محل للتصوير بأشرافى فاذا بالصورة التى ظهرت فيها تختلف عن ملامح والى تماما فقصت فى الفد الى المستريتر وقلت لها : (انكم تسخرون منا فان الرسم الذى ظهر فى الصورة ليس رسم والى) مطلقا فقالت «قد يحدث ذلك أحيانا ويكون سببه أن شخصا أقوى من والدك على تصوير نفسه بواسطة الوسيط تزاحه على الصورة فينجم عن ذلك أن يظهر رسمه بدلا من رسم والدك

فقلت لما : اتى سأعطيك الآن فرصة أخرى لإقامة الليل على صحة كلامك فيه يا أستاذ الوسيط ولما لم يمتحنه
قلت لهم (اغلقوا الباب) فأغلغوه فنالتهم زجاج التصوير فوضعه في الآلة الأولى ، فقلت للسترسيد
عندئذ : (اتى سأطلب من الوسيط رسم وجه والده المسترسيد وأظن أنه أقدر الأرواح على تصوير نفسه ولا
يستطيع أحد أن يزاحه على ذلك وقد أمضى حياته في درس علم الأرواح) فأخذ الوسيط يرتل وينشد الاناشيد
الدينية وبعد قليل التقط الصورة ولما حضاها ظهر فيها رسم المسترسيد فجذرت في تعليل هذا الحادث
فقلنا لتوفيق باشا : (هل لاحظتم في أثناء التقاط الصورة أن هناك شيئا غريبا ظهر في القاعة ؟) فقال :
(لا مطلقا) فقلنا . (إذن كيف يظهر على زجاج التصوير رسم لوجود لصاحبه في القاعة) فقال (سألتهم عن ذلك
فكان جوابهم أن عذسة آلة التصوير أقوى من العين جدا وأنها لذلك تستطيع رؤية شبح الروح النبی
لأتراه العين العادية) فقلنا . (وهل أتم واقفون من أنه لم يقع تلاعب في زجاج التصوير ؟) فقال (أنا وأنتي
من ذلك ولا فائدة ، من أن تنعوا أنفسكم بالأسئلة فقد أخذت يومئذ جميع التدابير التي خطرت لي لمنع أى
غش كان) فقلنا له (وكيف تعلمون ذلك ؟) فقال (اتى لأومن بعلم الأرواح ولكنى لأجد تعليلا لما روته
لكم) فقلنا . (ألم تسألوا المسترسيد عن التعليل ؟) فقال . (سألتها فكان جوابها أوجاءك رجل من عشر
سنوات فقط وهال لك أنهم سيخترعون تليفونا لاسلكيا أفلا كنت تقول عنه أنه مصاب بمس في عقله فلماذا
لا يعقل أن تقتنع بعد سنوات بصحة علم الأرواح وحقيقته) وهنادفع البنا توفيق دوس باشا بالصورة التي صورت
يومئذ بحضوره في كلية الأرواح ففشرنا اثنين منها مع هذا الحديث ، وهالك صورتهما . (انظر شكل ٤٥ و ٤٦)



(شكل ٤٦)

توفيق دوس باشا والى يساره شريف مصرية بك
والى يمينه عبدالملك حزه بك ومعهما الرأس الذي ظهر في الصورة
عند استحضار روح والد توفيق باشا . وترى في أعلى إضاءه
شريف بك على زجاج الصورة



(شكل ٤٥)

رأس المسترسيد كما ظهر في الصورة على صورت لروحه بحضور
توفيق باشا دوس

ولما كتبت هاتين الجيبتين حضر صديقي العالم الذى اعتاد أن يناقشنى في هذا التفسير . فقال : وما
يفيدنا في هذه الآية من هاتين الجيبتين ؟ أنت أوضحت لنا في الجيبة الأولى كيف تكون الحيوانات الحقيقية
معدودة بالآلاف في قطرة ماء ، وأنها تموت إذا طارها الماء وتحيا إذا وصل إليها ، قلات والحياة يتناوبانها ،
وقصص علينا في الثانية نأ رجل مصري في البلاد الانجليزية خاطب والده الميت واحدى قرياته واحترس
أشد الاحتراس في المحاورات وفى أخذ الصور وتصويرها . فأى علاقة لذين بالآية ؟ الله تعالى يقول - ومن

آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى الله على كل شيء قدير . فقلت : إن هاتين الجيبتين مناسبتان للآية أشد المناسبة . لقد تجلى في الهيبة الأولى أن الحياة شاحسة أمامنا في كل ما يحيط بنا . فهذه الأوراق والخشب والوقود وكل ما يحيط بنا خلق به مواد لانهاية لها . وهذه المواد الدقيقة لمجا إذا جاءها الماء وتفرق الحياة إذا تحلى عنها . إذن الموت وحياة في المواد المحيطة بنا كالنوم واليقظة ، غورها وحياتها أشبه شيء بنوم النحل والزنايم مدة الشتاء واستيقاظها في زمن الربيع ، وهكذا نوم أمثال الحيات والثعابين شتاء واستيقاظها في زمن الربيع وبعض السمك في الطين إذا جف وفي الثلج إذا تراكم عليها ثم تقوم هذه إذا نزل الماء على الطين وذاب الثلج . ولقد تقدم في آخر سورة الأعراف أن بعض حبوب القمح تحتوي على أكثر من عشرة آلاف حيوان ، نجف هذه الحيوانات بعض العلماء وبعد التجفيف نذأها بالماء فرجعت لها الحياة ، بل تمادى العلامة (بيكر) فتشقى القمح بالماء بعد ما جف (٢٨) سنة فرجعت الحياة ، وقد جزم العلماء بأن تلك حياة جديدة . إذن الحياة والموت أمران عاديان حولنا ، وهذه الحيوانات التي لا تراها تموت ثم تبتث ثانيا والحياة والموت عندها أمران عاديان (وعبرة أخرى) إن الموت ليست له تلك القيمة والخاف التي جسمها الانسان

هذا ما نراه في تلك الحيوانات المحيطة بنا الصغيرة . وهذه الحال بعينها هي حالنا ، فإذا رأينا الحيوانات الضعيفة نموت ولا حرج بين الموت وبين الحياة إلا شفاف رقيق ، هكذا رأينا الأمر بالنسبة لأفئسا نحن ، يعيش الانسان أمدا ما ويكون له أصدقه وذرية فيموت أو يموت أهله أو ذريته أو أصدقه فيخلع اليأس قلبه قائلا « إني مفارقهم الى الأبد » فنسمع أولا أرباب الصياد وكبار الفلاسفة يقولون كلا . لا موت وإنما هو نوب زرعتموه وبستموا بآخر ، فيشك أكثر الناس ويقولون كلا . لم ريثنا من ذلك فاقضت الحكمة أن تخضر الأرواح فتظهر فيشك قوم أيضا ، فيبحثون حتى يصل بعضهم الى الحقيقة فيطمئن لها ويبقى آخرون حتى يعرفوا أن نتيجة القارورة والماء الذي فيها في الهيبة الأولى وحضور الأرواح في الهيبة الثانية واحدة ، ومعنى ذلك أن الانسان لا يموت لأن روحه المتصرفة في جسمه هي التي تبقى بعد الموت في جسم شفاف كجسمه الحالي لأن هذه الأجسام التي نعيش بها أنوار متراكمة قد أظلمت بهذا التراكم ، فإذا تركنا هذه الظلمات رجعنا الى أنوار أخف منها ولكن على هيئة هذا الجسم فصرنا في حالة إطلاق لاغير ، غاية الأمر أن هذا الجسم الذي هو مرسئنا يكسبنا العمل به نتائج نراها في حياتنا في الجسم الآخر اللطيف وليست هذه الظاهرة التي قدمناها في الهيبة الثانية فريدة في بابها ، فلها نظائر تعدد بالآلاف المؤلفة ، وكما في عالم الأرواح من عجائب ، وأن هذه الروح التي حلت على روح ذلك المصري وظهرت صورتها في الصورة روح من الأرواح المتأخرة لأن هذا فعل صياني لا أثر للعقل فيه ، فقد ظهر عند العلماء اليوم أن الأرواح السخيفة في هذه الحياة هي أنفسها سخيفة بعد الموت وطأ ربع درجات مشروحات في كتابي «الأرواح» ولعلك ترى هذا المقام مشروحا في آخر (سورة الاسراء) . فالروح السخيفة الطفلة في الدنيا هي نفسها السخيفة السمجة بعد الموت . وقد ثبت بظهور نفس صورة (استيد) المتوفى نبوتا لا يشك فيه من صدق الخبر به أن الأرواح تكون بموتها بعد الموت ويعرفها الناس في الدنيا . أي أن الأرواح بعد الموت تلك الهيئة البدنية لا أقل ولا أكثر . وبالاختصار ان العلم الآن قد قرب لنا مسافة الحياة بعد الموت لنفهم سر قوله تعالى . ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير . وذلك ليرى قلوبنا من مخاوف العلم المحض . فالحياة إذن مستمرة والسعادة بالأعمال الصالحة . كتب صليح يوم الخميس (٨) مايو سنة ١٩٣٠ . وبهذا تم الفصل الأول من اللطيفة الخامسة

إيضاح لما تقدم

م حضرت عتدی صدیقی العالم الفی اعتاد ان یجادنی فی هذا التفسیر . فقال : قد شافنی حدیثک فی الخرافات الخافیة البقیة ، وأیجی ما شاهدته منها الآن فی الرسم والشرح ، فهل تشرح صدری بالافاضة فی هذا الموضوع فانه جیل . فقلت : إن أكثر النبات هو الماتراء ، وماتراء قلیل بالنسبة لما لاتراء . فقال : فهل تری بعض الماتراء بالین المبردة ؟ فقلت : انظر شکل ٤٧ وشکل ٤٨ وهذه صورتها

فقال ما هذا ؟ فقلت هذا هو أصغر نبات وهو مركب من خلية واحدة . فقال ما معنى خلية ؟ قلت الخلية لها :

(۱) غشاء رقیق محیط بها

(٢) وفي داخلها مادة تسمى (البروتوبلازم)

(٣) وفي هذه الثانية نواة هي أصل الحياة

يقال : هي إذن أشبه باليخة لها قشر ولها (شكل ٤٧) (شكل ٤٨)

ياض ولما ح وهي المادة الصفراء ومن هذه يكون الفرخ . قلت : والله قد أصبت المحر ونظقت بالصواب ،
ما الخلية التي أمامك إلا بيضة ، حسن جدا . فقال : إذن هذه اليضات التي يسمونها خلايا التي هي أمامي
الآن ومنها الكروية والحلزونية والصبوية هي أصفر الأحياء في العلم . قلت : كلا فإن هناك ما هو أصفر منها ولم
يدركه الناس . فقال هجاءا قلت لا تنجب فإن المناظير القريبة لما رصت الكواكب العظيمة ، ورأت أن
المسافات في البعد قد وصلت إلى مئات الملايين من السنين في بعد الكواكب عنا أخذوا يخزعون مناظير
مقربة بحيث يكون قطر عدسة المنظار (٢٠٠) بوصة ، وسيتم قريبا ، ومتى تم يجبرون من الكواكب
ما لا تحمله الآن . فلهام أولاء لم يصلوا لأقصى ما هو عظيم و بعيد كما لم يصلوا إلى أصفر ما هو قريب ، وكما عرّفوا
مخلوقا منها بعشوا عما وراءه ، وهذه الخلايا النباتية التي أمامك تصل في الصفراء واحد من آلاف من المليمتر .
وقد قلت لك أن هناك ما هو أدق من ذلك والمناظر العظيمة لم تستمع رأيته . فقال : أت قلت أنها نبات . قلت
نعم . فقال النبات يتنفس ويخمر وينفخ ويتوالد . قلت : هذه تغذي بالسوائل والغازات وتعيش في كل
مكان ، تعيش في الهواء وفي الماء وفي التراب ، فهي مقيسة على العوالم التي حولنا والتي في الهواء تنفّس
منه والتي في غيره تستخرج منه محتاجه ، ومنها ما تغذي بأجسام حية تسمى طفيلية ، ومنها ما تعيش على
الأجسام العضوية غير الحية فسمى (الزيمية)

وأما التي تعيش على مائيس مادة عضوية فانها قليلة ، وأما توالد هذه الأنواع فاما يكون بالإقسام تنى وجمت أفرادها مايلأئها . فقال : يظهر لى أن النبات المعلوم لنا كالقمع والقطن أسرع نمواً من هذا . قلت كلا . فقد قال العلامة فيشر : « إذا تكاثرت بيضة واحدة أى خلية واحدة فى مكان ملائم فانها تنتج فى مدة (٢٤) ساعة (١٠٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠) ويبلغ زنة هذا نصف مليون رطل ، فقال : يا عجباً هذه الخلية التى أملى أثنى لاتزيد عن واحد من الألف من المليجر تتكاثر فى ٢٤ ساعة فتصير نصف مليون رطل أعنى خمسة آلاف قنطار . قلت نعم . فقال : إذن اذا كانت فى الماء والهواء والتراب فعنى هذا أن هذا الموت يحيط بنا من كل مكان . فقلت نعم والحياة ، فى هذه الخلوقات منافع ومضار . فقال هل هذه تتحمل الحر ؟ وايد كائنات للحرارة . فقلت انها أقوى منها . فقال وكيف ذلك ؟ فقلت انها اذا كانت فى

حالة حياتها تتحمل البرودة تحت الصفر إلى الدرجة التي يصير فيها الهواء سائلا وهي درجة (١٩٠) تحت الصفر ، ومعنى هذا أننا كما نرى البخار إذا قلت حرارته صراما ودرجة حرارته فوق الصفر ، هكذا إذا زل الهواء تحت الصفر إلى درجات تبلغ (١٩٠) فإنه يصير سائلا ، فهذه الخلايا التي تعيش بيننا لا تموت في هذه الدرجة ولكنها لا تتحمل الحرارة أكثر من (٥٥) درجة فوق الصفر ، فهي إذن ذات قدرة عظيمة فوق قوة النبات والحيوان المعروفين . فقال : أنت قلت أنها لا تموت في هذه الدرجة ، فهل معنى هذا أنها تكون كالنباتات المعروفة ذات حياة . قلت نعم . فقال : ومتى تموت تلك الحياة . قلت تموت وتفسد أشبه ببيضة السجاجة إذا صادفت وسطا لا يلائمها . فقال : فإذا حصل ؟ قلت يحيط بها غلاف سميك يحفظها كقشر البيضة وهناك تعيش سنين كما تقدم في المثال الأول موضعها وتبقى الحياة كاملة ، ومتى صادفت وسطا مناسباً رجعت لها الحياة ورمت القشرة الحافظة وعاشت حالا كما تقدم . فقال ماصورتها ؟ قلت ها هي هذه (انظر شكل ٤٩)



فقال : وهنا أريد أن تبين كيف تكون هذه ناعمة ؟ قلت لولاها لم تنش على الأرض . فقال أوضح . قلت إن هذه يسمونها (البكتيريا) وهذه منها نوع يسمى (بكتريا التخمر) وذلك أنها هي التي تحلل المواد المركبة للمنبته في الأرض وترجعها إلى عناصرها الأولى ، وبهذا يمكن النبات أن يمتص من الأرض غذاءه . فهذه الجنود المجددة هي التي تعين على نمو النبات . فهي أشبه بالصحافيين والجنابزين لنوع الإنسان عليهم تتوقف حياة كثير من الناس . فقال : والله إن هذا ليجب ! قلت إن النبات كالقطن والقمح لا يستطيع أن يتماهى عنصر (الاوزوت)

(شكل ٤٩)

مثلا وهو من أهم العناصر للكونة للنبات إلا بحالة خاصة وهذه الحالة الخاصة لا تحصل تكوين الجراثيم في البكتيريا إلا بعمل هذه الخلايا في المواد الضرورية للعقدة التركيب . إذن هذه نعمة من الله على الناس - إن الله لا يوفى على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون - وكيف يشكرون وهم يجاهلون . وبهذا ظهر السر في أن هذه النباتات في حال خلودها كما في (شكل ٤٩) تقدر أن تتحمل الحرارة الشديدة وتأثير المواد السامة أكثر من التي هي غير خاملة بل حية ، ويسمون الحية خضرية . والتي خلت يسمونها بالجراثيم . فقال إذن هذه النباتات التي لا ترى تقوم بتحليل العناصر والنبات المعروفة عندنا تقوم بتكوينها . قلت : لقد أخسنت ، فلو لا التحليل وصدقه ما أمكن التركيب . فقال : وهل لها فعل غير هذا ؟ قلت كثير :

(١) بعض أنواعها يكون سببا في الخلل ، ذلك كما قلنا أنه يحيط بنا : فهو يزل في نحو البيذوالجعة فيتمو ويشكك فيكون الخلل

(٢) ولا يمكن دبح الجلود إلا بعد قيام نوع آخر منها بعملية خاصة فيها ، وهذه الزبدة التي نأكلها لا يحسن طعمها ولا راحتها إلا بعد أن يختمر اللبن بنوع من هذه المخالقات الخفية . وهكذا اللبن لن يكون (لبناً زبادياً) إلا بواسطة هذه المخالقات . فهي التي تتكاثر فيه حتى يختمر . إذن هي تخضر لنا غذاءنا كما تخضر للنبات غذاءه

فقال : إذن فاذكري ضررها ؟ قلت هي تدخل أمراضا كثيرة في الإنسان بطرق مختلفة ويجب على الإنسان أن يتقيها وأول من أوتعها الأستاذ (باستور) فيها :

(١) مرض القسم

(٢) والطاعون

(٣) والتيفود

(٤) والتيفوس

(٥) والانتهاب الرئوى وهو السيل

ويدخل للإنسان بالأول من طريق الجرح في الجلد ، وبالثاني من طريق البراغيث ، وبالثالث من طريق القمل ، والرابع من طريق الغذاء جريا في القناة الهضمية ، فيكون هناك الاسهال الشديد والسيل الرئوى والتيفود كما قلنا . كل هذا سببه هذه الحيوانات . وبالحامس من طريق الرثين والوقاية من هذه نجب النظافة واستعمال الطهرات والمقومات في الأول ، والنظافة وإبادة الحشرات في الثاني والثالث . وإبادة القباب واستعمال الماء النقي وتقيم اللبن وحفظ الأغذية في أما كن نظيفة وهكذا في الرابع ، وتجنب الأماكن التي فيها التراب ، ومعالجة الزكام والبرد بسرعة ، وتجنب البصق ، والابتعاد عن المرضى ، وتناول الطعام الجيد ، والحفاظة على الصحة بوجه عام في الخامس

فلما سمع صلي ذلك . قال : لقد أحسنت وشرحت صدرى ، ولكن هل هذا نعمة ؟ قلت أجل نعمة فهذا يعطى الناس دروس الجد والاجتهاد في الحياة . فلذا كان بعض هذه الجرائم الخضر والحيوانات الدنيئة تقوم بتحليل المواد الصخرية ليمش زرعنا ويدرك خضرنا فهامى ذه بعضها تقوم بتقويم العقول وتنمية الملكات وتهذيب الأخلاق ، فهي التي تدعونا لتنظيف أمكنتنا وثيابنا وطعامنا وشرابنا ونكون رجالا نشطين لخدمين . إذن هذه جيوش مرسله من الله لاطعامنا ولأحداث النشاط فيها بسبب مقاومتنا لها ، ومماثل هذه النباتات القوية التي تحلل العناصر لتغذية النبات فتعيش بها ، والتي تحدث الأمراض من طريق الجلد والقناة الهضمية والرة إلا كمثل النحل ودودة الحرير وهكذا الحيات والعقارب فكما أن الحيات والعقارب والحشرات الأخرى نحتنا على تنظيف أقميتنا ومنازلنا وثيابنا ، والنحل ودودة القز تغذيها غذاء وملبسا هكذا هذه النباتات فيها إسمان الضار والنافع ، فبالضار يكون الاحتراس والابتكار والاختراع وتقدم الطب وإنشاء الكليات ومدارس الطب وارتقاء علوم كثيرة ، وبالنافع يكون نمو النبات ومنافع أخرى كصلاحية الزبدة والغل للتعاطى فقال : لقد استوفيت هذا المقام ، فأرجو أن تبين لي هل هذه الجرائم والخلايا النباتية التي شرحتها الآن ذات ألوان كالنباتات المعروفة ؟ فقلت هي ثلاثة أقسام ، أقسام منها لا لون لها ، والثالث له لون وهو الطحلب والذان لا لون لهما أحدهما يسمى الفطر والثاني يسمى البكتريا ، فخال

البكتريا ما ترى في (شكل ٥٠) التي أمامك الآن



هأنت ذا شاهدت القعد المحيطة بهذه البكتريا القعدة ، أتمرى من أين أتت هذه القعد ؟ أت من تلك الجرائم ، فها تعيش وتتكاثر فوق النبات وتغذى بطعامين اثنين : طعام هو الكربون الذي في الشجرة ، وطعام هو الاوزون الذي هو أحد أجزاء الهواء فلا يزال يتكاثر حتى يموت بانهاء آجاله ومن الذي يرث هذا الميت ؟ يرثه نفس هذا النبات الذي قبله في ضيافته خل بساحته ، فإذا يجد ؟ يجد النبات عند حصر التربة ، يجد أن الكربون الذي تمثل في جسم تلك النباتات الصغيرة موفرا بحاله ومعه أمر آخر وهو الاوزون الذي حصله ذلك الضيف من الهواء وهو كان قبل ذلك محتاجا اليه ليقوى به . إذن هذه النباتات ناقضت للنبات من جهة ومن جهة أخرى تكسب الأرض خصوبة بإضافة أوزون جديد الى تربتها

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : أود أن توضح لي مسألة الطحلب . فقلت سأريك الآن العجب العجيب في مسألة الطحلب . وذلك ما استراه من الأشكال البديعة في الصفحات التالية . فهناك ما جاء في كتاب «علم النبات» وهذا نصه

(شكل ٥٠)

رسم القعد التي تشاهد على جذور النباتات البقلية

الطحالب

الطحالب نباتات ثالوسية مركبة من خلية واحدة أو من خلايا عدة ، وهي بسيطة التركيب لا تتميز فيها جذوراً وسوقاً وأوراقاً ، ويحتوى خلاياها على مادة الكلوروفيل ، وتعيش في الماء المالح أو العذب ، والقليل منها يعيش في التربة أو على جذوع الأشجار والطحالب أهم غذاء للأسماك ، ويستخرج من بعضها اليود والبوتاسا ، ولدراستها أهمية عظيمة من الوجهة العلمية إذ أنها في بساطة تركيبها وطرق معيشتها تساعد على تعرف طرق معيشة النباتات المائية ، ومن المتفق عليه أن الكائنات الحية نشأت في الماء . والطحالب على أنواع تختلف في ألوانها وأحجامها :

(الطحالب الخضراء) تعيش طافية على سطح الماء أو مثبتة على الصخور الواقعة على الشواطئ معرّضة للضوء . وهي في الغالب صغيرة الحجم . وحيدة الخلية . أو كثيرة الخلايا . مكونة خيوطاً متفرعة أو غير متفرعة أو مستعمرات (انظر شكل ٥١ و ٥٢ و ٥٣)



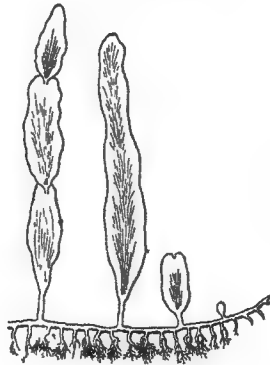
(شكل ٥٢)

مستعمرة من الطحالب الخضراء



(شكل ٥١)

طحالب خضراء وحيدة الخلية



(شكل ٥٣)



(شكل ٥٤)

طحالب زرقاء مخضرة

طحالب أخضر وحيدة الخلية أعضاؤه تشابه أعضاء النباتات الراقية

(الطحالب البنية) تعيش على عمق يسر من سطح الماء . أوطافية عليه . ومن هذه أنواع مركبة من خلية واحدة يحيط بها هيكل سيليسي (انظر شكل ٥٥) وعند موتها ترسب هياكلها وتتكون منها طبقات سيليسية



شكل ٥٥ - طحالب بنية وحيدة الخلية (دياتومات)

وفي الغالب تكون الطحالب البنية مثبتة على الصخور الموجودة على مستوى ماء الجزر فتعرض للضوء مدة الجزر وتختفي قليلا مدة المد . وهي تختلف في أحجامها من طحالب صغيرة الى طحالب كبيرة الحجم (الطحالب الحمراء) تعيش على أعماق كبيرة من سطح البحر . وأغلبها صغير الحجم خيطي التركيب . وكل الطحالب على ألوانها المختلفة تختوى على مادة الكلوروفيل ولكنه يوجد في الطحالب البنية والحمراء فضلا عن الكلوروفيل مواد ملونة تعنى لونه الأخضر

ومن الطحالب ما يماثل النباتات الزاقية في وجود مثبتات لها تشبه الجذور يعلوها جزء اسطواني يشبه الساق ويخرج منه ما يشبه الأوراق . وقد يباغ الواحد منها أحيانا حجم شجرة كبيرة . وتتكاثر بعض تلك الطحالب الكبيرة كالسرجاسوم (انظر شكل ٥٦) في مناطق معينة . منها منطقة في المحيط الأطلسي تعرف ببحر سرجاسو . وإشدة تكاثرها وكبر حجمها تعدّ خطرا على الملاحة في هذه المنطقة . وبعض الطحالب الحمراء يفرز هيكلا خارجيا من كربونات الكالسيوم يحيط به ويساعد على تكوين الشعب المرجانية (انظر شكل ٥٦)



(شكل ٥٦ - السرجاسوم : أحد لطحالب البنية الكبيرة اللحم)

الفُطر

الفطر تشبه الطحالب في بساطة تركيبها . غير أنها كالبكتريا خالية من الكلوروفيل . ولا نعدام الكلوروفيل فيها تأثير كبير على طرق معيشتها . فهي غير قادرة على تمثيل الأغذية غير العضوية . ولذلك تحتاج الى مواد عضوية مجهزة . وتقسم الفطر بالنسبة لمصدر غذائها الى قسمين :

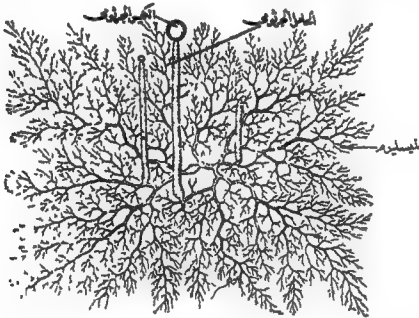
(١) فطرية وهي التي تتناول غذاءها المجهز من المواد العضوية الميتة . وهذه الفطر أهمية كبيرة في الطبيعة إذ أنها تساعد البكتيريا على تحليل المواد العضوية الميتة وتحولها إلى مركبات بسيطة . وبعضها يسبب فساد كثير من المواد الغذائية . فتفطن الخبز والمربات كثيرا ما يتسبب عن إصابة هذه المواد بأنواع مختلفة من الفطر

(٢) فطر طفيلية . وهي التي تتناول غذاءها من (بروتوبلازم) الكائنات الحية مباشرة . ومنها ما يصيب النباتات فيسبب لها أمراضا مختلفة قد ينجم عنها خسائر فادحة في المحاصيل الزراعية

ومن الفطر ما يصيب الحيوانات والإنسان . والقترع مثلا يتسبب من إصابة جلد الرأس بنوع من الفطر الطفيلية . والفرق بين الفطر الرمية والفطر الطفيلية غير واضح في بعض الأحوال لأن بعض الطفيليات قد يستمر على التغذي من عائله بعد موت ذلك العائل كما أن بعض الفطر الرمية قد يتحول إلى طفيليات في ظروف خاصة

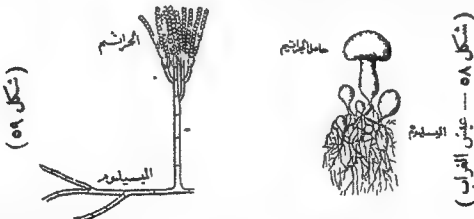
(تركيب الفطر)

يتكون جسم النبات الفطري إما من خلية واحدة كالخميرة . وإما من أنابيب رفيعة كثيرة التفرع تسمى كل منها (هيفا) ومجموعة هيفات الفطرة الواحدة تعرف بالميسليوم كما في (شكل ٥٧) وقد تكون الهيفات مقسمة بجواجز عرضية (شكل ٥٨) أو غير مقسمة (انظر شكل ٥٩)



(شكل ٥٧)

وقد تتكاثر هيفات بعض الفطر وتلتصق فتتكون منها كتلة تشبه أنسجة النباتات الراقية كما هو الحال في «عيش الغراب» (انظر شكل ٥٨ و ٥٩)



﴿ جال العلم في قوله تعالى - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة - مع قوله تعالى - وقتر فيها

أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين - ﴾

سبحانك اللهم شملتنا بإحسانك . وبهرتنا بجمالك . ونحن إلى جالك أشوق . وإلى علمك أكثر بهجة

وأفرح قلوبا

سبحانك يا ربنا تقول - وقتر فيها أقواتها - . فأخذنا نستقرى هذه الأقوات . فوجدنا الحبوب وجدنا أن

أسبغها هي للمشرقات الجبيبات من الشمس والكواكب والأقمار . أدركنا الطرف إلى تلك المشرقات فأقويتها

لائقنا تلقى الأشعة والأنوار على أرضنا الجلية البهجة الحسنة . ووجدنا أن حركات تلك المشرقات لها حساب

لاخلل فيه ولاخطأ ولاخلل . ورأينا صيفا وشتاء وربيعا وخريفًا وليلًا ونهارًا كلهم بحساب . ثم إن الأنوار

الواصل إلى الأرض مختلفات ضخما وقوة باختلاف ذلك الحساب . وعلى مقتضاه وجدنا النبات في الأرض فقلنا

لعل الحساب في تلك الكواكب وحدها . أما النبات فلا حساب فيه . بل هو خارج بمقتضى المصادقة . ولكنا

لما نظرنا في أمر النبات وأخذنا نستقرى أنواعه وأجنسه وجدناه بحساب إذ رأينا موضوعا أيضا بدقة لأنه

مجعل للبقاء الحيوان والإنسان . والإنسان محتاج في اليوم واليلة من الغذاء إلى مقدار أقله نحو نصف كيلوجرام

وأكثره نحو كيلوجرام . وسيأتي تفصيل هذا المقام في أول ﴿ سورة الجاثية ﴾ فراجعه ولا تتوكل إلا على

التفصيل هناك

رأينا أن الإنسان محتاج إلى نوعين من الطعام : نوع هو مواد عضوية مركبات من مواد نشوية ومواد

دهنية ومواد زلالية (آزوتية) . ونوع هو مواد غير عضوية كالأملاح المختلفة والماء . والجرام من المواد

الدهنية يسل الجسم حرارة تولد نشاطا فيه وحركة . وتلك الحرارة لها وحدة يسمونها (كالورى) أو (سعر)

ومجموع ما يحصل من جرام الدهن (٩) كالورى . وما يكون من جرام النشاء (٤) كالورى . وما يكون من

جرام الزلال (٤) كالورى ، فإذا كان في الطعام (٣) كالوجرامات من كل واحد جرام كان فيه (١٧)

كالورى (سعر)

﴿ غذاونا لا بدّ فيه من موادّ دهنية ، وأخرى نشوية ، وأخرى زلالية ﴾

فالدهنية كالزيوت ، والنشوية كالأرز ، والزلالية كالبيض واللحم وهكذا ، فهذا الذى نحتاج إليه في

طعامنا ألفينا في النبات وفي الحيوان ، ثم وجدنا نسبة مختلفة ، فتارة يكثر الزلال ، وتارة يكثر الدهن ، وتارة

يكثر النشاء ، ولنا أحوال مختلفة من صحة ومرض وضعف وقوة وعلى مقتضاه تختلف أطعمتنا ، فتارة نكثر

من النشاء . وتارة نكثر من الدهن . وتارة نكثر من الزلال . ثم اتينا لمبحثنا النبات وجدنا هذه فيه بنسب

مختلفة أيضا فعرفنا أن هذا حسابا موضوعا بدقة لنستعمل ما يوافقنا منه بهذا التروى والبحث والتثقيب . وهناك

ملاحظات :

﴿ الموادّ النشوية ﴾

رأينا المادة النشوية تكثر في الارز والقمح والبرلة الناشفة والقول الناشف واللوية الناشفة

والعس والبلح الناشف . فهذه الأنواع التسعة يكون النشاء فيها من نصفها إلى ثلاثة أرباعها . وزر الكرنب

والطماطم والسبانخ والحمص وكشك المار والخبز والشام والبطيخ والبرتقال والليمون فيها أقل من

عشرة في المائة مواد نشوية . وزر القول السودانى والتفاح والكمثرى والحوخ والتوت والعنب واللوز

والتين واللوز والبندق والجوز وأبوفروه وجوز الهند والفندق والصنوبر . كل هذه فيها النشاء أكثر من

عشرة في المائة .

(المواد الدهنية)

ونرى المواد الدهنية تكثر في القوز والبندق والجوز والفسدق وجوز الهند والصنوبر فهي في هذه أكثر من النصف . ونرى الدهن في الديك الرومي والأوز والضأن والبقري والقول السوداني والبيض أكثر من عشرة في المائة . ونراه في القمح والقمره والبلن والبطاطس والبطاطة واللوبية الخضراء ومما أشبه ذلك قليلا جدا

(المواد الزلالية (الآزوتية))

أنا نرى للمواد الزلالية في الديك الرومي والأوز والفراخ والضأن والبقري والصنوبر والفسدق والجوز والبندق واللوز والقول السوداني والعسل واللوبية الناشفة والقول الناشف والبرلة الناشفة في كل هؤلاء أكثر من عشرة في المائة . ونراها أقل من عشرة في المائة في البرلة المفضرة وفي الكرنب والطماطم وهكذا عجباً ياربنا : وزنت سيراثيرات . وأدهشتنا بعمق تلك . ولكنك في خلق الحيوانات والنباتات وجبنا حسابك حركتها مضاعفاً . فأنك جعلت أجسامنا مركبة من مواد دهنية ومواد آزوتية ومواد نشوية . ونفس هذه المواد وجدناها بمقادير مختلفة . ثم سمعناك تقول في كتابك - وقترفيها أقواتها -

يارب تبارك وتعالى . تبارك للجهالة . تبارك للجهال . يسمع السلم - وقترفيها أقواتها - فتمر عليه الكلمة غالباً كأن لم يسمعها . أواه لأم الاسلام النافعة . أمم يدبروا القول إذ جاءهم !

إن هذه المآكل كل قد وزنتها الأم حولنا ونظروا فيها نظرهم . فهل يبقى للمسلمون مكتوفي الأيدي . إن المسلمين بعد انتشار هذا التفسير لجولة ودولة وصوله وإسعاده لنوع الانسان . هذه النباتات طلاس وألغاز لا يعلمها إلا علماء جيع النوع الانساني لا يفسه . والمسلمون يلفون نحو الخمس أو الربع من نوع الانسان ، فليهم أن يقوموا بما عليهم حتى اذا درسوا ما أنتجته قرايح آبائهم . ثم ما أنتجته قرايح الأمم المتأخرة بعدهم قاموا إذن بنصيبهم من البحث في الأغذية وأتواها قليلاً بحق قوله تعالى - وقترفيها أقواتها - إذ وضعها بوضع مقتر فكات للمواد النشوية والمواد الأزوتية والمواد الزلالية كل منها له نسب خاصة في المواد العضوية وذلك لاختلاف الآكلين والأمنجة والأمكنة والأشخاص ، وذلك يعوزه كثرة البحث والتقيب حتى تكون هناك نتائج بها يخص لكل قبيل ولكل امرئ ما يناسبه زماناً ومكاناً ، هنالك تقل الأمراض وترقى العقول وتعدد الانسانية . ولن يتم ذلك إلا اذا ساعد الغربي الشرق ، والشرق الغربي ، في درس هذه الدنيا وظواهرها ورموزها

خطب المؤلف لربه

يارب في القلوب حبك ، وفي العقول شكرك ، وعلى الألسنة ثناءك ، لاسعاده في الحياة إلا بالحب ، ولا حب إلا بعد العلم

تحبك الله وأب والأفهام لأنك تسدى إليها الغذاء ، وتحبك العامة من نوع الانسان لأنك قطعهم من جوع وتغنيمهم من فقر ، وهذا حب تحب عبيد الصا يحسون بحب ساداتهم اذا رفعوا عنهم ضرب الصا ، فهو حب على دفع الألم بعد حصوله ، وهل اللذة إلا بعد الألم . ويحبك بعض آخر من العامة لأنك فوق ما نذبتهم بالطعام ملكتهم منه كثيراً ، وأغنمت عليهم بللاليه الوفير والخيرات والبركات وآتيتهم ملكاً في الدنيا . ويحبك الأطباء لأنهم اطلعوا على أسرار الأغذية وخواصها فشفيتم بها مرضاهم . ويحبك الحكماء وحبههم لك أعلى من حب الساجدين

(تذكرة)

إذا أردت أن تعرف كيف ترتب غذاءك فاقراً ما تقدمت في آخر سورة ص عند قصة آدم عليه السلام .

وفيه أيضا في آخر سورة طه ، وفي سورة الشعراء عند آية - وإذا مرضت فهو يشفين - وفي سورة الحجر وفي سورة الأعراف عند قوله - وكلوا واشربوا - الخ وفي سورة البقرة عند آية - ألتبطلون الذي هو أدنى بالذي هو خير -

انهم يحبونك لذلك الذي ظهرت آثاره في نحو تقدير الأقوات ولرحلتك التي تجلت في عنايتك باستيفاء أنواع أغذية الحيوان ، ولجلك الذي تجلت آثاره في صور النبات وأشكاله وبدائع الحيوان ، ولجلك الذي أمد به القلوب فأجبت الاحسان والجمال والكمال . إن سعادتنا بالحب . ولا كمال للحب إلا على مقدار العلم المحبوب . صلى المسلم فيقول « الحمد لله رب العالمين » ويسبح ويكبر . فبالسبح يتصور أن ذلك المحبوب أرفع من كل ما يعلمه . وبالتحميد يتذكر إحسانه وعلمه فيزداد حبه . وبالتكبير يفسى كل مخلوق ويفرح بذلك الوجود الأكل ، وهناك فهم - وإذا رأيت ثم رأيت نعيًا وملكا كبيرا -

بازدياد العلم يزداد الحب . وبازدياد الحب تزداد السعادة . وأفضل سعادة للعالم هو الحب . وأفضل سعادة الآخرة هو الحب

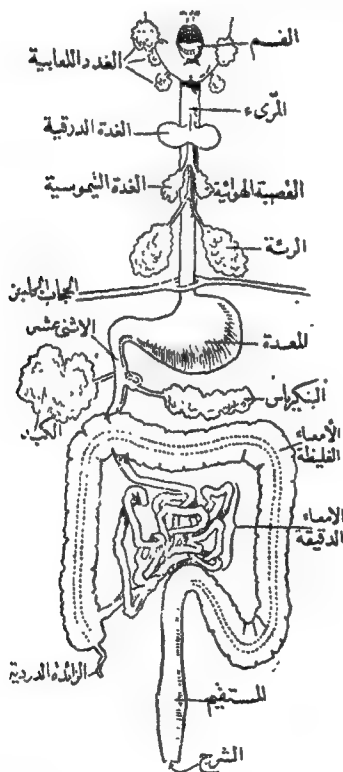
﴿ نور على نور وضرب مثل بما نحن فيه لما يلهب القلوب حبا ويعلمها جلا ويبرها أنوارا ﴾
أريد أن أضرب مثلا ببعض أنواع النبات ونظامها وموافقها للجهاز الهضمي . ياسبحان الله : ترى الانسان يعوزة في اليوم (١٨٠٠) سعر اذا كان في فراشه . وقد عرفنا ما هو السعر فما تقيم قريبا أن الذي يحده في الجسم هو المادة الدهنية والنشوية والازوتية . وهو يحتاج الى (٤٠٠٠) سعر إن كان في شغل شاق والى نحو (٣٠٠٠) اذا كان في شغل متوسط . ولقد عرفنا أن الجرام من المادة النشوية ومن المادة الزلالية يحدث (٤) سعر (كالورى) ومن المادة الدهنية يحدث (٩) كالورى فلننظر في القرة والقمح والسنوبر والفول السوداني : إذا نجد ؟ نجد الجدول التالي

الصفة	ماء	أزوتية زلالية	دهنية	نشوية	القيمة الغذائية للبرطل المصرى
قمح	١٢ر٨	١٠ر٨	١ر١	٧٤ر٨	١٥٦٤
أذرة	٩ر٣	٩ر٩	٢ر٨	٧٩ر٣	١٥٤٧
سنوبر	٣ر٤	١٤ر٦	٦١ر٩	١٧ر٣	٣٠٤٠
فول سودانى	٩ر٢	٢٥ر٨	٣٨ر٦	٢٤ر٤	٢٤٣٤

إنما اخترت هذه الأغذية لأنها تعطينا ضروب التفاوت في مقدار السعر وفي المقادير الدهنية والازوتية والنشوية ، فقد ارتفع الفول السودانى في المادة الازوتية ، والسنوبر في الدهنية ، والقمح والذرة في النشوية وارتفع السنوبر في قيمة التغذية . ويلي الفول السودانى وأقل منهما الذرة والقمح

هذه صورة نظهر لنا مقادير الأغذية في النبات ، إن كل نبات لا يتأخذ من هذه المواد ، ففيها الماء ، وفيها المواد الثلاثة ولكن النسب مختلفة كما أخذت الناس أوطانها وقوى وأجساما وقبائل وعادات فاختلقت النباتات كما اختلفوا . وهنا مدهشات وعجائب : هو أمر الشمس وأمر جذور النباتات وأمر أوراقه والجهاز الهضمي للإنسان مثلا . أليس من العجيب أن الشمس ترسل الأشعة فتساعد تلك المادة اللينة التي تقدم وصفها في (سورة يس) عند آية - سبحان الذى خلق الأزواج كلها - يارب عجا (انظر الموضوع هناك إذ ترى صور لوريات ، ووصف الحشرات في كل ورقة ، وانها تكون مئات وألوف وملايين في الورقة الواحدة والمادة اللينة في تلك الحشرات يساعد ضوء الشمس في اجتذاب الغذاء من الهواء ، ولولا هذا لم يكن نبات) وهكذا

نرى جسد الأشجار والزرع ذات مسام شعرية تختلف فتحاتها اختلافاً على مقتضى اختلاف النبات بحيث تكون الفتحات الشعرية لكل نبات مألحة لاجتذاب وقبول المواد التي يتشمل بها النبات ، وفتحات هذه الأنابيب هي مفاتيح سر النبات ، فتكون في الصنوبر غيرها في القول السوداني غيرها في القرفة والقمح بحيث لو اختلت أو اضطربت فدخلت مواد تزيد في المادة النعنية أو القشوية أو الأوزونية عما هو مقرر لكل منها لم يكن في الأرض قول سوداني ولا ذرة ولا قمح ولا صنوبر ، فظلم هذا العالم نظام أدبي عجيب ، لو اختلت الأوراق في حركاتها أو الجذور في فتحاتها فدخلت ذرات لا توافق حسب المواد المقررة للنبات لم يكن ذلك النبات وفسد هيكله ولم يعيش حيوان ولا إنسان قال تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - . والأمر الأدهى أمر الجهاز الهضمي (انظر شكل ٦٠)



(شكل ٦٠ - رسم الجهاز الهضمي)

تجب لهذا الجهاز. انتركب نظمت مصانعه على مقتضى نظام النبات. ومعنى هذا انه جاء مطابقا للواد
الماخلة في النبات، فكما ترى في كل نبات :

(١) مادة نشوية وتقلب في الحبوب كالقمح والشعير والأرز، وفي الخضراوات كالبطاطس والبطاطة
واللفت والجندر والبندر، وفي البقول كالفول والعدس واللوبية والبرلة (البجاة)

(٢) ومادة زلالية آزوتية وتقلب في البقول والحبوب

(٣) ومادة دهنية وتقلب في الزيوت (والسمن والزبدة ودهن الحيوان والطيور)

هكذا ترى في هذا الجهاز المرسوم في الصحيفة السابقة :

(أولاً) - (١) مصانع في الفم وهي (٦) بنابيع تهضم بعض المواد النشوية (٧) ومابقى من النشاء
بلاهضم يهضمه البنكرياس بجميرة خاصة به ويزيد هذه المادة هضما (٣) عصارة الأمعاء
المحاق

(ثانياً) المواد الدهنية وهي تهضم بصبر بفرج من مصنعين : أحدهما البنكرياس، والثانيها ما يفرزه
الكبد من الصفراء

(ثالثاً) للمواد الآزوتية وهي تهضم بالصبر المعدى والبنكرياس

المواد	المواضع
النشاء	(١) لعاب الفم وهوت ينابيع
الآزوتية	(٢) الصبر المعدى
الدهنية	(٣) الصفراء
النشاء	(٤) البنكرياس
الآزوتية	(٥) عصير الأمعاء المحاق

فإذا نحن جاوزنا لعاب الفم ألفينا عجبا ! ألفينا البنكرياس يهضم الأنواع الثلاثة بأنواع من المواضع
عقلاقات، وألفينا الصبر المعدى والصفراء والأمعاء قد وزعت عليها أنواع الأغذية الثلاثة توزيها عادلا فساعد
كل مصنع في هضم مادة من المواد، وإن لكل مادة نوعان من المواضع إذا استثنينا لعاب الفم للواد النشوية
هنا ننظر في ضوء الشمس، وفي حجرات الأوراق، وفي فتحات الأمايب الشعرية، فتجدها قد حسبت
حسابا متقنا حتى حصلنا المواد الغذائية، ثم نبعث في الجهاز الهضمي فتجد المصانع فيه موزعات على هذه
المواد اتى عملت فيها عوامل الأضواء والأوراق وفتحات الجذور الشعرية

(نظام الأمم الأرضية، والشوق الى مبدع النظام)

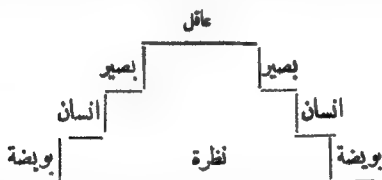
فياليت شعري يا معاشر بني آدم، أغفلتم عن هذا النظام، ألم تعلموا أن هذا مثل فضله الله للناس بنفس
نظام ما سكتنا، وقال لكم : « لو لم يكن هناك البنكرياس مع الصبر المعدى، ولو لم يكن البنكرياس مع
الصفراء، ولم يكن البنكرياس مع عصير الأمعاء لم تهضم المواد الآزوتية والمواد الدهنية ولا المواد النشوية »
- يدبر الأمر بفضل الآيات لعلكم بقاء ربيكم توفون -

فهذا هو التفصيل، وهذا هو التدبير، وبهذين يكون الايقان، واليقين هو العلم الذى لا بدخله الشك.
لأن مصنعا من هذه المصانع المواضع للواد لم يكن في الجهل المحصى لاحتل نظام الهضم. ألم يعلم هذا النوع
الانسانى أن الأرض جميعها أشبه بالجهاز الهضمي وأن عقول بني آدم أشبه بهذه المصانع المواضع لهذه المواد
وأن اختلال عقول أمة أضعف قوتها يترجم الجموع الانسانية مما تنتجه تلك العقول كيجرم الانسان من هذا

الاستفهام بشيء وبدن وزلال لم يجد ما يهضمه . أرى فرق أبها الناس بين القوى المباشرة للمواد والأهنية المختلفة وبين العقول المختلفة الموزعة على الناس ، أليس هذا النظام الجسمي الجيب مشاكلا كل المشاكلة لنظام العالم . اللهم إني أكتب هذا القول في كتابك وأخاطب عبادك جميعا في الأرض ، وأقول : « ما نامت هذه الأرض فيها أمة واحدة لم يستخرج ما عندها من القوى العقلية وما في أرضها من القوى المادية فأهل هذه الأرض جميعا معذبون على مقدار ما تقصم من فوائد تلك العقول كما تقص سعادة الإنسان الواحد بما قصه من القوى الخواص لمواد طعامه ، وهذا القول أنا به موثق
خروج النفس الى العالم الأعلى

لقد قدمت في غير ما موضع من هذا التفسير لاسيا في آية - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - الخ في هذه السورة أن المادة محجوزة عن إمداد عوالمها بالحرارة والضوء فهي عن إمدادها بالتصور والادراك والعقول والفرائز والقوى أشد مجزأ ، وأقول الآن : إن العلم اليوم في العالم الانساني أثبت أنه لا وجود للآفة لأنها عبارة عن حركات تنوعت فان كانت من ٤٠٠ مليون مليون في الثانية الى ٧٠٠ مليون مليون فيها فذلك هو الضوء ، وإن كانت نحو ٦ آلاف مليون مليون في الثانية فهي العناصر ومركباتها ، فلهذا ينفذ النوع الانساني من محافته ذكر العالسة الماديين ، فإذا لم تكن مادة فكيف يكون لها فلالسة ! ولكن الناس يذكرونهم وهم غافلون عن رقى العلم اليوم .

فلم يبق إلا أن هناك علما ورجة وجالا ورجا استمدت منه الناس علمهم ورجاتهم ورجهم وصورت العوالم بالصور الجلية التي لا تقدر عليها المادة الموهومة ، فهنا نتيجتان : نتيجة سياسية ، وهي أن الأمم الأرضية لا تزال مضطربة معذبة حتى يستقر قرارها بنظام يشمل جميع نوع الانسان فيكونون كجهاز مضمي واحد يقوم بجميع ما في الأرض من الأعمال ، ونتيجة علمية ، وهي أن أسعد حياة للإنسان أن يدرك هذه الحقائق بعقله من غير تقليد ، وهناك يرى أن عقله والرجة التي عنده ، والجمال المبدع في العوالم حولها ، والحب المبدع في العوالم كل هذه آثار لعلم ورجة وجمال وحب واسع ، فهي أحسن بذلك فدخل في عداد السعداء في هذه الحياة ، ويكون ممن قيل فيهم - لا يهنهم الفزع الأكبر ونناقهم للآفة هذا يومكم الذي كنتم توعدون -



وسبأني تفصيل هذا المقام في تفسير البسملة في سورة الفاتحة ، وسأرى هناك كيف خيات لي درجا ، رقى الانسان أولا في بطن أمه وثانيا في درجات إحساسه ثم في عقله ، وهناك يرى رسا لأذهنه : أن الرمح يكون . بوضئة في الرحم ويرتقي الى أن يصير ذابنه وقردا وانسانا ، ثم بعد الوضع يسير وينفون وسم ويسمع ويصر ثم يعقل وهناك وصلت في الخيال الى القدرة العليا ، وعلاوة الى ذلك المستوى الجمع ، وتوارد ، على الحسوس ، ودخلت في عالم العقولات ، غدت الى نظرتان : نظرة الى أعلى ، ونظرة الى أسفل ، وبهارة أخرى نظرة الى عالم العقل والروح والحب والجمال ، ونظرة الى عالم المادة كالأرض ومن عليها وأشجارها وزروعها أحجارها ورمالها وجبالها وبحارها ، هناك تبينت لي الحقائق ، وابتجعت نفسي بالمعارف ، و - ت أ ر - هذين المنظرين وبين الصلاة في الآلام ، فثارة كنت أحسب الذكر في العالم المادى ، فترى أمه تنبش

وأبعثي حكمته ، وأسعدني بهجته ، فأعرف إذ ذاك كيف يكون الجسد على النعم والشكر عليها والرجة العاقبة ومبدأ الهداية إلى الصراط المستقيم ، وثارة أنظر إلى العالم الأرضي أسفل هذا المعراج ، فأفهم لماذا يسلم المسلم على الأنبياء وعلى الصالحين وعلى نبيه ﷺ وعلى نفسه تارة ، وعلى نبيينا ﷺ وعلى الأنبياء قبله تارة أخرى (وبعبارة أخرى) أن النظرة الأولى لعالم الأرواح والجبال والعقل منبع لنظرة الثانية وأصل لها ، فالأنبياء هم الذين يمشون للسلام في الأرض بما اقتبسوه من ذلك العالم ، فالفاتحة أقرب إلى عالم الجبال والعلم ومعلمهما والشهد في الصلاة مفرغ عليها ، فإذا كان هؤلاء الأنبياء هم مبدأ السلام في الأرض اقتبسوه من عالم العلم والجبال ، فالسلم يسلم عليهم ليقبلهم بسبب كثرة استحضارهم في نفسه فيصبح ذلك ملكة راسخة في نفسه فيغشى السلام في الأمم كأفئوه ويستعمل أهم الطرق لتلك ويتبدى بتحية الله عز وجل وهذا سر السلام على كثير من الأنبياء في (سورة الصافات) وانتهت السورة بتسبيح رب العزة والسلام على المرسلين كلهم وإعلان الهداية لأن هذا الجسد القوي تشمله الفاتحة المبني على العلم والرجة الخ مبناه وأصله بسبب في أن الأنبياء أفضوا السلام في الأرض ، ومن هذا يفهم المسلمون سر قوله ﷺ « افشوا السلام » وسر تسليم المؤمن على أخيه كلما قابله . انتهى مساء ٣٩ ديسمبر سنة ١٩٣٠ والحمد لله رب العالمين

بهجة الحكمة وجمال العلم

في قوله تعالى أيضا - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت - أنا الساسة أطلق أني تحدث في مشاركتك أيها الدكتور في فهم مقادير النبات ونسبتها إلى جهازنا الهضمي وإلى الشمس والضوء والأمانيب الشعرية وفنجانها المتلفات . حق لي أن أريك الآن جدول الأطعمة من كتاب « الغذاء في الأمراض » تأليف الدكتور حسن عمر . فقد جاء فيه تحت العنوان التالي مانصه :

تحليل الغذاء كيميائيا

إن معظم المواد التي يتغذى بها الإنسان إما أن تكون -ضوية أو غير عضوية . فغير العضوية هي عبارة عن مختلف الأملاح التي يأكلها الإنسان في غذائه ومشربه . أما المواد العضوية فهي غالبا مركبة من مادة نشوية ودهنية وزلالية (آزوتية) . وهذا وسترى في الجدول الآتي فائدة فيها تحليل معظم ما نأكله في المائة مع ذكر قيمتها الغذائية للجسم في الرطل المصري الواحد (انظر هذا الجدول)

القيمة الغذائية للرطل المصري بالحر	نشوية	دهنية	أزوتية (زلالية)	ماء	الصف
١٥٦٤	٧٤٠٨	١٠١	١٠٠٨	١٢٠٨	عص
١٥٤٠	٧٩٠٤	٠٠٤	٧٠٤	١٢٠٤	أرز
١٥٤٧	٧٦٠٣	٢٠٨	٩٠٩	٩٠٣	أفدة
٣٢٥	٥٠	٤٠٤	٣٠٣	٨٧٠	لبن
٦٨٥	٠٠	١٠٠٥	١٤٠٨	٧٣٠٣	بيض
٢٩٧	١٤٠٧	١٠	١٠٨	٦٢٠٦	بطاطس
٤٥٠	٢١٠٩	٠٦	١٠٤	٥٥٠٢	بطاطه
١٣٦	٤٠٧	٠٣	٢٠٣	٨٩٠٣	لوبية خضراء

التيمة للذائبة بالمرط
المصري بالسحر

التيمة للذائبة بالمرط المصري بالسحر	نسبة	دعنية	آزونية (زلاله)	ماء	الصف
٣٢٠	١٣٢٧	ر٤	٣ر٤	٨١ر٨	بزله بقرونها
٤٦٧	١٦٩	ر٥	٧ر٧	٧٤ر٦	بزله مقشرة
٢٤٥	٩ر٨	ر٢	٣ر٦	٨٥ر٣	بزله في العلب
١٥٧٨	٦٢ر٠	١ر٠	٢٤ر٦	٩ر٥	بزله ناشفة
١٥٨٩	٦٥ر٥	١ر٥	١٨ر١	١٠ر٤	فول ناشف
١٥٣٧	٥٩ر٦	١ر٨	٢٢ر٥	١٢ر٦	لوية ناشفة
١٥٣٧	٥٩ر٢	١ر٠	٢٥ر٧	٨ر٤	عس
٢٤٤٣	٢٤ر٤	٣٨ر٦	٢٥ر٨	٩ر٢	فول سوداني
١٥٠	٥ر٨	ر٤٠	١ر٨٠	٨٩ر٦	كرف
١٥٠	ر٤	ر١٠	٠ر٦٠	٩٧ر٤	» مطبوخ
١٢٠	٥ر٠	ر٢٠	١ر٣٠	٩١ر٩	طماطم
١٢٠	ر١	ر٢٠	١ر٠٠	٩٤ر٥	طماطم مطبوخة
١٣٢	٣ر٨	ر٥٠	٢ر٥	٩٠ر٦	سبانخ
١٨٩	٢ر٦	ر٤٠	١ر٤٠	٩٤ر١	خض
٩٨	٢ر٩	ر٢٠	٢ر٢٠	٩١ر٧	كشك المار
٥٨	٢ر١	ر١٠	ر٨٠	٩٥ر٩	خيار
٢٥٠	١٢ر٥	ر٥	ر٤٠	٨٢ر٥	قلح
٢٣٨	١١ر٥	ر٦	ر٤٠	٨٣ر٩٠	ثوري
٢٥٧	١٣ر٤	ر٢	ر٥٠	٨٨ر٨٠	خوخ
٥٢٤	١٥ر٤	٥ر٧	١ر٣٠	٨٤ر٧٠	توت
٣٣٣	١٥ر٥	١ر٠٠	١ر٠٠	٧٩ر٠	عنب
٢٦٦	٧ر٦	٣ر٠٠	ر٧٠	٨٩ر٨٠	شام
١٢٤	٦ر٥	ر١	ر٣٠	٩٢ر٩٠	بطيخ
٤٦٢	٢٢ر٩	ر٧	١ر٥٠	٧٤ر٠	موز
١٩٥	٨ر٧	ر٦	ر٩٠	٨٦ر٧٠	برتقال
٢٠٠	٨ر٣	ر٩	١ر٠٠	٨ر٩	ليمون
١٣٢٨	٦٥ر٧	٢ر١	٤ر٤٠	٢ر٠٨	بلح ناسف
٣٩٥	١٨ر٨	ر٩	١ر٥٠	٧ر٩١	تين
١٥٥٨	٧٤ر٧	٤ر٧	٢ر٥٠	١ر٤٠	زيب
٢٨٧٣	١٧ر٣	٥٤ر٩٠	٢١ر٠	٤ر٨	لوز
٣١١٦	١٣ر	٦٥ر٣٠	١٥ر٦	٣ر٧	بندق
٣١٣٣	١٤ر٨	٦٤ر٤٠	١٦ر٨	٢ر٨	جوز
١٠٧٤	٤٢ر١	٥ر٤٠	٦ر٢	٤٥ر٠	أبو فودة

القيمة الغذائية بالبرطل المصري بالصر	نشوية	دهنية	آزوتية (زلايه)	ماء	الصف
٢٦١٩	٢٧٢٩	٥٠٢٦٠	٥٢٧	١٤٢١	جوز هند
٢٨٥٦	١٥٢٦	٥٤٢٥٠	٢٢٢٦	٤٢٢	لسدى
٣٠٤٠	١٧٢٣	٦١٢٩	١٤٢٦	٣٢٤	صنوبر
٩٨٥	٠٠	١٧٢٥	١٦٢١	٥٢٢٥	بقري بيت الكلاوى
٨٤٨	٠٠	١٢٢٨	١٩٢٠	٦٧٢٠	بقوى غنمه
٥٩٠	٠٠	٧٢٩	١٥٢٥	٦٠٢١	بتلو غنمه
٨٥٥	٠٠	١٤٢٧	١٥٢١	٥١٢٢	ضانى د
١٣٧٠	٠٠	٢٨٢٣	١٣٢٥	٤٢٢٠	ضانى كستلية
٢٨٣	٠٠	١٢٤	١٢٢٨	٤٣٢٧	فراخ
١٤٢٩	٠٠	٢٩٢٨	١٣٢٤	٣٨٢٥	أوز
١٠٢٠	٠٠	١٨٢٤	١٦٢١	٤٢٢٤	دبكه روى

(قصة علم النبات يتناوبين الأطباء)

بقول عمرو بن كاشوم

فأبوا بالتهاب وبالسيال * وإبنا بالملوك مصفدينا

ويقول صخرة العيسى :

لى القوس والطير اللحوم * وللوحش العظام وللغزالة الساب

بقول إني عظيم القدر شريف المذلة ، لا أجعل نفسى وقها على الامور المادية ، وإذا قمعت الطيور بلحم من أجندلهم فى الميدان ، وفعت الوحوش بالعظام ، ورجالى بما على التتول من دروع وملايس ، قالى أكبر نفسا وأعز شرفا ، فكفانى أنى أنا القاتل . فهو لاء . ناصدهم ماذبة ، فأما أنا فأرى أشرف فندرا وهو انى قاهر الأقران موصوف بالشجاعة والاعتراف القهر (وبعبارة أخرى) لئاننى روحية ولئاننى هؤلاء حسية ، واللذة الروحانية أعلى مرتبة وأشرف غاية وأكمل سعادة

وإذا رأينا هذا الشاعر فى البادية يفخر باللذة الروحانية ولا معارض له مع انهما لم يمتز عن لذة الفخر ، ذلك لأنه قد يقتل الحيوان لجرد القتل لاسد جوعه ، ولولا استلذاذه بالقتل ما فتك لغير داعية الجوع ، فهذه إذن لذة سبعة لذة عقلية شريفة . أفلا يحق لنا أن نقول للأطباء : أيها الأطباء لكم المرضى فامرحوا بشماهم إذا عرفتم هذه المقادير ولكم الأسماء فعملوهم مقادير الأطعمة ليحترسوا من الوقوع فى المرض . أيها الأطباء هذا هو النبات وهذه مقاديره ، وهذا علم الطب بقسمه : علم حفظ الصحة ، وعلم مبلواة المرضى ، قوموا بهما واشغفوا المرضى من عالمهم وأمرضهم ، ونسأل الله سبحانه

ولكننا نحن نريد مقاما أعلى لهذه الانسانية بمس أن تكونوا أنتم قتم بصحة أجسامهم وحفظ صحتهم ليفهموا كلامنا لأن الرب فلما يفهم ما نفوه ، وهذا حقول مخلفات فى الدماغ تموفيا أنواع العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية والأدبية والسياسية وهكذا كما لم عليه الكشف الحديث ، ذلك ان فى الدماغ محال محضات اكمل علم قامت عليه الأدلة السريرية بحيث تموت تلافيف خاصة باستعمال علوم معلومة ، وباعمال تلك العلوم لا يكبرن لهذه المحال فى الدماغ نقر . فاذا كان الجهار الهسمى قد اقسام المواد النشوية والدهنية

والاوزوتية ، فهكذا نجد المخلوق المسمى من رايضة وطبيعية وأدوية وهكذا . وكما وجدنا أن للأغذية مبدأ وهي الشمس أشرف الموجودات المحسوسات هكذا نجد للأغذية العقل المتصرف في السماع الذي هو أشرف من الجهاز الحسنى مبدأ وهو أشرف الموجودات العائبة عن الحس وهو القنات القدسية ومنه انبعث العلم في نفوس هي وسائل توصل لنا الادراك والفهم والعلم على وزن توسط النبات بيننا وبين ضوء الشمس وسوارتها . وإذا كانت كل حاسة من حواسنا الظاهرة متصلة بعالم يماثلها ، فلتكن عقولنا متصلة بعالم عقلية هي مستمدة من الله عز وجل

إن هذا البرهان يقينى كالبرهان الذى تقدم فى قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استغوا - الخ فى هذه السورة

﴿ هذا زمان ظهور الحقائق ﴾

هاهنا برهين أرسطاطاليس وسقراط وأفلاطون ومن بعدهم من الأمم الى وقتنا الحاضر قد شرحتها لك واضحة فيما تقدم وأثبت طرقها . ولقد اختلفوا خلفاء تلك البراهين على القنات القدسية أن الله عز وجل لم يشأ أن يظهر الحقائق للأمم مرة واحدة - إن الله نظر الى الأمم كلها نظرة الى نفس واحدة . وهذه النفس الواحدة أخذ يعلمها بالتدريج والفترة محال فألم سقراط لمعرفته هناك . وألم أفلاطون تدوينه . وأوعراى أرسطاطاليس أن يرد البرهان . وكان ذلك سببا فى ظهور فريق متشاكسات من أبيقوريين وروقيين قبل الميلاد والى الأفلاطونية الحديثة . ثم الى فرق متعددة فى الاسلام وفى أوروبا . ولكن اليوم إذ ظهر سر النبات وانتشر واستمتت قلوب الأمم للعلم

ظهرت البراهين الآن فى هذا الكتاب جلية واضحة بحيث يسهل على المتوسطين فهمها ويسهل الاختلاف فيما كتبه فى هذا المقام وأوضحناه فى هذه السورة . ولقد جاء فى كتاب « المذهب الروحاني » مؤلفه عبد الله أباسى أحد الروحانيين الشرقيين فى حقيقة ١٤٩ أسئلة تناسب المقام . وهاك بعضها :

(س) هل يمكن الطبيب أن يستحضر المرضى الذين ماتوا على يده ، ويستوضح منهم بعض الدلائل يزداد بها خبرة ومعرفة ؟

(ج) قد يصح ذلك وينال المساعدة من الأرواح العلوية ذاتها بشرط أن ينكب على درسه هذا بالاستقامة وصفاء لابنية حشد الملل وكسب اللطف من دون جد ولا عناء

(س) هل يمكن استرشاد الأرواح فى المباحث والاكتشافات العلمية ؟

(ج) إن العلم هو صنع العقل ، ولا يكتسب إلا بالعمل ، وبالعمل وحده يتقدم المرء فى طريقه ، أى فضل

بقي للانسان اذا أمكنه أن يعرف كل شيء باستنباط الأرواح ؟ ألا يصح العصبى الجاهل بهذه الطريقة عالما ؟ ثم ان لكل شيء وقتا معينا يأتى فى حينه أى عندما تكون الأرواح مؤهلة لقبوله وأما بذلك الطريقة فيقلب الانسان نظام الأشياء ، إذ يقطب الثمرة قبل نضجها

(س) ألا ينال إذن العالم والمفترع عوناً من الأرواح فى مباحثه ؟

(ج) إن العون لا ينقسم عند ما يكون أو ان الاختراع قد دنا فتوافقه وقتئذ الأرواح وتلقى اليه بعض الإطلاقات الفكرية فيتقنها هو ويستعمل بها الى أن يتقن منها الاكتشاف المقصود فيكون معظم الفضل راجعاً له ، فإياكم إذن والزيف عن حجة الروحانية والتطرف الى أمر لا يلحقكم منه إلا الخداع والسخرية (١) اهـ

(١) اصل الجمل بالمعنى عند ظهور الحوادث الروحانية الى أن يتطلبوا من الأرواح نسخة فى صفة الشعر ، وعلاج السمائل فأصبغوا موضوع السخرية عند ما أشاعوا فيما بعد الدراكيب التى تلقونها من الأرواح المأكورة

أقول : فبناء عليه نقول إن هذه البراهين التي جاءت في هذا التفسير قد استعملت لها الأذهان . ألا ترى أن طائفة الملائكة اليوم لا وجود لهم لأن المادة لا وجود لها عند علماء القرن العشرين ، وإذا سمعت عنهم كالمسيح قلناه فيما تقدم قائما هو أمر تاريخي لا غير ، لأنك علمت أن علماء عصرنا أجعوا أنه لا مادة ، فإلادة كلمة تطلق على كل ما تنص به وليس هو مادة ، بل هو حركات في أمر خيالي سموه (أثيرا) وهذه الحركات باختلافها ظهرت لنا أنوار وسحارة ومغناطيس وعقاقير ومركبات أخرى وعناصر بسيطة ، وإذا سقطت المادة باجتماع العلماء في عصرنا فقد سقط معها المذهب المادي اللهم إلا عند المدرسين في المدارس النظامية في الشرق الأدنى كعصر والعراق وسوريا وما أشبه ذلك لأن هؤلاء يكررون على مسامع تلاميذهم ما قرءوه في كتب منقولة عن علماء القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، أما قرءوا هذا التفسير فظنهم علموا أن النوع الإنساني كانت معارده مبعة قبل النبوة . فلما أشرقت النبوة المحمدية قال الله على لسانه ﷺ - - فرأيهم آياتنا في الآفاق - الخ وقال - وقال الحمد لله سبريكم آياته فتعرفونها - فهم سيقولون عرفنا يارب ووصلنا إليك بعقولنا وآدنا بشارتك ، ياربنا قبلنا البشارة التي بشرتنا بها ، إذن لتكن أعمالنا ياربنا من الآن موصولة برحمتك ، مستمدة من نور علمك ، موقنين بأننا مملوك واتنا سنكون خيرامة أخرجت للناس . ومن هم الذين يوقنون برهم وتكون أعمالهم في الحياة أعمال قوم كأنهم في حضرة ربهم . فإذا رأوا النحل والنحل وحشرات الأرض كل من أفراد هذه الممالك تعمل وهي فرحة بأنها أرضت الملكة الجالسة على عرش الملك المرسومة في السور المتقدمة . فهكذا نحن قرءوا هذا التفسير ومن يحا نحوه فعملهم فعل وقد أيقنا أيقانا أشبه بالبيان بأن الله مع كل نفس منا ومطلع على أعمالنا ، فنحن سزاؤنا في نفس عملنا لأننا نعمل بمحبة وإخلاص . وإذا وجدنا الصبي مخلفا في عمله لأبيه ، فرحنا بأن أباه راض عنه . فهكذا نحن أصبحنا موقنين بأن الله مع الله راض عن أعمالنا ونحن نحسن في أنفسنا بسعادة وأنشراح صدر صائرين من صانع العالم المطلع على سرارتنا وتلاحظ عقولنا كما تلاحظ الشمس وضوءها عيوننا ، بالحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور

الناس وإن كانوا أحرارا فهم إما هائمون بالجمال إن كانوا سعداء ، وإما مستعبدون بالشهوات إن كانوا أشقياء . قال ابن العارض :

أنت القاتل بأي من أحبته * فاختار لك في الهوى من تصطفى

اللهم انك أرى الجمال في زروعك وشجرتك وزهرتك وقرقك ونجمك وشمسك . اللهم انك ملائكة قلوبنا جالا وأبهجنا بصنعك ومنعت بصائرنا التمتع بالجمال في هذه الحياة وكشفت الضلالة وأعطتنا بالأنوار ورأيك أهدت الشيخ الباغ فيما نقله عنه الشيخ أحمد بن المبارك إذ يقول : « إن فتح الحواس الظاهرة عبارة عن لذة تحصل في الحواس الظاهرة ، وذلك بفتح العروق بما أدركته الحواس ، وهذه لذة ياكل البسط ، ففي الصلابة بها يحصل الميل إلى الصور الحسنة وعن ذلك ينشأ العشق والاقطاع الباطني للظهور ، وفي السمع لذة بها يحصل المحرور عند سماع الأصوات الحسنة والنفحات المستقيمة وقد ينشأ عن ذلك اضطراب وانهاز في الذات وهكما سائر الحواس ، ففي كل حاسة لذة زائدة عن مطلق الإدراك ، والتفرق بين فتح الحواس الظاهرة التي هو من البسط وبين كمالها أن فتح الحواس يزيد على كمالها بفتح العروق فإن فتح العروق زائد على الإدراك الذي هو في كمال الحواس وبذلك الفتح الحاصل في العروق والانسكاب الباطن لصاحبه يقع الاقطاع إلى المذكر . فترى صاحبه ينقطع مع كل فلة إلى كل ما يراه وقد تحصل له غيبة خفية مع ذلك الاقطاع بحيث مطلق الإدراك فانه لا يحصل معه هذا الاقطاع . فكأن امرئ يرى أمورا حسنة ولا يتأثر بها . ولم من آخر يسمع أصواتا حسنة ولا يسمع منه على بال . وهذا الفتح والتكثير يحصل كمال البسط »

اتهى كلامه بالحرف

هذا كلام ذلك الأي وهو الشيخ النباغ ، ذلك الذى لم يتعلم آتى لنا بسر وهذا السر يعطى بنا ولكننا لانظن له . هذا السر هو أن جمال هذه الدنيا وشموسها ونباتها مباح للناس . نحن جميعا نراه هنا من هو مغمور بالخاص فرح بها سعيد متبجح . وهذا الابتهاج وهذا السرور أمر آخر وراء حقائق الادراك . نحن ننظر . نحن نسمع . نحن نتعلم . نحن نقرأ العلوم الرياضية . نحن نقرأ العلوم الطبيعية ولكن النظر والسمع والقراءة والفهم والتفكير وحوز العلوم والفوز فى الامتحان والتفوق على الأقران فى العلم . هذا كله شيء وفوق للمسموع والبصر والعلوم الرياضى والطبيعى والالهى والفرح بها والاستلذاذ والابتهاج بها شيء آخر ، فأول الرجلين وهو الذى لا يحسن قلبه بجمال مدركاته الحسية والعقلية نجده دائما يبحث عن حبيب يهبه ويقرب به فلا يجد له متاعا من حبيب يأسرفؤاده مادام ذلك المترك ليس حبيبا له ولا مشوقا ولا هوامم به . وإذا كانت المدركات الحسية بتسببها ليست محبوبة له ولا جيلة فهو لا محالة يختار ضدها وهى الشهوات فيبحث عن الجليل للشهوة الحسية وعن المال للاستمتاع الجسمى والفخر الظاهرى وعن السلطة التى بها يرهب الناس . وبالجملة ان المحبوب إذ ذاك شهوة البطن والفرج وشهوة الغلبة والصيت والولد والمال . وهذا كله أمر آخر غير الجلال . إذن صدق قول ابن الفارض « اننا قتلنا من نحبه » فان أحبنا الجلال انتقمنا اليه وكفانا . وان لم نحب الجلال أحبنا الشهوات وهى هذا الثانى أكثرها من النوع الانسانى وعلى المبدأ الأول القليل أو البادر منهم وهؤلاء هم أشرفه وساداته وعظمائه وحكاؤه

فلنتنظر حال المسلمين اليوم وفى عالم النبات الذى كلامنا فيه . النبات بتعليقه أرتنا انه جيل ومحكم مشوق لتلك الذات القدسية هلم بها عند رقيته قوم وكفاهم حبه والفرام به يهجم أى ساروا يكونون فى الحياة سعادة لأهمهم . ولكن أكثر الناس فى الاسلام كان هذا النبات سببا لاستعبادهم وشقايتهم مثل سائر عرض الحياة الدنيا ، فإذا كان الأولون قتلى الجبال ، صرعى الحب والفرام ، ييمون بالذات القدسية الرفيعة العلية ، مغربين بتعليم الأم وارشادها قد أعنوا أنفسهم خلفاء الله فى أرضه ، قوامين على عبادته ، بشهرتهم بالخير وينذرونهم بالشر فان الآخرين قد حرموا من الاستلذاذ بذلك الجبال يتعون لا محالة فى الهيام بظواهر الشهوات فيكونون عبيدا لها ، ومن استعبده الشهوات استعبده الناس

مثلا نحن فى مصر نزرع القطن ولكننا قوم محرومون من التبوغ فى الصناعات وكثرتها ، فنحن نبيع القطن بأبخس الأثمان ويصنع فى أوروبا ونشتره ملايس بعشرات بل بمئات أضعاف ما يبتاع به وقد رجع اليها ملقنا بألوان زاهية فرحنا بها . إن بلادنا المصرية المسكية هامة بلايس الفرنجة وتقليدهم فى كل شيء وخزينة الحكومة مفتحة الأبواب للعاملين فيها ، فهؤلاء يأخذون ثلثها بصفة مرتبات لهم ويصرفونها فى الملابس والمساكن والخر والهلواللب وهكذا نساؤهم ورجال ونساء ذوى القصور والضيقات والعقارات الواسعة ، فهؤلاء وهؤلاء لما حرموا الاستلذاذ بالحكمة والعلم لم يجدوا لهم متاعا من غشيان أبواب الفجور والتباهى بالثياب الملونة المصبوغة بألوان من القطران المستخرج من الفحم كما تقدم تصديقه فى أول سورة ساء ، وكأنى وأنا أكتب هذا أشاهد أكثر قومي ومن على شاكلتهم مقرنين فى الأسماء سريانيهم من قداران وقشنى وجوههم النار ، تراه بصيرنى

سبعانك اللهم وبجملتك . أنت محسن رحيم جليل حكيم . حبست أرواحنا فى هذه الأرض لأنها ليست أهلا لمكان أرقى . وجبستنا فى لذاتنا وشهواتنا . وكلما ازدادنا شهوة اقتلت الأغلال على أعناقنا . ذلك بما كسبت أيدينا . أفليس الناس اليوم معبدون من الأغلال . اللهم لا وأى غل أشد ومادة من غل الأخلاق والآراء والعادات . نفس الانسان ما أجهل

يأتى التجار من أوروبا بالملابس المصنعة والتيب الملوّنة واختراقاتها والشهوات الفاتنة ، فنسكب عليها ولاقوم نحن بعمل ما ولاصناعة ما ورجائنا ونسلونا ووجهناوا مقتنعون بأن ذلك هو الرقى ، فنذهب القوة للأجانب وهؤلاء هم الذين يسيطرون على الشعب ويمنعونه من الرقى ومن العلم ومن الاستعداد الحرفى .
فاذا هجر الناس عن فك أغلالهم فى الدنيا فهم عن فكها فى الآخرة أهجر . ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا .

هذا ماخطرلى وأنا أصلى الصبح يوم الأحد ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٠ وأنا أقرأ هذه الآية . وبرى
المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد سرايلهم من قطران وتشتى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت
إن الله سريع الحساب . فأتى أثناء القراءة كنت أشاهد بالبعيرة أن هذا منطبق الطباقة تماما على حال كثير
من أم الشرق الأدنى ومنهم كثير من أهل بلادى
اللهم إنى أشاهد الأغلال من الآن موضوعة فى أعناقنا فى أرضك ومن أشدها للملابس المصنوعات
للمزخرفة التى قتلت المسلمين لجهلهم وقلة السعة والوعاظ فيهم وكثرة جهلهم حتى أن القطن الذى تزرعه نحن
فى مصر ينسج فى مصر أغلالا لنا واستعبادا والاستعباد اليوم راسخ للتجارة . إن التجارة اليوم هى الأغلال
فى الأعناق وهى السبيل التام لقتلك . فأخرج المسلمين فى مصر وغيرهم من هذه المازق . إنك أنت الرؤوف
الرحيم . انتهى فى صباح يوم الأحد ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٠ وبهذا تم الكلام على الفصل الأول من الطيفة
الخامسة فى قوله تعالى - فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت - ولحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الثانى ﴾

من الطيفة الخامسة

فى قوله تعالى - سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم -

فى هذا الفصل ثلاث مباحث

(١) فى مخاطبة مى بعد عشرة آلاف ميل

(٢) فى الصلة بين علماء الشرق والغرب

(٣) فى أحوال نفس المؤلف

﴿ البحث الأول ﴾

جاء فى إحدى المجلات العلمية تحت العنوان التالى ما نصه :

بين القطب الجنوبى ونيويورك

فى غرفة فى الدور الثالث من إحدى ناطحات السحاب النيويوركية القائمة فى قلب المدينة عند ميدان
التيمس جلس شاب على أذنيه سمعان سوداوان . وعلى وجهه أمارت قتل على أنه سمع شيئا مع أن السكون
سائد فى الغرفة حتى تكاد تسمع دقات القلب . ولائى أمامه لإسندوق أسود هم على طاوله . وإذابده تمد
الى مضرب نحاسى فى نهاية عقدة سوداء فى أسهما لمسا لطيفا فيدع النور فى غرفة مظلمة فى الدور السابع عشر
من ناطحة السحاب ذاتها ويسطم من صف من المصابيح من غير أن يحدث انفجار كهربائى أو أى صوت
آخر . ليس فى الغرفة أحد . فاذا انقطع لمعان المصابيح اتسحت الغرفة بسود حالك
أنصت الرجل الذى فى الدور الثالث قليلا ثم أخذ قلما بيده وكتب العبارة التالية : « اصغ الى الطيارة
« النجوم والخطوط » فى الساعة الثالثة والاربعية الخامسة عشرة صباحا » ولعلت المصابيح ثانية ناطقة الى مصدر

الرسالة السابقة بجواب الشلب « انتهى الخبر »

في القارة المتجمدة الجنوبي على عشرة آلاف ميل من نيويورك - من الفرقتين اللتين يقم فيهما الشلب وتعلم المصايح - مقرر البعث التي أعدها الأدميرال برد الأميري لزيادة المناطق المتجمدة الجنوبية والوصول الى القطب الجنوبي عن طريق الجوف - انه هذا طيرته الآن - أي حين وردت الرسالة الى العامل الاسلски في نيويورك قاصدا أن يحلق بها فوق مفاوز الجليد بفرض الوصول الى القطب الجنوبي الساعة الثالثة والبقية الرابعة عشرة ١ ونيويورك نائمة ولكن العامل الاسلски التي مسبقا ، مقم في غرفته منتظر انباء الأدميرال برد وطيارته

الساعة الثالثة والبقية الخامسة عشرة . قدما على الفتي والتقط قلمه وكتب « الطيارة على وشك الارتفاع من سطح الجليد . أنتظر »
وليس مفتحا آخر أمامه فيدري في اذنيه - وهو في نيويورك - صوت محركات الطيارة وهي تستعد للتحليق في الجوف فوق مفاوز القطب الجنوبي .

وتتحلق الطيارة في الجوف فينتقل الاتصال الاسلски من محادثة تدور بين العامل الاسلски في الطيارة المحلقة في الجو ثلاثة آلاف قدم فوق مفاوز الجليد والعامل الاسلски المذكور التابع لجريدة نيويورك تيمس . هذه هي أول مرة في التاريخ تمكن فيها رجل يحلق بطيارة أن يخاطب صديقا له على بعد عشرة آلاف ميل كأنه يحاطبه على مسافة أقدم في مكتبه أو صالونه . ان صوت العامل الاسلски في طيارة برد كان ينتقل أمواجاً لاسلكية فوق مفاوز الجليد القطبي وجانب من المحيط الباسفيكي ثم فوق أميركا الجنوبية وخط الاستواء الى أميركا الشمالية والولايات المتحدة - من عواصف القطب الثلجية الى صيف أميركا الجنوبية الى قيط خط الاستواء الى نيويورك المطلة بالبحر . كل هذا كان يتم في حفنة عين أو أسرع أي بسرعة ١٨٩ ألف ميل في الساعة

وارتفع ستار الليل وأخذ النجم فيباج وأخذت الاشارات اللاسلكية في المبادات المذكورة تدفع رويدا رويدا ولكنها تتراوح بين الضعف والقوة حتى ماتت تماما عند شروق الشمس وهكذا ضرب النور ستارا بين عملى الرواية القطبية وسائر العالم . وصدرت صحف المساء - بعد الظهر - وعلى صفحاتها الأولى عنوان بحروف ضخمة سوداء مؤداه « ان كلمة واحدة لم تسمع من الرواد الشجعان في اثناء عشر ساعات » فاضرب الجمهور وقلق ، مع ان رجال الاسلски كانوا يعلمون ان الصمت ليس دليل العاجزة ولكنه ناشئ عن تعذر التخاطب في اثناء النهار بالأمواج العسيرة - وظل الجمهور منظرها قلقا حتى رافد الساعة الرابعة مساء فأخذ ستار الليل يسندل رويدا رويدا وأخذت الاشارات اللاسلكية تزداد وضوحا كلما زاد اندال الستار . وما أفلت الساعة الخامسة حتى كان العامل الاسلски النيويوركي يلقى نبأ من الجنوب يفيد أن برد و صحبائه طيارتهم فوق القطب الجنوبي وحلوا حوله ، وان برد أول رجل بلغ القطب النجالي عن طريق الحق هو كذلك أول رجل بلغ القطب الجنوبي عن طريق الجوف . في هذا العامل بالبا الى محرر نيويورك تيمس . وهذا يستعمله ليحز جلدته فوزا عظيما عظيما . انتهى ما أردته من مجلة المتطقق

للبحث الثاني

بين الشرق والغرب . حول زيارة ناغور لانتجرا

جاء في جريدة الاهرام في يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٣٠ ماضه

لندن في ٢٠ مايو - لمراسل الاهرام الخاص - تأثرت زيارة رابندرات طاغور ، الشاعر الهندي وفيلسوفها

الكبير اهتماما كبيرا في انجلترا لأنه مضى وقت ليس بالقصير على زيارته الأخيرة لهذه البلاد ولأن مؤلفاته مقامها كبيرا بين رجال الأدب الانجليز . وقد أتى ناغور مساء أمس المحاضرة الأولى من محاضراته الثلاث في قاعة المحاضرات بجامعة اكسفورد التي ازدحمت حتى الأبواب بينما لم يستطع الكثيرون الدخول بللولة ومن الملاحظات التي تسترعي الاهتمام أن الفيلسوف الهندي يقابل بمظاهر الترحيب أينما حل على الرغم من الحلة في الهند والابناء التي تروكل يوم عن انتشار الاضطرابات والقلق فيها . وكما ان دوائر الأدبية الرياضية ترحب بدوليبي سنجن بطل الكركيت الهندي وتطلب أن يكون واحدا من الأحد عشر الذين سيمشون في المباريات التي ستعري مع استراليا ، كذلك ترى رجال الادب . والعلماء يهاقنون على سماع ناغور ويقدمون فروض التجلة والاحترام الواجبة لهذا البقري العظيم وربما كان الكثيرون على رأى جريدة المانشستر جارديان فيما قلته اليوم وهو : ان خير سفير للهند ليس المهاتما غاندى وإنما هو ناغور الشاعر والفكر من الصعب معاملة غاندى سياسيا لأن السياسة من أعمال الرجال العاديين أما غاندى ففديس ، والقديسيون رجال شواذ أما ناغور ففي وسعنا أن نتفهم معه لأنه ليس قديسا بل شاعرا ومفكرا ، فهو من هذه الوجهة يستطيع أن يفهمنا ويمتف على أفكارنا نحن الرجال العاديين ، وإذا قرأنا مؤلفاته أوسمنا أقواله رأينا أن الهندي العادى لا يفتن عن الأوربي العادى ، وإن النزاع الأبدى بين الشرق والغرب ليس قضاء الطعمة المحت انتهى من جريدة الاهرام . تم البحث الثالث

البحث الثالث

آيات الله في صحة جسمى بسبب تدير الأغذية

في هذا اليوم (١٥) مايو سنة ١٩٢٩ صباحا نظرت في عضدى وفي جنى وفي صدرى فراءت أمرا عجبا ! وهذا العجب لا عثرة أبدا التكى إلا بتقدمة فهاهى ذه : لقد كانت أيام حياتى سلسلة تجارب في الطعام والشراب ، ولقد تركت اللحم منذ نحو (٨) سنين ، ولما تركته وجدت تحسنا مطردا في جسمى ، ولكنى وجدت هناك أمرا عجبا ! وجدت أن في عضدى وفي جنى وفي صدرى بقا جلدية مخالفة للجلد في اللون ، وهذه تارة تظهر وتارة تختفى ، وقد كانت كذلك قبل ترك اللحم ولكن لما تركته زاد ظهورها وتارة تختفى ، فأذهلنى هذا المظهر ، وفابت الأطباء فوجدت أقوالهم لا تنشى من عله ، ولا تروى من غله ، فقال قائل منهم : « خذ هذه الأعشاب واشرب منقوعها كل يوم » فلم يقد . وقال آخر : « كل الزيت الطيب وادهن به » . وأخيرا أخصنى طبيب أعلم من قبله . فقال : « هذا داء ليس عسديا ، وليس له دواء ، وهذه البقع إنما تظهر في الأعضاء التي لا تظهر للشمس وأكثر ظهوره في زمن الصيف ، وسببه نقص في التغذية » . وبعد ذلك حملت تجارب كثيرة فلم تغد . ثم أتى لم أعرف ما سبب نقص التغذية المذكور الى أن اطلعت على الكتب الطبية الحديثة . ورأيت في كتاب الاستاذ ويلكوكس ما يفيد أن الناس يأكلون الخبز من دقيق القمح الذى تخلوه . وأن ترك النخالة نقص في التغذية . وأن اللحم مركب من (١٦) عنصرا . وهذه العناصر كلها ماثبة في الخبز . وإذا ترك الناس استخله ونحوها فغناه انهم تركوا عنصرا من دهانهم . إذن الناس يبدون النخالة والمادة الأخرى المسماة سنا (بشديد النون) من القمح إنما يفتنون قوى أبدانهم وصحة أجسامهم وسعادتهم

فلما قرأت هذا وأيقنت انه منى على العلم عرفت جهل هذا الانسان وغفلته وأر حقول الناس في ناحية وأمرهم في ناحية فلم أزد في العمل بالعلم كما تقدم في سورة طه وفي سورة الحجر فهذا المقام مستوفى هناك هنالك أكلت الخبز الذى يصنع من دقيق البركامل غير متوص . وهما هذه سنة مرت على تلك الحال .

هذه هي المقدمة

فلما أقبل الحرّ هذا العام نظرت في جسمى وأعضائه المخطئة ، قرأيت أسرها مجبا رأيت البقع الملونة التي كنت أراها كل سنة لم تظهر . قلت : يسبحان الله هاهوذا الحرّ أقبل وتلك البقع التي عودتني الزبارة كل سنة بالظهور على جسمى في الصدر وفي الظهر وفي السدوف الجنيين لم ترق في هذه السنة بعد أن أقبل الحرّ ، ولقد كان من شأنها أن تقبل إذا أقبل فصل الربيع والصيف وبض الخريف ، فهذه لم تحمل بساحات جسمى ولم يكن لقدميها علامات ولا مقدمات ، ذلك اني كما قمت الآن أخذت آكل الفواكه والخبز واللذ كوروزيت الزيتون والتمر غالباً ، وهذه الأغذية مستوفية ما يجب لجسم الانسان فليس يميزها سواها أخرى ، فالبرقال الذي أكله معه بعض الطماطم في بعض الأيام فيه مادة الفيتامين من درجة عالية وهكذا الخبز اللذ كورفيه جميع مواد التغذية . هأنذا تركت اللحم والخضراوات هذه السنة واللبن واقتصرت على الفواكه والحبوب فصحت الجسم وصحت التفكير بحسب ما أعرفه وما أحسن به من نفسي الآن . وههنا أقول يسبحان الله : أريدنا يا الله آياتك في أنفسنا وفي الآفاق ، ذلك ان هذا الجسم القوي سكنته نفسي مكون من مواد مخلوقة في أرضنا ، وهذه المواد لها حسب وجهنا بما تقبل منها وما تترك هو الذي جعلنا مرضى الأجسام تارة والعقول أخرى

سبحانك اللهم . أنت حكيم وقد ملأت أرضك بالحكمة وعلى مقدار قصتنا في فهم مصنوعاتك تنقص صحتنا ونفوسنا ومدنيتنا . هذا المثل الصغير مثال جسمى مع العوالم الأرضية المحيطة بنا يبين لنا أحوال هذا الانسان . يظهر لي اننا لو عرفنا الحقائق حق المعرفة لكننا إنما راقية سعيدة سعادة تامة في الأرض نيين لي أن قصص سعادتنا في الأرض مبني على قصص معرفتنا وعلوئنا . دين لي أن أم الأرض لم يظهر فيهم حكاة وعلماء يظهرون جميع الحقائق ، ولو أن الأرض برز فيها أناس على هذا النمط لأصبحوا جميعا سعداء فأول الشقاء وآخره الجهل ، وأول السعادة وآخرها العلم ، فكأن الباكيات على الميت ، ووزن الحزين على الفقير والقتل وما أشبه ذلك كل ذلك للجهل الذي غطى على العقول

يظهر لي أن هذه الانسانية بما تأينف فيها تايئفون يظهرون ما يمكن في هذه الدنيا ، وفي ظهر ذلك سعد الناس في هذه الحياة نفسها ، وأكبر الحزن يكون للموت أولقر أولالقر وكل ذلك مبناه الجهل بهذا الوجود ، فالعرف الناس ناموس الموت وأيقنوا بأن الميت انتقل الى عالم أعلى ، وهكذا لو انهم عرفوا الأسرار الخبوءة في الأغذية والأدوية والفواكه والملابس ودرسوها حتى دراستها عرفوا ما في الطبيعة من عجائب واستعملوها لقلّ المرض والفقير وبطل الاستعمار وصار الناس أصدقاء

لاتعجب أيها النكي من أن أقرن حال جسمى وصحتي بحال الأم والأفراد وأوصابهم وأحوالهم فانه لا فرق بين الآخرين . نحن نفش في عوالم تجهلها وعلى مقدار جهلنا نحس بالآلام . إذن قصتنا مبناه جهلنا لأقل ولا أكثر ، ودليلي على ذلك ما عرفته في نفسي ، فاني لما أكلت المواد التي استوفت شرائطها غذاء الجسم زالت البقع من جلدي ، ولما كنت آكل بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير كانت هذه البقع تظهر تارة وتختفي أخرى . ولا فرق بين جسمى وجسم العالم الانساني كله فهو لما فيه من جهل يحارب بهه بعضا غباوة وجهلا بحال الوجود وحال الانسانية . ومتى ظهر فيه حكاة وأعلموه بأن المعاونة العاتية خير وأبقي وأن يكون كل امرئ في عمل خاص ينفع المجموع الانساني فان هذا النوع الانساني يصبح سعيدا وبتى حلت السعادة في أهل الأرض لم يحسوا بحزن لأنهم يكونون قد عرفوا ما هو الموت وقتل الأمراض والعداوات بينهم لأنهم قسموا الأعمال في الأرض على مواهبهم التي خلقت في أجسامهم وعقولهم . هنالك يعلم أهل الأرض قطبة أن المصائب التي تحمل بالأم وبالجاعات أشبه بالبقع التي كانت تظهر على جسمى وأن قيام كل فرد من أفراد الأمم

يعمل نافع قائم مقام إحدى جميع عناصر التعدية بطريق العلم . فهنا أسرار تأليهما مركب على أولهما في جسمي
 وفي الأم . فلذا قامت الأم كلها في الأرض كل منها بعملها الخاص لها وجميع أفرادها فان المجموع الانساني
 يصبح سعيدا كما ان جسمي لما أعطيت الأغذية الكافية لتغذيته ذهبت عنه تلك البقع التي تظهر على ماهر
 مستور منه ، وإذا قصرت الأم في ذلك أو بعضها فان المجموع الانساني تظهر فيه قائص على مقدار التصغير
 كما ان جسمي أصابته البقع لما كنت أجهل أصول التغذية ، إن الأم اليوم والأفراد سيان يتبعون شهواتهم
 وعاداتهم ، فالتناسي يأكلون ويشربون مقلدين لأبائهم أو متبعين حواسهم هكذا دولهم في سياستها يتبعون
 التاريخ حذوا القذة بالقذة ، والتاريخ ملو به بالكيد والغبت والمكر
 فليكن في الأرض حكام ، وليكن فيها نظم سياسية أرقى مما كان قبلا وذلك هو قوله تعالى - سترهم
 آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - . لجسمي الذي حلت نفسي فيه ماهر إلا ذرات مجتمعات من الآفاق وله
 ارتباط وثيق بهذه الآفاق فان جعلت ذرات جيدة باختيارى وعقلي كان جسما نافعا حسنا وان جعلتها بيئية غير
 حسنة ولا مرتبة ولا منظمة ضف الجسم وتبعه العقل ، والسياسة العاتية في الأمة كالسياسة الخاصة في الجسم
 يؤخذ من هذا كله اننا جئنا هذه الأرض لأمر واحد وهو العلم ، فلا حروب ولا مرض ولا فقر ولا فئة ولا
 ألم إلا لأجل حشنا على العلم وعلى مقدار علمنا تكون أرواحنا في درجات لها بعد مفارقة هذه الدار . انتهى
 الكلام على المبحث الثالث والحمد لله رب العالمين

اللطيفة السابعة

في قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ

إيضاح بعض كلام الشيخ البلاغ

في مسألة الجنة والنار والتوحيد

هنا سألتى صديقي العالم . فقال : يقول الشيخ البلاغ إن على وجه الأرض عجائب لو شاهدتها أرباب الأدلة
 والبراهين ما احتاجوا الى دليل ، فغيا ما به تعرف الوحدانية ، ومنها ما به يعرف وجود الجنة ، ومنها ما به يعرف
 وجود النار ، وكل ذلك بلا إلهة أدلة على ذلك . فأننا أرجو أن تشرح لي هذا المقام . فقلت : يا سبحان الله
 أوظن انني في مقام الشيخ البلاغ حتى أطلع على ما يعرفه نحن قوم كافنا بالنظر والبحث العقلي . فقال :
 ولكن أرجو أن أسمع منك ما توجه نفسك اليه في هذا المقام ، ولست أطلب منك ما هو فوق متناول عقولنا
 لأنني أعلم أنك مخاطب العقلاء عموما لا أهل الكشف وحدهم ، ثم إن أهل الكشف وان كثروا في الاسلام
 فانهم لم يجدوا في الأمم الا ليلية رقا عاما ، فلو علمهم خاصة بطائفتهم . فقلت : أما اذا أردت هذا فاني أقول
 ما يفتح الله به الآن . فقال : أي العجائب تعرفنا التوحيد بلا إلهة دليل ؟ فقلت : جميع العجائب التي وردت
 في هذا التنسب وأمثاله تعرفنا الله بلا إلهة دليل . فقال عجب هذا ، إن نفس العجائب أدلة أو مقتدات لأدلة
 فقلت : إنه يريد ان يبين العجائب حين نشاهدها تكاد تحترق القلوب ويحصل للنفس اضغاث برؤيتها وتنتقل
 النفس من هذا المخلوق الى خالقه وهذا هو مقصوده فيما نطق أنا . فقال : مأمثال ذلك ؟ فقلت : مثله أعين
 الذباب وأعين النمل . هذه حشرات صغيرة يزدريها الانسان وهي تعيش على ما تعافه النفس من القاذورات
 والفضوات والقمامات والفصائل ، وعلى ما هو موبوذ من الحبوب وفضلات الخبز والقطع للمشورات في الأرض
 وقد جعلت أشبه بالكناسين والبالين لأنها تنظف الأرض من عفوناتها ومن بقايا فضلاتها وتحيلها الى أجسامها
 ومع هذا كله نراها قد أعطيت عيوننا كثيرة ، فلا إلهة فوق (٤٠٠) عين كل عين مستقلة عن الأخرى ،

والذباية نحو أربعة آلاف عين كل عين مستقلة عن الأخرى . ومعنى هذا أن لفظة خمسة حيون ثلاثة منها مفردات موضوعات على هيئة مثل واثنان منها موضوعتان في مقدمة الوجه بهيئة أعيننا نحن وفي كل واحدة منهما نحو مائتي عين ، ومثل ما قلنا في الفقرة تقول في الذباية ، ولكن نذكر أربعة آلاف عين فيها بدل (٤٠٠) عين . فقال : هذا عجب ! وهل العقل يتصور ذلك ؟ قلت : إذن أنت لم تقرأ ما تقدم في (سورة الفل) وأن هناك رسالة سميتها « عين الفل » وفيها هذا المقام موضح . فقال : ورأيت نفسك عين الفل أنها مركبة من مائتي عين والعينان معا فيهما نحو (٤٠٠) . قلت إني ورنى رأيها بيني رأسي أراها لي صديق شوقي بك بكبر في منزله بمدينة حلوان تحت المنظار العظيم وهو من كبار علماء التاريخ الطبيعى ، وصلى به أنه كان قبل ذلك تلميذى بالمدرسة الخديوية . فإذا رأى العقل ما رأيت أنا في الفل أوفى التحمل لولى الشباب فانه لا يسهل إلا أن يتذكر الخلق عند النظر الى هذا الجبال في القافوق . قال : أريد أن أسأل سؤالاً آخر ؟ قلت : سل ما بدا لك . فقال : لِمَ جعل الله هذه الجباب التي فوق طوق البشر في آخر حيوان . قلت : ذلك من مقصود كلام الشيخ البليغ . قال : وكيف ذلك ؟ قلت : إن الإبداع والاعراب اذا ظهر في جبل بهى الطلعة حسن الشكل مرغوب فيه لم تكن له روعته في الحيرة المتبوء . النفس الانسانية يدهنها أن ترى في الحيرة المتبوء حكماً لا حلاً بل ترى أعظم جمال وأجل حكمة في الحيرة

ترى أربعة آلاف عين ، وكل عين لها طبقة ورطوبات وألوان في داخلها وجباب ونظم مدهشة ، واذا فتحت إحداها لم تطل البقية كما هو واضح هناك . فهذه عند العقلاء أشبه بمن كان يحفر في منزله فخر على كنز جفأ فهذه المفاجأة في الكنز يقابلها المفاجأة في أمر جباب الحشرات مثلا . فكما أن القبر اذا عثر على كنزدهش وحصل له حل غريبة وانفعال ، هكذا العقل اذا اطلع على هذه الجباب في أحقر الخافقات فانه يجد في نفسه حالا عجيبة تذكره بالصانع من غير استدلال بدليل وذو العقول الصافية في نوع الانسان لا يسعهم لقاء هذه الجباب المدهشة (في الامور الحيرة التي ليست محلا للجمال بحسب العادة) إلا التعجب وهذه الحال لا يعلم بها ذلك الذى قرأ علم المتعلق وعرف الاشكال وقرأ علم التوحيد المعروف وأخذ بقرآنك البراهين فيدخل في ساحات وأحوال عويصة وبقسرب الشك الى قلبه من حيث لا يشعر لاسيما اذا قرأ آله الحدوث والقدم التي قلت عن اليونان . وقد تبين فيما قلته عن علماء الفريجة في نفس هذا التفسير أن كبار فلاسفة اليونان كانوا يقولون أيام سقراط « ان العالم حادث » بطريقة مشوقة تقدمت في هذا التفسير فبعض ما جاء في كتب علماء التوحيد والفلاسفة مرهيك للعقول مهووس للأذهان قتلوه عن علماء الاسكندرانية أيام دولة الرومان بمصر وهؤلاء كانوا مقلدين . أما طيباوس الحكيم الذى كان أيام سقراط فقد شرح هذا المقام وقلت بسنه في مواضع فارجع الى بعض في سورة الروم وغيرها . فقال الآن فهمت كيف كانت تلك الهبة مذكرة بالله فكيف تكون تلك الجباب مذكرة بالجنة والنار وبما يعرف الانسان أن هناك بعد الموت جنة ونار مع ان الجنة والنار من السمعيات . واذا كان العقل لا يصل الى السمعيات فكيف توصل اليها منظار التعجب . قلت : ما اجد له ولا النار إلا داران ممتازتان . فاحداهما فيها كل محبوب . وثانيتهما فيها كل مكروه . ونحن في هذه الأرض لانعرف المحبوب إلا ما وافق حواسنا الخمس من صور جميلة ونفحات لذيذة وروائح طيبة وداوم لذيذة وملاوسات وموافقة كأن تكون ناعمة مثلا . ذلك للبصر والسمع والشم والذوق واللمس وهكذا اذا تخيلنا تلك الصور ولكن حصورها في الخيال أقل لثة من حضورها في الحس . وهكذا المعاني الشريفة الموافقة لعقولنا من العلوم الهبة وانكشاف الحقائق بالبراهين واقتناع النفس بالمعلومات . فهذه بهجتنا . فلكل قوة فينا بهجة تناسبها . فالعقول بهجة للعقل . والمخسوسات بهجة للحس . والصور الخيالية بهجة لخيالنا . فهذه المذكورات هي مجامع مانعة في هذه الدنيا . والذى نكرهه يقابل ذلك فكل قبيح صورته مشوه خلقته أو غير طيب الرائحة أو غير متزن التغمات

أوغبر لذيذ العلم أوغبر ناعم مثلاً فاتنا نكرهه كما نكره تصوّره في خيالنا . وهكذا خلق عقولنا من العلوم وجهلها وغلبتها وعدم معرفتها حقائق الأشياء ومخبطها في المعارف تحبطا يزرى بها . كل ذلك مكره عندنا . إذن الجنة دار تجميع ما تحب وجهن دار تجميع ما نكره ، ولكن الحياة الدنيا فيها ما تحب وما نكره معا ، فيها امتزج المحبوب بالمكره . وأصحاب العقول الثيرة اذا طافوا في هذه الأرض ودرسوا هذه الجباب يدهشون من نحو ما ذكره ويحصل لهم علم من غير كد ولا نصب بالجنة والنار . فقال : هذا هو الذي سألتك عنه وكيف ذلك ، فقلت ليرجع الى مثال القباب والفعل مع جميع الحشرات ، أليس ترى أن القباب والحشرات خفت لتظيف الجو كما تقدم لأنها هي وأمثال الساموس والخنافس وغيرها تقتذى بالمواد الفاسدة التي لو بقيت تلك الانسان والحيوان . فقال بلى . فقلت أليس ترى أن الأغذية على قسمين : قسم هو طعام شريف مثل الحبوب والحبوب والحشائش وأمثالها وهذه يأكلها الانسان وذوات الأربع من نحو الأنعام والسباع . قال بلى . قلت وقسم هو قاذورات تقتذى بها الحشرات كما أوصيته الآن . قال بلى . قلت أليس ترى أن ماهو قاذورات على قديمين : قسم هو بقايا الرمم الملقاة في القنات عقب الغزوات والحروب والاهلاك والتسمير واقتراس الحيوان في البراري والقفار . وقسم ليس كذلك بل هو هفونات وقاذورات ليست نليثة من اقتراس الحيوانات المعروفة ولا من قتال الانسان . قال بلى . قلت : لننظر في أمر هذا الانسان الذي يسمع بالجنة والبار فاتنا نجد له عقلا وهذا العقل لا تخلو حاله من حاليين لاثالث هما ، فهو إما أن يتحل بالحكمة وادراك الحقائق ، وإما أن تكون سلوه بالهيبية والذيمة والشهامة وتقع العورات والتشك بالأعداء ومساوقة الأقران وحوز الصيت والمال والملك وما أشبه ذلك

فإذا أغرم العقل بالحكمة والعلم وادراك الحقائق فإن غذاءه أشبه بالغذاء الشريف في المحسوسات كالفاكهة والحب والخضر اوات من كل ماهو غذاء للحيوانات المعروفة والانسان . فأما اذا كانت لذاته خاصة بتقوّته على الأقران أو شجائته في الأعداء أو انتقامه منهم ، فهذا الغذاء العقلي يشبه غذاء الحيات بالضفادع وغذاء العقور والنسور والشواحين والكلاب بالرّم الملقاة في القلاة ، وتكون منزلة هذه العقول لا تزيد في معقولها على منزلة العقور والكلاب في تعاطي رعمها ، وإذا كانت لغات العقول لا تقادر حوز العقار وبناء السور وشراء الحقول ، وحوز المال والرهيم والدينار ، فهي في درجة القباب في كل القاذورات والعفونات وبهذا الايصاح صارت الدرجة الثانية درجتين : درجة القوّة الغضبية ، ودرجة القوّة الشهوية . هذه هي الدرجات الثلاث للعقول في هذه الأرض . فهي إما عقول تحب الحقائق ، وإما عقول يغلب عليها الفخار والانتصار ، وإما عقول لا تقهر إلا بالمال والشهوات الحيوانية في مقابلة الأغذية الثلاثة المتقدمة لقوات الأربع ولحوز الطيور الكواسر ونحو القباب . ولن يتخلو عقل على هذه الأرض من هذه الخصال الثلاث اجلس مع من تشاء وحادثه فانه يهش ويضطرب لما يناسبه من حكمة ، أو من ذكر الحرب والضرب ، أو من ذكر لغات الأجسام الحيوانية

فإذا سمعت الرجل يثور برفع الله نايًا والانتصار أمام القضاء فهو من الفريق الثاني ، أو يجوز المكاسب والمال فهو من الفريق الثالث ، أو بالعلم والحكمة فهو من الفريق الأول هذا هو نوع الانسان أوّل وآخه عقولهم جميعا موزعة على المقولات الثلاثة كما وزعت أنواع الحيوان على أنواع الأغذية

فقال : أحسنت لقد فهمت هذه الثلاثة وقد كانت في أوّل مقالتي غامضة على ولكن الآن ونصحت لي وضوحا تاما مع ملاحظة أن ذكر الحيوانات وأغذيتها في هذا المقام مجرد تظليل لتقريب الفهم ، ولكن الى الآن لم نصل الى الحقيقة اليه . سألتك عنها وهي ان النظر في هذه الجباب يكون معرفا بالجنة والنار . فقلت

كل ما ذكرته الآن مقدمة لتلك ولولا مبادرتك لي بالاستحسان لأثبت النتيجة . فماذا الآن أقول
لوانك أخشيت الجبل ووضعت أمامه لها أفياً كله ؟ قال لا . قلت : فلوانك أتيت بأسد ووضعت أمامه
حشائش أفترأى أسكها ؟ قال لا . قلت : فإذا وضعت القباب في مكان نظيف لارطوبات فيه أبيض . ذل كلا
قلت إذن ما استنتج من هذا ؟ قال أستنتج نتيجة واحدة وهي معنى هذا المثل « إن الطيور على أشكالها
تقع » ومعنى هذه الآية - قل كل يحصل على شاكلته - ، وبصرح العبارة كل حيوان لا يشار عاده في
طعامه . فقلت : حسن وهكذا في العقول بطريق قياس التمثيل ، فلا عقل يستدل إلا بما عرفه كالأحيوان
يستدل إلا بما ألقه . قال حسن جدا . قلت : إذا عرفت هذا فانظر في هذا الإنسان إذا فترقت روحه جسده
ويبقى العقل وحده في الجسم الأثري بعد الموت فأي معنى تحمل فيه ؟ فقال : طبعاً المعاني التي غلبت عليه
في الحياة . قلت : وهذه غذاء عقل له كما أن للأجسام غذاء مادياً . قال نعم . قلت : فإذا كان الشرير في
الحياة لا يقم تنمياً عقلياً إلا بمزاولة الشر ثم مات فإن هذا الخلق يلزمه ويريد أن يفتك بمن اعتاد انفتك بهم
أو يقاضيهم فلا يجد منهم أحداً فيكون ذلك عذاباً له ، وإذا وضع مع أقرانه وعاش معهم في عالم الأرواح فهو
يفضل معهم ما كانوا يفعلونه في الدنيا لأهم لا يعرفون غير ذلك ، وإذا كنا نعد اللصوص وقطع الطرق
لا يفرحون إلا بأخوانهم . ولا يألون مجالس العلماء والحكام ، هكذا نكون أرواحهم بعد الموت لا تألف إلا
أبناء جنسها لأنها اعتادت الأجرام وهم مجرمون وهي بهم فرحة وهناك تكون مسرات وقتية بعدما آلام
وهكذا . قال : حق لا يكون غير ذلك . قلت وإذا رأينا القباب لا يفرح إلا بالفاذورات فهكذا فيكون أولئك
الذين انغمسوا في المادة وسرحت عقولهم من الأدب والكمال لا يلد لهم إلا مثل ما كانوا فيه في الدنيا ، فهم
لذلك يعيشون مع أمثالهم وأصحابهم ويفرح بعضهم ببعض وقتاً ويلعن بعضهم بعضاً في وقت آخر كما كان
شأنهم في الدنيا . فقال : حق لأن الطباع لا تتغير . قلت إذن بهذا القول انضحت الحقائق ، وأن الدنيا
دار امتزج فيها المصوب بالمكروه ، والآخرة دار امتاز فيها المصوب من المكروه وهناك يكون الناس في مراتبهم
وكل طائفة لاتعاشر إلا أقرانها ، ومن كانت أخلاقهم وعقولهم كاملة في الدنيا يكونون في الآخرة ذات نظام وسعادة
ومن تقلبت عليهم شهواتهم الحيوانية أوقواهم القسوة ، فهم في الآخرة الأقل كل على منتهى خلقه وطبعه
(و عبارة أخرى توضح هذا المقام) إن الجانب المشاهدة في هذه الحيوانات أرتنا تفاوت الأغذية بتفاوت
أنواع الحيوان ونظيره العقول ، فكل عقل له غذاء يناسبه فإن كانت صور الغذاء العنقي شريفة بها وإذا
فهى خبيثة ويوضع في مرتبته هناك

وكما أننا نرى في الحياة الجردان والحشرات ذليلة هكذا نرى بعد الموت النفوس التي تشابهها ذليلة ، ولو
قبل لأمري في الدنيا أيها خير لك أموت أم تصبح فأراً ، فله لا يردد في أن يقول العدم خير من لوجود
إذا كان على هذا المثال ، ومن هنا قوله تعالى - قالت يا أي متي تبتل هذا وكنت نسياً منسياً - . إذن
درجات النفوس بعد الموت ظاهرة واضحة في الحيوانات المختلفة ، وهذه العقول لا تدرك في هذه الأجسام
وصارت درجاتها مختلفة اختلاف هذه الحيوانات فمن عقولهم في منزلها شبه الممرات بعد - ما في المكان
المسمى بجحيم ، ومثلها النفوس التي أشبهت الصقور - ولكن إذا كان هذا التسلسل هذا هذب وتلقى العقل
عليهما والذين ضامحاً ظاهراً يكونان في الجنة بشروط خاصة

وبالجملة فإن أحوال أهل الجنة لها نظير في العالم المشاهد ، وهذه المعاني التي ذكرها الآن مع طولها
تخرج بعض العقول في وقت قصير جداً ، ومن النفوس الصافية ما تخطرها هذه الطوائف حلاً ، ونحن نعلم
مزاولة العالم واللغات يقعدنا عن التمييز . هذا ما أمكنني أن أجيبك به الآن . فقال : لقد بهمت حوالى الفهم
وأنا لك شاكر ، ولكن هل من فوائد تترتب على ما تقدم في أحوال الدنيا ؟ فقال : هناك ما يوضح

السؤال أمكنني الاجابة . فقال : لقد ذكرت أن أمثال الذباب تعيش على الطفول والريحريات ، وجعلت هذه مثالا لنفوس الشهوية ، وذكرت أمثال الصقور والشواحين وجعلتها مثالا لنفوس النضية ، ولقد انتهينا من تفسير كلام الشيخ البالغ وأن هذه تذكرة لأحوال النفوس بعد الموت ، فهل من سبيل إلى الانتفاع بهذه العلوم الطيبة في مصر والشام والعراق وبلاد السودان وأفريقيا . فقلت حسن ما تقول ، ثم انظر إلى الأمم المستعمرة تدخل بلاد الشرق وتطعمهم من العلوم فتشورها ومن الصناعات أضغها وتجع عنهم نور العلم وتعتهم أشبه بالحيوانات القليلة ، فهي تسهل ادخال المشروبات الروحية من الخمر والفتنات ، وتسهل لهم أحوال البطالة والكسل بما شجع أرباب المال التي تستهوي العقول فيجلس الشبان أكثر النهار بلا عمل فيها ، وتوسع للذين يأتون بالصور المتحركة (السينما) أن تكون كلها أوجعها حلقة بالشهوات والمغازي وكل ما يسقط النفوس في المهادي ، فهذه المناظر وتلك المشرب جعلتها الأمم المستعمرة شبكات لاصطياد العقول القوية بها يصطادونها فلا تقدر بعد ذلك على الخلاص ، وهذا هو الذي يبقى الاستعمار ، وهكذا يذيعون الروايات المملوءة بما يحط قيمة النفوس الانسانية ، فتتحول العقول في تلك البلاد إلى حال تنسبه حال الجوامات . ولكن الأمم الحرة لا تدخل شريكا لسينما إلا إذا وجدت مذهباً للأخلاق رافعا لنفوس معلما للأمة ما تعيش به كالقلاعة والصناعات المختلفة ، فبدل أن تكون السينما والروايات لتدويع النفوس إلى كل ما يهيم الانسانية تكون لاعلاء شأنها ورنج قدرها وتعليمها الصناعات وشوقها إلى المعاني والمخالي ، فالروايات والسينما وأمثالها إما مهيئات نفوس الناس إلى منزلة من منازل الجنة : ولما إلى حفرة من حفرة النار . والسبب في ذلك هم المستعمرون من الفرنجة الذين هم خلفاء المسيح الدجال لأنهم يظهرون أنهم مصلحون وهم يفسدون . هذا هو الذي كنت تريد أيها السكي . فقال نعم هو والله جزاك الله خيرا . قلت : هل بقي لك سؤال ؟ فقال سؤال واحد وهو انه ظهر لي أن قوله تعالى - سرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - ظاهر أكثر ظهور في علوم عصرنا الحاضر . فقلت حقا فإن مشاهدة أمين القباية وأمين الملة مثلا وبحوذ ذلك من الجهابذ المذكورة في هذا التفسير تدش العقول وهو هو من صدق انه برين ، فها رأينا ذلك بالبر بالبنظر العظم والكشف المتتابع ، وذلك لم يكن فيها مضي . وإذا كان البرهان مبني على المشاهدة كان إلى اليقين أقرب . وإذا كان الله شهيدا على كل شيء والملائكة يشهدون العوالم . فهام العلماء في زماننا يشهدون في عالم الحس عجائب الصنع وهذا قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط - . فهل بقي لك سؤال أيها الصديق ؟ فقال إن أذنت لي . قلت : سل ما تريد . فقال : لقد ذكرت أن الدنيا امتزج فيها الخير والشر . أليس كمال الشيء أن يكون ثلما لانقاص الوجود لا يكون ثلما إلا إذا كان فيه الأمران معا فانك أثبت في هذا التفسير أن الرحمة لا تتم إلا بوجود الضدين معا والضدان هاهما الآن في الدنيا إذ الخير والشر امتزجا فيها . فقلت : إن العقول الشريفة في أرضنا جل اهتمامها بالبحث والظفر وأفعال الله في كل وجود كادته وعتولها اليوم تعيش في وسط الكمال والجمال غاية الأمر ان أكثرها لا يكشف له عن ذلك الجمال لغلبة المادة عليه . فإذا خلعت الروح من المادة ظهر لها الجمال فتكون أشبه بالمحبوس لم ير في السجن إلا الصورة صلبة مما في الخارج فإذا خرج منه كان في حالة أشرف وأجل . وإذا شهبناه بالجنين حين خرج من بطن أمه صح الشبيبة . فقال قد اكتفيت ولم يبق في نفسي شيء . فقلت الحمد لله رب العالمين . والى هنا تم الكلام على اللطيفة السابعة في قوله تعالى - سرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ كتب في صباح يوم الاثنين ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٠

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء التاسع عشر من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم)

وبيله الجزء العشرون . وأوله تفسير سورة الشورى ،)

(الخطأ والصواب)

غلينا التصحيح فئاتنا سقط وأهياء أخرى يدركها القارئ بلاكبيه . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وما هوذا :

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
الحديثة	الحديثة	٢١	١٢١	العقل	لعقل	٢	٦
في الكلام هنا عن	الكلام هنا عن	٩	١٢٨	ولا تقربوا	ولا تقربو	٥	٧
أهم المبادئ	أهم المبادئ			بالبجارات	بالبجارات	٣	٨
عربية	غير عربية	١١	١٣١	يرسب	يرسب	٢٣	١٠
»	»	١٢	١٣١	نسبتنا إليها	نسبتنا إليها	٢٣	١٢
واليم	واليم	٢٦	١٣٦	وتتثل	وتتثل	٣١	١٢
حسب	حسب	٣١	١٣٦	سورة الصافات	سورة الصافات	٩	١٣
السومري	السمري	٢١	١٣٧	أضوا	من أضوا	١	١٤
إذ	ل	١٨	١٣٨	ويدبر هؤلاء	ويدبر هؤلاء	٧	١٤
ثلاثة	ثلاث	١٦	١٣٩	ويدبر هؤلاء	ويدبر هؤلاء		
لساهم غير عربي	لساهم عربي	٢٢	١٣٩	المقصد الثاني	لطيفة	١٣	٢٥
مضرا إلى	مضرا إلى	٢٢	١٤٢	إحدى	أحد	٩	٢٩
علامات	علامات	١٦	١٥٢	إلى	إلى	٣٥	٢٩
ذكرها	ذكرها	٩	١٥٣	ويحس باللس	ويحس اللس	٢٥	٣١
ولكون	وككون	١١	١٥٦	لثعنهم	لثعنهم	١٦	٤٤
للكات	كانت	١٧	١٥٦	عند	عند	١٤	٤٥
ولا يهز	ولا يهاب	٣٠	١٦٦	انكفرا	كلبكما	٢٣	٥٢
ونجب	نجب	١٩	١٧٦	ووفرتها	ووفرتها	٢٠	٥٤
الممارعات	الممارعات	٣٤	١٧٦	فد	قد	٣٠	٥٤
قد كان بها	قد كان بمصر	١٥	١٨٥	وكلا	وكلا	٣٣	٥٤
هنبال	هنبال	٣٠	١٩٣	وذلكم طنكم	وذلكم ظنكم	١٩	٩٤
والأانية	والأانية	٣٣	٢٠٢	للمرضين	للمرضين	٢١	٩٤
روحه	روحه	٨	٢٠٦	وآراؤه	وآراؤه	٣	١٠٢
وهو سدا	وهو خالقها ومبدؤها	١٨	٢٠٧	ومن قبل ذلك اتع	ثم اتبع	٢٣	١١٣
منكر	منكرين	٦	٢٠٨	للابون	مايون	٢٢	١١٤
فيكون	سيكون	١٠	٢٠٩	سكه	نسكه	٣٠	١١٥
مما رقتك جسدك	مما رقتك جسدك	١	٢١٠	شكل	أثر شكل	٥	١١٦
بحري	بحري	٩	٢١٠	كذلك	كلالة	٤	١١٧

صواب	خطأ	سطر	صفحة	صواب	خطأ	سطر	صفحة
الجزر	الجذر	٤	٢٣٣	الجماد	الجماد	٣٤	٢١٣
غدت ولى نظرتان	غدت الى نظرتان	٣٤	٢٣٤	غير ثابت	ثابت	١١	٢١٧
المعسوم	المعوم به ولو حشر	١٨	٢٣٧	للمزف	للمنف	١٩	٢١٧
ولا عوش				يتمكن	يتمكن	٢١	٢١٨
الغائبة	العائبة	٣	٢٣٨	نقد	نقد	١١	٢٢٠
اختلموا	اختلقوا	١١	٢٣٨	بالطعنين	بالدعنين	١٤	٢٢٤
ومن	ومن هم	١٢	٢٣٩	قمان	أقمان	٢٠	٢٢٥
هائمون	هائمون	٢١	٢٣٩	فإذا يجد	فإذا يجد يجد	٢٨	٢٢٥
ساروا ويكونون	ساروا يكونون	١٧	٢٤٠	به	به	٣٠	٢٢٥
لزيرة المناطق	لزياة المناطق	٣	٢٤٢	الأرض	الأرض	٣١	٢٢٥
رويدا رويدا	رويد رويدا	٢٦	٢٤٢	و٥٣ و٥٤	و٥٣	١٠	٢٢٦
واقديسون	واقديسون	١١	٢٤٣	وكثيرا ما	كثيرا ما	٣	٢٢٨
ثابتة	مابتة	٢٩	٢٤٣	هاك ولنجهل بعضه	هناك	١٤	٢٢٩
هكذا نكون	هكذا نكون	١٣	٢٤٨	ها دقول			

(تمت)



فهرست

(الجزء التاسع عشر)

من كتب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

مقدمة

٢ تقسيم السورة أربعة أقسام

٣ القسم الأول في تفسير البسملة . وتبين أن الرحمة فيها موجهة الى العرش والخافعين به المذكور في آخر سورة الرمز وفي أوائل سورة المؤمن ، إن العرش ذكر في - ورة التوبة ويونس وهود وهو هناك مشير الى أن عروش الأمم الفاطمية في بلاد عاد وحمود والأرض التي كان يقطها إبراهيم ولوط وشعيب وموسى المذكورة في تلك السور كلها اليوم بلاد اسلامية ولا زال الى الآن في أيدي المسلمين ، فعروش تلك البلاد في قبضتهم الى الآن وهكذا ذكر هنا في السورتين لمكان العلم والنظم ، والعلم راجع للتسبيح والحمد والتعلم راجع للاستغفار ، لاهرش في الأرض يقوم إلا على دعائين من العلم ودعائتين من العمل ، ودعائتا العلم هما العلوم الطبيعية والحياة السياسية ، والعمل بالقدر ، والقدر بالمال والرجال . ههنا أربع دعائم لكل عرش في الأرض ، والعلم والقدر المذكوران في شرح الكرسي المذكور في آية الكرسي ، والتي بهم في مقامنا هذا أن يكون المسلم متبعا للملائكة الخافعين من حول العرش ويكون عالما . فبعض العلم على الناس ، والعلم إن لم يحقق المحسوس للمشاهد فما أجهر عن ادراك المعقول الغائب وذكر القرآن والتوبة مع العرش لصفة العلق والعظمة ، وفي هذه السورة مباحث ، مباحث رجائية كفتاح الأرض الواسعة ، والسموات والأرض والأنهار ، وتدرج الانداز من تراب مم من نقطة ، والاتجاه اليه ، وقبول دعوته اذا أخلص ونصر المصلحين وهكذا

٦ (القسم الثاني من السورة) فيه آيات السورة من أوّلها الى قوله تعالى - إن الله هو السميع البصير - ثم تفسيره المصطفى

١١ لطائف في قوله تعالى (حم) وقوله - الذين يحملون العرش ومن حوله - وبيان أن (الم) في أوّل سورة البقرة سبقت للجهاد ، وفي العنكسوت سبقت لكشف نسب العاصم بعضها لبعض وهكذا بقية السور أفلا تكون هنا الحياء والميم إشارة الى جد الملائكة . ولا معنى للمعدد لالتسبيح لإبدي صفات الجلال والاكرام ، ولن يتم ذلك إلا بدراسة علوم الأمم حولها ، إن من يدرك الملائكة الخافعين حول العرش جاهل بما عرفه علماء الشرق والغرب كدامام العراقي والرازي وأصحاب اخبار الصفاء إذ دلوا : « إن أرواح الناس التي فارقت الأجساد تعين الأحياء على الأعمال » . وهكذا ينول أ ك ب . عالم طبعي انجليزي « إني ناجيت الأرواح وحادثتهم وهم يهتمون بنا »

١٣ ذكر الأحاديث الواردة والآثار في هذا المقام كقول كعب وكقول - يعقوب بن محمد عن أبيه عن جده ، وبيان معنى كون العرش يكسى كل يوم بألف لون من انوار وأن ذلك واضح لمن قرأ العلوم اليوم ، وكقول وهب بن منبه : « إن حول العرش سبعين ألف صف . من الملائكة صف خلف صف » وأن تلك المعاني يعرفها إجمالا من درس علم الفلك . وبيان أن الحياء والميم فتحا هذا الباب الكلام على صلاتنا نحن وعاشر المسلمين وأن نمدحها فيها منوع بذكر السمح والحصر والمخ والعظم

والعصب الخ ولا معنى لهذا كله إلا العلم ، إذن تبيحنا في الصلاة وماءه يرد به التشويق للعلم . فإذا

سبح الملائكة فمن تسبح والليجة هي العلم بنظم هذه العوالم الجلية

١٥ (القسم الثالث من السورة) من قوله تعالى - أولم يسروا في الأرض - الى قوله تعالى - بالنعى والإبكار - والتفسير اللفظي

١٩ (القسم الرابع) من قوله تعالى - إن الذين يجادلون في آيات الله - الى آخر السورة وتفسير اللفظي

٢٣ لطيفة في قوله تعالى - ويربك آياته فأى آيات الله تكفرون -

تذييل التفسير في سورة حم غافر ، والكلام فيه على مقصد

٢٤ (المقصد الأول) فيه الكلام على التنفس الرئوي لأنه في الانسان والحيوان . وبيان صفة الرئة العامة

وعلاقتها بالقلب وماءه من طبقتي الأذنين والبطنيين

٢٥ (المقصد الثاني) في قوله تعالى - البار يرضون عليها غفراً وعشياً - وبيان ما جاء في كتابي الجسمي

(الأرواح) الذي ألفته بعد أن منعت موانع السياسة من مواصلة درسه في هار العلوم . وفي تلك المدة

تمكنت من تأليف كتاب الأرواح المذكور . وفيه جاءت عجائب هذا العلم الذي منه ذكرت ها في

التفسير مقدمته لتاسبتها لهذه الآية وأن الأرواح قد نطقت في المحال العلمية بأمرها كما وشرحت ما شاهدته

في عالم البرزخ . وأن للمسلمين سيهجون من الحكمة الألمانى الذى استعانت روحه من اضهاد يقيم

ومن روح محاسب في مدينة (ونسبرج) ارتكبت خيانة فطلبت المساعدة ومن روح غنى تخيل عذبت

روحه بلال وأن ذلك كله هو مقتضى آيات القرآن بل هو محور دين الاسلام وأصوله

٢٧ ويوافق هذا ما له الغزالي إذ يقول : « إن الميت في أول أمره يعذب بفرقة المشتين وثانياً بالخجل من

الفضائح وثالثاً بالحسرة على فوت ما هو محبوب من الأعمال العظيمة ، وبيان أن العذاب والعلم أمران

لازمان للطاعات والمعاصي . طاعة لا يتقن وانما هو عدل . وهنا كلام (اخوان الصفاء) للموافق للغزالي من

وجه . وبيان معنى الحيات والعقارب والثنائين الواردة في عذاب القبر وانها إما أن تكون صوراً حقيقة

لا تظهر إلا لأهلها تعذيباً لهم كما يظهر الملائكة للأنبياء تعليماً لهم لا لعبرهم . ولما أن تكون أشبه بحال

النائم . ولما أن يكون المقصود الآلام المشبهات آلام العقارب وماءها لأن المقصد هو العذاب وهو حاصل .

و بيان أن الآلام جسمية وروحية الخ وهما شرح طويل وبيان للإمام الغزالي

٢٨ (المجلس الرابع) في الروح التي أخبرت بموتها ورمته وفيه علم النوع الانساني وموازات شتى بين أقوال

الأرواح وبين القرآن والحديث الشريف . وذكر الغليل الألماني ادى مضى له (١٧) سنة وأخبر بموته

وطابقت الحكوة على قوله

٢٩ الطائفت العاتية لأقسام الاله كاهن (الطائفة الأولى) في قوله تعالى - هو الذي خلفكم من تراب

م من نطفة - مع قوله - الله الذي جعل لكم الأنعام - الخ وبيان أنه لا معنى لشكر العمة ولا للحمد

عليها إلا بتقديم العلم بها . فاعلم هو الأس الذي ينشئ عليه الحب وشأن اللسان وششاط الجوارح في الأعمال

والعلم بهذه الأنعام وعجائب الخلق قد تنقسم في سور كثيرة مثل النحل والحج وطه والنور والفعل وسبأ

والزوم والمؤمنين وطهر والسجدة . ومع ذلك فانا هنا نزيد مسائل لم تذكر في تلك السور مثل السعال

والبرص والحرباء ، أصلاً هي مقتلاً أم نافعة فبقية ؟ وأى فرق بين الشعابين السامة وغير السامة ؟ وهل

ما يحمله الحوطة (المشعوذون) من الشعابين سلم أم غير سلم ؟ وما هو الحيوان الذي يولد في ماء ثم يهاجر

الى المكان الذي خرج منه أمواه وهو لم يره ! وهل الحذاء خاتمة ؟ وإما ذكرت هذه ها لأن الآية فيها

ذكر الأنعام وانها ثمانية أزواج، وهذا يقتضى تقسيم الحيوان الى أنعام وصغير أنعام، فهذا من القسم المقابل لما فى الآية، وفى هذا القام يقسم الحيوان الى ناقص الخلقه وطام الخلقه، والأول مقدم على الثانى ويقسم أيضا الى أشرف ومهول أقل شرفا وذلك بحسب الخواص، فهو إما ذوات حاسة أو أفتقن أو ثلاث أو أربع أو خمس، فتنو الخلقه كالردى فى حب الغدار، وذو الحاستين كالسود الذى على ورق الشجر وذههم، وذو الثلاث للسمع له ولابصر وهو الحيوان الذى فى قعر البحر والأمكنة المظلمة غالبا وذو الخواص كلها ماعدا البصر وهو الهولم والحشرات التى تدب فى المواضع المظلمة مثل (الحلمه) والكامل ما فوق ذلك وبيان أن منها للتدسج والزواحف والذى ينساب أو يدب أو يمشى أو يطير أو يمشى، وهذا له رجلان أو أربعة أو ستة أو ثمانية أو أكثر، والذى يطير من الحشرات ملك جناحان وأربعة وستة أجنحة، ومنها ملك حة وقرور ومشافر ومخالب وخرطوم، ومنها ملك فكر وروية وتميز وتدير وسياسة، ومنها ملك أعضاء مختلفة مهندسة مضطه مغطاة بالجلد وعليه الشعر والوبر والصوف والريش والصدف والغليس خارجا، وفى الداخل الدماغ والرتة والقلب والكبد والطحال والكليتان والثانة والأمعاء والمصارين والأوراد والمعدة والكبرى والحوصلة والقانصة، وفى الظاهر الأرجل والأيدى والأجنحة ولأذنان والمخالب، وههنا الفرق بين الهائم والسباع والوحوش والطيور والجوارح والحوام والحشرات. وبيان أن كبير الجثة يمتك فى الرحم طويلا لتدور الشمس دورتها فيستكمل فى الرحم، وهذه خلقت أولا عند خط الاستواء ثم تناسلت وانتقلت الى مواطن أخرى ولكن أرحام الابلات حفظت تلك الحرارة. وبيان أن الناس يجيبون من خلقة الفيل وهم لوعلموا تتجيبوا من خلقة البقة أكثر لأن لها أرجلا أكثر وتزيد الأجنحة وشبرها ومع ذلك هى تؤذيه. هذا بالاجمال تقسيم التقديين. أما تقسيم المتأخرين فهم يقولون إن الحيوان إما ذو خلقه واحدة وهو الأدنى، وإما ذو خلعا، والأول كبروان الملايا الذى لا أعضاء له ويعيش فى السكرات الحراء فى السم، وذو الخلعا كثيرة منه الاسنج وحيوان المرجان وذو الجلد الشوكى وقنفذ البحر والبيدان المخرطعة كدودة الكبد والبهاريسا والبيدان الاسطوانية كدودة الانكستوما وكالدودة الخلقية والمضلية ومنها الحيوانات الرخوة والفتريه ومنها السمك والصفاد والزواحف والطيور وذوات السدى. والحيوانات السبعة المقدمة من ذوات الفترات فهى مشاركات للذكورات فى الآية وهى الأنعام. فأولها السعالى وهى من أنواع الورل (شكل ١) صفيحة (٣٤) وهى حيوانات نافسة للإنسان لاضرر منها. وثانيها الأبراص جحر برص وهى حيوانات نراها فى منازلنا ونظن جهلا انها ضارة وهى نافعة فوجب أن لا تقتل (شكل ٢) صفيحة (٣٥) وكذلك الحرباء (شكل ٣) صفيحة (٣٥) وهى حيوانات نافعه أيضا

٣٦ الثعابين منها ماهوسام (شكل ٤) صفيحة (٣٦) وشكل ٥ صفيحة ٣٧ والثاني هو الكوبرا مصرى أى الناسر. والحية القرنة (شكل ٦) صفيحة (٣٨) والعبان ذوالجرس (شكل ٧) صفيحة (٣٨) وهناك ثعبان غير سام وهو فى التطر لمصرى كثير وهو رمى يميل الى الاجرار عليه بقع ذات لون بني وسطه السفلى أصفر وهذا هو الذى يسمه الحواة (الشعوذون)

٣٩ (شكل ٨) صورة ثعبان يسمى (اليتون) وهو أيضا غير سام الكلام على ثعابين السمك وهى قسبان: قسم يعيش فى أنهار أوروبا وشمال افريقيا. وقسم يعيش فى أنهار الولايات المتحدة التى تسب فى الهيط الانلانطلىق. ومن ثعابين السمك نوع بمصر (شكل ٩) فى صفيحة (٤٠) وأكرملة يتم فيها نحو ثعبان السمك سبع سنين. وتسمى تمؤها تجتمع وتهاجر من الأنهار

وتترك مصابها وتزل في البحر الى بونغاز جبل ملحق بالبحر الاطلالطيق بجراثر برموده القريبة من الولايات المتحدة وتعاين أنهار أوروبا بفعل هذا كله ، وهناك قطع الاناث وتفرغ الذكور مادتها المنوية عليها في الماء فيتم اخصاب البيض وربما قطع الأنثى أكثر من مليون بيضة ، ثم يموت الذكور والاناث وتخرج القرية وترجع الى الحال التي خرج منها أبواؤها وأمهاتها وهي لم تهز

٤٩ ولن تفصل ذرية تعالين السمك الأمريكى ولا الأفريقى طريقها بل كل يرجع الى المكان الذى خرج منه الآباء والأمهات

٤١ الكلام على دودة الأرض (شكل ١٠) وهي ذات أشواك صغيرة ولها جلد رطب غطائي
٤٢ وترى في (شكل ١١) حبيبتها مكبرا والتي تقدم هو حبيبتها الطيبى ، وهي تخرج أثناء الليل لتبحث عن غذائها فتأكل الفضلات من الأوراق والأزهار الساقطة وتسحبها الى داخل الأرض ، وكذا ينمو النباتات والبويضات والحشرات والديدان وهي تتوالد

٤٣ (شكل ١٢) رسم دودتين في حالة الاجتاع ، وهذه لها منافع للناس ، فهي اسيد السمك ، ولغذاء الطيور ، وهي تحث الأرض فيدخل الهواء فيها ، وتساعد الجنود على التمتع فيها ، وبأسفها الطين يدخل فيه مواد عضوية فيكون سادا : وهي تغذفها الطين ترصه الى سطح الأرض فيقابل الشمس فهي أشبه بالحراث ، وتسحب الأوراق الى بطن الأرض فيكون سادا ، وقد يكون في الفدان الواحد من أرض الحدائق (٥٣) ألف دودة يمر من أجسامها (١٠) أطنان من التربة وهو ينضى نصف ستمتحر تقريرا

٤٤ (العلق) تعيش في المياه العذبة في البرك والمستنقعات وبعضها في الأرض الرطبة وهي تعيش في الدم

وهي خثاى وهي تتعلق بكل حيوان تغر عليه ، وأهم هذا النوع هو العلق الطيبى
٤٥ الكلام على الحداة ، وبيان أنها تأكل صغار السباع والبط والأوز والجردان والضفادع والثعابين والسحالي ودود الأرض والحشرات والرم ، وهي مفيدة جدا في تنظيف الشوارع من الرم وسطوح المنازل من بقايا الماء كل ، وضربها أقل من نفعها

خاتمة في الحيوانات النافعة مثل المذكورة في يوسف عليه السلام

٤٦ تجارة الجراد في بلجيكا ، وبيان أن الحكومة المصرية اليوم لم تسمع قط لمفحة الجراد الذى هجم على مصر مع ان في بلجيكا شركة تصنع منه زيتا ، ولم تبال بالطلب الذى قدم اليها ، فعلى من بعدنا أن يربوا الحكام تربية أرقى من هذه لأنهم لو باعوه لمؤوضا النقود الضائعة في مطردته

(اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة - الخ مع ملاحظة آية - خلقكم من نفس واحدة - وقوله - لا إله إلا هو - فهنا وحدة النفس المنصرفة في الأعضاء ووحدة الله ، وأفرو بين وحدة نفوسنا مع كثرة أعضائنا وبين وحدة ملكة الفحل وملكة التحمل وملكة الأرض (جمع أرض) . وقد وصل تيار من وصلوا الى القطب الجنوبي الى القين في الممالك المتحدة في لمح البصر بمجرد الضغط على الزر . إذن اتصال الخبر بين الفحل والبحر بنفس طريقة الراديو إن العالم ذو وحدة لها محركات واحد وبه نفهم - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة -

٤٨ (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - الله الذى جعل لكم الليل - المرقلة - كن فيكون - وفيها ذكر الليل والنهار ، وخلق كل شيء بسبب هذا الخاف وأن الأرض قرار ونظام خلقنا وتدرجه وحياة كل حي وموته ، في هذه المسائل الخ - تدخل العلم الطبي والابلى والفلكي

٤٩ إن الحرارة والبرودة في الأرض يرجعان الى الليل والنهار ، والحيوان والنباتات موطنان على مناطق الأرض المختلفة بسبب سير الشمس ، ثم إن المكان الذي كثر نباته أو قل لا يعيش فيه الانسان ، أما الذي اعتدل نباته فهو الذي يمكن عيش الانسان فيه ، فالغابات الاستوائية والأقطار الباردة لا يصلحان لسكنه ، فالانسان كما وجب الاعتدال في أخلاقه وجب الاعتدال في محل سكنه ، ومن يجب أن جسمه مفصل على مقتضى هذه العوالم حوله ، فأعضاء الجسم لهم بالوجودات ، والرجلان لحركة الانتقال ، واليدان لحركة العمل فكأن الانسان الورقة المسوّرة بصورة الشجرة وهي هذه الدنيا . إذن العالم مقسم على أعضائه علما وعملا كما تقدم في أول (سورة ص) وهذا الانسان اليوم جاهل لم يدرس جسمه ومن درس جسم الانسان وجسم العالم عرف أن الانسان والعوالم حوله أشبه بالروح والأعضاء الجسمية فكما أن أعضاءا مطيعة لأرواحها هكذا العوالم حولنا يجب أن تطيع الانسان والانسان سائر الى هذه الحال ، وأضرب لذلك مثلا : رجلا بنى لأبنائه بيوتا منفصلة بماء البرك وهم ينتقلون الى بيوتهم بالسفن والأبنية لتبلغ إلا الثلث والباقي ماء ، وهذه الطريقة كانوا يتعاضدون ، وهذا القتال هو السبب في نشاطهم ومعرفة أسرار الماء والأرض وهكذا ، وفي آخر الأمر قرّروا لهم على ما يأتي :

ذلك ان أحدهم . قال : أيها الاخوة إن أبانا حكيم لأنه لم يشأ أن يعطينا مجانا بل أراد أن تفكر بأنفسنا . انظروا . ألسنا نحافظ على الطيور كلزقراق البلدي والشاربي وأبى قردان وسناط على البقر والجاموس ، فهذه قد أجعنا أننا إذا أكلناها ولم نبقها لتفعلنا في زرعنا إما بانقراض البيدان وأما بالحرث والسقي فانتاهلك لاعماله ، وهذا برهان يقيني وإذا حافظنا على الضكبيوت لأشبه النجاب وعلى الحشرات لمنفعتنا أفلا نحافظ على الانسان نفسه الذي إذا أبقيناه ساعد مساعدة أئمة من مساعدة الحشرات وغيرها وبهذه زال الحرب بينهم ، الأب ضرب مثل لله تعالى والاخوة بنو آدم والمنارل هي الفارات والماء هي المحيطات للمعاونة . إن الانسان لم تقتصر العداوة على أن تكون بين أفراد بل انه حرم من المناطق الباردة القطبية والحرارة الاستوائية الملوحة نعماء وخيراب لاحتها . ان لا يحظ إلا سكنى المناطق المعتدلة أما غيرها فلا . إذن هذه المناطق غنيمة لهذا الانسان وهي عاصمة عليه حتى يجمع كله ويتحد و يصبح جميع الناس أمة واحدة وهم أولى بالاتحاد في هذه الأعمال من أسادهم مع أبى قردان والجاموس والبقر تلك الحيوانات التي اتحدت معهم في الدفعة . فهل منفعة الانسان أقل من منفعة الحيوان إن الانسان جهول والأفهام اليوم أرفى منه . اللهم إني أشكو إليك هذه الأم ، وأهل أمركا يتلون السود جهلا وخشا لجرّد اللون . وأهل انكثرا يطردونهم من مطعمهم لجرّد اللون

٥٣ الانسان وتوزيعه على المعمور . شروط صلاحية افطر السكى . مهارة الانسان طائفة الأقطار التي يسكنها أسباب قلة سكى الغابات الاستوائية . ووارثها بالمعالم المعتدلة . لتعريفات امداية تعد القطر لا كنى وهكذا التعريفات البحرية . الحرف وتأثيرها في عاد السكان

٥٧ أسرار العلوم المخسوة في هذه السورة ، وذ كرجمة أسئلة (١) الذنوب ومغفرتها (٢) الكفر والايمان (٣) محاور مؤمن آل فرعون (٤) حاجة الكفار في اللزمن الى التكبرين والمنصفاء (٥) مايقوله بعض المفسرين في آية - خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس - فان ابن عباس يقول : إن ذلك إشارة الى السجالات وأن الآية رد على اليهود الذين يقولون إن السجالات برجع لهم ملكهم . والاجابة على السؤال الأول والثاني أن الآلام كالضرب والكسر والصدم والجرح ولأسقام كلها مسدرات . والذفات نصف الرحمة والآلام نصفها الآخر . ثم إن ما تقدم في أول سورة الزمر من أن في الجنّ (١٦) دليعة سبها

الغبار والدخان ، وهذه الطبقات تحجب ضوء الشمس صباحا بحيث يكون أكل (١٣٥٠) مرة منه وقت الظهيرة . وهذه الحجب ودخانها الضار بأجسامنا المقصر لأعمالنا أصبح نعمة ، قطعها أكثر من ضره ، وهكذا القنوب فهي منعت اقضية العلوم على عقولنا دفعة واحدة لئلا نهلك . ثم ان الأرض أسرع قبولا للحرارة من الهواء وأسرع تخلصا للماء بالعكس وهكذا كل حيوان أو نبات أبطأ في النمو كان أكثر نفعاً والعكس بالعكس . فهناك فرق بين النخل والقمح وبين الحصان والكلب . وهكذا هناك فرق بين الحرم وبين أبيتنا من حيث الاتقان المناسب للقيام . هكذا الكافر وللذنب اذا صلح حالهما بعد الغناء الشديد كان صلاحهما وإيمانهما أتم لأنه بعد غناء . وهذا هو السر العام في كل ما نحن فيه من الشقاء والنصب في هذه الحياة

٩٠ (الفصل الثالث) في حجة مؤمن آل فرعون لقومه وفيه ثلاثة جواهر

٩١ الجوهرة الأولى في لمح من تاريخ قسامة المصريين وهذا التاريخ ثلاثة أدول: السورة القديمة ، والسورة الوسطى والسورة الحديثة ، وتاريخ السورة القديمة يتبدى بملك (مينو) الذي جمع ملك الوجهين البحري والقبلي وعاصمته (تانيس) أوطية بجوار جرجا ، ثم انتقلت العاصمة بهذا إلى منفيس عند ميث رهينة بقرب القاهرة ، وهناك شيد (زوسر) الهرم المدرج وسنفر وهرى ميدوم ودهشور وخوفو وخفرع وسقراع اهرام الحيزة الثلاثة وساحورع ونوفرقرع وأهرع وأوليس وتيتي وبني الأول والثاني ومصرع الأول والثاني ، هؤلاء منهم من شيد اهرام أبي صبر والمعبد الشمسي ، ومنهم من شيد اهرام سقارح . ثم تلت هؤلاء حروب وجاءت السورة الوسطى ، وهؤلاء من الوجه البحري ، وجعلوا مدينة طيبة مقرهم ، وسكروا النوبة ، وأقاموا المعابد بطينة ، وشادوا اهرام دهشور والشت والقيوم ، وبنوا قبور بني حسن والبرشة ومساتين من حجر الصوان لإحسانهما بالاطرية ، والقصر القوي هوشركي بركة فارن . ثم جاءت في الأسرة الرابعة عشرة إلى الوجه البحري في (سغا) ثم سقطت السورة ودخل الحكماء وس وجاءت السورة الحديثة فرجعت إلى طيبة وعظمت مصر وعظم سلطان الكهنة ، ثم أصبحت العاصمة (ماجهر) بالقربية وتل بسطه بالشرقية . وفي هذا الوقت ابتداء الانقسام فدخل الآشوريون وضعت مصر ممد دخل الفرس ثم دخل اسكندر المقدوني . كل ذلك بالانقسام . والمهم في الآية أن هذه الأمة وأمة العرب في الأدلس متشابهتان في الانقسام فالصريون عبدوا الطير والسمك والحيت والخناسبع والقطط والكلاب كما تقدم في (سورة النمل) واقتتلوا على ذلك ومتى خربت العبول صاعت الأمم . وهكذا الأندلسيون افترقوا عشرون دولة صغيرة فأهلكهم الآدوريون . وهذا هو السر في قول مؤمن آل فرعون لهم - يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا - الخ فبأس الله هو التفرق والاحلال الذي جاء بعد هذه النجبة لأنه كان في السورة الوسطى . وأسبق ذلك الزمن السورة الحديثة التي كانت هي انتهاء دولة المصريين كما انتهت دولة العرب في الهند والعرب نفس هذا الانقسام بعينه وبينه مع خراب العقول وصباغها بالقياد الأعمى . وهذه هي حال المسلمين اليوم . ولقد فصل الفرقة بأهل مصر في زماننا ما حصل لهم ألم المراجعة . فأوثق لما أراد الله ان يلاكمهم ساطع على عقولهم الحرامات فجعلوا الحيوانات في المراجعة الأولى من الآلوهية والعبود الحق في المراجعة الثانية متفرقوا . وهنا تفرقنا نحن بسبب البشرين للمبتلى في البلاد الذين زلزلوا عقائد الأكابر فأضاهوا البلاد ودخل الانجليز مصر وأصبح المتعلمون إلا قايلا منهم يقشرون بالمراجعة في كل أحوال حبابهم . فما أشبه الليلة بالبارحة . إن قصة مؤمن آل فرعون منطبق على حالنا اليوم . إن الرأى والتداع هما الزمان . وقد

يقوم بأمر البلاد أحسن النفوس وأضف العقول والسفهاء وأصلب المناضخ الخبيث والسيرة القبيحة ،
وقليل من يتولاها من ذوى النفوس الشريفة الصادقين ، والمصريون اليوم عرب لهم صلة بالعرب في
شمال أفريقيا والجزائر واليمن والعراق الخ

٦٦ فهناك نصيحة الدكتور يحيى الدردير إذ رُفِعَ موته في صحيفة الشبان المصريين قائلا : « لابد من اتصال
المصريين بالأمة العربية ، فأما الانحصار على الوطنية المصرية وحدها وعدم اتصالها بالوطنيات الأخرى في
العراق والشام الخ فغناه الموت والحلاك ومعناه الانقسام » (وبعبارة أخرى) ذكر للمصريين روابط
الدين واللغة والنسب مع العرب الآخرين . فهذه نصيحة مصرية في عصرنا لما وازناها بنصيحة مؤمن
آل فرعون وجدنا بينهما مشابهة ما ، وعسى أن تكون هذه النصيحة يعقبا لارتفاع الأمة وإن كانت
نصيحة مؤمن آل فرعون أعقبا هو ان الأمة لأنهم لم يتظنوا

٦٩ نورالعلم في صلاة الوتر بعد صلاة العشاء ، وهذا ذكر المؤلف معنى الاستغفار ، ثم يستغفر رسول الله
ﷺ : « أمن ذنبي وهول ذنبي له . كلا . إذن استغفاره ﷺ هنا راجع الى إزالة سبب القنوط أى
دوام ذلك الزوال كما قول اهدنا الصراط المستقيم ، والفتح المذكور في سورة الفتح ترتب عليه الغفران
بهذا المعنى إذ الفتح هناك راجع لفتح العلم وهو يحدث الأثر في قلوب السامعين فيشربون العلم بفتح
البلدان ، إذن الفتح والغفرة راجعان لفتح العلم ولسفاه النفس وغلوصها من سبب الذنب . أما
التسبيح والتحميد فهما أمران عجيبان : ان التمجيد الذى نشاهدها غيرة ولكننا نراها بمزوجة بالشعور
وهذه الشعور تحدث عندنا خوفا من الله ويكون الحب لله على مقدار ما يكون من القطف الذى نحس
به بعد كل شر يصيبنا فنكون عبيد سوء لانعرف النعمة ولا نحسن بها إلا اذا أصابنا الشر لفروى بين
النعمة والقيمة ، ولكن اذا أدركنا بعقولنا ودراستنا العلوم الربانية والطبيعية ، وتحققنا بعقولنا أن
الشعور لابد منها لنحلم التمجيد أصبح حينئذ لا حذ له وهناك فقط فهم معنى الرضاء بالقدر ومعنى « الإيمان
بالقدر خير من شره من الله » وهناك هناك فقط تكون سعادة هذا الانسان ويكون الحب الحقيقى ، وهل
السعادة إلا الحب ، والحب هو النعم كله والسعادة كلها ، فلا دنيا إلا بالحب ، ولا نعيم فى الآخرة بحق إلا
بالحب . هذا هو سر الاستغفار والتسبيح والتحميد

٧٣ (الفصل الرابع) في حجة الضعفاء والمستكبرين في النار . وبيان أن ذكر المسيح الدجال بعد حجة
الضعفاء والمستكبرين للدلالة على أنه اذا كان المسيح الدجال (مع ماله من المكر والدهاء انى لا ينافها
في الخديعة الرؤساء الضالون والشيوخ العاشقون) لا يتلى أتباعه من العقلاء لأن لهم عقولا فأولى بالعقاب
هؤلاء الذين يتبعون المضلين من الشيوخ والأمراء المضلين . إن الحاجة بين المستكبرين والضعفاء في
آية تزيح المسلمين الحاليين الذين تركوا مواجهم وعقولهم ونسوا أن كتاب « الفرق بين الفرق »
الذى اشتمل على (٧٣) فرق من فرق المسلمين ، كان كل اختلافهم المذكور فيه غايلا لارجع الى سبب واحد
بحسب الأصل وهو الجاهل والثروة والمالك ، ولادواء لهذه الأمة عندهى إلا دراسة العلوم الرياضية والطبيعية
وجميع علوم أهل الأرض ، ولا يصاح قيادة هذه الأمة رجال يجهلون هذه العلوم ، ولا رجال الدين ولا رجال
السياسة ولا الأمراء ولا الملوك ولا رؤساء الجمهور ، يلت في أمة الاسلام بتافعين مالم يتعدوا هذه العلوم .
وكفى كل واحد من هؤلاء أن يل بأكثر ما في هذا التفسير . فأما غير من اتصفوا بذلك الوصف فهم
لا يصلحون لرق هذه الأمة لأنهم جهلاء غالبا جهلاء مركبا

٧٥ (الفصل الخامس) في المسيح الدجال . لقد تكلمنا على المسيح الدجال في واطع كثيرة من هذا

التفسير، ولى كل موضع قائمة ليست في الموضع الآخر. فاختلاف العبارات باختلاف المواضع كاختلاف الزروع. لكل وجهة وفائدة، إن المسيح السبل أغدبه الأبناء قومهم، وليس من العقول أن ينثروا بالقي لا يحدث لأهمهم، وليس من العقول أن يستعيد المسلمون ١٣٥٠ سنة من شيء لم يكن له أثر، إن الدجل والنس والفتن والتداع محيط بأمر الاسلام من جميع الجهات، فمن شيوخ لاعلم عندهم يقرون الأمة ويقولون « لا موجب لقراءة العالم » فتنام الأمة، ومن قوم يأتون بتجارة أجنبية تبتز القوة والأمة نائمة عن الصناعات، ومن أمم أوروبية أو مسلمة شرقية تحتل بلاد الاسلام وتقتل الرعية، فالأولون بحجة الإصلاح الكاذب، والآخرين بحجة أنهم على ديننا، فكل هؤلاء من أتباع المسيح الدجال، ولا ينال هذا أنه يظهر في آخر الزمان، ولكن نحن ننظر لما هو حاصل الآن، فليكن هو كناية وهي معروفة في علم البيان. فكل هؤلاء استعاذ منهم النبي ﷺ ومنهم نستعذ نحن فظواهرهم كالسبح ابن مريم وبواطنهم أنهم دجالون، فاستلج السحابة والتابعين وأمثال صلاح الدين وعمر بن عبد العزيز وضع يدك على من تشاء تجدهم مترفين منميين دجالين إلا قليلا كانوا محضين. إن المستعمرين مادخلوا أمة من أمم الاسلام إلا أصبح شيوخ الطرق غالبا دعاة لهم. ولما قول ابن عباس « إن الآية واردة في اليهود » فهو حق وظهوره الآن والا فإذا ترى. إن الحرب العظمى ما أشعلها إلا ألمانيا بسبب الفلاسفة اليهود مثل نيتشه والبلشفية في روسيا رؤساؤها اليهود مثل لينين وفتنة فلسطين وطمعهم في الوطن القوي ظهرت في هذه الأيام وهي من اليهود. أليس هذا هو عين قول ابن عباس بل هو مجزأة وهو أنهم سبتكولون في ملكهم على المسيح السبل وها هي هذه الدول المستعمرة هم الدجالون وعليهم انكل اليهود وابن عباس قال لا ينالون شيئا. فصلي المسلمين أن يرقوا عليهم ليزول خداع الأمم وتلك أغلال العالم على أيدي المسلمين والا فنفع الانسان لأخيه الانسان أقوى ألف مرة من نفع (أبي قردان) الذي حافظنا عليه (زرعنا)، فهل (أبو قردان) أنفع من الانسان للانسان؟ إذن الانسانية اليوم بهاء جاهلة، وعلمنا نحن أن رقيها لنقتل السجل منها، ومن أهم السجل إبقاء الأمم جاهلة بسبب الاستعمار تارة وبسبب النيوخ الجاهلين تارة أخرى، ومن أهم السجلات المبشرون الذين يزولون العقائد لاصطياد الأمم، وجاء في إحدى المجلات العلمية وهي مجلة « الشباب المسلمين » مقالة بهذا المعنى عنوانها « من كان يته من زجاج فلا يجرم الناس بالجملة » وأن المسيحيين يقولون: تعاليم المسيح عرفناها من قبل لرسالة لكم ولم تنالوا من الصين أكثر من (٤٠) ألف نصراني يكسبون منكم رزقهم، وههنا سرد حكاية عيسى وهم مع لهم يدعون إلى السلام مادخلوا أمة إلا أهدنوا فتنة وادعوا ملكا وثارت الحرب فهل هذا هو السلام. ولما علمت ألمانيا أن رجال الدين هم الذين مهدوا للانجليز دخول مصر بسبب بث العقائد الزائفة أخذوا يستعملون هؤلاء للبشرين لما يريدونه

٨٢ ﴿ سورة فصلت ﴾ وهي خمسة أقسام: تفسير البسمة والتوحيد. ذكر بدء الخلق. وذكر إهلاك بعض الأمم كعاد وثمود. وذكر الخضر. وشهادة الجلود والحواشي الخ والخامس في ذكر أن الليل والنهار آيتان إلى آخر السورة

٨٥ ﴿ القسم الثاني ﴾ من السورة إلى قوله - العزيز العليم - قد كتب مشكلا

٨٦ التفسير اللفظي لكلمة (حم) وهذان الحرفان يرجعان للعهد والجد على نعم، وههنا سرد المؤلف نعم الله التي في هذه السورة

٨٩ ذكر بدء الخلق - قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين - الخ

- ٩١ (القسم الثالث) من قوله تعالى - فان أمروا - الى قوله - وكانوا يتقون - وتفسيره القنطري
- ٩٣ (القسم الرابع) من قوله تعالى - ويوم يحشر أعداء الله - الى قوله - فاستمذ بائنه - الخ قد كتب مشكلا ، ثم تفسيره القنطري
- ٩٥ (القسم الخامس) من قوله تعالى - ومن آياته الليل والنهار - الى آخر السورة قد كتب مشكلا ويعلله التفسير القنطري
- ٩٨ لطائف هذا القسم : هي ثلاثة . الأول في إزال الماء من السماء وأنبت النبات الخ
- ٩٩ اعلم أن المواد المعدنية والنباتية والحيوانية لا تتكامل إلا في وسط موافق لها وأقل درجات الاجتماع أن تكون العناصر لافقيا تركيب كيميائي ولا نظام حيواني كجبر الجبر ويسمى جبر الباء (والدهش) (والدهشوم) فهذه مركبات من كالسيوم وأكسجين ، وأرى من هذه التركيب الكيميائي كاليتوسا الكاوية ، ففيها البوتاسيوم والأكسجين والادروجين والكالسيوم والكربون ، فبأنها هذه بنظم خاص تصبح جسم له خواص جديدة ، وأرى منهما طريقة الحياة النباتية والحيوانية ، فلأخذ الأكسجين والادروجين والأزوت والكربون التي لا بد من وجودها في كل نبات وحيوان ، فهذه يركبها الكيميائي ولكنه لا يقدّر أن يخلق فيها الحياة ، إن الحياة فيها سر البناء والهدم كرفع الجبال إلى أعلى فيرتفع إلى حد خاص ثم ينزل إلى الأرض . إذن الموت ناجم من فقدان القوة الحيوية ، وأصل الحياة مادة هلامية (بروتوبلازما) تصبح حوصلة والأحسن أن تسمى بيضة والبيضة تنقسم إلى نين و و و و ١٦ و ٣٣ وهكذا (انظر هذا في سورة مريم مع الموسيقى ومع حساب بيوت الشعير) فأما وأنت وكل نبات وحيوان أصلنا هذه البيضة ويحصل الانقسام وفي أثناءه تكون العين والأذن والقلب الخ ١٠٠ الحياة سائلة والنبات من أعلاه متصل بالحيوان كنوع (التوفيت) فهو على شكل النبات ولكنه حيوان ، ثم الاضطراب الطلالي ، ثم الهدبان ، ثم الحازون والبزاق وفوات الأصداف . والحيوان القشري فمقرب البر ففوات الفترات كالسك ، فالبايات الأرمية ، فليطور ففوات الثديين وهكذا إلى النرد فالإنسان
- ١٠١ (خلق الإنسان) انه يخلق تدريجيا في الرحم فيكون دودة خازونة فسمكة فذبابه ففردا فإنسانا سويا وهذا هو معنى قوله - مخلقة وغير مخلقة -
- ١٠٣ (الطيف الثانية) في آية - لا إله إلا الله - لا إله إلا الله من دعاء الخير - . أمر الإنسان بحب : يسب العمة فيضطرب ، فإذا خف الأمر عليه دعائه ، فإذا كثرت ألم أصبح أعشى ، وليس يخرج من جهله إلا العلم (الطيف الثالثة) في قوله تعالى - سقرهم آياتنا في الآفاق - الخ فهناك هذا قد تبيّن الخ في زماننا ، وأنت أيها القارئ إذا قرأت ما تقدم في التفسير أثبت أن ما به خلاصة علوم الأمم في أرضنا . إذن أنت اطلمت على معنى هذه الآية بقراءة ما سبق في هذا التفسير . إذن أصبح دين الاسلام دين الحكمة والفلسفة . إذن أنت شريك في الفكرة غرام عليك أن تنام
- ١٠٣ أيها المسلمون القارئون هذا التفسير : أتم خلفاء الله في أرضه
- تذييل لتفسير هذه السورة و به ثلاثة فصول : الفصل الأول في إيضاح قوله (إليه يرد علم الساعة) العجب إن الإنسان يرتقي في الرحم كما تقدم في درجات الحيوانية ، فإدراكنا الطفل يلعب لهُ ، ويجب الحمامة ويداعب الصغور فذلك لأنه كان بالأمس مثلاً . إن التلذذ يجب أن يمر على جميع درجات التعلم حتى يمكنه أن يعلم (ذلك لم يكف المسلمين أن يعلمهم قوم من الذين مالوا الكشاف لأنهم لم

يحموا على المبرجات كلها كما حرم الجنين

١٠٤ ﴿ الفصل الثاني والآيات ﴾ في إضاح الكلام على آية - سترهم آياتنا في الآفاق ولى أنفسهم - الخ

وذكر نبذة من كتابي « ميزان الجواهر » تتضمن البحث في نظام علم التوحيد في بلاد الاسلام وأن المؤلف وهو في حال الصبا كان يقنى لوأن المسلمين درسوا هذه المشاهدات في المعاهد الدينية . وانه شاهد بعض الحيوانات الصغيرة المرقشة فأدهشته ، وأخذ ينظر بعقله ، وقرأ التفسير في الحقول وهو بعيد عن دور العلم ، فغلا له الفهم ، ثم أقبل « بدارالعلوم » وأصبح موقفا بأن هذا العالم له نظام تام ففرح بذلك فرحا شديدا وأخذ يقول : « تبارك من عزّ عليه هذه الحياة وهو لا يعقل هذه الجباب ، أما التناسل والمسا كل فأمران علان ، فن استعمل عقله في هاتين الشهوتين فقط فالتباهم خير منه وهو أهمل » وهما سبعة أمور : — (١) ميل الفطرة الانسانية للغرائب (٢) دليل الألوهية في الامور الغريبة أقرب الى أذهان البسطاء (٣) آيات القرآن ناطقة بذلك (٤) ويجب أن يطبق العلم على صفات التنزيه والتعظيم عند كل عجيبة (٥) فذلك مع كونه علم توحيد هورقى للانسانية (٦) مطالعة العلوم على هذا النمط ازيداد علم بالله (٧) بهذا يشبّ الطفل على حب الله

١٠٧ ﴿ النبذة الثانية ﴾ ما كتبه المؤلف في مجلة « نورالاسلام » لأنه رأى رؤيا وأن ملكا في النوم كان يعلمه ، معنى « بدأ الاسلام غريبا » وأخذ يفهمه طول الليل أن الاسلام سيظهر وينتشر انتشارا غريبا اليوم كانتشاره أولا . فأخذ المؤلف هذه المعاني وجعلها من عنده في مقالة تحت عنوان « مما أوجب للمسلمين السقوط . جعل اقتراب الساعة سبب السقوط » . جاء في القرآن أن الساعة آتية لا ريب فيها وانها قريبة . وذلك لاحداث النشاط للعمل . فالحق كانوا محذرين في العمل بهذا السبب ولكن نفس هذا السبب اتخذ جهل المسلمين سببا للبطالة إذ يقولون : « قربت الساعة فلماذا نعمل » وهناك جاء الكسل . ولكن قرب الساعة ليس يفهم كما يفهم الجاهل . ان اعمارنا قصيرة فاقرب عندنا عشرات السنين . أما القرب بالنسبة لصانع العالم فهو معنى على الظم العلم القديم الزمان . واذا نسبنا مائة ألف سنة أو مليون سنة الى مئتي الملايين كان ذلك قريبا . وهذا معنى - أنهم يروه بعيدا ويراها قريبا -

١١١ اللطائف العاتية لأقسام السورة كلها وهي ست لطائف

١١٢ ﴿ اللطيفة الأولى ﴾ في التسمية ومناسبتها لما ذكر في السورة من الرمز الى طبقات الأرض وما فيها من

صور كشفها النوم . الآيات المقصلات في المادة الأرضية والسموية . للسمع جاءت اللغات . والبرخلفت المشاهدات . والسورة بدئت بالآيات المسبوعة ثم انتهت الآيات للمهرة والأرض وما عليها كلها في (٤) أيام . والسموات في يومين . العوالم كلها ترجع الى سماء وأرض . وتفصيلهما يكون بعدين : علم الفلك وعلم طبقات الأرض . يقول الله : « أغارحهم رحمت الحشرة بالآلاف العيون ورحمتكم أتم يعلم الجيولوجيا والفلك لتقرءوا الجمان »

١١٥ وسيكون في الجيولوجيا بيان : باب العلم . وباب العمل . أما علم يذكر معلومات عامة وأهم النظريات الحديثة . والعصر الأول للأرض . وعصر الحياة القديمة . والحياة الوسطى . والحياة الحديثة . والعصر الجبرى القديم فالحدث وعصر البرز . في ذكر معلومات عامة

١١٦ فطاع تخيل يوضح أقسام الكرة الأرضية (شكل ١٣) العلاف الجوى والعلاف المائى وأعماق

١١٧ الكلام على «هم» النظريات الحديثة من حيث ان الأرض كانت ، سديما . آراء الاستاذ (كانت) سنة

- ١٧٥٥ « انه كان هناك سحب مركب من غلز » ومنها اشتق (لابلاس) ملعبه . ومعنى هذا أن حارة الأرض الآن أقل من حورتها قديما ، وهذا الرأي باطل الآن
- ١١٨ منظر السديم المعروف في مجموعة نجوم الجبار (شكل ١٤) منظر السديم الحارزوى في مجموعة نجوم السلاط بالمنظار الفلكى ، والأول يمثل كوكب الشمس دنايا والثاني يمثلها وقد امتد منها ذراع
- ١١٩ (الفصل الثالث والرابع) في العصر الأول للأرض . العصر الابتدائى والحياة القديمة . وفيه الكلام على أشكال الحيوانات البحرية القديمة
- ١٢٠ لوحة فيها (١٢) صورة حيوانات قديمة في ذلك العصر وبياضات وأتواع من الحمار
- ١٢١ عصر الحياة الوسطى ، وفيه وصف البحار وقد طفت على اليابسة . وكيف ظهرت حيوانات واقترحت أخرى . وذكر انه كان هناك بعض الحيوانات الرخوة الحمارية (الامونيت) وكان من هذا الجنس وحده (٤٠٠٠) نوع مختلفات وقد كثرت فيه الشعب المرجانية . والكلام على عصر الحياة الحديثة
- ١٢٢ لوحة فيها (١٠) صور فيها أهم الحفريات في صخور حقب الحياة الوسطى بالقطر المصرى
- ١٢٣ وهنا وصف القنفذ البحرية والاورتريا وأن الحشرات انتشرت انتشارا كبيرا الخ
- ١٢٤ لوحة فيها أهم الحفريات في صخور حقب الحياة الحديثة بالقطر المصرى فيها عشر صور منها ما كفة متعجزة وسرطان بحرى وسنن الحوت وورقة شجرة وغيرها
- ١٢٥ العصر الحجري القديم . وهنا اللوحة (٤) فيها (١٩) رسما تشتمل على (١) قطعة من الخشب المتحجر و(ب) منظر الغابة المتحجرة قرب القاهرة . وهنا ذكر الغابة للمتحجرة القريبة من العباسية فيها أشجار تبلغ عشرين مترا
- ١٢٦ العصر الحجري القديم والحديث . وعصر البرز . وهنا ستة أشكال منها آلات من الصوان الحجري القديم باليوم ومجموعة من الآلات من حجر الصوان تابعة للعصر الحجري الحديث
- ١٢٧ وهنا ذكر أنهم وجدوا رسوم أيدي السكاكين التى أخذوا بها الحيوانات والوحش كالثور والحيدان والحمار والكلب والقط ، وقد عرفوا الزراعة والصناعة ثم هجروا الكهوف وسكنوا وسط البحيرات خوفا من الحيوانات
- ١٢٨ (عصر البرز) ومن القريب الانتقال من آلات الصوان الى البرز وللصويون وحدهم انتقلوا الى عصر النحاس وهو هب !
- (نبذة من علم الجيولوجيا خاصة بالقطر المصرى) اهتم قدام المصريين بالمعادن وفى زمن الرومان ثم أيام المنصور له محمد على باشا وفى هذه الأيام اتجهوا كوة أخرى
- (زيت البترول) كان يترى عند سفح جبل الزيت على شاطئ الخليج وكشف عام ١٨٨٥ فى جسا فى مغارات قرب الشاطئ كانت ممتلئة لاستخراج الكبريت
- ١٢٩ هنا أشكال : شكل ٣٣ منظر لجزء من حقول البترول بالقرنفة (شكل ٢٤) بار فى أول الانتاج يتدفق البترول من الفوهة بقوة عظيمة من جسا (شكل ٢٥) أحد عروق الرواحمة للذهب بمنجم سينا بالصحرء الشرقية (شكل ٢٦) منظر عام لمنجم القوسفات بسفاجه بالصحرء الشرقية (شكل ٢٧) منظر منطقة مناجم المسجيز بشبه جزيرة سينا . موازنة بين أنواع البترول بهذه الجهات
- ١٣٠ الطليفة الثانية فى آية - كتاب فصلت آياك - الخ وهو مبنيان : مبحث لغوى ومبحث علمى سياسى والمبحث اللغوى جاء فيه قول ابن النقيب : « إن القرآن وإن كان كله لغة العرب قد دخل فيه من

لغات الأمم الألفاظ

١٣٦ وهنأ جدول بالألفاظ قرب من (١٥٠) لفظة من قبائل العرب المختلفة مثل : مسطويأ أي مكتوبأ بلفه جبر ، ومثل السفهاء أي الجهل عند كنانة ، ومثل كنود أي كفور لقم عند هذيل ، ومثل : أنكر الأصوات أي ألجبها عند جبر ، ومثل : بجبار أي مسلط عند جرهم ، ومثل لاشية أي لاوضح عند أرمشومة . ومثل رفث أي جماع عند ملصح . ومثل صريج أي منقشر عند خثم . ومثل نحه فريضة عند قيس عيلان . ومثل حنفة (أختان) عند سعد المشيرة . ومثل جفا أي طرأ عند كندة ومثل اخسوا أي اخزوا عند هلرة . ومثل ربيون أي رجال عند حضرموت . ومثل لطقا أي عمدا عند غسان . ومثل لاقلاو أي لاقروا عند مزينة . ومثل أملاق عند نهم . والقود عند بني حنيفة وصهرت أي ضاقت عند الحيامة . ومثل تيلوا عند سبأ . ومثل تكص عند سليم . والصاقتة لعمان . وينق عند طي . وأقبضوا عند خزاعة . وخبالا عند عمان . وأمه أي نسيان عند قيم . وطاثو عمله عند أعمار . ولأحتسكع عند الأشعرين . ولينه نحه عند الأوس وهكذا . هذاق قبائل العرب . وهكذا لغات الأمم مثل : أبريق طرسية . ابلي حبشية . وأسباط لفة بني يعقوب . واستبق هجمية . وأسفارأي كتب (سريانية وقبطية) . اصري أي عهدي (نبطية) . أليم أي مومع (زنجية) . وأناه فنجه (أهل الغرب) . وأواه موقن (حبشية) . الأولى أي الآخرة وبالعكس (قبطية) . بطايتها غواهرها (قبطية) . كيل بير (حار) عبرية . جهنم فارسية . حرم أي وجب (حبشية) . واخوار يون الفسألون (نبطية) . ورعا غلبا لليهود وهكذا . وغساق : البرد للنق . وفرنس (رومية) والقيوم سريانية . ويصهر ينضج بربرية

١٣٦ وهنأ نظم لأربعة وعشرين لفظة أوله (السلبيل وطه الخ)

١٣٧ (المبحث الثاني) وهو السياسي العلمي في قوله تعالى - كتاب فصلت آياته - الخ وهذا المبحث فيه الكلام على العرب أيام جاهليتهم الأولى وجاهليتهم الثانية . فهم في جاهليتهم الأولى أيام حوراني إذ كانوا بالعراق تغلبوا على السومريين حوالي سنة ٢٤٦٠ ق.م وكتبوا بالقلم السومري وهو أشبه بالقلم الهيروغليفي للمصري . وفي أول أمرهم لما تغلبوا على السومريين استعملوا لغتهم وقلمهم ثم أمهلوا لغتهم وحفظوا قلمهم . وله صورة بديعة في صحيفة ١٤١ (شكل ٢٨) وهذا الخط لارال يتفرخ كانت سنة ٣٢٨ ب.م إذ أصبح بشكل ماكتب على قبر اصري القيس بن عمر . وهو خط يغابر الأول (شكل ٣٠) في صحيفة ١٤٣ ولاجزم أن هذا كان قبل البعثة بثلاثة قرون . ومن زمن البعثة الى الآن بقي الخط العربي بهيئته الأصلية ومعه النسخين والخط واللغة محفوظتان (انظر شكل ٣١ و٣٢ و٣٣) وهي رسم لسورة الفاتحة وقل هو الله أحد باللغة العربية والصينية وذلك في صحيفة ١٤٤ و١٤٥ و١٤٦ ومن يقارن ما حصل في اللغة العربية من حفظها بمجدد مخالفا لما حصل في اللغة اللاتينية التي كانت لغة الدين والعلم والسياسة . فان الدولة الرومانية صاحبة تلك اللغة لما هجم عليها الوثيخون وهم آباء هؤلاء الاوروبين ونفت منهم أمة الألمان وحكمت رومه وكانوا همجيين سنة ٤٧٦ ب.م واختل الأمن أخذت كل أمة تكتب بلغتها وأصبحت اللغة اللاتينية لغة تاريخية لاغير وحلت محلها الألمانية في ألمانيا ولاعجبية في اسكترا وهكذا . وهذا بخلاف اللغة العربية فانها لم تحل محلها لغة أخرى . فقد أعدت لغة القبط بمصر والروم بالشام والنبطية أو الكلدانية بالعراق وحلت محلها الى الآن ولما نشأت منها لغات أخرى وهي لغات العامة بمصر والمغرب والشام بقيت هذه الأمم تحافظ على العربية

الأولية . وكلما تباعدت عنها أخذ القرآن يقرّبهم منها ، إذ في هذه الآية ظهر سرّها الآن إذ رأينا الله
اللاتينية التي كانت سائدة في أوروبا ديناً وسياسة بطقت والعربية بقيت . هذه هي المجهزة القرآنية
المذكورة في هذه السورة - لا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه - مع قوله - من ربهم آياتنا
في الآفاق - الخ وهذا من مدحنا القرآن

١٤٧ ههنا جوهريتان : الأولى في مقالة الكاتب الأمبركي إذ يقول : « إن جميع المسائل يكتب الناس فيها ألبما
وشهورا ويسكتون ، ولكن معرفة الله وخلاص النفس لا تقب الكتابة فيهما في الماضي والحال
والاستقبال ، وضرب مثلا للمعلم بالقطط العمياء التي وضعت في صندوق والرجل برفعه ويعدى القطار
بالأين ولكن إحداها قتلتها الكلب لأنها خرجت من الصندوق ، قتلت قتلة منق : أين الرجل ! لو كان
موجودا ، لا رجل هنا ولا حق ولا شفقة ، فهذه تشبه (أنجوسول) الحاحد الأمريكي ، وهات أخرى
إن الصندوق يجري على نوابس طبيعية . أما الرجل فلا وماهـ هذا الابن إلا أمر نظامي مابيى لاغير .
أما الرجل فلا وهذه القطة تشبه (اسحق نيوتن) ولكنه هو مؤمن ولكن القطة بعد ذلك أبصرت
فراحت الرجل فاعتنرت له قتل عنفها

١٤٩ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في آية - وجعل فيها رواسي - وإن من الرواسي وهي المال حمل اللهه بأمرىكا
الجنوبية التي عثر عليه رجل أمريكي أصلى تابع للقبطان (جون) دستولى عليه باسم ملكه سنة
١٥٤٥ م وفي معهم ٢٨٠ سنة ، وهذا الجبل بملكه بوليفيا وقد خرجت من يد الانسان سنة
١٨٢٥ وقد كسبوا منه ١٦ ألف مليون ريال أى ٥١٢٠ مليون جنيه ، فيكون الكسب منه
كل سنة ١٨ مليون جنيه وثلاث ، والفاضة اليوم قلت قيمتها ، وفي الجبل قصدير ، ولاصدر منه إلا
قليل الآن

١٥٠ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - حتى إذا ماجلوهها شهد عليهم وأبهارهم - الخ . وذكر
آيات أخرى مع هذه مثل آية - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم - هاء على عجيب ، ذلك
انه لما ذكرت الأيدي والأرجل وحدها في الشهادة - ولما ذكرت مع اللسان نارة ونارة وحدها
والفم مخنوم عليه ، وجواب ذلك أن اللسان يشهد بها إذا كلن الانسان أشد نارا قوم تنو بما يعاطيها
لاحرية له ، فأما إذا كان مستكذبا فواء فانه يكذب فإذا كذب شهد به هي وحدها ، واختصاص
هذين العضوين بالشهادة لسر قد طهر في عصرنا ، فإن الناس سنة ١٨٩٠ م هم التي دخلت فيها
دارالعلوم استندوا في علم الباحث الجانية الى هذين العضوين لأنهم حوا هذه الحطوط لانفسهم أمدالحياة
من المهد الى اللحد ، فهي ترسم في الجبين وتأتي الى ما بعد الور ، بخلاف فيه طواهر الحسم وهي
كلها متغيرات تغيرا تلبا . وهذا هو الذي عليه الاتحاد اليوم في تحق الحيات . وهذا الذي يجب أن
يعمل به قضاة الشرع الاسلامي . فاذا عارض فراما شاع ، مع هاء الأنا لا يركبها لأدى والأرجل
على نياب القائل أو على السيف أو نحو ذلك . فهذه يقينية وشهادة لشهود طية لا ع . والافس فندم
على الطعن . واذا قيل الله شهادتها وهو ليس في حاجة اليها لما شاء الله ، فلو شاء الله حجهم اليها .
وهذا السر ظهر الآن في هذا التفسير وأما أصله للامم م م . وهما (٩) شكلا لأيدي الأرحل
من غرة (٣٤) الى (٤٢) وهي مرسومة في الصفحة من ١٥٤ الى ١٦٠ وهي تدين موضح
أشكال الأيدي والأرجل . وتبين أن خطوط الأصابع ، به أواع رية . ثم إلى حيات وأما
منحدرات الى اليسار . ولما من ندرت الى الجين لاء م م . ثم الأقدام إما من مسكون لرحل

صاحبها سائر. وأما أن تكون لرجل صاحبها واقف. ولكل واحد من هذه الأحوال شكل من الأشكال الثقلية، ومن الأرجل ما هي مقوسة، ومنها ما هي منبسطة. هذا هو الاجمال.

١٦٠ (الطيفة الرابعة) في آراء حكماء الأمم وعلماة الاسلام في الأخلاق تصيرا لقوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - الخ. وذلك أن المؤلفين هنا هو جالس إذ أخذته غشية فأحسن حكمائه في عالم آخر وقد رأى فرشا مرفوعة وأكوابا موضوعة، وهناك فتاة رافعة للجلال. فلما رآها خرو صريحا لمعنته من الجلال، ولما اشتاق وأشفق أن يكون ذلك حراما عليه لأنه هام بالجلال الحسى. قالت له هذا ليس حراما عليك، انك في الحال الروحية، وأفهمته أنها هي البصرة، فهي رمز لبصائر الناس جميعا في الأرض، فاستغاث بها أن لا تخرقه، وأخذ يقول لها: أما تعرف بك، إن كل حياتي فسكر والعكرتك وفيك. فقالت له: كلا. ولكن انظرالى مزارعي في عقول علماء الأمم. فهناك امتثل أمرها. وأخذ يقرأ عليها آراء كوفشيوش الصينى قبل ٢٥٠٠ سنة، ويتبع مذهبه ٥٠٠ مليون نفس، وهذا المذهب ملخصه أن يجب الإنسان جميع الناس شرقا وغربا، وأن الطبيعة موزونة، وأن الإنسان له بالله صلة، والله يرعاه ويرى كل غلط في الأرض، ويقول هو: «إن ثقته بالله لاحد لها وهو يساعده، وهو الذى عين له الوظيفة التى يقوم بها الآن، والطبيعة التى خلقها الله لاسر» فيها، والإنسان له بجميع الناس علاقة، والحب هو نهاية المقاصد فى الدنيا فيجب جميع الناس كما يجب العلم ويجب ربه. وفى كل انسان مبدأ للخير. ومبدأ للعطف على الناس. ومبدأ لما يثير الحجل من عمل الشر. ومبدأ يجره للخير من الشر. والحق من الباطل. والناس يولمون أظهارا. والترف والنعيم وكثرة الطعام والدم والخف تجعلهم بهائم. على هذه الأخلاق درج الصينيون. هذا ملخص آراء كوفشيوش

١٦٥ وهناك آراء أفلاطون فهي قريبة منها. يقول: «إن الشهوات والأهواء تشازعنا فعلىنا أن نسمع صوت العقل واكرام النفس فى شىء واحد وهو الفضيلة. إن الفضيلة تمتع الروح. ان الفاضل وان تغفر في أول أمره فانه يسعد سعادة حقيقية داخلية في أول أمره. وداحلية وخارجية في آخر أيامه إذ يسمح الثناء الحسن والاحترام من الناس جميعا. إن الفضيلة فوق المال والمتاع وكل ماقتنيه ونجب به»
١٦٦ ومثال ذلك سقراط قام بما عليه في ميادين القتال وامتلأ أمر رؤسائه. وهكذا لما صار يعلم أبناء أثينا العلم ووقف موقف الموت اختار الموت ولم يترك العلم والعدل ولم يرض بالهروب من السجن لأنه يعتقد أن ذلك شر. والذى يقابل الشر بالشر لثيم. وعلق الاستاذ (مارتنلى ساتيلير) على هذا بما يفيد أن المصائب ما هي إلا عقوبات والعقوبات يجب قبولها بالسرور ولا يجوز الهرب منها

١٦٨ وتقل عن سقراط ما يأتى: «إن عجة الأشرار ليست عجة. وعجة الأخيار هي المحبة. إن الأشرار يحون بعضهم بعضا. فأين المحبة إذن؟ وما دام الإنسان يرى انه يمتاز عن صديقه بمال أو كرامة أو غيرها فلا صداقة بل هناك أحوال متعيرات واضطراب. ثم ان عمل الشر مع الأشرار يزيدهم شرا فيجب أن لا يجعل الشر معهم»

١٦٩ وقال أيضا: «أصحاب النفوس الشريرة لا يجوز لفافل أن يقابل شرهم بالشر لأنهم مرضى. وهذه المقابلة تزيدهم شرا. وأكثهم يرجع بالين. والدارليس كذلك. يجب كظم التيط والعفو» وقد ضرب سقراط ضربه مثلا لذلك. فانه لما علم من الكهانة انه أعلم الناس شمر عن ساعد الجذ وقام منشرا

العلم امتثالا لأمر الله وقسم نفسه للقتل ولم يهرب من السجن مع تمكنه حفظا لنفسه . إن في القلب صوتا من الله يأمرنا بالأعمال الفاضلة مع الجميع ، فكيف نفر من هذا الصوت والله هورب الجميع ، الله صنع الانسان وهو معلق به يراى من يلى هذا الصوت ، ولا سعادة لاسرى إلا بذلك . فأما من أسلم قلبه للشهوات فإن الله يتركه لنفسه . ليقنع كل اسرى بأن الله يجرسه دائما فهو إذن لا يخاف شيئا في عالما ، لا خوف على الانسان الخبير في الدنيا ولا في الآخرة ، وإذا مسه الشر فانه يرى لطفا فيه متعاقبا ١٧٠ ليقطع للمرء عمره بهذه الآراء . وقال عن (سقراط) انه قرمارة أنكساغورس : « إن العالم صغر عن عقل ، فالعقل أصل كل شيء » . وعليه رأى سقراط أن نبعث عقولنا حتى نعرف طباعها . وهنا ذكرت الروح التي تحدث مؤلف هذا الكتاب أن الله يساعده دائما في هذا التفسير ، وأخذت تسمع منه مايقوله الشيخ الشمراني في العفو عن الشرير وعن الذي يسى في قطع الرزق عنه . وذكر ما حصل بين خليئين لأجل دنائير أهداها الـ سلطان سليم لأحدهما . وذكر أيضا أدبه في الأكل وأنه فيه يحضر قلبه مع الله تعالى . وأطلب في العفو عن المذنبين

هنا ذكر المؤلف كراء أهل أوروبا في الأخلاق وخبر بالذكر (الاستاذ بارلمى) الذي قرآن هنا ١٧٣ أمرين في داخل نفوسنا : أمر فوق مستوانا . وأمر هو عملا ، أما الأول فهوأن الصوت الذى نحس به في كل وقت يؤثنا بارة ويمدنا أخرى ، وهذا ليس منا بل هو من الله بدليل انه يورثنا الدم ويصاق نارة ويفرحنا ويمدنا أخرى . إذن هو أعلى منا . أما الأمر الثانى فهمى الإرادة . إن لنا في داخلنا اختيارا ، فلنا أن نطع ذلك الصوت ، ولنا أن نصيه ، فهو معل ولكن الإرادة منفذة فهمى نصي وتطيع كما نشاء هي لا كما يشاء ذلك الصوت الداخلى ، وليس في العوالم حولنا هذه الحرية ، بل كل العوالم تسير بقوانين أو بواحد لانعرفها . تناسبة الانسان إذن هي الإرادة التي هي المتمتعة بالحرية . إذن الضمير والإرادة هما أصل علم الأخلاق ، وقبول الإرادة ذلك القانون يشرف الانسان ويرفعه في أعين الناس والله أيضا يراه ، وليس في العوالم المشاهدة أشرف من ضناأنا وهي مؤذبة لنا تأديبا شريفا نهجز عنه قوانيننا . وبهذا يعرف الانسان انه مسؤول أمام خالقه ، وعلم الأخلاق يقرر عدلا إلهيا بعد الموت وخلودا للروح لتنال جزاءها الذى لم يتم في الدنيا خيرا أو شرا

١٧٦ سعادة النفس والسرور الوجداني بالفضيلة أحب الى نفوسنا مما دون ذلك من المناع والمال والبنين أولا ، ومن اللذات ثانيا ، ومن السعادة ثالثا ، بل الانسان قد يختار أن ينفذ هذه كلها ليحيا حياة السعادة النفسية ، وماهذه المذكورات إلا أمور ثانوية

١٧٧ آراء الحكماء بعد أرسطاطاليس . آراء أتباع أرسطاطاليس بعده . وهم أولا فادوفرستس والسترايون ومن نحوهما ، فانهم لما وجدوا أدلته وأهية في اسناد العلم الى الصورة المائنة بالمادة وانها سبب في حضور الكليات في أذهان الناس تركوا التكلم على الإلهيات . وثانيا الايقوريون . وأولهم أيتورس القائلون بالذلة (أى في الفلسفة خلقا لما هو مشهور) . وثالثا الرواقون وروايمز زنون توف سنة ٢٦٤ ق.م القائلون : انه والعالم جوهر واحد (وهذا كفر في ديننا) والاهلياد ، والطبيعيات علم واحد والمدار عندهم على الأخلاق ليحل التور الإلهي في جسد كامل بالأخلاق

١٧٨ م (نيقوماخس) صاحب علم الأعداد سنة ١٤٠ ب.م وهما ثلاثة فروع : فرع أثيني ، وآخر شامى ، وثالث اسكندرى . وأشهر الاسكندرانيين بعد الميلاء افلاطين . وأشهر الاسامين «ليبحوس» . وأشهر الماع الأثينى سراتورس . وهذا انتهت الفلسفة القديمة للمادة وعروها

ثم جاء الاسلام وفتحوا الفرس والروم والمهند وقروا علوم الأمم ورجعوا وكان المترجمون رجال علم بخلاف فلاسفة أوروبا في القرون الوسطى فهم كانوا قسيسين ، فبحث فلاسفة الاسلام في أكثر العلوم بخلاف الآخرين ، انما ابتكره العرب قليل بالنسبة لما ترجموه ولكن لهم الفضل فاولاهم ترقى أوروبا على هذا العلم

١٧٩ للمسلمون درسوا الفلسفة الأفلاطونية الحديثة أولا ، ولما عثروا على آراء أفلاطون وأرسطو كانت الأولى قد تمكنت فيهم وفيها مزيج العلم بالدين ، وأول الفلاسفة يعقوب الحسكندی والفارابي الذي اتبع الأفلاطونية الحديثة ، ويظن انها تعاليم أرسطو ، وقد قرأ كتاب النفس (١٠٠) مرة ، والفلسفة اليونانية متناقضة ومناقض بعضها للدين ، فيها خلط وتهوؤ

١٨٠ والرواقيون أفرموا بالكشف ومعرفة ما وراء الحس ، والصوفية في الاسلام مشتقون من هؤلاء ، وكتاب الفارابي المسمى « آراء أهل المدينة الفاضلة » له مزيج بين آراء الشيعة وبين آراء جمهورية أفلاطون وأخوان الصفاء ظهر في القرن الرابع بالشرق ، وانتقل الى بلاد المغرب ، وهو دائرة معارف والواضع لها حجة سرية كانت بالبصرة عد القضي من مؤلفيها خمسة ، وقسمهم أن يتقوا الفلسفة من الخلط والصعوبة ، وأن يهذبوا الدين ويصاحوه بها . ومن الفلاسفة أبو علي بن سينا في القرن الرابع الهجري على رأي أرسطو طائيس وكتابه « القانون » عمدة في الطب وأن علماء الاسلام ردوا على الفلسفة ، ولكن الامام الفزالي هو الذي صد الساس عنها بقوة بيانه ورجعهم الى التصوف

١٨١ ولما انتقلت الفلسفة الى الأندلس وساعد في رواجها الحكم الثاني الأموي في القرن الرابع وتبع ابن باجه وابن طفيل مؤلف (حقا بن يقطان) الذي ترجم الى اللاتينية وظهر سنة ١٦٧١ وستة ١٧٠٠ وبعد عشرين سنة من ظهوره ظهر رواية (رو بنسون كروند) ثم ابن رشد أشهر فلاسفة العرب تبع أرسطو ورد على الفزالي ، ومن كتبه فصل المقال المشهور ، وأكثر مؤلفاته بغير العربية ، ولكن الموجود ترجمتها مع شرح أقوال أرسطو مع الرد على الفزالي في ١١ مجلدا وكتابه في الطب لاتيني ، وله كتب بالعربية ، وطارت شهرته بالمدارس والكنايس الى ابتداء القرن السابع الهجري أي الثالث عشر المسيحي . ولما انتهى القرن السادس عشر وقف المسلمون فلابت لم . وبقي المسلمون في الألفاظ تقديمها وتأخيرها وذكرها وحذفها ولكن نبغ ابن خلدون في مقدمته في علم العمران وطلب أن يفهم من بعده . فأجاب طلبه (أوجست كومت) أما المسلمون فلا . ولم يظهر بعد ابن خلدون باقية اسلاى ولكن بقي الشرق مأثما حتى أيقظته الحوادث اليوم . فهاهوذا قائم ينفض غبار الكسل

١٨٢ فلما سمعت هذا الحال . قالت : لقد أحسنت . وأخذت تذكر للمؤلف بقولها : لانتس انك في تفسير بـ من القرآن - إن الدين هادوا رنا الله ثم اتفاهوا - الخ وأن تاريخ الفلسفة تمهيد لتحقيق في ذلك التفسير . فلا بد من تحقيق آراء الفلاسفة في معرفة الله وفي علم الأخلاق . وهنا أجاب المؤلف تلك الروح فقال : سأبحث هذا الموضوع في ثلاثة فصول

١٨٣ وشرع في الفصل الأول في الحكمة العملية والعلمية مبينا أن للذاهب ثلاثة في الانسان : أهوالروح ؟ أم الجسم ؟ أم هما . ناقلا ما كتبه في كتابه (جوهر القوى) في ذلك

١٨٤ ذا كذا أن الروح والجسم متعبدان فيشتبهان في الناس كلزجاج والتمر . وهذا هو السبب في الخلاف إذ يقول بعضهم : « الانسان هو الروح والجسم لاشيء » وعلم آخرون الخ . وعلم الطب ينظر لهم الصحة نظرا تاما . إذن الطبيب يهيم الجسم . فهو إذن يقول بالروح والجسم . ذلك لأن آثار النفس

تعلی الجسم صحة وسقما كما یعمل الجسم فی الروح اقتباسا وانساقا
 ١٨٥ وههنا بقية المقال كتحصيلة الانسان أن یتدل فی ما سلكه ومشربه وهكذا ، ثم ذكر المؤلف ما كان
 بمصر من العبادة المصرية التي كتب علی قبرها « أنا كل شيء » وهكذا صورة أرسطو وأفلاطون
 واختلاف اشارتهما إلى السماء والأرض ، كل ذلك له آثار فی علم الأخلاق ، فإذا أيقن الانسان بقول
 أفلاطون وبرهانه علی أن الله بالنسبة لبقولنا نظیر الشمس بالنسبة لعمیوننا لأنه یكون سیدا بهذا الايقان
 وأن الصورة التي رسمها رواقیل الهالة علی سقراط وأفلاطون هی نبراس أول العلم وأخوه لأن الأمر
 دائر بین الروح والجسم .

١٨٨ من القائلین بالمادة (كلر نفت) وبخفر وديجراتيس . وههنا ذكر أبيقور ونومس ثم (لامتريه)
 وكايان وغيرهما . وبالجهة فی هذا المقام سر العلماء القائلین بالروح والقائلین بالجسم من أيام اليونان
 إلى الآن إجمالا مثل أنكساغورس وأرسطو والرواقیین وأصحاب الجوهر النرد والمؤلفین والعقليين
 وأصحاب الخلول . أما سينوزا فقد أطن أن هذا العالم جوهر واحد وهوالله وهواعلان مدعش والعالم
 فروع منه

١٨٩ وههنا تأمل المؤلف من سرد هذه المذاهب ، واعترض علی الروح وقالها : كيف أمرتهی بسر المذاهب
 الفلسفية وهي مملوءة بما هو مهووش مريبك للفكر مع ان قلبه فيه صهيقتان أجل من ذلك وهما صحيفة
 جبال السموات وجبل الأرضين . إن قراءة تلخیص الطائفة ضار فوافته علی ذلك ، وأتمها ففهمها
 یكون لأنفس قليل عددهم وقالت انك لابد من اطلاعك علی تبیین الحقيقة للناس ، وهل القاضی
 يحكم بغير معرفة أقوال الخصمين ، وفي أثناء ذلك يقول المؤلف انه برؤيته وجهها اشترح صدره بعد
 اقتباسه بقراءة هذه الآراء ، وأجابته قائلة : أنا أعلم من اطلاحي علی قلبك انك ستحل المشكلة للعالم
 كله قتل وأنا معك . وبهذا تم الكلام علی الفصل الأول فی آية - إن الذين قالوا ربنا الله -

١٩٠ فأخذ يحدتها عن المقام الأول فی مذهب الفريزة الخلقية ومذهب التجربة ، وبكل فل علماء ، فبالأول
 قال (كارليل) وبالثاني قال (كلرنوي) وغيره ، والمقام الثاني فی العلية من سلوكنا وفيما يسوقنا إلى
 ذلك السلوك ، فهل الانسان خلق لمفتمه هو أم لمنفعة العموم ؟ بكل قال قوم - وغيرهم من يقول
 بالتضحية مثل الاستاذ (مل) ، والنبي يسوقنا لحسن السلوك إما القانون الأخلاق فی أعماق نفوسنا
 وإما العواطف ، وإما الخوف من الله ، أو ذم الناس ، بكل قال قوم . والمؤلف يقول : « إن الناس
 درجات فلكل وازرع يناسبه »

١٩١ (الفصل الثاني) فی القبس المذكور فی سورة طه وإيضاح أن الحجر والشجر والزرع كلها ملاءمة
 بالنار . فالحجر فيه (٤٨) جزءا من مائة جزء كلها اكسوجين . ويجمع اقتاده بالار جوده . والحديد
 يحصل فيه ثلثا كسد أي الصدا وهو نوع من الاحتراق بلي . وأما الخشب والقمح والورق والزيت واله من
 فيها كربون وأودروجين . ومتى قربت النار منهما أخذتا يقرآن فيقبض عليهما الاكسوجين . فههنا
 زواج وارتباط . والحجارة أشبه بالقرح القلي . والله أشبه بالزينة التي تقام فی العرس

١٩٢ إن ازدواج القضايا العلمية ، وآراء علماء الشرق والغرب أشبه بلزدواج الكربون والادروجين مع
 الاكسوجين ، والمسلمون بعد قراءة هذا الفصير سيقرون علوم أم الشرق والغرب ويصفون بها
 ما هو حسن وتكون النتائج مستعملات فی المنافع المادية فی مقابلة القبس عند موسى لأهله ، وفي
 المنافع العلمية فی مقابلة قول موسى - أوجد علی النار هدى - . إذن منافع القبس العلمي متوجعة

للذاتيات والعنويات كقبس موسى عليه السلام مدو لقطة بالقطة

(الفصل الثالث) في جلاء الحقائق العلمية والعملية ، واستحسان آراء علماء الأمم الخلقية : أخذ المؤلف يفكر في آراء الأمم أمة أمة ، وكيف يقول قوم بوجود الروح وحدها ، وآخرون بالمادة وحدها ، وكانت تلك الروح الجلية البهجة بتسم وهي صامتة ، فنظر المؤلف الى جهال وجهها ، فراه ازداد جهالا وبهجة وحسنا ، فأعشى عليه ، فأخفت هي تلاطفه وتمرت بدعاه عليه حتى استيقظ ، وأخذ يتنزل بكلام ابن الفارض : * ما بين معترك الأحقاد والبهج * الخ وأخذ يسألها : أنا الآن في حال البرزخ وقد مت ؟ فقلت كلا بل هو صفاء نفس ، فسألها : هل هذه الطال لها وجود مع أنها خيال ؟ فقلت : هي أصل الوجود مستقلة بديلين : أحدهما أننا نرى الصور القديمة في عقولنا لا تتغير بخلافها في المادة ، ثانيهما أن كل عمل نصله في الخارج أصله من الآراء التي تتحول بأذهاننا ، بل للمادة لا وجود لها لأنها حقيقة حركات الأثير الواقعة على حواسنا . إذن هي موجودة في مرتبة الحواس لا غير فهي وجود عدم ، وهما أخذ المؤلف يتنزل فيها كوة أخرى لبهجة جهالها والأنس بها وأن صورتها أجل صورة رآها لأن المشتوق في الأرض إما من الظاهر خاوي الباطن ، وإما بالعكس ، وهذه جهالها ظاهر باطن معا . وأردت أن تنصرف ، فاستفكت بها ، فقبلت البقاء معه ليتمتع بسماها لسكلامه ، فأمره ، إذن أن يحقق الألفة للنفس في مقام العلم والعمل في علم الأخلاق فأرجعها معا الى الإنسان ، فانظر الى دواسه الخس والى عقله يغمنا أن هناك علما روحيا ، كأن نظرنا الى عواطف الأطفال من حيث أنهم يرون جيع من حوطهم مسخوين لهم ، وفي عواطف الحكماء والقواد القين يرون أنهم من مخرون للعطف على سائر الناس ويقذفون بهمجهم في منافع أنهم ، فهذا النظر يعرفنا لماذا خلقنا ويوقفنا على حة ثنى الأهمال الخلقية ، وهاتان النظريتان اللتان ظهرتا للمؤلف في حضرة تلك المشوقة هما معيار علم الأخلاق الذي ابتكره للمؤلف ، وكل نظرية ، وأورأى مؤلف قديم أو حديث تندرج فيما ٢٠٠ فلما سمعنا أن أفلاطون وسقراط ثم أرسطو ثم الاستاذ كانت ، قد أتوا بأدلة في إثبات الله ، فدليل الحواس الانسانية والعقل أقرب الى اليقين لأن كل حاسة من لمس أدنوق أوعين لها محسوسات ترتقي بارتقاء الحاسة والعقل الذي هو أظفها تكون مدركة لها اتصال به وهي تناسبه . إذن عقولنا متصلات بعقول كبيرة . إذن ثمن سعيا ، الآن حقا ، فلا اعتراض على هذا كما اعترض أرسطو على (المثل) التي قالها أستاذه أفلاطون . وإذا وجدنا علماء أوروبا وغيرهم يختلفون : هل نحن مخلوقون لنفوسنا أم مخلوقون للعديم ؟ فما تقول لهم لاختلاف . فمن كان كالأطفال فهو لنفسه . ومن كان كالحكماء فهو لغيره . والأمري ظاهر واضح . بهذين البرهانين خرجت الانسانية من مأزقها في العلم والعمل الخلقين وهذه نهايات علوم العلماء (٢٥) قرنا . وهذا هو الامتحان الذي تقدمه للمؤلف لأمن الشرق والغرب ٢٠٢ (نواضر الجواهر ، لنائس العرائس) هذا مقال موضح لمقابله ، يشرح صورا القراء ويهيج نفوسهم يقول المؤلف فيه ان برهينه قد وصلت الى تمام الحكمة في هذا المقام بعد دراسة الحكمة السابقة في (٢٥) قرنا . ويقول ان برهانه لا يتصل به خلاف كل شيء . لبرهان أفلاطون وأرسطو إذ قامت بعد ذلك فرق وهي الأبيقورية والرواقية وفرقة الاسكندرية والأينية والشامية قبل الاسلام ، وفرق الصوفية بعد الاسلام ، وهما استعرض برهان الاستاذ كانت وبرهان أفلاطون ، وأفاد أن برهان « تفسير الجواهر » أثبت ، فان الإنسان إذا علم أن عقله متصل بعقول أكبر منه كاتصال العين بنور واسع المدى فانه يوقن إيمانا تاما به لم الأرواح . وإذا وجدنا أن الأرض قد هيزت هجرا تاما عن

إمداد أنبائها بالضوء والحرارة للحياة والهداية ، واستمرت لهذا ذلك كله من الشمس فهي إذن من إمدادهم بالقول والمواظف والفرائز أشد هجرا . وهذا برهان آخر واضح فلاحاجة إذن إلى برهان الاستاذ (كانت) الألماني ولا قلائط اليوناني لأن هذا البرهان أبنا يقيني . هذا في الحكمة العلمية ٢٠٤ أما الحكمة العلمية فأمرها ظاهر في الموازنة بين طفل وحكيم في هواطهمها . إذن سقط خلاف علماء الأمم الأوروبية

٢٠٥ ثناء المؤلف على ربه لأنه ألهمه الحكمة وعلمه هذه البراهين وأن هذه البراهين التي علمها الله المؤلف جعلته ينظر إلى الجبال في الصور السجادية والأرضية ، وإلى الشهوات التي في النفوس ، وإلى العقول الانسانية ، وإلى الماء والهواء والحرارة التي تتبرهما فيجعل الهواء الماء ، وإلى الضوء ، وأن الله لما علم ضعف عقولنا عن فهم للنجب التي وردت منه هذه الصور الجلية وهذه المواظف والقوى والعقول أي المادة نفسها أم شيء آخر أظهر لنا الحرارة والضوء من الشمس وقال لها : يا ابنتي الحرارة وبأبيها الضوء : لتقم الأولى بإفارة البخار من البعير وبأفارة الرياح فيكون سحب : وليساعد الضوء في التغذية وفي هداية الحيوان لطرق معاشه ، وأتينا لسنا من الأرض بل من عالم آخر غيرها . يقول نوع الانسان إذا هجرت أرضنا عن الضوء والحرارة وهما حسيان فهي أجهز أقب مرة عن إحداث صور الجبال وخلق العقول والمواظف والقوى الشهوية والنفسية والفرائز الحيوانية ، وهنا يفهم المسلمون مامعنى قوله ﷺ « اللهم الرفيق الأعلى » عند الاحتضار

٢٠٧ زهران في بستان الحكمة العلمية والعملية . الزهرة الأولى : رأى الاستاذ (سرجس) في أن الناس فكروا في المادة لأنهم متأثرون بها ، والحقيقة أن المادة وليدة العقل ، والعلماء اليوم عندهم شبه إجماع على هذا ، فاقول بالمادة قديم ، واقول بالعقل قول حديث

الزهرة الثانية : فيها جاء بأخوان السفاء ، وذلك أن رجلا من المترفين للمعجب أصحاب القصور والحور والولدان والثياب الفاخرة والمجالس والشراب ممن يقدم المترفون ويتزيا بهم الغافلون رأى رؤيا أفزعته وتكررت هذه الرؤيا ، إذ رأى أنه في أرض مقفرة وهو مشوه الوجه عار كسب جاع شهوه طويل وحسده ملوث بالقاذورات ، ووراءه أسودان منكران يخرج النخان من شدقيهما وبأيديهما حواب وهما يطارفانه فهرب منهما ، فعارضه في طريقه جبل شاهق ، فقلع عليه ، وسلكه بمشقة ، ثم هوى منكسا في حفرة عميقة فيها دخان معتكر وطب يشوى الوجوه ، فصرخت صرخة أفرغت أهل القصر ، فحضر العلماء وللتجمون والأطباء ، وكل قال ماخطر له ، فلم تنجح المزائم ولا البخور ولا الأشرطة ولا الأدوية ، فان الرؤيا رجعت بعينها مرة أخرى بأشد من الأولى وهكذا مره بعد مرة ثم أنه أخيرا عبرها له عالم فقال : ان ذلك كله إنما هو إشارة إلى سوء أعماله وسأوكه وحوسه على الدنيا وزهره في الآخرة ، وأن كل وصف من أوصاف اللثم راجع إلى وصف من أوصاف ساء . يوم القيامة وبعد الموت من الهوان والعقاب والحساب والعرض والقبل والهوان . ثم وصف له الهواء وهو التصديق بفضول ماله والصوم نهرا والصلاة والتبهد ليلا ، فضل ذلك وصار قدوة في الدين بعدما كان ندوة في الشهوات ، وصارت الحكيم تلقى على لسانه من غير تكلف وهناك ملك موكل به يلهمه هذه الحكيم حتى ان ذلك العالم القوي وصف له ذلك صريحا على علم عنه ، وهذا هو معنى قوله تعالى - تنزل عليهم الملائكة - الخ

٢١٠ وهنا ست حكم عملة في الموازنة بين الأم مع والدها والحكيم مع أمته والأم كلها . وبيان أن سعادة

٢١٨ ويمنحل في صناعات مختلفة . ويبلغ طول الشجرة (١٥) متراً كثيراً وهرضها على الأقل متران ونصف متر تستعمل سكنا وهي لا تزال مزدهرة ، ومن الثابت تستخرج حبات لها دهن يساعد في صنع الشمع الأبيض الذي يضيء مدة طويلة . وفي استخراج زيت صالح للوقود ، ومن أوراق الراسية ويطبخها بهار ودواء ، ومن جذور انغاسه دواء للشقاء من لسعات الثعابين ، ومن جنوع السادسة غذاء قوي للأطفال ، ومن السابعة يدر لبن يتجمد في صلابة للشدة

٢١٩ بهجة العلم في قوله تعالى - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة - الخ وفيها هجيتان : الهجبة الأولى من علم الحيوان ، آلاف مؤلفة من حيوانات صغيرة تعيش في قطرة ماء ، وهي تخلق على الورق الجاف والتبن والبريس وهي بيضة مطبوع فوق سقف المنازل وهي تحب أثناء الصيف وتطهر الآلة المكسرة بيضة جوب رمل أخضر ، ومتى زل عليها الماء لمحو لت حيوانا حالا ، فإذا غاض الماء أوصار صارا رجعت ميتة لاحراك لها ، فإذا زل عليها الماء تحركت حالا (انظر شكل ٤٣ و ٤٤)

٢٢٠ الهجبة الثانية : زيارة توفيق دوس باشا لكتبة علم الأرض - وانه سيم روح والده وعرفه بعلامات ، وذكر له أحوال يعرفها ، وطلب أن يأخذ صورته فأجيب الى ذلك ، ولكن لما صورته وجد صورة أخرى في الرسم ، فسأل بنت الأستاذ (ستيد) عالم الأرواح المشهور فأجابت أن روحا أخرى أقوى من روح والده تقمتم للصورة ، فطلب تصوير روح والدها واحترس أشد الاحتراس فأجيب لملك وظهرت صورة والدها ، فحبب قلبك ، وسأل : كيف أمكن تصويرها وهي لا ترى ؟ فقيل له ان عدسة الآلة المقورة تصل الى مالاتصل اليه عدسة عبوتنا . وههنا شكل ٤٥ و ٤٦ - فان الصورة التي جاءت فحشا من عالم الأرواح وصورة (ستيد) في صحيفة ٢٢١

٢٢٢ وههنا ذكر المؤلف أن مسألة الهجبة الأولى تذكرنا بنوم النحل والزايير مدة الشتاء واستيقاظها أيام الربيع ، وكذلك الحيات والثعابين ، وبعض السمك الذي يكون في البرين اذا جف ، وفي التاج المتراكم ، وهذه كلها تقوم اذا زال المانع . اذا عرفنا ذلك فهمان الموت والحياة في هذه الحيوانات الترية أشبه بالنوم واليقظة في الحيوانات الكبيرة . إذن الموت أمر موهود لا أهمية له ، وكيف أعظم أمره هذا الانسان ! إن الهجبة الأولى في الحيوان والهجبة الثانية في الأرواح من واد واحد كلاهما أظهر أن الموت ليس أمرا عظيما ، فإذا كانت الحيوانات المتلفة تموت وتحيا بكل سهولة ، والأرواح ظهر أن لها وجودا بعد الموت . إذن الأمر - هل

٢٢٣ إيضاح لما قسم . إن أكثر الناس هو ما نراه (انظر شكل ٤٧ و ٤٨) مثل بكريا - ميزونية ومكتريا صصوية ومكتريا كروية . فهذه أصغر البواب حركية من خلية واحدة . فهي كبد لها شاة ومادة داخلة فيها . وهذه الثانية لها نواة هي أصل الحياة . وهناك مادة أخرى منها ولكن لا نراه . وأحدها يكون واحدا من الألف من المليمتر . وههنا تنعدي رشفن وتمو وملد وتمو

٢٢٤ الكلام على ما تعيش على مادة غير عضوية . والبدنة الواحدة اذا وجدت - كانا - الحاتمو وتصير في ٢٤ ساعة نصف مليون رطل وهي تعيش على درجة ١٩٠ تحت الصفر وهي الدرجة التي يصير فيها الهواء سائلا كالماء . ولكنها لاتتحمل الحرارة أكثر من ٥٥ درجة فوق الصفر . إذن هذه نباتات أقوى على التحمل من كل نبات فرفره . ومتى جدد يصير لها ثلاث سميك يمتظها وتمتقي سنين حتى اذا صادفها وسط مناسب رجعت لها الحياة ككرة أخرى ، (شكل ٤٩) رسم تكويين الجراثيم في البكتريا

إن البكتريا تعين على نمو النبات . فهي كالمطعمين والمجانبين والمخبرين . إن القمح والقطن وكل نبات كبير لاقدرة له على امتصاص عنصر الآزوت من الأرض إلا بمحال خاصة ، وهذه المحال الخاصة لا تتم إلا بتعطيل البكتريا الصغيرة له فيسهل على النبات الكبير تناوله . والبكتريا أيضا تكون سببا في الخلل وديع الجلد وقبول طعم الزبدة ورائحتها واللبن الزايد فهذه من منافعتها ، ومن مضار البكتريا مرض القسمة والطاعون والتيفود والتيفوس والالتهاب الرئوي والسيل

٢٢٥ والوقاية من الأمراض المتقدمة بالنظافة واستعمال المطهرات الخ وبيان أن هذه الملاحظات (البكتريا) من حيث ضررها ونفعها أشبه بالتدخل ودرودة الحرير والحيات والقارب ، فبها يكون الصل والملايس ومنها يكون الضرر . والجراثيم النباتية ثلاثة أقسام : قسمان منها لا لون لها . والقسم الثالث له لون وهي الطحالب . ثم إن اللون لا لون لها أحدهما يسمى الفطر (بضم الفاء والطاء) والثاني يسمى البكتريا (انظر شكل ٥٠) فهذه البكتريا تغذى بالكربون الذي في الشجرة وبالأزوت الذي هو جزء من الهواء ، ولا تزال هذه تتكاثر على جذور النباتات البقية حتى تموت بانهاء أجيالها فيرتكز النبات هذه البكتريا ويتنفع بالبراث ، فقد كسب منه أصرا فوق الكربون الذي أخذه منه وهو الأوزوت الذي أخذه من الهواء ، فهذه البكتريا أعطت للأرض أصرا جديدا هو الأوزوت الذي حوّلته من الهواء إلى الأرض

٢٢٦ (الطحالب) من شكل ٥١ إلى ٥٤ وهي أشكال جسيمة بهجة تزين الطحالب الخضراء والزرقاء المنخفضة ، والتي أعضاؤها تشبه أعضاء النباتات الراقية ، ومنها ما هو مستمرة من الطحالب

٢٢٧ (شكل ٥٥) طحالب بنية وحيدة الخلية ، (شكل ٥٦) أحد الطحالب البنية الكبيرة الحجم ومن الطحالب ما هي حراء تعيش على أعماق كبيرة من سطح البحر

٢٢٨ (تركيب الفطر) (شكل ٥٧ و ٥٨ و ٥٩) ههنا تتكاثر بعض الفطريات ككتلة تشبه أنسجة النباتات الراقية كما في عيش الغراب

٢٢٩ جال العلم في آية - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة - مع قوله تعالى - وقدر فيها أوقاتها - الخ مخاطبة المؤلف ربه ، يقول له : « باربنا أخذنا نستري هذه الأقوات التي قدرتها فجبتنا من أن المشرقات تجري بحساب ، ووجدنا نفس النبات الذي ظهر بسبب أنوار المشرقات أيضا بحساب ، ورأينا أننا نحتاج في طعامنا إلى مواد دهنية وأزوتية ونشوية ، وهذه الثلاثة وجدناها في النباتات بنسب مختلفة ، فما مازاد فيها البعن ، ومنها ما زاد فيه المادة النشوية وهكذا ، إذن أفنت كما حسبت شمسك وكواكبك حسب قبة الغذاء الداخلة في كل نبات من دهن ونشاء وأزوت »

٢٣٠ خطاب المؤلف لربه أيضا ، يقول له : « يارب في القلوب حبك ، تحبك السواب لعلمها ، والهامة لطعامها أولأموالهم ، وهؤلاء عبيد العدا . والأطباء لاطلاعهم على أسرار الغذاء . والحكماء جهم أهل من السابقين . انهم يحولك لعلك الذي ظهرت آثاره في تقدير الأقوات ولرحلتك وجمالك »

٢٣١ نور على نور . وذكر بعض أنواع النبات كالقمح والقمرة والصنوبر والقول السوداني . وأن منها ما مادته الآزوتية كثيرة أو البعينة أو اللشوية . وهذا الاختلاف تاج لاختلاف الفتحات الشريفة في الجذور عند امتصاص الغذاء واختلاف الأوراق أثناء امتصاص الكربون من الهواء عند مقابلة نور الشمس وتعاونهما على ذلك الامتصاص . وهكذا هيئة الجهاز الهضمي المرسوم في محمية ٢٣٣ (شكل ٦٠) فيه آلات وأدوات لهضم المواد النشوية ، وأخرى لهضم المواد الدهنية ، وأخرى لهضم الآزوتية .

إذن ياربنا مهنا عجب! شمس تضيء وتساعد الورق بفتحات مختلفة باختلاف الأشجار، وهناك يتمس من الهواء كربونا ويتمس جنود الأشجار بفتحات أخرى أغذية من الأرض فيكون حب على مقتضى هذه المقتضات له تركيب خاص من أنواع الأغذية فيحصله الانسان فيأكله فينتقله الجهاز الهضمي فتكون الأغذية موزعة على الآلات الهضمية في الجهاز الهضمي، إذن ياربنا هناك مناسبات ثلاث بين الضوء والنبات وفتحات أوراقه وجنوده ثم حيويه والآلات الهضمية في الحيوان، إذن أكثر النوع الانساني في جهل عميق

٢٣٣ تعجب لهذا الجهاز الهضمي الذي حوى ما بهضم المواد الثلاث التي في النبات بحيث كانت فيه مصانع للنشاء وللأزوت وللواذ الدهنية، ولكل واحد من هذه الثلاث نوعان من المصانع ماعدا النشاء فله ثلاث مصانع في نفس الجهاز الهضمي، فإذا تجاوزنا هذا الجهاز الى ضوء الشمس وفتحات الأوراق والطر التي فيها والى فتحات الأنابيب الشعرية في الجنود ألتينا الحساب هناك متقنا انظنا بأيدينا بحيث نرى الأنابيب الشعرية والفتحات كلها لا تدخل في النبات غير المواد المخصصة له

٢٣٤ نظام الأمم الأرضية والشوق الى مبيع العالم، ويان أن بني آدم غافلون عن هذا النظام، والا فأى يقين لهم بعد هذا التفصيل، إن المجموع الانساني أشبه بالأجهزة الهضمية، والأرض وما عليها أشبه بالحلب والنبات وما بهما من المواد الثلاثة المختلفة، فإذا لم تساط بمجموع العقول على جميع النافع في الأرض أصبحت بعض النافع عاطلة لم تجد من يستخرجها وهذا قصص لجميع وهذا هو قوله تعالى - من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا - الآية

(عروج النفس الى العالم الأعلى) ويان أن في تفسير قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله - إيضاح أن المادة لجهازها عن إحداث ضوء وحرارة لما عليها برهنت على أنها عن إحداث عقول وعواطف وغرائز أشد تعجزا، وتزيد على هذا أن المادة اليوم ثبت عدم وجودها، إن هي إلا حركات في الأثير إذن الفلاسفة الماديون سقطوا من قوائم الفلاسفة، إن هناك علم ورجة وجل وحسب منها استمدت الحيوان والانسان ما لديهم من ذلك العالم القدسي، والانسان متى أحس أن علمه ورجته مستمدة من هناك أحس بالسعادة في هذه الحياة ولا يحزنه الفزع الأكبر، والانسان اذا وصل الى ذلك المقام نظرا الى أعلى وإلى أسفل فاستمد وأمد

٢٣٥ بهجة الحكمة وجلال العلم في آية - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة - الخ. يقول المؤلف انه نحيح في أن القارئ شاركه في فهم مقادير النبات وفي نسبتها الى الجهاز الهضمي، فهنا يبين أن المواد غير عضوية كالأملاح وعضوية وهي النسوية وأختها، فهنا ذكر الجدول ليعين أذكر النبات: قمح أرز، ذرة، بطاطس، بطاطس، لوبية الخ. وبالجملة ففي هذا الجدول (٥١) أكثرها نبات وبعضها حيوان، وهذه المواد هي التي بتعطائها الناس غالبا، وقد ظهر لكل مادة قيمتها الغذائية في الرطل المصري الواحد

٢٣٦ قسمة علم النبات بيننا وبين الأطباء، الطيب يفرح بهذه المقادير ليحافظ على الأصحاء ويثني للمرضى، ولكن الحكماء يرتقي فوق ذلك فيقول: «أما الأطباء» لتفرحوا بشفاء مرضاكم وبقاء صحة أحماء الناس، ولكن نحن ننظر في توزيع العلوم على مناطق السماغ كما وزعت آلات الهضم على مختلف النبات، وإذا كانت الأغذية لها مبدأ وهي الشمس، فهكذا للأدماء كانت مبدأ وهي القات العائبة عنا القدسية، منها انبعث العلم في قفوس هي واسطة بيننا وبينها كما كان النبات واسطة بين ضوء الشمس

٢٣٨ وهنا بأن المؤلفاته أوضح آراء الأمم من أيام سقراط الى الآن ، وقد علمها الله سبحانه (٢٥٠٠) سنة معاملة نفس واحدة ، وأزل العلم قليلا قليلا ، وفي هذا التفسير صار أقرب الى عقول الأمم الحاضرة ، والاستئناس على ذلك بما قوله الأرواح ، وهو أن العلم لا يلقى الى الناس إلا اذا استقوتوا له ، ويان أن هذا التفسير جاء في زمان استعنت له الأذهان فيها . فلذا قلنا ان المادة التي ثبت أنها لا وجود لها بسقوطها سقط المذتبون . فقد بينا كلامنا على إجماع علماء العصر الحاضر . فأما هؤلاء المدرسون في مصر وسوريا والعراق ومحوهم فأما يكررون على مسامح تلاميذهم صدى صوت العصور الفاتنة في القرن الثامن عشر . وهنا خالط المؤلف ربه . انه يحسن في نفسه بانسراح وسرور عظيمين . وانه موثق أن المسلمين سيكونون خيرة أمة أخرت للناس بعد ظهور هذا التفسير . وهنا أردف هذا القول بشرح قول الشيخ الداف . وهي ان الاحساس بالشيء غير الانهاج به . فكأن من جيل نراه ولا يتأثر بحاله إلا قليل وهذا سار في جميع الحواس . والمؤلف يقول : إن جميع المعلومات والحسوسات يشترك كثير من الناس فيها ولكن ادراك الجبال قليل . وأكثير الناس إذا عجزوا عن أدراك الجبل اهتموا بشهواتهم التي كأنها ظلمة من محمول لابلارد ولا كرم لأنهم مترفون . إذن الانسان مفرغ بما أحبه . فان أحب الجبال العلمي فهو منهمك فيه . وان أحب الشهوة فهو منهمك فيها . ولما كانت الشهوات مسيطرة مع الكسل على كثير من المسلمين ككثير من أهل مصر كان القطن الذي زرعه سببا في إذلالا إذ يبيعه بمن يمس ونشترى مضوجه بأعلى الأثمان . هذه أغلال في أعناقنا . بل هذه هي السرايل التي من قطران المشبهات ما في الآية - سرايلهم من قطران - لأنها مصنوعة بقطران الفحم كما هو معلوم . وذلك خطر للمؤلف وهو يتلو الآية في صلاة الصبح

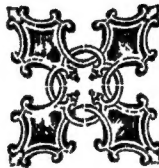
٢٤١ ﴿ الفصل الثاني ﴾ من الطليعة الخامسة في آية - درهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ . ويان أن الأفعال (رد الأمريكي) الذي زار المناطق الجنوبية الحامدة . ووصل الى القطب بالطيارة . وصلت الرسائل منه بالتلغراف الذي لاسلك له الى نيويورك . والمسافة عشرة آلاف ميل . وكأنه يخاطب عامل التلغراف على بعد أقدام فقط ﴿ البحث الثاني ﴾ ان الانجليز قابلو ناغور المهندس بالاحكام مع ان الأمتين بينهما عدوة واضطراب شديد . فهذا يدل على أن نوع الانسان قابل للسلم ﴿ البحث الثالث ﴾ فيما شاهد المؤلف في محبة جسمه . كانت في جسمه بقع ملونة تظهر ويختفي . وقال له الأطباء انها ليست معدية . ولكن لا يعرفون دواها . وأخيرا دلوا سببا نقص في التغذية . ولما أكل الفواكه والحبوب وزيت الزيتون والخبز الذي لا يدخل والبرنقل ونحوه ذهبت تلك البقع . وهنا يقول المؤلف : « إن نقص السعادة الانسانية لنقص العلم بطرقها قياسا على محبة جسم المؤلف بالعلم ومرضه بسبب الجهل .

فعلى الأمم الاسلامية أن تتضافر وتعاون في البحث عن طرق سعادة هذا الانسان

٢٤٥ ﴿ الطليعة السابعة ﴾ في آية - درهم آياتنا - الخ . وفيها بيان معنى كلام الشيخ الباغ : « إن في الأرض عجائب تعرف بالوحداية بلا دليل . وتعترف بوجود الجنة كذلك والنار » ويشرح المؤلف ذلك بأن اتوحيد يعرف بالعجائب المذكورة في هذا التفسير بلا حاجة الى براهين علم التوحيد كهيون الفعل والقياس والتجرب والتعدادة بلانات . فان هذه العجائب لما ظهرت في حشرات منبذات فيما تعافه النفس كانت عجبا أشبه بكنز ظهر فجأة

٢٤٦ هذا ولما كانت النفوس الانسانية إما مفرمة بالحكمة . ولما مفرمة بالظلم والظلمة والنزاع . ولما مفرمة
 بالشموات . والأولى أشبه بمن يأكل الفواكه من الانسان . والثانية أشبه بكل حيوان يأكل كل الرمم
 والثالثة أشبه بالذهب آكل العفونات . كانت جهنم تؤخذ اعتباراً من القسمين الأخيرين . واللجنة تؤخذ
 من القسم الأول . فلذا تقلبت الأغذية بتفاوت الحيوان . هكذا تتفاوت أغذية العقول على مقتضى
 درجاتها . وبهذه أحوال الآخرة لما نظير في العالم المشاهد

(تم)



4529

